المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
البرنامج المسائي



المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان

جمعاً ودراسة

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية العالية الدكتوراه

إعداد الطالب

خالد بن محمد بن عبد الرحمن الرباح

إشراف الشيخ الدكتور

صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

العام الجامعي

١٤٣٤/ ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وتشتمل على:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

الدراسات السابقة.

خطة البحث.

منهج البحث.

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإنّ الله ﷻ هو المتفرد بالخلق، فهو سبحانه أوجد هذه المخلوقات وأبدعها، وأتقن خلقها، وكلها ذليلة له، مسخرة بأمره، تسجد له، وتسبحه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

ومن هذه المخلوقات التي خلقها الله تبارك وتعالى، الحيوان، فهو خاضعٌ له تبارك وتعالى، مسخرٌ بأمره، ساجدٌ له، ومسبِّحٌ له، بل هو يعرف الخالق تبارك وتعالى، وفيه دلائل عظيمة على توحيد الله تعالى؛ مِنْ خَلْقِه وتسخيره، وحياته وغير ذلك.

وفي الإسلام أحكام ومسائل كثيرة متعلقة بالحيوان، منها مسائل في القرآن وعلومه، ومنها مسائل في الفقه، وهناك - أيضًا - مسائل كثيرة متعلقة بالعقيدة، من الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان بالملائكة والرسل، والإيمان باليوم الآخر، وغير ذلك من مسائل كثيرة متعلقة بأبواب العقائد، ويحسن جمعها في مصنف مستقل حتى تكون مرجعًا للباحث في هذه المسائل.

من أجل ذلك اخترت أنْ يكون موضوع رسالتي لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه): بعنوان:

المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان

جمعًا ودراسة

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

من أبرز الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

١- كثرة النصوص في الكتاب والسنة الدالة على توحيد الله ﷻ ودلائل هذه الوحدانية من خلال ذكر الحيوان.

٢- أنَّ في جمع هذه المسائل بيانًا لعظمة الله تبارك وتعالى، وذلك من خلال تسخير الله تعالى الحيوان، وعبوديته له، ومقارنة ذلك بالانحراف الذي عليه طوائف من البشر عن دين الله ﷻ.

٣- دخول الحيوان في مسائل كثيرة من مسائل العقيدة، بعضها متعلق بالإيمان بالله تعالى، وبعضها متعلق بالإيمان بالملائكة والرسل، ومسائل أخرى متعلقة بالإيمان باليوم الآخر، ثم مسائل - أيضًا - متعلقة بأبواب متفرقة من أبواب العقائد، تفتقر إلى الجمع والدراسة.

٤- أنَّ في دراسة مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان أثرًا عظيمًا في زيادة الإيمان بالله تعالى؛ وذلك من خلال التفكر في خلق الله تعالى لها، وما أودع فيها من عجائب، ومن خلال الأمور الغيبية المتعلقة بها، ومن خلال تكريم الله ﷻ لبني آدم عليها، وتسخيرها له، وتفضيل الموحد منهم على الحيوان.

٥- عدم وجود مصنف يجمع مسائل العقيدة الكثيرة المتعلقة بالحيوان؛ وجمع هذه المسائل في مصنف واحد يسهل على الباحث معرفتها والاطلاع عليها.

الدراسات السابقة:

لم أجد – حسب بحثي – في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وغيره من قوائم البحث في المكتبات العامة، وفهارس الرسائل العلمية في الجامعات رسالةً جمعت مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان، وإن كان هناك بعض الرسائل التي بحثت المسائل المتعلقة بالحيوان، لكن في أقسام أخرى غير قسم العقيدة مثل:

١- أحكام الحيوان في الفقه الإسلامي، للباحث: عمار بن كمال بن محمد مناع، رسالة ماجستير من جامعة النجاح الوطنية في نابلس – فلسطين.

٢- أحكام الحيوان غير المأكول في العبادات، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى، للباحث: صالح بن حمود التويجري.

٣- أحكام الحيوان في الفقه الإسلامي، المعاملات المالية، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر، للباحث: عبد الله حسين الموجان.

وهناك بعض الرسائل التي تطرقت إلى مسألة أو أكثر من المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان، مثل:

١- عبودية الكائنات لرب العالمين، رسالة ماجستير من قسم العقيدة في جامعة أم القرى، للباحث: فريد إسماعيل التونِي، وقد أفرد الباحث مبحثًا من مباحث الرسالة، قرابة خمس عشرة صفحة بعنوان (عبودية الحيوانات).

٢- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير من قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، للباحث: محمد بن أحمد ملكاوي، وقد أفرد الباحث فصلاً: (تقرير القرآن للتوحيد بالتذكير بنعم الله)، وذكر من هذه النعم: نعمة الأنعام.

وهناك – أيضًا – مؤلفات أخرى كثيرة أشارت إلى بعض مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان، مثل التطير والذبح، وعبادة الحيوان من الخوف والتسبيح، وغيرها، وهي في نظري لا تؤثر على موضوع هذه الرسالة، التي تهدف إلى جمع ودراسة جميع مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان، وليست مقتصرة على مسألة منها، والله الموفق.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من: مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة، وفهارس تفصيلية.

أولاً: المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

ثانيًا: التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحيوان لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: أنواع الحيوان.

المبحث الثالث: الكتب المؤلفة في الحيوان.

ثالثًا: فصول الرسالة، وهي:

الفصل الأول: المسائل المتعلقة بالإيمان بالله تعالى، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المسائل المتعلقة بتوحيد الربوبية، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: دلالة الحيوان على توحيد الله ﷻ في ربوبيته وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: دلالة خلق الحيوان وعجائبه على توحيد الله سبحانه في ربوبيته.

المسألة الثانية: دلالة رَزْق الحيوان وحياته المعشية على توحيد الله سبحانه في ربوبيته.

المسألة الثالثة: دلالة تسخير الحيوان للإنسان على توحيد الله سبحانه في ربوبيته.

المسألة الرابعة: دلالة إنطاق الحيوانات وتخاطبها فيما بينها على توحيد الله سبحانه في ربوبيته.

المسألة الخامسة: الإيحاء للحيوان.

المطلب الثاني: فطرة الحيوان على التوحيد.

المطلب الثالث: التشريعات الباطلة المتعلقة بالحيوان.

المطلب الرابع: تصوير الحيوان.

المطلب الخامس: تغيير خِلْقة الحيوان.

المطلب السادس: نظرية النشوء والارتقاء وعلاقتها بالحيوان.

وفيه مسألتان:

الفصل الثاني: المسائل المتعلقة بالملائكة والجان، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المسائل المتعلقة بالملائكة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: امتناع الملائكة من دخول البيت، ومن مرافقة الصحبة التي فيها كلب.

المطلب الثاني: ما جاء في دواب الملائكة.

المطلب الثالث: رؤية الحيوان للملائكة.

المبحث الثاني: المسائل المتعلقة بالجنِّ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تشكُّل الجن على صورة الحيوان.

المطلب الثاني: وصف بعض الحيوان بالشيطان، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: إخبار النبي ﷺ أنَّ بعض الكلاب شيطان.

المسألة الثانية: إخباره ﷺ أنَّ الإبل خلقت من الشياطين وبيان ذلك.

المسألة الثالثة: وصف النبي ﷺ للرجل الذي يتبع حمامة بأنه شيطان يتبع شيطانة.

المطلب الثالث: ما جاء في دوابِّ الجن.

المطلب الرابع: رؤية الحيوان للشيطان.

الفصل الثالث: المسائل المتعلقة بالرسل، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتعلقة بالحيوان، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: ما جاء في ناقة نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: إحياء الله الطير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: آيات نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: إحياء الميت من قوم موسى عليه السلام بعد ضربه ببعض البقرة التي أمر الله بها.

المطلب الخامس: حياة حوت موسى عليه السلام بعد موته، وجريه في البحر.

المطلب السادس: الحوت الذي التقم يونس عليه السلام وما فيه من الآيات.

المطلب السابع: آيات داود وسليمان عليهما السلام.

المطلب الثامن: خلق عيسى عليه السلام من الطين كهيئة الطير، ثم يكون طيرًا بعد النفخ فيه بإذن الله تعالى.

المطلب الرابع: الدابّة وعلاقتها بالحيوان، وفيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعيين الدابّة، وبيان المراد بها.

المسألة الثانية: مكان ووقت خروجها.

المسألة الثالثة: عمل الدابّة.

المطلب الخامس: ترك القلاص، وعدم السعي إليها.

المطلب السادس: وقوع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم.

المطلب السابع: النَّغف الذي يرسله الله تعالى في رقاب يأجوج ومأجوج، والطير التي يرسلها الله ﷻ لتحملهم بعد نتنهم استجابة لدعاء عيسى ﵇ وأصحابه، فتطرحهم حيث شاء الله.

المبحث الثاني: التناسخ بين الإنسان والحيوان عند من يقول به.

المبحث الثالث: سماع الحيوان لعذاب القبر.

المبحث الرابع: بعث الحيوان وحشره يوم القيامة.

المبحث الخامس: القصاص بين الحيوانات يوم القيامة.

المبحث السادس: حيوانات الجنة.

المبحث السابع: حيوانات النار.

الفصل الخامس: المسائل المتعلقة بالقدر، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أفعال الحيوان.

المبحث الثاني: هداية الحيوان.

المبحث الثالث: مسألة إيلام الحيوان، وبيان حكمة الله فيها.

الفصل السادس: مسائل الأسماء والأحكام المتعلقة بالحيوان، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: لعن الحيوان.

المبحث الثاني: الفاسق من الحيوان.

المبحث الثالث: تفضيل الأنعام على المشركين.

المبحث الرابع: تشبيه الكافر ببعض الحيوان.

منهج البحث:

سرت في كتابة هذه الرسالة – بتوفيق الله تعالى – على الخطوات التالية:

١- تتبع نصوص الكتاب والسنة التي جاء فيها ذكر الحيوان واستخراج مسائل العقيدة المتعلقة بها.

٢- جمعت المادة العلمية من مظانها.

٣- رتبت فصول الرسالة على ما جاء في حديث جبريل: عليه السلام من الإيمان بالله، ثم الملائكة، وهكذا.

٤- وضعت فصلاً آخر يحوي بعض المسائل المتفرقة التي لها علاقة بالحيوان.

٥- بعض المباحث كتب فيها رسائل مستقلة كالتطير والذبح، فلا أتوسع فيها كثيرًا، بل أذكر أهم المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان فيها.

٦- كتبت الآيات بالرسم العثماني، ثم عزوت الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآيات.

٧- خرجت الأحاديث من مصادرها، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، لدلالة ذلك على صحته، وإن كانت في غيرهما ذكرت كلام أهل العلم في بيان درجته.

٨- ترجمت للأعلام غير المشهورين، وحيث إنَّ الشهرة نسبية فقد جعلت الشهرة للأربعة الخلفاء والأئمة الأربعة، وترجمت لغيرهم ترجمة موجزة.

٩- عرفت تعريفًا موجزًا بالفرق، والأماكن المهمة.

١٠- قمت بتوضيح الكلمات الغريبة والمصطلحات المهمة.

١١- وثقت النقولات وذلك بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة التي تم النقل منها، وإذا كان غير كتاب بينته.

١٢- عند الإحالة إلى المرجع في الحاشية ذكرت اسم الكتاب والمؤلف كاملاً عند أول ورود له، ثم عند تكرره فإني أكتفي بذكر اسم الكتاب ورقم الصفحة، وقد أختصره إنْ كان مطولاً ولا يشتبه باسم كتاب آخر.

١٣- التزمت بوضع علامات الترقيم، والضبط بالشكل لما يحتاج إلى ضبط.

١٤- ذيلت البحث بفهارس تفصيلية على النحو المبين في الخطة.

شكر وتقدير:

وبعد فإني أشكر الله تعالى على ما امتنّ به عليّ، فهو صاحب الفضل أولاً وآخرًا، وهو أعظم من أعطى، وأحق من شُكِر، فله المحامد كلها، ثم أثنّي بالشكر لكل من له فضل عليّ بعد الله تعالى، وأخص منهم والدتي الغالية أمدّ الله بعمرها على طاعته، التي تلهج بالدعاء دومًا لي بالتوفيق والسداد والإعانة والرشاد، فبارك الله في حياتها ورزقها الله التوفيق والسداد، ولأهل بيتي الشكر، حيث تحملوا عني الكثير لأنصرف إلى هذا البحث، وأصرف الجهد والوقت فيه، فجعل الله سعيهم مشكورًا.

وللشيخ الدكتور/ صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، الأستاذ المشارك بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين المشرف على الرسالة شكر جزيل على ما بذله لي من نصح وتوجيه وإرشاد، فسدد الله خطاه وبارك الله في علمه وعمله.

كما أشكر كل من ساهم بتوجيهٍ أو بذل مساعدةٍ أو دلّ على معلومة، فبارك الله في جهود الجميع.

وشكري موصول للقائمين على كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية، وأخص منهم قسم العقيدة على العلم الذي نلته منهم، وعلى توجيهاتهم وآرائهم فشكر الله لهم جميعًا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه

أجمعين.

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحيوان لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: أنواع الحيوان.

المبحث الثالث: الكتب المؤلفة في الحيوان.

المبحث الأول: تعريف الحيوان لغة واصطلاحًا:

الحيوان لغة:

قال ابن فارس[(١)]: «الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة، فأمّا الأول فالحياة والحيوان، وهو ضد الموت والمَوَتَان»[(٢)].

والحيوان محركة جنس الحيّ أصله حيَيَان، فقلبت الياء التي هي لام واوًا استكراهًا لتوالي الياءين، وهذا مذهب الخليل[(٣)]، وسيبويه[(٤)].

---

(١) هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، نزيل همذان، كان رأسًا في الأدب، بصيرًا بفقه مالك، سمع من أبان وأبي القاسم الطبراني، وسمع منه: أبو منصور المحتسب والبديع الهمذاني، له مصنفات، منها: مقاييس اللغة، والمجمل في اللغة، وغيرها، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ، (٢/ ٣٥٢)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤١٢هـ، (١٧/ ١٠٣-١٠٦).

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ، (٢/ ١٢٢)، مادة (حي).

(٣) هو: الخليل بن أحمد بن عمرو، الفراهيدي، البصري، حدث عن أيوب السختياني، وعاصم الأحول، وأخذ عنه: سيبويه، والأصمعي، وغيرهم، كان رأسًا في لسان العرب، وكانت له معرفة بالإيقاع والنظم، وهو الذي أحدث له علم العروض، له مصنفات منها: العين، والعروض والإيقاع، كان دينًا ورعًا متواضعًا زاهدًا، توفي سنة ١٧٥هـ. انظر: بغية الوعاة (١/ ٥٥٧-٥٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩-٤٣١).

(٤) هو: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي، البصري، المعروف بسيبويه، أخذ عن الخليل ابن أحمد والأخفش وغيرهما، طلب الحديث، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل عصره، له فيها كتابه الكبير (الكتاب)، توفي سنة ١٨٠هـ، في البيضاء. انظر: بغية الوعاة (٢/ ٢٢٩-٢٣٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥١-٣٥٢).

وذهب الجاحظ[(١)] إلى أنَّ الحيوان غير مبدل الواو، وأن الواو فيه أصل وإن لم يكن منه فعل[(٢)].

ويقع اسم الحيوان على كل شيء حيٍّ، وكلُّ ذي روح حيوانٌ[(٣)].

وتطلق كلمة (الحيوان) على البقاء السرمدي، وهو ما وصفت به الآخرة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

أي الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال له، ولا انقطاع، بل هي حياة مستمرة أبد الآباد[(٤)].

يقول أبو البقاء الكفوي[(٥)]: «الحياة هي بحسب اللغة عبارة عن قوة مزاجية تقتضي

(١) هو: أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، المتكلم، كان رأسًا في الاعتزال، وإليه تنسب فرقة الجاحظية، أخذ عن: النظام والقاضي أبي يوسف، كان من بحور العلم في اللغة، له مصنفات كثيرة، منها: الحيوان، والبيان والتبيين، توفي سنة ٢٥٥هـ. انظر: بغية الوعاة (٢/ ٢٢٨)، والعبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (١/ ٣٥٩)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تحقيق: علي شيري دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، (١١/ ٢٥).

(٢) انظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م، (٢/ ٥٨٩-٥٩٠)، والقاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٦٤٩)، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٣٧/ ٥١٠).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (٥/ ١٨٦)، ولسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، (١٤/ ٢١٤)، مادة (حيا).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنَّا، دار الشعب، القاهرة، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، (٦/ ٣٠١).

(٥) هو: أبو البقاء، أيوب بن موسى، الحسيني، الكفوي، الحنفي، عاش وولي القضاء في (كفا) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، ثم عاد إلى استنابول فتوفي بها، من مصنفاته: تحفة الشاهان بالتركية في فروع

=

الحس والحركة...والحياة تستعمل على أوجه:

للقوة النامية الموجودة في النبات والحيوان، والقوة الحساسة، وبه سمي الحيوان حيوانًا، والقوة العاملة العاقلة...والحيوان أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة»[(١)].

ويعرَّف الحيوان – أيضًا – بأنه: كل ذي روح ناطقًا كان أو غير ناطق، مأخوذ من الحياة، يستوي فيه الواحد والجمع[(٢)].

فتبين من خلال هذه التعريفات أنَّ الحيوان في اللغة دخل فيه: الإنسان، والحيوان، والنبات، والحياة السرمدية.

الحنفية، والكليات في اللغة. توفي سنة ١٠٩٤هـ. انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م، (٢/ ٣٨)، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، (٣/ ٣١).

(١) الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، (٤٠٧).

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، (١/ ١٦٠).

الحيوان اصطلاحًا:

يعرَّف الحيوان في الاصطلاح بأنه: «الجسم النامي الحساس المتحرك بالإرادة»[1].

وهذا التعريف يدخل فيه الإنسان والحيوان، ويمكن أنْ يخرج الإنسان بأنه الحيوان الناطق[2].

وقد اصطلح على إطلاق الحيوان على الحيّ الذي لا يعقل، وهو قسيم الإنسان والنبات، وهو المراد ببحثي هنا، والله أعلم.

(١) انظر: التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ، (١٢٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (٥٦).

المبحث الثاني: أنواع الحيوان:

العلماء الذين كتبوا عن تصنيف الحيوان، منهم من قسم جميع أنواع الحيوان بما فيها الإنسان وغيره، وقسم آخر أفرد الحيوان المعروف بالتصنيف، حيث قسمه إلى أنواع دون المخلوقات الأخرى من الإنسان وغيره.

فمن أمثلة القسم الأول:

١- تقسيم الجاحظ للحيوان من حيث الحركة إلى أربعة أقسام: قسم يمشي، وقسم يسبح، وقسم يطير، وقسم ينساح، والذي يمشي على أربعة أقسام: الناس، والبهائم، والسباع، والحشرات[١].

٢- قسّم القزويني[٢] الحيوان إلى سبعة أقسام:

الأول: حقيقة الإنسان.

الثاني: إبليس أو الشيطان والمتشيطنة.

الثالث: الدَّواب.

الرابع: النَّعَم.

الخامس: السباع.

السادس: الطير.

---

(١) انظر: كتاب الحيوان، عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١/ ٢٧).

(٢) هو: أبو يحيى، عماد الدين، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، الأنصاري، مؤرخ، جغرافي، من القضاة، ولد بقزوين، ورحل إلى الشام والعراق، وولي قضاء واسط، له مصنفات من أشهرها عجائب المخلوقات، وآثار البلاد وأخبار العباد، توفي سنة ٦٨٢هـ. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، (٥١/ ١٠١)، والأعلام (٣/ ٤٦).

السابع: الهوام والحشرات[١].

أمّا القسم الثاني: وهم العلماء الذين قصروا الحديث على تصنيف الحيوان على الحيوان المعروف، فقد ذكروا أنَّ الأرض يعيش عليها أنواع كثيرة من الحيوان، وقد تعرَّف العلماء حاليًا على نحو مليوني نوع منها، وهي في ازدياد، فهناك نحو عشرة آلاف نوع جديد يتم التعرف عليها سنويًّا[٢].

إنَّ هذا الكم الهائل من الأنواع قد شغل العلماء قديمًا وحديثًا في تصنيفها؛ حيث دأب العلماء منذ القدم على تصنيفها مستخدمين في ذلك العديد من الطرق، ومنها:

١- تصنيف الحيوان أنواعًا على أساس وجود الدم الأحمر أو عدمه.

٢- تصنيف الحيوان أنواعًا على أساس نوع البيئة، فالذي يعيش فوق الأرض فهو أرضي، والذي يعيش في الماء فهو مائي، والذي يعيش في الهواء فهو هوائي.

٣- تصنيف الحيوان على أساس نوع الغذاء، فمنها آكلات اللحوم، ومنها آكلات الأعشاب، ومنها آكلات اللحوم والأعشاب[٣].

أنواع الحيوان عند علماء الأحياء في العصر الحديث:

الحيوانات كلها تنتمي إلى مملكة تسمى (المملكة الحيوانية)، وتنقسم هذه المملكة إلى ٤٠ مجموعة تدعى الواحدة منها (شعبة)، والشعبة تضم مجموعات تسمى كل واحدة (طائفة)، وتضم الطائفة مجموعات تسمى كل واحدة (رتبة)، وتحت الرتبة (فصيلة)، ثم تحت

---

(١) انظر: عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، (٢٥١، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١٤، ٣٣٥، ٣٦١).

(٢) انظر: علم الحيوان، محمود البنهاوي، وأميل شنوده، وعبد العظيم شلبي ومحمد فتحي سعود، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، (١١٩)، ومبادئ علم الحيوان العام، أحمد الشاذلي وفاروق محمد حلمي وإبراهيم علي جعبوب وإبراهيم عبده رواسن، دار المطبوعات الجديدة، مصر (٨٥)، ودليل الطالب للدروس العلمية في مبادئ علم الحيوان، فيصل أبو طربوش، ومحمد صلاح الدين السعيد، جامعة الملك سعود، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ، (٤٦).

(٣) انظر: علم الحيوان (١١٩)، ودليل الطالب للدروس العلمية في مبادئ علم الحيوان (٤٦).

كل فصيلة (جنس)، وتحت كل جنس أنواع[١].

وتنقسم المملكة الحيوانية كلها إلى قسمين رئيسين[٢]:

القسم الأول: الحيوانات الفقارية وهي التي لها عمود فقري، وتضم الحيوانات الآتية:

١- الثدييات، وهي من ذوات الدم الحار وتُغذِّي صغارها بلبن الأم[٣].

٢- الزواحف: لها جلد مغطى بالحراشف، وهيكل عظمي، وتلد صغارها أو تضع بيضها، وهي من ذوات الدم البارد، وتنقسم إلى أربعة فصائل:

أ- السلاحف.

ب- ذوات الرأس المستدق.

ج- ذوات الحراشف (الثعابين).

د- التماسيح[٤].

٣- الطيور: وهي من ذوات الدم الحار، وهي تضع بيضها[٥].

٤- البرمائيات: لها جلد رطب ولا حراشف لها، وتشمل على: الضفادع، والعلاجيم،

(١) انظر: موسوعة الحيوان الشاملة، أعد النص العربي: د. ألبير مطلق، مكتبة لبنان ناشرون، بالتعاون مع شركة دور لينع كِندَرسلي، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م، (١٠-١١).

(٢) انظر هذا التقسيم في: موسوعة الحيوان الشاملة (١٢-١٣)، والموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان، إلفانا مصطفى حمود، دار الفكر اللبناني، ط٢، ١٩٩٥م، (٥٢، ٥٣، ٥٧، ١٩٧، ١٩٨)، وموسوعة الحيوان، هيشر إينجل فارنهام، وأكيلا فوتغرافيس وهوكسلي، وآخرون، دار قتيبة، دمشق (٨٥-٩٥)، وموسوعة إكسفورد العربية، ترجمة وتعديل مجلس من الأكاديميين وأساتذة الجامعات العرب والبريطانيين، إشراف: حسن مرضي حسن، دار الفكر، لبنان، ط، ١٩٩٩م، (٦٥-٦٨).

(٣) انظر: موسوعة الحيوانات الشاملة (١٣).

(٤) انظر: الموسوعة العلمية الملونة موسوعة عالم الحيوان (١٥٣)، وموسوعة الحيوان (١٣٠-١٣١)، وموسوعة الطبيعة الميسرة، وضع النص العربي وأشرف على تحريرها: أحمد شفيق الخطيب، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٨٥م، (٢٣٨-٢٣٩).

(٥) انظر: موسوعة الحيوانات الشاملة (١٣).

والسمادل، وتبلغ أكثر من ثلاثة آلاف نوع(١).

٥- الأسماك.

القسم الثاني: الحيوانات اللافقاريات، وهي التي ليس لها عمود فقري، وتضم الحيوانات الآتية:

١- مفصليات الأرجل، وهي: حيوانات عديمة الهيكل العظمي، ولكن جسمها محاط بغطاء جلدي قاس، وهي أكبر مجموعة حيوانية في العالم؛ تضم الحشرات بجميع أنواعها وأشكالها من جراد، وفراش، وعنكبوتيات، وقشريات، وعديمات الأجنحة(٢).

٢- الرخويات، وهي حيوانات ذات جسم رخو عديم العظام، تحميها قشرة خارجية صلبة، ومنها: الأخطبوط، والحبَّار، وحلزون المياه العذبة، والقواقع(٣).

٣- الحلقيَّات وهي: شعب عديدة من الديدان، بعضها مفلطح، وبعضها طويل ومستدير، وتعيش في المياه أو في المناطق الرطبة(٤).

٤- الخيطيات، وهي: ديدان كأنها الخيوط، يعيش بعضها في أحشاء بعض أنواع الثدييات(٥).

٥- العريضات وهي: الديدان العريضة أو المسطحة، وهي على ثلاث رتب: المهتزات، والشريطيات، والمثقبات(٦).

٦- المجوفات، وهي: حيوانات مائية يعيش بعضها في البحر، وهي مجوفات البطن(٧).

---

(١) انظر: المرجع السابق (١٣).

(٢) انظر: موسوعة الطبيعة الميسرة (٣٤-٥١)، وموسوعة الحيوان (٧٠-٨٥)، والموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (١٧١-١٩٤).

(٣) انظر: موسوعة الحيوان الشاملة (١٢).

(٤) انظر: موسوعة الحيوان (٦٨)، وموسوعة الحيوان الشاملة (١٢).

(٥) انظر: الموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (٢٠٦)، وموسوعة الطبيعة الميسرة (١٦٤-١٦٥).

(٦) انظر: الموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (٢٠٧).

(٧) انظر: الموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (٢٠٧)، وموسوعة الحيوان (٦٢-٦٣).

٧- القنفذيات الجلد وهي: مجموعة هامة من الحيوانات اللافقارية، تعيش في قاع البحر، وهي بطيئة الحركة أو ساكنة، وغالبًا ما يغطي سطحها أشواك[١].

٨- الإسفنجيات، وهي: حيوانات واسعة الانتشار، وليس لها فم ولا رأس ولا عيون ولا أي حواسَّ، ولها أنواع وأشكال كثيرة[٢].

---

(١) انظر: الموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (٢٠١-٢٠٤)، وموسوعة الحيوان (٨٦-٩٠).

(٢) انظر: موسوعة الطبيعة الميسرة (١٠٠)، والموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (٢١٣-٢١٤).

المبحث الثالث: الكتب المؤلفة في الحيوان:

لقد اهتم العلماء قديمًا وحديثًا في تأليف الكتب التي تتحدث عن الحيوان، فصنفت في ذلك كتب كثيرة، وهذه الكتب على أقسام:

١- كتب تبحث عن الحيوان عامة بجميع مظاهره وأنواعه.

٢- كتب تحدثت عن المخلوقات على العموم، ودخل فيها الحيوان[١].

٣- كتب ألفت في طائفة من الحيوانات، كالخيل، أو الإبل، أو الشاء، أو الطيور، أو الحشرات، أو غير ذلك[٢].

---

(١) انظر مثلاً: عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، وعجائب النباتات والفواكه والحيوانات من خلال مخطوط فريدة العجائب وفريدة الغرائب، سراج الدين ابن الوردي، تحقيق: أنور محمود زناتي، جامعة عين شمس.

(٢) صنفت كتب كثيرة في حيوانات خاصة، فقد ذكر النديم أربعًا وعشرين كتابًا بعنوان (الخيل)، وتسعة باسم (خلق الفرس)، وخمسة عشر كتابًا باسم (الإبل)، ومن أمثلة هذه الكتب:

١- الإبل لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٤٨هـ). ٢- الإبل للنضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ). ٣ـ الإبل للأصمعي (ت ٢١٦هـ). ٤- كتاب الخيل لابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ). ٥ - كتاب الخيل لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ). ٦- كتاب الشاة والغنم للأخفش (ت ٢١٥هـ). ٧- كتاب الجراد لأحمد بن حاتم (ت ٢٣١هـ). ٨- كتاب صفة النمل والبعوض لعلي بن عبيدة (ت ٢١٩هـ). ٩- كتاب الطير، لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٤٨هـ). ١٠- كتاب النحل والحشرات للأصمعي (ت ٢١٦هـ). ١١- كتاب الوحش للأصمعي (ت ٢١٦هـ). انظر: الفهرست: محمد بن إسحاق ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، (٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٥، ٨٠-٨٧، ٩١، ٩٨، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٤٨، ١٥١، ١٥٥، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٥، ٢٠٩، ٣٩٢، ٤٣٦، ٤٣٧)، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، (١/ ٨٧، ٥٨٢)، (٢/ ١٢٧٩، ١٤٣٢، ١٤٣٦)، وهداية العارفين في أسماء المؤلفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، (٥/ ٤١١)، (٦/ ١١٧-٤٩٩)، وإسهام علماء العرب والمسلمين في علم الحيوان، علي عبد الله الدفاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، (٣٩٤-٣٩٥)، وكتاب الحيوان (المقدمة) (١/ ١٤-١٦).

٤- كتب أَفردت أبوابًا أو مباحث خاصة عن مواضع متعلقة بالحيوان، كخلق الحيوان، وما أودع الله فيه من عجائب، أو غير ذلك[١].

وفي هذا المبحث أذكرُ طائفةً من الكتب التي قصد مؤلفوها الحديث عن الحيوان بجميع مظاهره، دون غيره من المخلوقات الأخرى، مع الحديث عن كتابين من أشهر هذه المؤلفات ذيوعًا[٢]:

١- كتاب الحيوان لديموقريطس[٣]، وقد ذكر فيه طبائع الحيوان ومنافعه[٤].

٢- كتاب نعت الحيوان لأرسطو طاليس[٥][٦].

٣- أجزاء الحيوان لأرسطو طاليس أيضًا[٧].

٤- كتاب الحيوان، لأبي عبيدة معمر بن المثنى[٨]، وهو أقدم تأليف عربي استمد مادته من

---

(١) منها: العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، (١/ ١٣٥-١٤٩)، (٦/ ٢٤٤-٢٦٤)، ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن الحلبي، دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ، (٢/ ١٢٥-١٨٢).

(٢) هما: كتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري.

(٣) ديموقريطس: هو فيلسوف يوناني عاش في الفترة (٤٦٠-٣٧٠ ق. م)، وكتب في علم الأخلاق والفيزياء والرياضيات والأدب واللغة، لكن لم تبق سوى قلة من مؤلفاته، له نظرية مشهورة في المذهب الذري. انظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، (١٠/ ٥٨٢).

(٤) انظر: كشف الظنون (٦٩٥).

(٥) أرسطو طاليس هو: فيلسوف يوناني عاش في الفترة (٣٨٤-٣٢٢ ق. م)، من تلاميذ أفلاطون، يطلق عليه وعلى تلاميذه (المشَّاؤون)، لأنه كان يلقي دروسه أثناء المشي والتجوال، هرب من بلده أثينا بعد محاربة أهلها له بسبب عدم احترامه للأديان. انظر: الموسوعة العربية العالمية (١/ ٥٠٦)، والفهرست (٣٤٥).

(٦) انظر: الفهرست (٣٦٩)، وكشف الظنون (٦٩٥)، وأبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، (٢/ ٢٦٠).

(٧) انظر: أجزاء الحيوان، أرسطو طاليس، ترجمة: يوحنا بن البطريق، حققه وشرحه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٨م.

(٨) هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري، اللغوي، النحوي، أخذ عن يونس وأبي عمرو، وعنه: المازني والأثرم، كان يرى رأي الخوارج والإباضية ورمي بالشعوبية، وهو أول من صنف في غريب
=

البيئة العربية[١].

٥- كتاب الحيوان للجاحظ.

٦- كتاب الحيوان لابن أبي الأشعث[٢][٣].

٧- كتاب الحيوان لابن سيناء[٤][٥].

٨- حياة الحيوان الكبرى للدَّميري[٦][٧].

الحديث، وله من المصنفات: معاني القرآن، وأيام العرب، والخيل والإبل وغيرها، توفي سنة ٢٠٨هـ. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ، (٧٦).

(١) انظر: الفهرست (٧٩)، ومجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، السنة ١٣٩١هـ، المجلد الأول، عدد ١، ٢، مقال: كتب الحيوان عند العرب، محمد باقر علوان، (٢٧).

(٢) ابن أبي الأشعث هو: أبو جعفر، أحمد بن الأشعث، له مصنفات كثيرة، معظمها في صناعة الطب وغيرها، وقد شرح كثيرًا من كتب جالينوس، وفصل كثيرًا من كتب أرسطو طاليس وغيره، كان أصله من فارس، ثم هرب منها إلى الموصل وعاش فيها طبيبًا، من مصنفاته: كتاب الحيوان، وكتاب في الصرع وغيرها، توفي سنة ٣٦٠هـ. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم السعدي، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (٣٣١).

(٣) انظر: الحيوان، أحمد بن محمد بن أبي الأشعث، تحقيق: عبد الرزاق أحمد الحربي، ديوان الوقف السني، العراق، ١٤٢٩هـ.

(٤) ابن سيناء هو: أبو علي، الحسين بن عبد الله ابن سيناء، البلخي، البخاري، فيلسوف طبيب، أخبر عن أبيه أنه من الإسماعيلية، فكان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنية، له تصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، وكان يأخذ في كتبه عن الملاحدة المنتسبين إلى الإسلام، فكان هو وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد، من أشهر مصنفاته: القانون في الطب، والمنطق وغيرها، توفي سنة ٤٢٨هـ. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٤٥٩-٤٣٧)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مطابع الرياض، ط١، ١٣٨١هـ، (٩/ ١٣٤)، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ، (٢/ ٢٦٦).

(٥) انظر: الحيوان، الحسين بن عبد الله بن سيناء، تحقيق ومراجعة: إبراهيم مذكور وعبد الحليم منتصر وسعيد زايد وعبد الله إسماعيل، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠م.

(٦) انظر: حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدَّميري، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.

(٧) الدَّميري هو: أبو البقاء، كمال الدين، محمد بن موسى الدَّميري، الشافعي، برز في الفقه والحديث والأدَب، أخذ عن التقي السبكي، والإسنوي، وعنه: الأقفهَسي، والفاسي، وغيرهما، له مصنفات كثيرة، منها: حياة الحيوان الكبرى، وشرح المنهاج، توفي سنة ٨٠٨هـ. انظر: طبقات الشافعية، أبو بكر ابن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ،

=

٩- التبيان لما يحل ويحرم للأفقهسي.

١٠- الكشف والبيان عن صفات الحيوان، لأبي الفتح محمد الإسكندري(١)، وهو كتاب ضخم، ربما كان أضخم كتاب في العربية في هذا الموضوع(٢).

١١- كتب كثيرة وموسوعات معاصرة ألفت خاصة عن الحيوان(٣).

كتاب الحيوان للجاحظ:

كتاب الحيوان للجاحظ من أوسع الكتب التي تحدثت عن الحيوان، فهو كتاب واسع، يعد دائرة معارف واسعة الأفق، وهو كتاب طريف في موضوعه، فهو كتاب ذو شقين، أدبي وعلمي، فكان الجاحظ في هذا الكتاب يمزج العلم بالأدب، فلم يكن كتاب الجاحظ مقصورًا على الحيوان فقط، بل تحدث فيه مؤلفه عن علوم شتى، وفنون عديدة، ففيه مسائل كثيرة من المسائل الجغرافية، وفيه خصائص كثير من البلدان، وتأثير البيئة على الحيوان

(٤/ ٦١-٦٤)، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، (١٠/ ٥٩-٦٢).

(١) هو: أبو الفتح، محمد بن محمد بن علي، العوفي، الإسكندري، الشافعي، صوفي، فقيه، لغوي، أخذ عن أبيه وابن حجر وغيرهما، وعنه: أبو المفاخر النعيمي، وشمس الدين بن طولون وغيرهما، رحل إلى مكة واليمن والهند والعراق، له مصنفات كثيرة، منها: زاد المسافر وأدب الحاضر وتحفة اللبيب وبقية الكئيب، توفي سنة ٩٠٦هـ. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ، (٨/ ٣٠-٣٣)، والأعلام (٧/ ٥٣-٥٤).

(٢) انظر: مجلة المورد، عدد ١، ٢، السنة ١٣٩١هـ، مقالة: كتب الحيوان عند العرب (٣٣-٣٤).

(٣) من هذه الكتب:

١ ـ معجم الحيوان، أمين المعلوف، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٣٢هـ.

٢ ـ علم الحيوان، للدكتور النبهاوي وآخرون.

٣ ـ موسوعة الحيوان الشاملة.

٤ ـ آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها، ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.

٥ ـ آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، ماهر الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.

والإنسان والنبات، وتناول - أيضًا - الأجناس البشرية وتباينها، كما عرض لبعض قضايا التاريخ.

وفيه كذلك حديث عن الطب والأمراض، وتحدث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب، وأحوالهم وعاداتهم، وفيه - أيضًا - حديث عن بعض الآيات والأحاديث، وتفصيل لبعض مسائل الفقه.

والكتاب - أيضًا - ديوان جمعَ صفوةً مختارة من حُرّ الشعر العربي ونادره، وقدرًا كبيرًا من الأمثال، مع نقد الكلام والشعر.

أمَّا الفكاهة فهذه قد نثرت في الكتاب نثرًا ما بين نادرة يرويها أو قصة يحكيها[١].

ولقد اعتمد الجاحظ في تأليف كتابه على أمور خمسة رئيسة:

الأول: نصوص الكتاب والسنة.

الثاني: الشعر العربي، فقد كان عليه أكثر اعتماده، وخاصة البدويَّ منه، فالعرب تحدثوا عن الإبل والخيل والطيور وغيرها في أشعارهم، من نعتها وأصواتها وسيرها؛ لأن العرب- كما يرى الجاحظ- قد ثقفوا معرفة الحيوان، وبرعوا في ذلك البراعة، وخاصة الأعراب منهم، فكتابه مفصَّل بكثير من الشعر العربي، موسَّع بعيون ما نظم العرب والأعراب في الحيوان من شعر.

الثالث: كتاب الحيوان لأرسطو، وقد نقل عنه الجاحظ نصوصًا مع مناقشتها والكلام عليها، وقبول بعضها ورد ما خالف الحق في نظره منها، فهو يرد عليه أحيانًا، ويعتذر له أحيانًا أخرى.

الرابع: علم الكلام الذي يتجلى فيه مذهب الجاحظ المعتزلي، ومنحاه في المناقشة والجدل، والإثبات والنفي، والجنوح إلى المناظرات في بعض الأحيان.

الخامس: خبرته الشخصية، وذلك الولوع الذي كان يدفعه إلى السؤال ممن يتوسم فيه العلم، فقد جالس الملاّحين مرارًا، وسمع من أحاديثهم، ومع صائد العصافير له حديث أيضًا،

---

(١) انظر: كتاب الحيوان (المقدمة) (١/ ٢٨-٢٩).

وله نقاش كذلك في شأن الفيل مع أهل الاختصاص[١].

أبرز الملاحظات على الكتاب:

١- الجاحظ واحد من أشهر المعتزلة[٢]، وإليه تنسب فرقة من فرقهم[٣]، فهو في الكتاب يمدح المعتزلة ويثني عليهم، فمن ذلك قوله: «ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النِّحل»[٤].

ويقر باعتزاله في هذا الكتاب فيقول في مقدمته ردًّا على من يطعن في كتبه: «وعِبْتَ كتابي في خلق القرآن، كما عِبْتَ كتابي في الردِّ على المشبهة[٥]...وتفضيلي الاعتزال على

---

(١) انظر: المرجع السابق (المقدمة) (١/ ١٨-٢٣).

(٢) المعتزلة: فرقة نشأت في القرن الثاني الهجري، وسمو بذلك لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، وذلك حين سأل رجل الحسن عن مرتكب الكبيرة، وقبل أن يجيب أجاب واصل بأنه في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ذلك، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمي هو وأصحابه: المعتزلة، ويجمع المعتزلة القول بنفي الصفات عن الله تعالى وأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأنه لم يخلق أفعال العباد، وتصل فرقهم إلى أكثر من عشرين فرقة، ولهم أصول خمسة، هي: التوحيد والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: شرح الأصول الخمسة (١٤١،٦٩٧،١٣٦،٣٠١،١٢٨)، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن الأشعري، قدم له وكتب حواشيه: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ، (١/ ١٣٠) وما بعدها، والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، (٩٣-١٨٩)، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، (٦٣-٨٦)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ.

(٣) انظر: التبصير في الدين (٨٢).

(٤) كتاب الحيوان (٤/ ٢٠٦).

(٥) يقصد بالمشبهة أهل السنة والجماعة الذين يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، أو أثبتها له رسول الله ﷺ.

كلِّ نحلة»[١].

وهو في الكتاب يقرر كثيرًا من مسائل المعتزلة في القدر[٢]، والقول بالمنـــزلة بين المنـــزلتين[٣].

٢- أنه يورد أحاديث وأخبارًا في كتابه وهي لا تثبت، وبعضها من أحاديث أهل الكتاب[٤].

٣- ردّ بعض الأحاديث وسخريته منها لعدم موافقتها لعقله، كما صنع في أحاديث قتل الوزغ، والكلاب، والحية، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والغراب[٥].

٤- كثرة الاستطرادات والتشعبات التي سار عليها الجاحظ في كتبه، فتجده يتحدث عن نوع من الحيوان، ثم يستطرد بذكر مباحث أخرى، ثم يرجع إلى كلامه الأول، وقد يطول الفصل في ذلك، فكتابه هذا يعوزه بعض الترتيب والتهذيب، والباحث عن نوع الحيوان لا يجد بغيته فيه بسهولة[٦].

حياة الحيوان الكبرى للدَّميري:

هذا الكتاب مرجع عظيم من المراجع في هذا الفن، فهو كتاب حافل، أورد فيه المؤلف علومًا كثيرة، ذكر أنَّ من الأسباب الباعثة له على تصنيفه: الخلاف الذي وقع في بعض دروسه في ضبط مالك الحزين وغيره، خوفًا من تصحيف لفظه وتحريفه.

---

(١) كتاب الحيوان (١/ ٩).

(٢) انظر: كتاب الحيوان (٢/ ١٩٠-١٩١).

(٣) انظر: المرجع السابق (٤/ ٢٧٨).

(٤) من ذلك: قصة بعث نوح عليه السلام الغراب والحمامة، ولعنه الحمار، وبر الهدهد بأمـــه، والنهي عن قتل الضفدع والخفاش، وتسبيح الضفدع. انظر: كتاب الحيوان (٢/ ٣٢٠-٣٢٢)، و(٥/ ٥١٠، ٥٣٧-٥٣٨).

(٥) انظر: كتاب الحيوان (٤/ ٢٨٦-٢٨٩)، ويأتي الكلام على ذلك في الفصل الخامس في مبحث الفاسق من الحيوان.

(٦) وقد وضع له الأستاذ: عبد السلام هارون فهارس قيمة سهلت الوصول إلى ذلك حيث رتب الحيوان على حروف المعجم.

ثم كان ذلك سببًا للتوسع في أسماء الحيوان، وفق ترتيب معجمي، فيبدأ بذكر اسم الحيوان واشتقاقه اللغوي، ثم ذكر بعض صفاته مستمدًّا ذلك من كتب الصحاح والمعاجم اللغوية، مستشهدًا من القرآن والسنة، ثم الشعر والأخبار، والأمثال، مع إيراد القصص في ذلك، ثم يذكر ما يحل ويحرم من الحيوان، ويورد أقوال المذاهب الأربعة غالبًا، مع ترجيحه مذهبه الشافعي، ثم ينتقل إلى ذكر الخواص الطبية لأجزاء هذا الحيوان، ثم يختم ذلك كله بما يمكن أنْ يفسَّر هذا الحيوان إذا رُئِي في المنام[(١)].

والكتاب يمتاز بسهولة البحث فيه؛ إذ هو مرتب على حروف المعجم، فالباحث يكفيه معرفة الاسم الأول للحيوان الذي يريد البحث عنه، وقد يجده في أكثر من موضع حسب الأسماء لهذا الحيوان، مع كثرة النصوص التي يستدل بها المؤلف من الكتاب والسنة.

أبرز الملاحظات على هذا الكتاب:

١- الكتاب مليء بذكر رقى وطلاسم وتمائم شركية، يختم بها المؤلف حديثه عن بعض الحيوانات؛ حيث يذكر في نهاية كلامه على بعض الحيوانات رقية تحمي منه، وقد يذكر فوائد مزعومة لتعليق أجزاء من هذا الحيوان على الإنسان، فمن ذلك قوله: «ورأيت بخط بعض المشايخ لإذهاب النمل أنْ يكتب في إناء نظيف هذه الأسماء وتغسل بماء، وترش في بيت النمل، فإنه يذهب ولا يطلع، وهو: الحمد لله يا هيا شرا هيا، سأريكم يا هيا شرا هيا»[(٢)].

وقال - أيضًا - في ذكر ما يعلق على بعض الدوابّ إذا تغيرت رائحتها: «ولا طلهه هو هو هو رهست هرهر هر هر هرهر وهو هو هو هو هو ه ه ه ه ه أمها هيا لولورس درر وبر حفرب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[(٣)].

وأن ضرس الأرنب إذ علق على من يشتكي ضرسه سكن وجعه[(٤)].

(١) انظر: حياة الحيوان الكبرى (المقدمة) (١/ ٢١-٢٢).
(٢) حياة الحيوان (٤/ ١١٦).
(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٩٠-٢٩١).
(٤) انظر: المرجع السابق (١/ ١٠٤).

ومن علَّق عين الذئب اليمنى لم يخف لصًّا ولا سبعًا[١].

وهذه تمائم شركية سوف يأتي الحديث عنها - بمشيئة الله تعالى - في الفصل الأول.

إلى غير ذلك من الخرافات والأباطيل الكثيرة التي سود بها صفحات الكتاب وهو في غنية عنها.

٢- المؤلف كثير الاستطراد، فقد يذكر بيتًا لشاعر ثم يستطرد في ترجمة هذا الشاعر، ثم يورد له من شعره جملة مقطعات، ومن استطراده الطويل ما ذكره بعد كلامه على الأوز لكل الخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسيين حتى زمنه[٢].

٣- المؤلف يورد أحاديث كثيرة ضعيفة، وأخبارًا واهية دون تحقيق في ذلك.

٤- كثرة الأوهام والأخطاء التي وقع فيها المؤلف، من الضبط اللغوي لأسماء بعض الحيوان، وعدم دقته في تحديد وفيات من يترجم لهم، وأخطاء في نسبة الأخبار إلى مصادرها[٣].

٥- في كلام المؤلف على الحيوان تفاوت كبير، فبعضها يترجم له بصفحات كثيرة، ويورد فيه نصوصًا وأخبارًا عديدة، وبعضها الآخر لا يتجاوز الكلام عليه سطورًا عدة.

٦- الكتاب فيه زيادات كثيرة، وضعت بعد المؤلف، ومن أدلة ذلك أنَّ الدَّميري حين ترجم لكل الخلفاء حتى زمنه أضيفت تراجم الخلفاء بعد وفاته، فوصلت تراجم الخلفاء إلى سنة ٨٣٣هـ، بينما وفاة الدميري سنة ٨٠٨هـ، وهو قد ذكر أنَّ الفراغ من مسودته كان في سنة ٧٧٣هـ[٤].

---

(١) انظر: المرجع السابق (٢/ ٤٤٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ١٨١-٣٥٢)، والضوء اللامع (١٠/ ٦٠).

(٣) انظر: حياة الحيوان (المقدمة) (١/ ٢٣).

(٤) انظر: المرجع السابق (المقدمة) (١/ ٢٤)، يقول السخاوي: «وله فيه زيادات لا توجد في جميع النسخ، وأتوهم أن فيها ما هو مدخول لغيره إن لم يكن جميعها لما فيها من مناكير». الضوء اللامع (١٠/ ٦٠).

الفصل الأول

المسائل المتعلقة بالإيمان بالله

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المسائل المتعلقة بتوحيد الربوبية.

المبحث الثاني: المسائل المتعلقة بتوحيد الألوهية.

تمهيد: تعريف الإيمان بالله:

لغة: الإيمان في اللغة هو: التصديق(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [يوسف: ١٧].

أي: ما أنت بمصدق لنا(٢).

والصواب أن معنى الإيمان في اللغة ليس مرادفًا للتصديق، بل التصديق وزيادة من الإقرار والتسليم ونحوها(٣).

شرعًا: الإيمان في الشرع: تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية(٤).

فالإيمان بالله تعالى يكون بالتصديق الجازم والإقرار الكامل، والاعتراف التام بوجود الله تعالى، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

---

(١) انظر: لسان العرب (٢١/١٣) مادة (أمن)، وتاج العروس (١٨٦/٣٤) مادة (أمن).

(٢) انظر معالم التنزيل (٢٢٢/٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٢/٧-١٥٣).

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٢٣٨/٩) وتيسير العزيز الحميد (٣٣)، ومجموع الفتاوى، (١٥١/٣)، وشرح العقيدة الطحاوية (٤٥٩/٢).

المبحث الأول

المسائل المتعلقة بتوحيد الربوبية

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: دلالة الحيوان على توحيد الله ﷻ في ربوبيته.

المطلب الثاني: فطرة الحيوان على التوحيد.

المطلب الثالث: التشريعات الباطلة المتعلقة بالحيوان.

المطلب الرابع: تصوير الحيوان.

المطلب الخامس: تغيير خِلْقة الحيوان.

المطلب السادس: نظرية النشوء والارتقاء وعلاقتها بالحيوان.

المطلب السابع: البركة في الحيوان.

تمهيد: تعريف توحيد الربوبية:

التوحيد لغة: مصدر من وحَّد يوحِّد توحيدًا؛ إذا أفرده وجعله واحدًا[١].

وقال ابن فارس: «وحَّدَ: الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد»[٢].

الرب في اللغة: الرب لغة يأتي لعدة معان، منها:

المربي، والمالك: يقال ربُّ كل شيء: مالكه ومستحقه أو صاحبه[٣].

توحيد الربوبية شرعًا: اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق المدبر وأنه رب كل شيء ومالكه، فهو رب كل شيء ورازقه، وهو المحيي المميت، والنافع والضار، المنفرد سبحانه بالخلق والملك والتدبير[٤].

وفي الحيوان دلائل عظيمة على ربوبية الله تعالى، وأنه سبحانه المتفرد بالخلق، والملك، والتدبير، تتجلى في المطالب الآتية:

---

(١) انظر: لسان العرب (٣/٤٤٦) مادة (وحد).

(٢) انظر: الصحاح (١/١٣٠)، والقاموس المحيط (١١١).

(٣) مقاييس اللغة (٦/٦٨)مادة (وحد).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/٣٨٠) وتيسير العزيز الحميد (٣٣)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/١٨).

المطلب الأول: دلالة الحيوان على توحيد الله ﷻ في ربوبيته:

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: دلالة خلق الحيوان وعجائبه على توحيد الله سبحانه في ربوبيته:

الله ﷻ هو المتفرد بالربوبية دون سواه، فلا خالق ولا مالك ولا مدبر إلا هو، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١]، فله سبحانه الحمد على انفراده بالخلق والتدبير والنعم، وكمال غناه عن خلقه مع فقرهم إليه.

وفي خلق الحيوان دلائل ظاهرة، وبراهين جليَّة على ربوبية الله ﷻ؛ حيث أوجدها من العدم بإتقان بديع على أشكال مختلفة، وألوان متنوعة، ثم أودع فيها عجائب تدل على وحدانيته، وعظيم قدرته.

وتتجلى دلالة خلق الحيوان وعجائبه على توحيد الله سبحانه في ربوبيته في الدلائل الآتية:

١- الخلق والاختراع:

من أدلة توحيد الباري ﷻ الظاهرة خلق الحيوان، وإيجاده من العدم، فوجود الحيوان كغيره من المخلوقات دليل على موجده، الذي هو الله ﷻ؛ إذ يحيل العقل وجوده من غير خالق حكيم عليم، وهذا من أعظم البراهين على توحيد الله ﷻ وربوبيته، حيث أخبر سبحانه أنه خلق جميع الدوابّ من ماء، فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

فهو سبحانه الذي تفرد بخلق جميع الدوابّ بما فيها الحيوانات من ماء، على اختلاف بين المفسرين في المقصود بهذا الماء، فقيل: المراد به النطفة (ماء الذكور)، كما قال الجمهور، وقيل: جنس الماء؛ إذ كل مخلوق فأصله الماء، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ

حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، والله أعلم بالصواب[1].

ومن أعظم الأدلة على ربوبية الخالق سبحانه أنَّ كل شيء يدل على وجوده:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحدُ

ومن ذلك الحيوانات بأشكالها وأصنافها؛ إذ ما من شيء إلا هو أثر من آثار قدرته، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وهو سبحانه رب جميع هذه المخلوقات من حيوان وغيره، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وهو سبحانه الذي خلق هذه الحيوانات وبثها في الأرض على كثرها وعظمتها، واختلاف أشكالها وأصنافها، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤].

وقد ذكر الشنقيطي[2] رحمه الله أنَّ من براهين التوحيد الدالة على عظمة الله وجلاله،

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، راجعه وضبطه وعلق عليه الدكتور: محمد الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ، (١٢/ ٢٩١)، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد عوض، زكريا النوفي، أحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، (٦/ ٤٢٧-٤٢٨)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ، (٤/ ٤٢-٤٣).

(٢) هو: الشيخ: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ينسب إلى قبيلة (تجاكنت) من أشهر قبائل مورتانية، ولد في موريتانيا سنة ١٣٢٥هـ، وطلب العلم بها، ثم قدم إلى السعودية سنة ١٣٦٧هـ، درّس في الجامعة الإسلامية منذ تأسيسها، وكان عضوًا في هيئة كبار العلماء، ورابطة العالم الإسلامي، تميز في الأصول والتفسير والعقائد، وتخرج على يديه كثيرون، من أشهرهم: عطية محمد سالم، وله العديد من المؤلفات، منها: أضواء البيان، وآداب البحث والمناظرة، توفي رحمه الله

=

وكمال قدرته، وأنه المستحق للعبادة وحده: خلق الدواب، كما في هذه الآية[(١)]، وما في الأرض من دابّة ولا طائر يطير بجناحيه إلا هي أمم مثلنا خلقها الله كما خلقنا، قال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

فالحيوان وجوده وخلقه دليل على توحيد الله، كما أنَّ خلق الإنسان دليل على توحيد الله ﷻ، فهي أمم أمثالنا خلقها الله ﷻ كما خلقنا.

٢- الإتقان والإحكام:

من دلائل توحيد الله ﷻ وبراهين ربوبيته؛ إتقان المخلوقات وإحكامها بما فيها الحيوان، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

فالله ﷻ أتقن كلَّ مخلوق وحسنه، وخلق كل حيوان على صورته، لم يخلق البعض على صورة البعض، فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصح به معاشه[(٢)].

وقد أمر الله ﷻ بتسبيحه وتنـــزيهه؛ لربوبيته سبحانه؛ حيث تفرد بالخلق وسواه، فقال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ١-٣].

يقول السعدي[(٣)] رحمه الله: «يأمر الله تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته،

في مكة سنة ١٣٩٣هـ. انظر: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، د. عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، (١/ ٢٥-٨٧).

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، (٧/ ٣٢٩).

(٢) انظر: معالم التنـــزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ، (٦/ ٣٠١).

(٣) هو: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، من بني تميم، فقيه أصولي، محدث داعية، كان مجتهدًا، ولم يخرج في الغالب عن ترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، من شيوخه: إبراهيم الجاسر، وصالح القاضي، ومن أبرز تلاميذه: الشيخ محمد بن عثيمين، له مصنفات =

والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحًا يليق بعظمته تعالى، بأن تذكر أسماؤه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم، وتذكر أفعاله التي منها: أنه خلق المخلوقات فسواها، أي أتقنها وأحسن خلقها»(١).

فإتقان الله ﷻ للمخلوقات وتقديرها بما فيها الحيوان دليل عظيم على ربوبيته، وكماله؛ ولهذا أرشد سبحانه إلى التفكر في مخلوقاته - ومنها الحيوان - فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

فالله ﷻ يقول: ألم ينظر المكذبون بآيات الله، في ملكه وفيما خلق، فيتدبروا ذلك، ويعلموا أنه سبحانه المتفرد بالوحدانية، وينبغي ألاَّ تكون العبادة والدين الخالص إلا له(٢).

وحث سبحانه على التفكر في خلق الإبل فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

فمن تفكر في خلق الإبل، وتأمل في إتقان الله ﷻ لها علم أنَّ هذا الإتقان والإحكام لم يكن إلا من خالقٍ حكيم عليم، متفرد بالربوبية والألوهية دون سواه.

يقول الدكتور زغلول النجار: «تشير هذه الآية القرآنية الكريمة إلى ما في الإبل من إعجاز يشهد للخالق ﷻ بالألوهية والربوبية، والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، والإبل بأنواعها تتميز عن جميع الأنعام بميزات بدنية، وتشريحية، ووظائف عجيبة ألمح إليها القرآن الكريم بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

عديدة، من أشهرها: تيسير الكريم الرحمن، توفي سنة ١٣٧٦هـ. انظر: صفحات من حياة علامة القصيم، الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، د. عبد الله بن محمد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٣هـ.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ، (ص١٠٨٦).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، (١٣/ ٢٩٠).

...وقد ثبت للدارسين والمراقبين أنَّ الجمل العربي هو بحق سفينة الصحراء، وأنه أصلح الوسائل الفطرية للسفر والحمل والتنقل في الأراضي الصحراوية الجافة، فهو يستطيع قطع مسافة تصل إلى الخمسين ميلاً في اليوم، متحملاً الجوع والعطش لعدة أيام متتالية في شدة حرارة نهار صيف الصحراء، ويستطيع حمل أكثر من نصف طن من المؤن والركاب والسير بهم وبها لأكثر من عشرين ميلاً في اليوم دون طعام أو شراب، وذلك لعدة أيام متتالية، بما خصّه الله تعالى من ميزات جسدية وتشريحية، ووظائفية لا تتوفر لغيره من الحيوانات»(١).

فهذا نوع من أنواع الحيوان، حثَّ الله ﷻ على التفكر في خلقه؛ لما فيه من الإتقان والإحكام الدالة على توحيده.

وأخبر سبحانه عن نوع آخر فيه دلائل وبراهين على توحيده - أيضًا -؛ لما أودع فيها من إحكام وإتقان بديع، فقال سبحانه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩].

ففي خلق الله ﷻ لهذا النحل وإتقانها، وما وهبها سبحانه من هداية عجيبة؛ حيث وهبها حسن بناء البيوت، ثم إخراج الشراب مختلفَ الألوان من بطونها؛ ليكون فيه شفاء للناس، كل ذلك دليل على أنه الواحد الذي ليس كمثله شيء، وأنه لا ينبغي أنْ يكون له شريك، ولا تصح الألوهية إلا له(٢).

٣- التسخير والتدبير:

الحيوانات كغيرها من المخلوقات، هي تحت تدبير الله ﷻ مسخرات بأمره، لا خروج لها عن قدرته وإرادته، كما قال سبحانه عن هود عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

---

(١) من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم، الدكتور: زغلول راغب النجار، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ، (٢٧٢-٢٧٤).

(٢) انظر: جامع البيان (١٧/ ٢٥٠-٢٥١).

فالله تبارك وتعالى هو المالك لجميع الدواب، يصرفها كيف يشاء، ويمنعها كما يشاء، وهو قاهرها والقادر عليها[١].

وقال سبحانه عن الطير: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٧٩].

وهذا حث للمشركين وغيرهم على النظر والتأمل في الطير التي سخرها الله ﷻ في هواء بين السماء والأرض، ما طيرانها في الجو إلا بالله، وبتسخيره إياها لذلك، ولو سلبها سبحانه ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض والارتفاع، ثم بين سبحانه أنَّ في هذا التسخير للطير علاماتٍ ودلالات على أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له[٢].

ولقد عدَّ العلماء أنوعًا من الطيور تزيد على تسعة آلاف نوعٍ، زودها الله ﷻ بوزن خفيف يعينها على الطيران، وجعل عظامها وريشها خفيفًا كذلك، وأمدها أيضًا بميزات تحتاجها في طيرانها.

فهي تتمتع بقوة البصر التي قد تزيد على بصر الإنسان ثمانية أضعاف، فبعض الطيور يرى فريسته على ارتفاع ألفي متر.

والطائر له سرعة تزيد على مائة وثلاثين كيلو مترًا في الساعة، وبعض أنواع الطيور تقطع ستة آلاف كيلومترًا دون توقف، وتطير ستًا وثمانين ساعة بلا توقف، أي طائرة تقطع هذه المسافات، وهذا الوقت دون تزود بالوقود، أو بالطعام والشراب[٣].

فهذا التسخير والتدبير من الله للطير وغيره من الحيوانات دليل عظيم على ربوبيته ﷻ ووحدانيته.

٤- كثرة أنواعها وأشكالها واختلاف ألوانها:

وهذا برهان آخر من براهين ربوبية الخالق ﷻ المتمثلة في الحيوان، إذ كثرة أنواعها وأشكالها، واختلاف ألوانها دليل عظيم على ربوبية خالقها، فكم في البر والبحر من دوابَّ

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/ ٥٥).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (١٧/ ٢٦٦).

(٣) انظر: آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، (٣٦-٣٧).

وطيور وحشرات وسباع لا يعلم عددها وأشكالها إلا الله ﷻ، الذي تفرد بإيجادها وتكفل بأرزاقها، إذ هو سبحانه المتفرد بخلقها وإبداعها على تلك الأنواع والألوان الكثيرة، وفاوت سبحانه بين حياتها وخلْقها.

يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

(فمنهم من يمشي على بطنه)، كالحيتان والحيات، (ومنهم من يمشي على رجلين)، كبني آدم والطير، (ومنهم من يمشي على أربع)، كالبهائم والسباع، ولم يذكر سبحانه من يمشي على أكثر من أربع مثل بعض الحشرات؛ لأنها في الصورة كالتي تمشي على أربع[1].

ولذا فإن «العقول قاصرة عن الإحاطة بأحوال أصغر الحيوانات على سبيل الكمال، ووجه الاستدلال بها على الصانع ظاهر، فاختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأعضائها وقواها ومقادير أبدانها وأعمارها وأخلاقها لا بد أنْ يكون بتدبير قاهر حكيم ﷻ عما يقول الجاحدون، وأحسن كلام في هذا الموضع قوله سبحانه: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

لأنه هو القادر على الكل، والعالم بالكل، فهو المطلع على أحوال هذه الحيوانات، فأي عقل يقف عليها، وأي خاطر يصل إلى ذرة من أسرارها؛ بل هو الذي يخلق ما يشاء ولا يمنعه مانع ولا دافع»[2].

وفي خلق الحيوان من دوابَّ وأنعام وغيرها، ما بينه ﷻ من كمال قدرته في خلق الأنواع والألوان المختلفة من حيوان وغيره، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

---

(١) انظر: معالم التنــزيل (٦/ ٥٥).

(٢) مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، (٢٤/ ١٨).

فأخبر سبحانه عن خلقه للأشياء المتضادات، التي أصلها ومادتها واحدة؛ ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته.

فمن ذلك الدوابّ والأنعام، فيها اختلاف في الألوان والأوصاف والهيئات وغيرها؛ الذي يدل على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت منها بلونه وصفته، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك[١].

ومن تأمل ما في البحر من حيوان مختلف الأشكال والألوان رأى براهين عظيمة على عظمة موجدها وخالقها تبارك وتعالى، يقول ابن القيم[٢] رحمه الله: «ولو رأى العبد ما في البحر من ضروب الحيوانات والجواهر والأصناف التي لا يحصيها إلا الله، ولا يعرف الناس منها إلا الشيء القليل الذي لا نسبة له أصلاً إلى ما غاب عنهم لرأى العجب، ولعلم سعة ملك الله، وكثرة جنوده التي لا يعلمها إلا هو»[٣].

وقد أثبت العلم الحديث أنَّ مسح العلماء للمحيطات يكشف أكثرَ من نوعين جديدين من الأسماك كل أسبوع، وطرقًا هائلة تسلكها الكائنات للهجرة عبر المحيطات.

وقد ذكرت بعض التقارير الإحصائية لأعداد حيوان البحر أنَّ هناك ما يقرب من مائتين وثلاثين ألف نوع معروف من الحياة البحرية، أغلبها ميكروبات ضئيلة تتدرج حتى تصل إلى الحيتان الزرقاء، مشيرة إلى أنَّ العدد الحقيقي ربما يرتفع إلى مليوني نوع[٤].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٠٨).

(٢) هو: أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١هـ، كان واسع العلم، عارفًا بالخلاف ومذاهب السلف، كثير العبادة، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، ولازمه ملازمة شديدة، له مصنفات عديدة، منها: زاد المعاد، والصواعق المرسلة، وإعلام الموقعين، وغيرها، توفي سنة ٧٥١هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، ١٣٩٢هـ.

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٧٤).

(٤) انظر: آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها (٧٧-٧٨).

٥- دلالة الحيوان على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى:

الله تعالى هو المتفرد بالربوبية دون سواه، فلا يقدر على إحياء الموتى غيره، وفي القرآن الكريم صور لبعض الحيوان التي أحياها الله بعد موتها، فكانت شاهدًا من شواهد ربوبيته، فمن ذلك:

١- إحياء الطير لإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فتجلت قدرة الله تعالى في إحياء هذا الطير بعد تقطيع إبراهيم عليه السلام لها، وتوزيع أجزائها على الجبال، فإذا بها تصبح حية تسعى بعد مناداة إبراهيم عليه السلام لها(١).

٢- الرجل الذي أماته الله تعالى هو وحماره مائة عام ثم بعثه، قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩].

فأظهر الله تعالى آية من آيات قدرته على إحياء الموتى في نوع من الحيوان، حيث أماته الله مائة عام ثم بعثه، وصاحبه ينظر إليه، فقد أمره الله بالنظر إلى حماره وهو يبعث،

---

(١) يات الحديث عن هذه الآية في مطلب: إحياء الطير لإبراهيم عليه السلام في آيات الأنبياء عليهم السلام.

فنظر إليه تلوح عظامه ليس فيه لحم ولا عصب ولا جلد، ثم قال له: وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا أي: كيف نركب بعضها على بعض، ثم بعد ذلك كساها لحمًا، فصار حيًّا بعد أن أماته الله مائة عام[1].

٣- حياة حوت موسى عليه السلام بعد موته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٢-٦٣].

فكانت هذه آية عظيمة، في حوت ميت يؤكل منه دهرًا، ثم صار حيًّا بعد ما أكل بعضه[2].

٦- ما أودعها الله ﷻ من عجائب:

في الحيوان عجائب كثيرة دالة على قدرة الباري جلَّ وعلا، شاهدة على ربوبيته ووحدانيته تبارك وتعالى، وقد بسط بعض العلماء في كتبهم أشياء كثيرة من ذلك[3].

فمن هذه العجائب ما يتعلق بالحيوان على وجه العموم، ومنها ما يكون خاصًّا ببعض أفرادها.

فمن العجائب المتعلقة بالحيوان على وجه العموم ما ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان عن التخالف في طباع الحيوان، فقال: «فجعل تعالى وعزّ بعض الوحوش كسوبًا محتالاً، وبعض الوحوش متوكلاً غير محتال، وبعض الحشرات يدَّخر لنفسه رزق سنته، وبعضًا يتكل على الثقة بأنَّ له كلَّ يوم قدر كفايته، رزقًا معدًّا وأمرًا مقطوعًا.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٤٦٥).

(٢) انظر: جامع البيان (١٨/٦١).

(٣) انظر: كتاب الحيوان، وعجائب المخلوقات، وحياة الحيوان الكبرى، ومفتاح دار السعادة (٢/ ١٢٥-١٨٢)، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: د. أحمد الصمعاني، ود. علي العجلان، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ، (٢/ ٥٢٢-٥٦٨).

وجعل بعض الهمج[١] يدخر، وبعضه يتكسب، وبعض الذكورة يعول ولده، وبعض الذكورة لا يعرف ولده، وبعض الإناث تخرِّج ولدها، وبعض الإناث تضيِّع ولدها، وتكفل ولد غيرها، وبعض الأجناس عطوفة على كل ولد من جنسها، وبعض الإناث لا تعرف ولدها بعد استغنائه عنها، وبعض الإناث لا تزال تعرفه وتعطف عليه، وبعض الإناث تأكل ولدها، وكذلك بعض الذكورة، وبعض الأجناس يعادي كلَّ ما يكسر بيضها، أو يأكل أولادها، وجعل يُتْمَ بعض الحيوان من قِبَل أمهاتها، وجعل يُتْمَ بعض الحيوانات من قِبَل آبائها، وجعل بعضها لا يلتمس الولد وإن أتاه الولد، وجعل بعضها مستفرغ الهمِّ في حُبِّ الذرءِ[٢] والتماس الولد، وجعل بعضها يزاوج، وبعضها لا يزاوج ليكون للمتوكل من الناس جهةٌ في توكُّله، وللمتكسِّب جهة في تكسُّبه، وليُحضِر على بالهم أسباب البرِّ والعقوق، وأسباب الحضر والتربية، وأسباب الوحشة من الأرحام الماسَّة»[٣].

وقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله كلامًا طويلاً حول حِكم الله ﷻ في بعض ما أودع الحيوان من صفات، وعجائب تدل على عظمته وحكمته سبحانه[٤]، ومن ذلك:

١- أنَّ الله ﷻ قد سلبها - على كبر حجمها - العقول، ليتم تسخيرها للإنسان، فيقودها، ويصرفها حيث شاء، ولو أعطيت العقول على كبر حجمها لما استطاع ذلك، فترى البعير على عِظم خِلقَته يقوده الصبي ذليلاً منقادًا.

٢- حكمة الله ﷻ في صنع آلات البطش عند الحيوان، حيث جعل لكل حيوان ما يناسبه من الأيدي والمخالب والأنياب، فجعل للحيوان الذي غذاؤه من صيده ما يناسبه، وكذلك الحيوان الذي غذاؤه من النبات ما يناسبه.

٣- أنَّه سبحانه جعل صغار الحيوان تتبع أمهاتها وهي حديثة العهد بالولادة، مستقلة بأنفسها

---

(١) هي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمر وأعينها، وقيل: هي صغار الدواب. وقيل: هو كل دود ينفقئ عن ذباب أو بعوض. انظر: لسان العرب، (٢/ ٣٩٢)، مادة (همج).

(٢) الذرء هو النسل، انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٠٧)، مادة (ذَرَّ).

(٣) كتاب الحيوان (٢/ ١١٤-١١٥).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ١٢٥-١٤٤).

من أجل أنَّ أمهاتها ليس عندها ما عند أمهات البشر من التربية والملاطفة والرفق، فترى ذوات الأربع تتبع أمهاتها مباشرة، وترى أفراخ كثير من الطير يلقط حين يخرج من البيضة، وما كان منها ضعيف النهوض كفراخ الحمام أعطى الله سبحانه أمهاتها العطف والشفقة والحنان عليه، حتى ينهض ويستقل بنفسه.

٤- حكمته سبحانه في جعل قوائم الحيوان زوجًا لا فردًا؛ ليتهيَّأ له المضي والسعي؛ إذ لو كانت فردًا لم تصلح لذلك.

٥- حكمة الله البالغة في جعل ظهور الدوابّ مبسوطة ليتهيَّأ ركوبها، وتستقر الحمولة عليها، وخُولِف هذا في الإبل فجعل ظهورها مسنَّمة؛ لما خصت به من فضل قوة، وعظم ما تحمله.

٦- حكمة الباري سبحانه في كون فرج الدابّة بارزًا من ورائها، ليتمكن الفحل من ضِرابها، ولو كان أسفل بطنها لم يستطع ذلك.

٧- ما أودعه ربّنا تبارك وتعالى هذا الحيوان من كساء يناسبها من الشعر والوبر والصوف لبعضها، والبعض الآخر من الريش، والآخر من الجلد، كلٌّ بحسب حاجته إلى الوقاية من الحر والبرد والعدو؛ حيث لم يكن لها سبيل إلى اتخاذ الملابس، وصنع الكسوة، وآلات الحرب كالإنسان، فأعطيت من الآلات وأدوات البطش ما يناسبها.

وهنا وقفة يسيرة عند بعض مخلوقات الله ﷻ من الحيوان، وما أودع ربنا تبارك وتعالى فيها من عجائب خلقه، وعظيم صنعته، الدالة على كمال ربوبيته وألوهيته، فسبحان الخلاَّق العظيم، فمن ذلك:

١- البعوض:

هي على صغر جِرْمِها، قد أودع الله تعالى في مقدم دماغها قوة الحفظ، وفي وسطه قوة الفكر، وفي مؤخره قوة الذِّكر، ولها حاسة بصر، وسمع، وشم، ومنفذ للغذاء، ومخرج للفضلة، وخلق لها جوفًا وأمعاءً وعظامًا[1].

وهي مزودة بجهاز تخدير موضعي، يساعدها على غرز إبرتها دون أنْ يحس الإنسان

---

(١) انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ٤٢٩).

بالغرز، وما يحس به هو نتيجة مصّ الدم، وهي مزودة - أيضًا - بجهاز تحليل الدم، فهي لا تستسيغ كل الدماء، وجهازٍ لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق[١].

فمن وهبها ذلك كلَّه؟ إنَّه الله الواحد في أسمائه وصفاته، وربوبيته، وألوهيته.

٢- الثعلب:

من عجائب الثعلب أنَّه إذا طلب القنفذ، فأمكنه من ظهره بال عليه، فينبسط القنفذ، فعند ذلك يقبض على بطنه[٢].

وإذا اشتد به الجوع، انتفخ ورمى بنفسه في الصحراء كأنه جيفة، فتدنو منه الطير، فلا يظهر حركة ولا نفس، فلا تشك أنه ميت، حتى إذا نقرته بمنقارها وثب عليها حتى تموت[٣].

فسبحان الذي في كل شيء من مخلوقاته دليل على وحدانيته، فتبارك الله رب العالمين.

٣- الحمار:

«ومن هداية الحمار الذي هو من أبلد الحيوان: أنَّ الرجل يعبر به، ويأتي به إلى منــــزله من البعد في ليلة مظلمة فيعرف المنــــزل، فإذا خُلِّيَ جاء إليه، ويفرق بين الصوت الذي يُسْتوقف به، والصوت الذي يُحَثُّ به على السير»[٤].

فالذي هداه لذلك على كل شيء قدير، وقد أحاط بكل شيء علمًا.

٤- الحمام:

من عجيب أمره أنه يطلب وكره، ولو أرسل من مسافات بعيدة، ويحمل الأخبار، ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدة القريبة، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر سنوات فأكثر، ثم

---

(١) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. محمد السقاعيد، دار اليقين، مصر، ط٢، ١٤٣٠هـ، (٣٧١-٣٧٢).

(٢) انظر: كتاب الحيوان (٦/ ٣١٣).

(٣) انظر: عجائب المخلوقات (٣١٩)، وشفاء العليل (٢/ ٥٥٣).

(٤) شفاء العليل (٢/ ٥٥٣).

هو على ثبات عقله، وقوة حفظه، ونزوعه إلى وطنه، فمتى وجد فرصة طار إليه[١].

ومن عجيب أمره مشاكلته للناس في كثير من أمره ومذاهبه، ففي إناثه من لا تريد إلا زوجها، وأخرى لا ترد يد لامس، وأخرى صعبة الطلب، وأخرى سهلة، وأخرى لها ذكر وهي تمكن غيره، وغيرها لها ذكر ولا تمكن أحدًا غيره.

ومن الذكور من يأخذ أنثى يتمتع بها مدة ثم يتركها إلى غيرها، ومنها ما يعطف على فراخه فقط، ومنها ما يعطف على فراخه وفراخ غيره، وكل حالة توجد في الناس في ذكورهم وإناثهم توجد في الحمام.

ومن هداية الحمام أنَّ الذكر والأنثى يتقاسمان أمر الفراخ، فتكون الحضانة والتربية والكفالة على الأنثى، وجلب القوت والرزق على الذكر، فإن الأب هو صاحب العيال والكاسب لهم، والأم هي التي تحبل وتلد وترضع[٢].

٥- الديك:

ومن عجيب أمر الديك معرفته بالليل وساعاته، فهو يعرف آناء الليل وعدد الساعات، ومقادير الأوقات، ثم يقسط صوته على ذلك الوقت تقسيطًا لا يكاد يغادر منه شيئًا، فسبحان من هداه لذلك[٣].

وفيه من الخصال الحميدة أنه يسوي بين دجاجه، ولا يؤثر واحدة على واحدة إلا نادرًا[٤].

ومن عجيب أمره أيضًا أنَّ الدِّيك الشاب إذا ألقي له حب لم يأكله حتى يفرقه، فإذا هرم وشاخ أكله من غير تفريق، وسر ذلك أنَّ الشاب يفرق الحب ليجتمع الدجاج حوله فيصبن منه، والهرم قد فنيت رغبته فيهنَّ فليس له همة إلا نفسه، وهو يفعل ذلك من جهة

(١) انظر: حياة الحيوان الكبرى (٢/ ١١٠)، وعجائب المخلوقات (ص٣٤١).

(٢) انظر: شفاء العليل (٢/ ٥٤٣-٥٤٥).

(٣) انظر: كتاب الحيوان (٢/ ٢٤١)، وحياة الحيوان الكبرى (٢/ ٣٧٩).

(٤) انظر: حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٣٧٩).

الغزَل لا غير[(١)].

٦- الذباب:

«ومن عجيب أمره أنه يلقي رجيعه على الأبيضِ أسودَ، وعلى الأسودِ أبيضَ»[(٢)].

والذباب له قدرة على الإقلاع عموديًّا من مكانه، وله قدرة على المناورة بحركات أمامية وخلفية وجانبية بسرعة عجيبة، وبعد الطيران تزيد سرعته إلى عشرة كيلومترات في الساعة تقريبًا، وهو يحط على أي سطح مهما كان شكله.

والذباب يتذوق الطعام بمجرد أنَّ يحط عليه، فإن راقه ذلك سلب منه ما يريد وهرب بسرعة فائقة؛ فإن كان شرابًا امتصه بخرطومه، أما إنْ كان الطعام صلبًا فإنه يفرز عليه عددًا من الأنزيمات، والعصائر الهاضمة بالإضافة إلى لعابه، وهذه تبدأ في إذابة ما تقع عليه من الطعام الصلب فورًا مما يمكن الذباب من امتصاصه بخرطومه، وبأجزاء فمه، ذات الطبيعة الإسفنجية، ومن ثم لا يمكن استرجاعه أبدًا، أو استنقاذه بأي حال من الأحوال[(٣)]، وصدق الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [الحج: ٧٢].

ومن عجيب أمر الذباب ما جاء عن أبي هريرة ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إذا وقع الذُّباب في إناء أحدكم فليغمسه كلَّه ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه داءً، وفي الآخر شفاءً))[(٤)].

وهذه معجزة عظيمة يبينها لنا النبي ﷺ حول هذا المخلوق العجيب، على صغر جرمه،

---

(١) انظر: كتاب الحيوان (٢/ ١٥٠-١٥٣)، وعجائب المخلوقات (ص٣٤٣-٣٤٤)، وشفاء العليل (٢/ ٥٤٧-٥٤٨).

(٢) حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٤٠٨).

(٣) انظر: من آيات الإعجاز العلمي، الحيوان في القرآن الكريم (١٥٦-١٥٩).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، في كتاب الطب، باب: إذا وقع الذباب في الإناء (٤٩٣) برقم (٥٧٨٢).

فإن جسمه يحوي الداء والدواء.

ويبين لنا الإمام ابن القيم - رحمه الله - المعنى الطبيَّ، الذي دلَّ عليه هذا الحديث، والسرَّ في صنيع الذباب ذلك في جناحيه، فيقول: «واعلم أنَّ في الذباب عندهم قوةً سميَّة يدل عليها الورم، والحكة العارضة عن لسعه، وهي بمنـــزلة السلاح، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه، فأمر النبي ﷺ أنْ يقابل تلك السمِّية بما أودعه الله سبحانه في جناحه الآخر من الشفاء، فيغمس كُلُّه في الماء والطعام، فيقابل المادة السمية المادة النافعة، فيزول ضررها، وهذا طبٌّ لا يهتدي إليه كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج، ويقرُّ لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحي إلهي خارج عن القوى البشرية.

وقد ذكر غير واحد من الأطباء أنَّ لسع الزنبور والعقرب إذا دلك موضعه بالذباب نفع منه نفعًا بينًا، وسكنَّه، وما ذاك إلا للمادة التي فيه من الشفاء، إذا دلك به الورم الذي يخرج في شعر العين المسمى شَعْرَه بعد قطع رؤوس الذباب أبرأه»(١).

فسبحان الذي خلق الداء والدواء، وجمع ذلك كلَّه في جرم حشرة صغيرة من مخلوقاته العجيبة، فلا إله إلاّ الله رب العالمين.

٧- العنكبوت:

من عجائب العنكبوت أنَّ منها جنسًا يصيد الذباب صيد الفهود، وهو الذي يسمى (الليث)، فهو ينسج تلك الشبكة شركًا للصيد، ثم يكمن في جوفها، فإذا نصبت فيها البرغش(٢) والذباب وثب عليه وامتص دمه(٣).

وفي القرآن الكريم وصف لبيت العنكبوت: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٥، ١٤٠٧هـ، (٤/ ١١٢-١١٣).

(٢) نوع من البعوض، انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ٤٠٦).

(٣) انظر: كتاب الحيوان (٥/ ٤١٢)، ومفتاح دار السعادة (٢/ ١٥٣).

يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

«ويتجلى الإعجاز العلمي في التعبير القرآني عن الفعل بصيغة المؤنث في كلمة (اتخذت) وهي إشارة في غاية الدقة للدلالة على أنَّ الأنثى - وليس الذكر - هي التي تقوم بصنع نسيج البيت، وكذلك الإشارة إلى ظاهرة التفكك الأسري في بيت العنكبوت، في أنَّ العنكبوت الأم تقوم بقتل زوجها بعد التلقيح مباشرة، وكذلك هجر صغار العناكب أعشاشها في سنٍّ مبكرة، وهو ما كشف عنه العلم الحديث بالنسبة لغالبية أنواع العنكبوت، وما كان لأحد قط أنْ يفطن إلى هذه الحقيقة وقت نزول القرآن الكريم»(١).

٨- النحل:

ومن عجيب أمر النحل أنه كالإنسان له جماعة ورئيس، فلا مصلحة لشأنه إلا في ذلك، والنحل تجتمع فتقسم العمل بينها، فبعضٌ يعمل الشمع، وبعض آخر يعمل العسل، وآخر يبني البيوت، وبعضها يستقي الماء، ويصبه في الثقب، ومنها ما ينقل العسل من أطراف الشجر، فسبحان ملهمها العليم الخبير(٢).

والنحل تلد إناثه في إقبال الربيع، وأكثر أولادها يكنّ إناثًا، وإذا وقع فيها ذكر لم تدعه بينها، بل إما أنْ تطرده، وإما أنْ تقتله، إلا طائفة يسيرة؛ لأن الذكر لا يعمل شيئًا ولا يكسب(٣).

ومجتمع النحل من أنشط المجتمعات، إنْ لم يكن أنشطها مطلقًا، فقد تقاسم أفراده العمل، فكل واحد منها يؤدي عمله بإتقان وإخلاص، فلا يسمح أفراد هذا المجتمع لكسول أنْ يعيش بينها، فإذا تكاسل كان مصيره الطرد والتشريد.

ومن عجيب أمره أنَّ كل خلية تتكون من ملكة واحدة، وآلاف الشغالات، وبضع مئات من الذكور.

---

(١) موسوعة الإعجاز العملي في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة دار ابن حجر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ، (٥٠١).

(٢) انظر: كتاب الحيوان (٥/ ٤١٧-٤١٩).

(٣) انظر: شفاء العليل (٢/ ٥٢٢).

الملكة أنثى كاملة التكوين، تتميز عن البقية بطول البطن، وكبر منطقة الصدر، وقصر الأجنحة نسبيًّا، ووظيفتها الأساسية وضع البيض.

وليس للذكر من فائدة في خلية النحل سوى تلقيح الملكة، ولا يتم ذلك إلا من ذكر واحد، فتختار الملكة من الذكور الأقوى والأصلح، ثم يموت الذكر بعد عملية التلقيح، وتكثر الذكور في فصل الربيع، الذي هو موسم التلقيح، أما في فصل الخريف، حيث يقل الغذاء، ولا حاجة للذكور، فإن الشغالات تقوم بطردها من الخلية، إذ لا فائدة منها، ويكون العبء الأكبر من العمل داخل الخلية وخارجها من نصيب الشغالات، فهي أنثى غير كاملة التكوين، وهي العمود الفقري للخلية، تقضي عمرها كله في عمل دائب مفيد، فهي بعد وضع الملكة البيض تصبح المسؤولة عنه، كما أنها تؤمن غذاء الملكة واليرقات، وتقوم ببناء الأقراص الشمعية بناءً هندسيًّا بديعًا، وإعداد العيون السداسية، لكي تضع الملكة فيها البيض، كما تبني – أيضًا – بيوت الملكات، وهي تقوم – أيضًا – بحفظ درجة الحرارة داخل الخلية، ففي الصيف تقوم مجموعة منها بتحريك أجنحتها عند باب الخلية لإدخالها الهواء البارد، ومن أعمالها – أيضًا – حضن البيض بعد وضع الملكة له حتى يفقس، ثم تتعهد اليرقات الناتجة بالتدفئة والتغذية حتى يتم نموها.

والشغالات تقوم – كذلك – بحراسة الخلية من الأعداء[١].

وقد تزور النحلة ما يزيد عن ألف زهرة لكي تحصل على قطرة من الرحيق، وتزيد سرعتها في طيرانها عن خمسة وستين كيلو مترًا في الساعة، والنحل أكفأ الحشرات في جمع، ونقل، وتخزين أكبر قدر من رحيق الأزهار في أقصر وقت، وفي أقل مجهود، وهي – أيضًا – تتمتع بقدرة على الإحساس بالزمن يصعب تفسيرها، فيعرف متى تفرز أزهار كل نوع من النباتات رحيقها، ومتى تنثر حبوب لقاحها، ثم يداوم على زيارة كل منها في الموعد المناسب[٢].

ويتحدث الدميري عما في بيوت النحل من العجائب، فيقول: «وبيوتها أعجب الأشياء؛

---

(١) انظر: آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات (١٤١-١٤٩).

(٢) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد (٤٩١-٤٩٢).

لأنها مبنية على الشكل المسدس، الذي لا ينحرف، كأنه استنبط بقياس هندسي، ثم هو في دائرة مسدسة، لا يوجد فيها اختلاف، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة؛ وذلك لأن الأشكال من الثلاث إلى العشر، إذا جمع كلٌّ واحد منها إلى أمثاله لم يتصل، وجاءت بينها فروج، إلاّ الشكل المسدس، فإنه إذا جمع إلى أمثاله اتصل كأنه قطعة واحدة، وكلٌّ هذا بغير مقياس منها، ولا آلة ولا بيكار(١)، بل ذلك من أثر صنع اللطيف الخبير وإلهامه إياها، كما قال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: ٦٨] الآية.

فتأمل كمال طاعتها، وحسن امتثالها لأمر ربها، كيف اتخذت بيوتًا، في هذه الأمكنة الثلاثة؛ الجبال، والشجر، وبيوت الناس حيث يعرشون، أي حيث يبنون العروش، فلا ترى للنحل بيتًا في غير هذه الأمكنة الثلاثة ألبتّة.

وتأمل كيف كانت أكثر بيوتها في الجبال، وهي المتقدمة في الآية، ثم الأشجار، وهي دون ذلك، ثم فيما يعرش الناس وهي أقل بيوتها.

فانظر كيف أدَّاها حس الامتثال إلى أنْ اتخذت البيوت قبل المرعى، فهي تتخذها أوّلاً، فإذا استقر لها بيت، خرجت منه، فرعت، وأكلت من الثمرات، ثم أوت إلى بيوتها؛ لأن ربها سبحانه وتعالى أمرها باتخاذ البيوت أولاً، ثم بالأكل بعد ذلك»(٢).

فسبحان من أودع هذه الحشرة الصغيرة شيئًا من عجائب خلقه الدالة على عظمته وربوبيته، وألوهيته، حقًّا إنَّ في التأمل فيها وفي حياتها آية لقوم يتفكرون، فيعلمون قَطْعًا أنّه لا بد لذلك كله من خالق حكيم ألهمها ذلك، وحملها عليه، فله الحمد في الأولى والآخرة، وهو الحكيم الخبير.

---

(١) البيكار: من البرْكار، آلة مركبة من ساقين متصلتين تثبت إحداهما وتدور حولها الأخرى، ترسم بها الدوائر والأقواس (فرجار). انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار (١/ ٤٧)، مادة (البرجل)، وهي كلمة فارسية. انظر: تاج العروس (١١/ ٣٣٣) مادة (دور).

(٢) حياة الحيوان الكبرى (٤/ ٣١-٣٢).

١٢- النمل:

النمل كما وصفه النبي ﷺ أمّة من الأمم، فعن أبي هريرةﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قرصت نملة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله تعالى إليه أنْ قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله تعالى))(١)، فالنمل أمة من الأمم لها عاداتها وطرق معيشتها، وغير ذلك مما للأمم الأخرى.

وقبل ذلك سمّى الله ﷻ مجتمع النمل بـــ(وادي النمل) فقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ [النمل: ١٨].

وهذه الأمم من النمل في حياتها أو عيشها، وتنظيمها عجائب عظيمة تحتاج منّا إلى الوقوف عندها، والتفكر في خلقها؛ إذ هي دلائل عظيمة من أدلة توحيد الباري جلّ وعلا، فالنمل أنواع تزيد عن تسعة آلاف نوع، وبعضٌ حياتُه مستقرة، وبعضها الآخر يحيا حياة الترحال، كالبدو تمامًا، والنمل حشرة ذات طابع اجتماعي، تموت حين تعزل عن أخواتها، ومن صور التعاون بينها ما تصنعه حين تلقى نملة جائعة وهي شبعى، حيث تعطيها خلاصة غذائها من جسمها.

والنمل على كثرة تعداده له وظائف تتشابه إلى حد كبير مع عادات الإنسان، في بناء المدن، وشق الطرق، وحفر الأنفاق، وخزن الطعام في مخازن، ومن وظائفه أيضًا وظيفة العساكر والجنود التي تحميها(٢)، فهو يقوم ببناء بيوته تحت الأرض كأمهر البنائين، ويقسمها إلى صالات وحجرات واسعة حسب الحاجة إليها، منها ما يكون للتخزين، ومنها ما يكون لتناول الطعام، وغير ذلك،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، وخمس فواسق يقتلن في الحرم (٢٦٧) برقم (٣٣١٩)، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، في كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل (١٠٧٦) برقم (٢٢٤١).

(٢) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد (٤٩٥-٤٩٧)، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. محمد السقاعيد (ص٤٦٤-٤٦٥).

وهي أيضًا تشق الطرق خلال هذه الحجرات لتكون منافذ تنقلها إلى ظهر الأرض.

ومن عجيب عملها أنها لم تقتصر على فن واحد من فنون البناء، فمنها من يجعل بيتها فوق سطح الأرض، من أوراق الأشجار والأغصان، وقطع الأخشاب المتساقطة، وقسم آخر منها داخل الأرض، وقسم ثالث ينحت بيوته في جوف الأشجار الكبيرة، كما كان يفعل الإنسان قديمًا في باطن الجبال، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى(١).

ومن عجيب أمر النمل أنها تدخر للشتاء والصيف، وتتقدم في حال المهلة، ولا تُضِيعُ أوقات إمكان الحزم، ومن ذكائها وما ألهمها ربها ﷻ أنَّها تخاف على الحبوب التي ادَّخرتها للشتاء في الصيف من العفن والسوس، أو أنْ يقبلها بطن الأرض فتخرجها إلى ظهرها لتيبِّسها، وتعيد إليها جفوفها، وإذا خافت على الحبوب أنْ تنبت نقرت في وسطها؛ لأنها تعلم أنَّ هذا هو الموضع الذي يبدأ منه نباتها، وربما فلقت الحبة أرباعًا إذا كانت من الحبوب التي تنبت من جميع جوانبها كالكزبرة(٢).

فسبحان من ألهمها هذه المعرفة، وأعطاها هذه الفطنة، إنه الذي قدر فهدى فتبارك الله أحسن الخالقين.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - مبينًا شيئًا من عجائب النمل: «ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت عضو جرادة يابس فأدنيته إلى أنفك لم تشم له رائحة، فإذا وضعته على الأرض أقبلت النمل من مكان بعيد إليه، فاحتملته، فإن عجزت عن حمله ذهبت وأتت معها بصف من النمل يحملونه، فكيف وجدت رائحة ذلك من جوف بيتها، حتى أقبلت بسرعة إليه، فهي تدرك بالشم ما يدركه غيرها بالبصر أو بالسمع، فتأتي من مكان بعيد إلى موضع أكل فيه الإنسان، وبقي فيه فتات من الخبز أو غيره، فتحمله وتذهب به، وإن كان أكبر منها، فإن عجزت عن حمله ذهبت إلى جحرها وجاءت معها بطائفة من أصحابها، فجاؤوا كخيط أسود يتبع بعضه بعضًا حتى يساعد على حمله ونقله، وهي تأتي إلى السنبلة فتشمها،

---

(١) انظر: من عجائب المخلوقات بين منهج القرآن والعلم الحديث، د. عبد الرحمن عميرة، دار الحرم للتراث (٢/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٢) انظر: كتاب الحيوان (٤/ ٥-٦).

فإن وجدها حنطة قطعتها وفرقتها، وإن وجدها شعيرًا فلا، ولها صدق الشم، وبعد الهمة، وشدة الحرص، والجرأة على محاولة نقل ما هو أضعاف أضعاف وزنها»[(١)].

هذه طائفة يسيرة من عجائب خلق الله ﷻ للحيوان وهي أمثلة لبعض ما أودعه ربنا تبارك وتعالى في هذه المخلوقات من عجائب صنعه، ولو أراد الباحث أنْ يستقصي ذلك كلّه لسوَّد في ذلك مئات الصفحات، وإنما هي إشارات يسيرة، يقف عندها المسلم على ربوبية الله تعالى، المتفرد بالخلق والإبداع والإتقان، فالذي أعطى هذه المخلوقات هذه القدرة هو سبحانه المتفرد بالربوبية دون سواه، فكل ما في هذه المخلوقات من خلق وعجائب هي من شواهد ربوبيته التي تزيد المسلم عند تفكره بها توحيدًا وتعظيمًا لله ﷻ، فهو سبحانه المتفرد بالربوبية، المستحق للألوهية.

المسألة الثانية: دلالة رَزْق الحيوان وحياته المعَشِيَّة على توحيد الله سبحانه في ربوبيته:

عند التأمل والتفكُّر في حال الحيوان، كيف يعيش، وكيف يأكل، وكيف يبحث عن رزقه، وكيف يتزاوج، وينجب صغاره ثم يحميها، ويدافع عنها، ويبني بيتًا يأوي إليه ليحميه من الحر والبرد والمطر: من علَّمه ومن وهبه ومن ألهمه؟ إنَّه الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؛ خلقه، ثم هداه لمعرفة معاشه، والبحث عن رِزْقه، ومأواه، ومسكنه، وهذا كلُّه دليل من أعظم الأدلة على توحيد الله ﷻ، وكمال ربوبيته وألوهيته.

وهذا فرعون الطاغية يسأل موسى وهارون-عليهما السلام- متجاهلاً: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٤٩-٥٠]، فكان جواب موسى - عليه الصلاة والسلام - بأنَّ الرب هو الذي خلق كلَّ مخلوق، ثم هداه إلى ما فيه نفعه، ومعاشه، قال السعدي - رحمه الله -: «أي ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الحجم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، (ثم هدى) كل مخلوق إلى ما خلق له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات، فكل مخلوق تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه،

---

(١) شفاء العليل (٢/ ٥٣٥-٥٣٦).

حتى إنَّ الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل ما يتمكن به من ذلك.

وهذا كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، فالذي خلق المخلوقات، وأعطاها خلقها الحسن الذي لا تقترح العقول فوق حسنه، وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجودًا، وهو مكابرة، ومجاهرة بالكذب»[(١)].

فمن رحمة الله سبحانه أنْ خلق الحيوان بصفات مختلفة تتناسب مع بيئته، وجعل أعضاءه وفمه ومنقاره وأسنانه تتناسب مع ما هيَّأ له من الطعام.

وكذلك رِزْق الدوابّ قد نوعه ربنا – تبارك وتعالى – فبعضها يأكل بعضًا، وبعضها يأكل الأعشاب وما يتساقط من الأشجار، وغير ذلك، وكلها تأكل ذلك دون تنظيف، أو طبخ، لأنّ الله ﷻ قد جهز لها داخل جسمها ما يتعامل مع ذلك على هيئته، ولو فعل الإنسان ذلك لمرض أو مات، ولكنّ الله سبحانه هو الذي خلقها، وهو الذي هداها لذلك، وصدق الله: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ففي ذلك كلِّه أدلة عظيمة على توحيده، وربوبيته، وألوهيته، فالمسلم يقف عندها، ويتفكر في آيات الله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

والله تبارك وتعالى قد تكفل برزق كل دابّة من الإنس والجن، والبهائم والطير وغيرها، فما من دابّة داخل الأرض، أو على ظهرها، أو في أعماق البحار، أو داخل جوف الصخر إلاّ على الله رزقها، وصدق الله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: ٦].

«إن هذه الآية الكريمة عظيمة، لها مكانتها السامية في الدلالة على الله تعالى، ومعناها أنه ما من دابّة من أنواع الدوابّ تدب على هذه الأرض إلا رزقها على الله فضلاً منه، ولطفًا بها على اختلاف أنواع الدواب، وأنواع الرزق، فمن الدوابّ ما هو خفي لا يرى بالأبصار، ومنها صغار الحشرات، والهوام، والدويبات، والديدان، ومنها ذوات الأجسام الضخمة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٩٠).

والمتوسطة، وفيها ما يأكل بالمضغ بالأسنان والأضراس، ومنها ما يبلع الطيور والأنعام والحشرات بلعًا، ومنها ما له مخالب وبراثن يفترس بها الحبوب والديدان، ومنها ما له خراطيم، فيها الكبير والصغير، كخرطوم البعوض التي تخترق جسم أكبر حيوان فيخر ميتًا، وأغذية كل نوع منها مختلفة متنوعة، من نباتية وحيوانية، ففيها ما يتغذى بأنواع النباتات والحيوانات كالإنسان، وبعض الحيوانات، ومنها ما يتغذى بالنبات والحشائش والأشجار، كالمواشي والأنعام ونحوها، ومنها ما يتغذى باللحوم خاصة كالسباع المفترسة وما يشاكلها، والكل خلق الله له رزقه، وهداه إلى اكتسابه والحصول عليه، وفي ذلك حكم إلهية، وأسرار يكلُّ العقل عن إدراكها والوقوف على حقائقها، ولو فكرنا قليلاً في تسلط الحيوان بعضه على بعض وافتراس الكبير للصغير، وذبح الإنسان أنواع المواشي كلّ حين، لأدركنا لذلك حكمًا بالغات، لأنه لو لم يكن الحال على هذا النظام لضاقت الأرض علينا، ولفسدت الحياة، ولَكُنَّا معَرَّضِين دائمًا للهوام، والسباع، والأفاعي.

والمقصود أنَّ كل هذه الدوابّ الحية رزقها على الله، لا رازق لها غيره، فهو الذي يمدها، ويسهل لها ما تعيش به، وهو الذي يعلم محل قرارها، وحفظها، وأين منتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها، ويعلم مستودعها عندما تكون في الرحم، أو حيث تموت، ومستقرها في الرحم ومستودعها في الصلب، وكل ذلك من قسم الأرزاق، وما إلى ذلك مكتوب ومسطر في اللوح المحفوظ»[1].

وكم من الدوابّ والبهائم والطير لا تستطيع حماية نفسها، ولا قدرة لها على البحث عن عيشها، يرزقها الله سبحانه من حيث لا تحتسب، وييسر لها من يتكفل بعيشها؛ ولهذا قال الحق سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠﴾ [العنكبوت: ٦].

---

(١) كتاب دلائل التوحيد انطلاقًا من القرآن والكون، عبد الله عبد القادر التليدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، (١٣١-١٣٢).

قال ابن كثير[١] – رحمه الله –: «أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخر شيئًا لغد، ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾، أي: الله يقيض لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء»[٢].

وتأمل كيف جعل الله ﷻ رِزْق بعض الحيوان من حيوانٍ غيرِه، وسخر بعضها لبعض، فهذا التمساح ينشب اللحم بين أسنانه، فيغمُّه ذلك وينتن عليه، فهداه الله بأن يخرج عند ذلك إلى الشاطئ، ويفتح فاه لطائر يعرفه من بين الطير، فيسقط بين لحييه ثم ينقره بمنقاره حتى يستخرج جميع ذلك اللحم، فيكون غذاءً له ومعاشًا، ويكون تخفيفًا عن التمساح وترفيهًا[٣].

فمن الذي هدى التمساح إلى هذا الصنيع، ومن الذي دلَّ الطير على موقع اللحم بين فكَّي التمساح، وأعطاه الأمان في هذا المكان، إنه القائل سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٦].

وهذا النَّعَّاب[٤]، حين يفقس من بيضته يخرج أبيض كالشحمة، فإذا رآه أبواه كذلك أنكراه ونفرا عنه، فيسوق الله تعالى له ذبابًا يدخل في أجوافها، فيكون ذلك غذاء لها حتى تَسْوَدّ، فإذا اسودَّت عاد الغراب لها فغذَّاها[٥]، فسبحان من وسعت رحمته كلَّ شيء.

وقد أخبر ﷺ عن الطير وتكفُّل الله ﷻ برزقه، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير،

---

(١) هو: أبو الفداء، إسماعيل بن كثير بن ضوء، القرشي، الدمشقي، برع في علم الحديث والرجال ومعرفة الأسانيد والعلل والتاريخ، وتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية والمزي، وتخرج عليه شهاب الدين ابن حجر وغيره، له مصنفات كثيرة، منها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وغيرها، توفي سنة ٧٧٤هـ، بدمشق. انظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، (٣/ ٨٥-٨٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٦/ ٣٠٠).

(٣) انظر: كتاب الحيوان (٦/ ٣٤٤).

(٤) هو فرخ الغراب. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، (٤/ ٢٨٨)، مادة (نعب).

(٥) انظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (٦/ ٢٥٥)، وحياة الحيوان الكبرى (٤/ ٧٠).

تغدو خماصًا[(١)] وتروح بطانًا[(٢)]))[(٣)].

فلم يترك الله ﷻ هذه الحيوانات البهيمية، التي لا عقل لها ولا تدبير تضيع في الدنيا بلا عيش ولا رزق، فهذه الطيور تطلب رزقها كل صباح، وهي خالية البطون، ثم تغدو إلى أوكارها في آخر النهار بطانًا بعد أنْ يسر الله لها رزقها.

وإذا كان الإنسان الذي وهبه الله تعالى العقل والتدبير يحفظ قوته أيامًا طويلة، وينام وعنده من القوت ما يكفيه شهورًا مديدة؛ فإن معظم الحيوانات تبيت وليس عندها طعام يُؤكل ولا شراب يُشرب، لأن لها ربًّا تكفّل برزقها، ولم يخلقها لتموت جوعًا، وفي هذا دليل على ربوبيته لجميع الخلق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم.

وفي حياة الحيوان المعَشيَّة – أيضًا – دلائل جليَّة من أدلة توحيد الله سبحانه، فمن الذي ألهم الحيوان في تزاوجها وبناء أعشاشها، وتربية أبنائها، ثم الهجرة من مكان إلى مكان آخر بحثًا عن المأوى المناسب لها، والعيش المناسب لها، ومن الذي ألهمها حماية نفسها من عدوها، وأرشدها إلى سلاحها الذي تستطيع به القضاء على عدوها، أو فريستها، إنَّه الله ﷻ، ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

فالحيوان فطره الله كما فطر الإنسان على ميل الذكر إلى الأنثى، والأنثى إلى الذكر،

(١) خماصًا: أي جياعًا، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢١هـ، (٢٨٦)، مادة (خمص).

(٢) بطانًا: أي ممتلئة البطون، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٨١)، مادة (بطن).

(٣) أخرجه أحمد في المسند، أحمد بن حنبل، عناية: د. بدر الدين جنتن، دار سحنون، تونس، ط٢، ١٤١٣هـ، (١/ ٣٠، ٥٢)، وسنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله (١٨٨٧) برقم (٢٣٤٤)، وقال عنه: حسن صحيح، وسنن ابن ماجه، محمد بن ماجه القزويني، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، في كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (٢٧٣٠) برقم (٤١٦٤)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ، (١/ ٦٢٠) برقم (٣١٠).

والتزاوج بينها لحكمة يريدها سبحانه، وهي التناسل والتكاثر.

يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].

نقل الرازي[١] رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية قول أبي الدرداء ﷺ: ((أُبْهِمَتْ عقول البهائم عن كل شيء إلا عن أربعة أشياء: معرفة الإله، وطلب الرزق، ومعرفة الذكر والأنثى، وتهيؤ كل واحد لصاحبه))[٢].

وكما جعل الله سبحانه لنا أزواجًا من أنفسنا، فقد جعل للأنعام كذلك أزواجًا منها؛ حتى تتناسل وتتكاثر، يقول الله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجًا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

وفائدة ذكر أزواج الأنعام - هنا - دون أزواج الوحش؛ لأن في الأنعام فائدة لحياة الإنسان، حيث إنها تعيش معه ولا تنفر منه، وينتفع بألبانها، وأصوافها، ولحومها، ونسلها وغير ذلك[٣].

يقول الزمخشري[٤] عند تفسيره لهذه الآية: «(وجعل لكم)، خلق لكم، (من أنفسكم) من جنسكم من الناس، (أزواجًا ومن الأنعام أزواجًا) أي: وخلق من الأنعام أزواجًا، ومعناه وخلق للأنعام أيضًا من أنفسها أزواجًا، (يذرؤكم) يكثركم، يقال: ذرأ الله الخلق: بثهم

---

(١) هو: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، القرشي، الرازي، الشافعي، المفسر، المتكلم، ولد سنة ٥٤٤هـ، كان من تلامذة محي السنة البغوي، حاد الذهن، كثير البراعة، قوي النظر في صناعة الطب، له تصانيف عديدة، اشتهر بالوعظ، قيل: إنه تاب آخر حياته من علم الكلام وندم عليه، توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: تاريخ الإسلام، (٤٣/ ٢١٢-٢٢٣).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ١٧٦)، وأثر أبي الدرداء بحثت عنه فلم أجده.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧، (٢٥/ ٤٤).

(٤) هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري، كبير المعتزلة، من مصنفاته: الكشاف في التفسير، والمفصل في النحو وغيرها، ولد سنة ٤٦٧هـ بخوارزم، ورحل إلى بغداد، كان رأسًا في البلاغة والبيان، وداعية إلى الاعتزال، توفي سنة ٥٣٨هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، (٢٠/ ١٥١-١٥٦).

وكثرهم، والذر والذرو والذرء: أخوات، فيه: في هذا التدبير وهو أنَّ الله جعل للناس والأنعام أزواجًا، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل)»[١].

فالله ﷻ لا يعجزه شيء، يقول للشيء كن فيكون، وهو قادر على جعل الحيوان يتكاثر من غير تزاوج ولا تناسل، ولكنَّه سبحانه أراد أنْ يرى الإنسانُ آثارَ قدرته، وينظر إلى عظيم علمه وقدرته في الأنعام وسائر الحيوان؛ حيث جعل سبحانه الحيوان كالإنسان في التزاوج والحمل والولادة، فكل حيوان خلق من زوجين ذكر وأنثى، وجعل سبحانه لكل مخلوق طريقته في الحمل والولادة، فلنا في ذلك عظة وعبرة[٢].

وقد ألهم الله تبارك وتعالى بعض الحيوان، من الدوابّ والطير والحشرات أنْ تتخذ لها بيوتًا، وجعل بعضًا منها يعيش بدون بيت يخصه، قال الجاحظ: «ومن الحيوان ما له مسكن ومأوى؛ كالخلد[٣]، والفأر، والنمل، والنحل، والضب، ومنها ما لا يتخذ شيئًا يرجع إليه كالحيات؛ لأن ذكورة الحيات سيَّارة، وإناثها إنما تقيم في المكان إلى تمام خروج الفراخ من البيض، واستغناء الفراخ بأنفسها، ومنها ما يأوي إلى شقوق الصخور والحيطان، والمداخل الضيقة، مثل سام أبرص»[٤].

والطيور قد ألهمها ربها تبارك وتعالى قبل وضع بيضها بناءَ عشها ليحضن البيض وينشأ فيه الصغار، فمنها ما تنفرد الأنثى ببنائه، ومنها ما يكون التعاون بين الزوجين في البناء، وهي تبني أعشاشها في مختلف الأماكن، فبعضها يبنيه على الأشجار، وبعضها يجعله على الأرض، ومنها ما يجعله نفقًا في ضفة نهر، وآخر ينقر الخشب فيجعل عشه في جذع شجرة، وتختلف المادة التي يصنع منها هذا العش، فأنواع منها تجعله من العشب، وأخرى تجعله من

---

(١) الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، (٤/ ٢١٧).

(٢) انظر: آيات الله في خلق الحيوان (١٤٤-١٤٥).

(٣) هي: دويبة عمياء، صماء، لا تعرف ما يدنو منها إلا بالشم، تقف على باب جحرها، فيسقط الذباب على شدقها، ثم تسد فمها عليه إذا مر بين لحييها، انظر: كتاب الحيوان (٦/ ٤١١).

(٤) كتاب الحيوان (٤/ ٢٩٦).

العيدان والأغصان الدقيقة، وأحيانًا نجد بعضها قد صنعه من الخيوط، وهناك أنواع من الطيور تبني العش من الطين، فتضع منه الجدران والأسقف[(١)].

فسبحان من هداها لهذا الصنع، ورزقها هذا الإتقان.

ثم تأتي مرحلة أخرى بعد اتخاذ السكن وبناء الأعشاش؛ إنها مرحلة الاهتمام بالأبناء بعد خروجهم إلى الحياة، فيسعى الأبوان في البحث عن الغذاء لهم وحمايتهم من الأخطار المحيطة بهم.

فنجد ذكر الطير والأنثى يقومان بتغذية فراخهما بمعدل (٤-١٢) مرَّة في الساعة يوميًّا، أما عند اللبائن فتختلف. لأن مسؤولية تغذية الصغار تخص الإناث.

وهناك أنواع من الطيور تطعم صغارها السمك؛ حيث يغوص الطير تحت الماء ويصيد السمك من ذيله بحركة سريعة بارعة، ثم يطعمه صغاره[(٢)].

وهي - أيضًا - تسعى في تربية أبنائها وفراخها، وحمايتهم من الأخطار التي قد تحيط بهم.

ومن صور اهتمام الحيوانات بأبنائها ما تصنعه بهم في صغرهم؛ حيث تنقلهم من مكان إلى مكان عند الخطر أو غيره، ولكل كائن حي طريقته الخاصة في نقل صغاره، فبعضها تحمل صغارها على ظهورها، وبعضها في فمها، والبعض الآخر في تجاويفَ كيسيةٍ في جناحيه، وفي جميع الحالات يكون الصغار في مأمن، وينقلون إلى مكان آمن وسليم.

فأنثى القرد تستطيع الحركة بحرية وهي تحمل صغيرها على ظهرها، وحيوان الكنغر أنثاه تحمل وليدها في كيس مغطى بشعر كثيف يقع أسفل بطنها.

وتطير الخفافيش ليلاً بحثًا عن الغذاء، وهي تحمل معها صغارها أثناء طيرانها، ويكون الخفاش الجديد ماسكًا بمخالبه شعر أمه وزارعًا أنيابه اللبنيَّة بقوة في ثديها.

وهذا الصقر ذو الذنب الأحمر يحمل صغاره بمخالبه بالطريقة نفسها التي يحمل بها فريسته بعد أنْ يصطادها، وهذه الصغار آمنة مطمئنة، فتبارك من هداها لذلك.

---

(١) انظر: آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات (٤٥-٤٦).

(٢) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد (٥٤٧-٥٤٨).

وبعض أنواع السمك يحمل صغاره في فمه أثناء نقلهم إلى مكان آمن، فإذا ابتعد أحد الصغار الخارجين حديثًا من البيضة فإنّ الذكر يلتقم هذا الصغير الشارد في فمه ويعيده إلى عشه ثانية(١).

وهذه الأرانب تقوم بنتف شعر بطنها الناعم؛ لتصنع منه لفافة تكسو بها الصغار بعد الولادة، حتى ينبت شعر يغطي جسدها، ولتكشف عن الثدي حتى لا تجد الصغار صعوبة في الوصول إليه.

وهناك الطيور التي علمها خالقها كيف تُعِدُّ المهد لصغارها، فتبني العش من القش في دقة ومتانة، ثم تبسط فيه بساطًا طريًّا لينًا من ريشها الناعم لتضع عليه بيضها.

واللطيف الخبير هو الذي جعل الدجاجة تلازم صغارها لتحرسها من أي خطر، وتبسط عليها جناحيها إذا ما رأت حدأة تحلق فوقها، إنها صورة رائعة لحنان الأمومة.

وبعض الطيور تضع بيضها في الخشب في حفرة مستطيلة، فتجلب له طلع الأزهار، وبعض الأوراق السكرية، وتحشو به ذلك السرداب، ثم تبيض بيضة، ثم تأتي بنشارة الخشب، وتجعلها سقفًا لهذا السرداب، وبعدها تموت، وبعد أنْ تفقس البيض يجد الفرخ طعامًا يكفيه سنة(٢).

وهذه هداية من الله ﷻ لها؛ حيث وهبها الرحمة والعطف على صغارها، فهذا الوحش من السباع والطيور التي لا تعرف إلا البطش والافتراس تتعامل مع صغارها بالرحمة والشفقة، فهي تمرح وتلهو بين مخالبها وأنيابها، فمن الذي أعطاها الأمان؟ إنه الخالق جلَّ في علاه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ومن صور حياة الحيوان المَعِشيَّة ما وهبها ربها ﷻ من الهجرة في أزمان معينة بحثًا عن الطعام، أو الجو المناسب، أو هربًا من عدو، فهي تبادر إلى الهجرة وتقبل عليها كل عام، في وقت محدد لا تخطئه أبدًا.

فمنذ أنْ عرف الإنسان الطيور رآها تختفي في الخريف، ثم تظهر في الربيع، وقد ذكر العلماء: أنَّ هناك عشرات آلاف الملايين من الطيور تهاجر كل عام من نصف الكرة الشمالي

---

(١) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد (٥٥١-٥٥٢).

(٢) انظر: آيات الله في خلق الحيوان (١٤٨-١٥٣).

إلى نصفها الجنوبي، وقد توصل العلماء إلى أنَّ أنواعًا من الطيور قطعت في هجرتها أربعة عشر ألف كيلومتر، وأنواعًا قطعت ستة عشر ألف كيلومتر، وأخرى قطعت اثنين وعشرين ألف كيلومتر.

وللطيور قوة خارقة لقطع المسافات التي تقوم بها، ولا يوجد مخلوق على وجه الأرض أقوى من الطير في قطع المسافات الشاسعة لحكمة أرادها الله ﷻ.

ولقد ظن بعض الناس أنَّ بعض الظواهر الجغرافية من أنهار وبحار، ومن سواحل ومن جبال تهتدي بها الطيور، ولكن هذه نظرية ثبت بطلانها؛ لأن الطيور تطير في ساعات الليل المظلمة لا ترى شيئًا، ومع ذلك لا تحيد عن هدفها، ومن العجيب في ذلك أنَّ الطيور الصغيرة التي ولدت حديثًا وضعت حلقات في أرجلها، وسارت في رحلتها بالاتجاه الصحيح دون تعليم من الطيور الكبيرة، فمن أودع في هذه الطيور الصغيرة هذه القدرة العجيبة كي تهتدي إلى أهدافها؟.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٤٩-٥٠][(١)].

ومن الصور العجيبة في حياة الحيوان المَعَشِيَّة الدالة على توحيد الخالق سبحانه ما وهبها ربها تبارك وتعالى من سلاح تدافع به عن نفسها، وإلهامه لها بمعرفة هذا السلاح، حتى تستخدمه عند وقوع الخطر.

فهذا الظِّربان يعلم أنَّ سلاحه في فسائه، ليس شيء عنده سواه، والديك يعلم أنَّ سلاحه في شوكة رجله، ويدري لأي مكان يعتلج، وأي موضع يطعن به، ويعلم الزنبور أنَّ سلاحه في شعرته فقط، كما تعلم العقرب أنَّ سلاحها في إبرتها فقط، ويعلم الذباب والبعوض والقملة أنَّ سلاحها في خراطيمها، وتعلم جوارح الطير أنَّ سلاحها في مخالبها، ويعلم الذئب والكلب أنَّ سلاحهما في أشداقهما فقط، ويعلم الخنـــزير والأفعى أنّ سلاحهما في أنيابهما فقط، ويعلم الثور أنَّ قرنه لا سلاح له غيره، فإن لم يجد الثور والكبش

---

(١) انظر: آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات (٥٨-٦٠).

والتيس قرونًا استعملت باضطرار مواضع القرون[١].

ومن عجائب ما أودع الله سبحانه في بعض الحيوان من آيات عظيمة: التمويه والتلون الذي جعله يستخدمه سلاحًا في الصيد، أو النجاة من الخطر، يقول الأستاذ: يوسف الملاَّ: «لقد وهب الله ﷻ الحيواناتِ عدةَ وسائل للدفاع عن نفسها، ومن هذه الوسائل التمويه والتلون والتخفي عن أعدائها، لكي تضمن الحماية لها عن طريق تغيير ألوانها، فالحرباء تغير لون جلدها كي تتأقلم مع البيئة المحيطة، وكذلك اليعاسيب والخنافس والضفادع عن طريق إفراز البروتين تغير ألوانها، وتصبح مشابهة للنبات.

وللطبيعة التي خلقها الله سبحانه تأثير في تغير الألوان، فالأرانب تفقد ألوانها البنية تدريجيًّا في الشتاء بالمناطق الثلجية لينمو فروها الأبيض الذي ينمو بلون الثلج..ليس ذلك فحسب وإنما الماعز الجبلي والظباء في جبال الألب تتلون باللون الأبيض لتماثل الصخور البيضاء...

وهناك على سبيل المثال بعض الأحياء البحرية كالروبيان والأخطبوط والحبار يمكنها تغيير ألوانها بسرعة؛ لأن الباري سبحانه زودها بخلايا تشتمل على هرمونات تدعى (الكروماتوفورس) وهي خلايا غنية بالصباغ توجد تحت بشرتها تفرزها عندما تواجه أعداءَها، أو تسعى إلى الهروب من الأخطار التي تحيط بها!.

وقد تسمح بعض الخلايا لدى أنواع أخرى من الروبيان بتغيير ألوانها وفق لمعان الأجواء المحيطة؛ فعند تعرضها لضوء الشمس يفتح الروبيان هرمونًا تصبح خلايا اللون تحت تأثيره رفيعة جدًّا أو شفافة، فلا يتمكن المفترس من افتراسها»[٢].

هذه صور يسيرة من مجتمع الحيوان وما أودعها ربها تبارك وتعالى من آياته في رزقها وعيشها تدلُّ على ربوبية الباري ﷻ، يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - بعد حديثه عن هداية الله للحيوان، واختلاف أشكالها وأصنافها في ذلك: «وهذا كله من أدل الدلائل على الخالق سبحانه، وعلى إتقان صنعه، وعجيب تدبيره، ولطيف حكمته، فإن فيما أودعها من

---

(١) انظر: كتاب الحيوان (٦/ ٣٧٣-٣٧٥).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٥٦٨).

غرائب المعارف، وغوامض الحيل، وحسن التدبير، والتأتي لما تريده، ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب من معرفته، ومعرفة حكمته وقدرته، وما يعلم به كل عاقل أنه لم يخلق عبثًا، ولم يترك سدًى، وأن الله سبحانه له في كل مخلوق حكم باهرة، وآيات ظاهرة، وبرهان قاطع يدل على أنه ربُّ كل شيء ومليكه، وأنّه المنفرد بكل كمال دون خلقه، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم»(١).

المسألة الثالثة: دلالة تسخير الحيوان للإنسان على توحيد الله سبحانه في ربوبيته:

خلق الله ﷻ الإنسان لعبادته، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

ثم خلق له ما في السموات والأرض وسخرها له، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال أيضًا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥]، فهو سبحانه الذي ذلّل لكم ما في الأرض من الدوابّ والبهائم وغيرها: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

والله ﷻ جعل هذا التسخير دليلاً على أحقيته وحده بالتوحيد؛ إذ هذا التسخير آيات وعلامات لقوم يتفكرون، ويتعظون، فقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣].

يقول الإمام الطبري(٢) - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: «(وسخر لكم ما في

---

(١) شفاء العليل (٢/ ٥٦٨).

(٢) هو: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، كان من أكابر العلماء، وكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات كلها بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في الأحكام، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، روى عن =

السموات) من شمس وقمر ونجوم، (وما في الأرض) من دابَّة وشجر وجبل، وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم (جميعًا منه)، يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكر لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به عليكم، فإياه فاحمدوا لا غيره؛ لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرد بإنعامها عليكم، وجميعها منه، ومن نعمه، فلا تجعلوا في شكركم له شريكًا؛ بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهية؛ فإنه لا إله لكم سواه)»[1].

فمن المسخرات التي سخرها الله سبحانه للإنسان هذه الحيوانات؛ حيث جعلها الله ﷻ مذللة له، يتصرف فيها كيف يشاء، فيأكل بعضًا منها، ويركب بعضًا، ويلبس من جلود بعضها وأشعارها وأوبارها، ويتخذ منها جمالاً وزينة ومسكنًا ومأوى، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: ٧١-٧٢].

ومن حكمة الباري ﷻ أنْ أعطى بهيمة الأنعام الأسماع والأبصار لينتفع بها الإنسان أكمل الانتفاع؛ إذ لو كانت عمياء وصمَّاء لم يتمكن من ذلك، ثم سلبها مع ذلك العقول على كبر خَلْقها، ليتم تسخيرها له، فيقودها ويصرفها حيث شاء، ولو أُعطِيَتْ العقولَ على كبر خَلْقها لامتنعت من طاعته، واستعصت عليه، ولم تكن مسخرة له، فلم يكن للإنسان قدرة عليها لولا تسخير الله ﷻ لها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: ١٢-١٣][2].

هناد السري وأبي كريب وغيرهم، وروى عنه أبو القاسم الطبري وأحمد بن كامل وغيرهم، صنف كتبًا عديدة، من أشهرها: جامع البيان، والتاريخ، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، (٢/ ٢٠١-٢٠٤)، والبداية والنهاية (١١/ ١٦٥-١٦٧).

(١) جامع البيان (٢٢/ ٦٥).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ١٢٥).

وحين ينحر المسلم البدن صوافَّ واقفة قد صُفَّت ثلاث من قوائمها، وقُيِّدت الرابعة، ثم تسقط على الأرض فإن الله يذكره بتسخيره هذه البدن له، ولولا هذا التسخير ما استطاع نحرها؛ مما أعطاها الله سبحانه من قوة يعجز عنها الأقوياء من الرجال، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج: ٣٦].

فهي مع كمال عِظَمِها ونهاية قوتها لا تستعصي عليكم، فتأخذونها منقادة، ثم تطعنون في لَبَّتِها وهي صوافُّ، ولولا تسخير الله تعالى لم تُطَق، ولم تكن بأعجز من بعض الوحش التي هي أصغر منها جرمًا وأقلّ قوة(١).

وتسخير هذا الحيوان للإنسان دليل من أدلة وحدانية الخالق ﷻ وربوبيته، المتفرد بالخلق والملك والتدبير، ولتسخير الله ﷻ الحيوان للإنسان صور كثيرة، منها:

١- الأكل والشرب:

من صور التسخير التي سخرها الله ﷻ للإنسان: الأكل والشرب من بعض أنواع الحيوان، من لحم وسمن ولبن وعسل وغير ذلك، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾ [النحل: ٥]، وقال أيضًا: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المؤمنون: ٢١]، وقال أيضًا: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس: ٧٢-٧٣].

فقد أكرم الله سبحانه الإنسان بأن سخر له أنواعًا كثيرة من الحيوان، يأكل منها لحمًا هو من أغلى وأنفس الأطعمة عنده، وعليه اعتماد الكثير من الناس.

فمن ذلك ما أباحه له من بهيمة الأنعام، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمد الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٧/ ١٥٨).

﴿١﴾ [المائدة: ١].

وقال تعالى مبينًا هذا الامتنان الذي امتنّ به على عباده: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤٢-١٤٤].

فجعل الله سبحانه هذه الأنعام منها ما يصلح للركوب والحمل، ومنها الفرش وهو الصغير الذي لا يصلح لذلك، وهي جميعًا صالحة للأكل، ثم فصلها سبحانه (ثمانية أزواج) ذكر وأنثى من الضأن، وكذلك من المعز، فهذه أربعة، وذكر وأنثى من الإبل، وكذلك من البقر، فهذه أربعة، فيكون مجموع ذلك كلِّه ثمانية(١)، وهي التي ذكرها أيضًا في سورة الزمر: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ﴾ [الزمر: ٦].

ومن اللحم الذي سخره ربنا ﷻ ما يستخرجه الإنسان من البحر، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [فاطر: ١٢].

فهذه نعمة عظيمة يمتن الله بها علينا؛ حيث سخر لنا البحر وجعله مستودعًا لا ينضب لمادة غذائية تعتبر شيئًا أساسيًّا في حياة معظم الشعوب، يتناولونها من البحر دون أنْ يخسروا مالاً وجهدًا في تربيتها، ولولا ذلك لضاقت معيشة كثير من الناس؛ حيث إنَّ عليها

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٣١٠).

اعتمادهم في الغذاء والتجارة، ومن رحمته سبحانه أنْ أباح ما في البحر حيًّا وميتًا(١).

ومن وجوه الأكل التي سخرها الله للإنسان ما أباحه له من صيد الحيوان - دوابه وطيره - فقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المائدة: ٤]، وقال أيضًا: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

فبين سبحانه أنَّه أحلَّ لنا الطيبات، وهي الذبائح التي ذُكِرَ اسم الله عليها، وكل ما فيه نفع ولذة من غير ضرر بالبدن ولا بالعقل فيدخل فيه جميع حيوانات البر والبحر، إلا ما استثناه الشارع، كالسباع والخبائث وغيرها.

وكذلك أباح الله ما اصطادته الجوارح المعلمة، وهي الكلاب، والفهود، والصقور، ونحو ذلك مما يصيد بنابه أو بمخلبه مع اشتراط التسمية عند إرساله(٢).

ويحل الصيد - أيضًا - بكل قوة تخرق وتنهر الدم كالرصاص وغيره مما يستعمله الناس اليوم في صيدهم.

ومن صور هذا التسخير - أيضًا - هذا اللبن الذي أخرجه الله من بطون الأنعام من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٦]، ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢١].

فتأمل قدرة الخالق سبحانه كيف أخرج هذا الشراب السائغ من بين فرث ودم، لبنًا حلوَ المذاق، جميل اللون، فيه غذاء للجسم والروح.

«وكون هذه الأنعام مسخرة للإنسان فقد جعل الله سبحانه لنا فيها فوائد عظيمة متعددة بتعدد تلك الحيوانات من الأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز...فالآية الكريمة

---

(١) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١٤٢٥هـ، (٢٤١).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٤١).

تخص ما يسقينا الله مما في بطونها، وهو اللبن الذي يخرج من ضروعها بقدرة الله سبحانه وبإعجاز يفوق التصور.

فإذا كان العلم اليوم كشف الطريقة الإعجازية في إخراج اللبن من بطون تلك الأنعام...فإن النظر وحده في هذه المعجزة يوم نزل القرآن ونزلت هذه الآية يكفي دليلاً قطعيًّا على وحدانية الله وقدرته في الخلق.

وتشير هذه الآية إلى أنَّ الله ﷻ يسقي الإنسان اللبن اللذيذ الطعم (خالصًا) أي صافيًا لا يستصحب لون الدم الذي هو أصله، ولا رائحة الفرث التي فصل الدم عنها، وهو ما يتبقى من الطعام من كرش الحيوان، وبذلك إشارة إلى أنَّ اللبن يتولد من بين الفرث والدم.

فإناث الأنعام تأكل العشب والتبن والشعير فيختلط بعضه ببعض في الكرش فيتكون الفرث، ثم يحدث بها تخمر وتغيرات في تركيبها فتؤدي إلى إنتاج الأحماض التي يتم امتصاصها عبر الأمعاء، ثم تصل إلى الغدد اللبنية التي تقوم بعملية التصفية وانتخاب المواد النافعة والمقوية للدم، والابتعاد عن المواد الضارة والسموم، ثم تجمع اللبن في كيس الثدي انتظارًا لحلبه وتقديمه لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، بينما تقوم الكلية بطرح المواد السامة خارجًا عبر البول، وبذلك يكون القرآن قد حدد أصل مكونات اللبن بما يتفق تمامًا مع العلم الحديث، والذي كان مجهولاً تمامًا منذ قديم الزمان، خاصة أنَّ اكتشاف الدورة الدموية قد تم بعد ألف سنة من نزول القرآن الكريم»[1].

ومن أجلِّ نعم الله على الإنسان شراب مختلف ألوانه، يخرج من بطون النحل، فيه شفاء للناس فتبارك الله رب العالمين: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: ٦٨-٦٩].

فسبحان الله الذي أكرم الإنسان وسخر له هذه الحشرة الصغيرة، تنتقل بين أنواع النبات، ثم تُخْرِجُ شرابًا مختلفَ الألوان من بياض وصفرة وحمرة وغير ذلك، فيه شفاء للناس

(١) آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية (١٢٣-١٢٥).

من الأمراض، حقًّا إنَّ في ذلك لدلالةً عظيمة لمن تفكر واعتبر في تفرد الخالق سبحانه بالخلق والتدبير.

٢- الحمل والركوب:

وهذا وجه آخر من وجوه التسخير والتذليل التي أكرم الله سبحانه الإنسان بها؛ حيث سخر له أنواعًا من هذه الدوابّ يحمل عليها متاعه، ويركبها في حله وترحاله، فقال تعالى في سياق امتنانه على بني آدم، وخلقه الأنعام من أجله: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ [النحل: ٧-٨].

فكيف كان الإنسان يستطيع العيش أزمانه السابقة والانتقال من بلد إلى بلد، وحمل طعامه، ومتاعه لولا تسخير الله ﷻ له هذا الحيوان، وخلقه الدوابّ له، ولهذا أرشدنا سبحانه إلى تذكر هذه النعمة، ثم حمده وشكره عليها حين الاستواء عليها وعلى غيرها مما سخره، وخلقه لنا، فقال: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾ [الزخرف: ١٢-١٤].

«واعلم أنه تعالى عين ذكرًا لركوب السفينة والدابّة، وهو قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ وذكر دخول المنـــزل: ﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩]، وتحقيقه أنَّ الدابّة المركوبة لا بدَّ أنْ تكون أكثر قوة من الإنسان بكثير، وليس لها عقل يهديها إلى طاعة الإنسان، ولكنه تعالى خلق تلك البهيمة على وجوه مخصوصة في خلقها الظاهر، وخلقها الباطن، فحصل منها هذا الانتفاع، أما خلقها الظاهر، فلأنها تمشي على أربع، وكان ظهرها يحسن لاستقرار الإنسان، وأما خلقها الباطن فلأنها مع قوتها الشديدة قد صيَّرها الله منقادة للإنسان، ومسخرة له، فإذا تأمل الإنسان في هذه العجائب عظم تعجبه من تلك القدرة والحكمة التي لا نهاية لها، فلا بد أنْ يقول: سبحان الذي سخر لنا هذا وما

كنا له مقرنين»[١].

ولهذا كان من هديه ﷺ إذا ركب الدابّة، أو أراد السفر عليها أثنى على ربه ﷻ؛ حيث سخرها له، فكان من هديه إذا ركب الدابّة ثم استوى على ظهرها يقول: ((الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنَّا له مقرنين، وإنَّا إلى ربنا لمنقلبون))[٢].

وإذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر، كبَّر ثلاثًا، ثم قال: ((سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنَّا إلى ربنا لمنقلبون...)) الحديث[٣].

وقد جاءت نعمة الركوب في هذا القرآن مقرونة مع نعمة الأكل؛ إذ هما أعظم الفوائد التي ينتفع بها الإنسان من الحيوان، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢١-٢٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام: ١٤٢]، وقال أيضًا: ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: ٧٢]، وسوف تبقى هذه النعمة - نعمة الركوب - ما بقي الإنسان، حتى مع تقدمه في هذا العصر واختراع وسائل جديدة، فلن يستغني عن الحيوان، لوجود

---

(١) اللباب في شرح الكتاب، عمر بن علي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، (١٧/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٩٧)، وسنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، في كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب (١٤١٥) برقم (٢٦٠٢)، والترمذي في سننه، في كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة (٢٠٠٦) برقم (٣٤٤٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، محمد بن ناصر الدين الألباني، اختصر أسانيده، وعلق عليه زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٩هـ، (٢/ ٤٩٣) برقم (٢٦٠٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الحج، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجهًا لسفر حج أو غيره وبيان الأفضل من ذلك الذكر (٩٠٢) برقم (١٣٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أماكن صعبة في الجبال وغيرها لا يستطيع الوصول إليها إلاَّ هذه الدوابّ التي سخرها الله ﷻ للإنسان، وهي مصاحبة له قديمًا وحديثًا، فلله الحمد أولاً وآخرًا.

٣- اللباس والدفء:

وهذه نعمة أخرى - أيضًا - امتن الله علينا بها، وهي نعمة اللباس والدفء، التي تصنع من جلود بعض الحيوان، وشعره، أو وبره، فمنها الملابس الثقيلة والخفيفة، ومنها الأحذية، وغيرها، وهي من أنفس اللباس وأغلاه ثمنًا، يقول الله سبحانه: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ [النحل: ٥]، وقال أيضًا: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

فخلق سبحانه الأنعام لنا؛ حيث ننتفع بها في وجوه كثيرة، منها الدفء من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولحفًا نستدفئ بها.

«وجعل لكم (من أصوافها) أي: الأنعام، (وأوبارها وأشعارها أثاثًا) وهذا شامل لكل ما يتخذ منها من الآنية والأوعية والفرش والألبسة والأجلة وغير ذلك»[1].

فهو سبحانه وحده المستحق للحمد على هذه النعم؛ حيث أكرم الإنسان قديمًا وحديثًا بنعمة الدفء واللباس المصنوعة من الحيوان، ومهما تطور الإنسان، ومهما توصل إلى علوم ومكتشفات فيبقى غارقًا في هذه النعمة التي لا يستطيع لها إحصاءً، فمنها الدفء؛ حيث جعلها لا تنتن ولا تعفن مع مرور الزمن، ومنها الملابس الثمينة والجميلة التي لا غنى للإنسان عنها، وصدق الله: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾ [النحل: ٥].

فخلق الله كل ما في السموات والأرض من أجلك، وأمرك بطاعته وإفراد العبادة له؛ لأنه وحده المستحق لذلك، فتبارك الله رب العالمين.

٤- الجمال والزينة:

يقول الله تعالى عن الأنعام والدواب: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥١٧).

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٦-٨].

وهذه نعمة أخرى يمتن الله سبحانه بها علينا، وأكرم الإنسان بها، وهي نعمة الجمال والزينة التي يستمتع بها صاحب الأنعام والدوابّ حين يراها وهي تخرج من مترلها إلى المرعى، ثم ترجع إليه بعد أنْ جابت الأرض لتأكل من رزق الله لها، وكذلك في الخيل والبغال والحمير مع نعمة الركوب نعمة الزينة، حيث يتزين الإنسان بها، بمنظرها، وبملكه لها، وأخبر الله ﷻ أنَّ لنا في الأنعام (جمالاً)، أي: تجمُّل، وتزيُّن عند الناظرين إليها، وذلك وقت ردها من المرعى، ووقت تسريحها إليه، وقدم وقت الإراحة على التسريح؛ لأن منظرها عند عودتها أجمل، وذواتها بعدما نالت حاجتها من الأكل أحسن.

وخص هذين الوقتين؛ لأنهما وقت نظر الناظرين إليها، إذ هي مجتمعة في الذهاب والعودة بخلاف تفرقها في المرعى[1].

والله ﷻ خلق هذه الدوابّ بصورة جميلة، مريحة للنظر، فلا يشمئز منها الإنسان، وجعلها -أيضًا- بألوان وأشكال مختلفة، وكساها الفرو والشعر والصوف؛ فأصبح الإنسان يزهو بما يملك منها، وينظر إليها نظرة إعجاب، وتكون قريبة من منـــزله، يألفها وتألفه[2].

٥- السكن والأثاث:

وهذه نعمة أخرى من نعم الله تبارك وتعالى على الإنسان، فهو ينتفع من هذا الحيوان في مسكنه مسافرًا، أو مقيمًا في بلده، وكذلك ما يحتاجه من أثاث ومتاع، فقال ربنا تبارك وتعالى مبينًا هذه النعمة: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ [النحل: ٨٠].

قال ابن كثير: «يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبيده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم، يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع، وجعل لهم

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ١٤٨).

(٢) انظر: آيات الله في خلق الحيوانات (١٢٨-١٢٩).

أيضا من جلود الأنعام بيوتا أي من الأدم، يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر، ولهذا قال: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي الغنم، (وأوبارها) أي الإبل، (وأشعارها) أي المعز، والضمير عائد على الأنعام (أثاثا) أي تتخذون منه أثاثا وهو المال، وقيل: المتاع، وقيل: الثياب، والصحيح أعم من هذا كله فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثياب وغير ذلك، ويتخذ مالا وتجارة»[(١)].

فهذه بعض المنافع التي بينها لنا ربنا تبارك وتعالى في هذا الحيوان الذي خلقه الله من أجل الإنسان، وسخره له، وهناك منافع أخرى أجملت في قوله سبحانه: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ [النحل: ٥]، فهناك منافع كثيرة للإنسان من الحيوان، قد نعلمها أو قد لا نعلم بعضًا منها الآن.

(ومنافع) كلمة مطلقة تدل على منافع كثيرة متعددة.

فهذه صور من تسخير الله ﷻ الحيوان للإنسان ينتفع منها بوجوه كثيرة، وهناك صور أخرى قد لا يظهر للإنسان صور الانتفاع بها، أو قد تظهر في زمن دون زمن، وتبقى هذه النعمة وهذا التسخير ملازمين للإنسان ما بقي على هذه الأرض مصداقًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

وهذا التسخير شاهد عظيم من شواهد ربوبية الله ﷻ ووحدانيته، ولهذا قال سبحانه بعد امتنانه على الإنسان بنعم عديدة، منها تسخير الحيوان وما فيه من منافع: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

فكما أعطاكم هذه النعم وأتمها عليكم، أراد منكم الخضوع له بالطاعة، وأن تذلَّ منكم بتوحيده النفوس، وتخلصوا له العبادة[(٢)].

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠٩).

(٢) انظر: جامع البيان (١٧/ ٢٧).

المسألة الرابعة: دلالة إنطاق الحيوانات وتخاطبها فيما بينها على توحيد الله سبحانه في ربوبيته:

خلق الله ﷻ هذه الحيوانات عجماء لا تنطق؛ فإذا شاء سبحانه أنطقها بقوته وقدرته، وهذا من دلائل توحيده وربوبيته التي لا يشاركه فيها غيره.

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مبينة أنَّ بعض هذه الحيوانات جعلها الله تبارك وتعالى تنطق، فمنها:

١- دابّة الأرض:

وهذه الدابّة التي تكون في آخر الزمان، وهي من أشراط الساعة الكبرى، فقد أخبر الله ﷻ أنه يخرجها إذا شاء سبحانه وأنها تكلم الناس، فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

فهذه الدابّة تكلم العباد أنْ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي لأجل ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله، وهي من آيات الله العجيبة[(١)(٢)].

٢- كلام الذئب والبقرة:

ومن أمثلة الحيوان الذي أنطقه الله ﷻ كلام الذئب والبقرة بكلام يسمعه البشر، فعن أبي هريرة[(٣)] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب،

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٧١٤).

(٢) وسوف يأتي إن شاء الله الحديث عن هذه الدابة مفصلاً في الفصل الرابع.

(٣) هو: أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر، حفظ الكثير عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وروى عنه خلق كثير، أكثر من ثمانمائة نفس، فمنهم عكرمة وعروة وعطاء وغيرهم، كان عالمًا فقيهًا كثير التعبد، تولى إمارة المدينة، كان أحفظ أصحاب النبي ﷺ توفي سنة ٥٨هـ، وقيل: ٥٧هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد البر، تحقيق: علي البيجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، (٤/ ١٧٦٨-١٧٧٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البيجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، (٧/ ٤٢٥-٤٤٤).

فأخذ منها شاة فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السَّبُع يوم ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، لكني خلقت للحرث))، فقال الناس: سبحان الله!، فقال النبي ﷺ: ((فإني أومِن بذلك وأبو بكر وعمر)) رضي الله عنهما(١).

٣- كلام السباع للإنسان:

أخبر النبي ﷺ أنَّ من أشراط الساعة تكليمَ السباع للإنس، فعن أبي سعيد الخدري(٢) رضي الله عنه، قال: ((عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله؛ تنـــزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ؟ فقال: يا عجبي ذئب مقعٍ على ذنبه يكلمني كلام الإنس؟ فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ، فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: (أخبرهم)، فأخبرهم)). فقال رسول الله ﷺ: ((صدق والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة(٣) سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده))(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذًا خليلاً) (٢٩٨)، برقم (٣٦٦٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، (١٠٩٨) برقم (٢٣٨٨).

(٢) هو: أبو سعيد، سعد بن مالك الخدري، الأنصاري، الخزرجي، من علماء الصحابة، وممن شهد بيعة الشجرة، روى عن النبي ﷺ كثيرًا، أبوه من شهداء أحد، روى عنه جابر ونافع مولى ابن عمر وغيرهم، توفي سنة ٦٤هـ، انظر: الاستيعاب (٢/ ٦٠٢)، الثقات، محمد ابن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ، (٣/ ١٥٠-١٥١)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٦)، والإصابة (٣/ ٧٨-٧٩).

(٣) العذبة: طرف الشيء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥٩٨) مادة (عذب).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨٣)، والترمذي في سننه في كتاب الفتن، باب ما جاء في كلام السباع (١٨٧١) برقم (٢١٨١) من قوله: (والذي نفسي بيده)، والمستدرك على الصحيحين،
=

فهذه بعض الحيوانات التي دلت النصوص على أنَّ الله ﷻ أنطقها بكلام الإنس، وقد جاء في غيرها نصوص أخرى، ولكن في صحتها نظر(١)، وبعضها الآخر لا يدل صراحة على أنها نطقت بكلام الإنس، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ [النمل: ١٨]، وقوله تعالى عن الهدهد: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، فالظاهر أنها تكلمت بمنطقها الذي أفهمه الله تبارك وتعالى سليمان عليه الصلاة والسلام.

وإذا كانت الحيوانات لا تتكلم بلغة الإنسان، فإن الله سبحانه قد وهبها وسائل اتصال خاصة بها، وجعلها تتفاهم فيما بينها وإن كان الإنسان لا يدرك ذلك، فلكل حيوان منطقه

محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، (٤/ ٥١٤) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، (٢/ ٢٣٥) برقم (٢٢٨٦).

(١) منها: حديث أم سلمة رضي الله عنها في الظبية الموثقة التي كلمت الرسول ﷺ، مخرج في المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ (٢٣/ ٣٣١-٣٣٢)، رقم (٧٦٣)، وفي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، (٨/ ١٤٠) رقم (١٤٠٨٨)، قال: «رواه الطبراني، وفيه أغلب بن تميم وهو وضعيف»، وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ (١٤/ ٥٢٤) رقم (٦٧٣٧)، قال: «هذا إسناد ضعيف جدًّا».

ومنها حديث عمر بن الخطاب ﷺ في الضب الذي شهد للنبي ﷺ بالرسالة، مخرج في المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، عمَّان، ط١، ١٤٠٥هـ، (٢/ ١٥٣) رقم (٩٤٨)، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ، (٦/ ٣٦)، وفي ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، (٣/ ٦٥١) قال عنه: «إنه خبر باطل».

الخاص به، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[1] - رحمه الله -: «نحن نجد أنَّ الله يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض، وقد سمي ذلك منطقًا وقولاً في قول سليمان ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، وفي قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾، وفي قوله: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾»[2].

فالله تبارك وتعالى وهب داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام معرفة نطق الطير، فهما يفهمان كلام بعضها لبعض، وكذا فهم كلام النملة لقومها، وهذا دليل على أنَّ كل نوع من الحيوان له خطاب يفهم بعضه بعضًا به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل: ١٥-١٨].

قال الطبري رحمه الله عند تفسيره لهذه الآيات: «وذلك علم كلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه...وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس علمنا منطق الطير، يعني فهمنا كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذا فهمه عنه»[3].

(١) هو: أبو العباس، تقي الدين، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، سمع من أحمد بن عبد الدائم وابن أبي اليسر وخلق غيرهم، وتتلمذ عليه جمع كثير، من أشهرهم: ابن القيم، وابن عبد الهادي وغيرهم، كان من بحور العلم، والأذكياء المعدودين، بدأ التدريس وعمره إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره وبعد صيته، وابتلي وسجن مرات عديدة بدمشق ومصر، وله مصنفات كثيرة مشهورة، منها: منهاج السنة النبوية، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح وغيرها، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: طلعت فؤاد، دار الفاروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ، (٣-٨، ١٦٧-١٩٦، ٢١٢، ٢٥٦، ٢٥٩)، والبداية والنهاية (١٤/ ١٥٦-١٦١)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٩٢-١٩٣).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ٩١).

(٣) جامع البيان (١٩/ ٤٣٧).

ويقول الطاهر بن عاشور[١] – رحمه الله –: «وللطير دلالة في تخاطب أجناسها واستدعاء أصنافها والإنباء بما حولها، ودلالة أصوات الطير على ما في ضمائرها: بعضها مشهور كدلالة بعض أصواته على نداء الذكور لإناثها، ودلالة بعضها على اضطراب الخوف حين يمسكه ممسك أو يهاجمه كاسر، ووراء ذلك دلالات فيها تفصيل»[٢].

وهذا – أيضًا – في سائر الحيوان، فلكل نوع منها وسيلة يتفاهم بها ويعرف مراد بعضه بها، فللمخلوقات جميعًا من طيور وحشرات وحيوانات وغيرها لغات ووسائل خاصة للتفاهم والتقارب والتناسل، فأنثى الحيوان ترسل الأصوات والإشارات إلى صغارها، فيتم فهمها ويسرعون للقيام بها.

فهذه الدجاجة مثلاً تفعل ذلك بواسطة النقيق؛ فإذا ابتعد أحد صغارها أطلقت صوتًا تحذيريًّا له، وكذلك إذا شاهدت طائرًا من الجوارح يقترب من صغارها فإنها تحدث صوتًا صاخبًا عندها يقبل الصغار مسرعين إليها للاختباء تحت جناحيها[٣].

وقد تحدث الباحثون عن وسائل الاتصال والتخاطب عند الحيوان، وأثبتوا أنَّ لكل حيوان لغةً ووسيلة خاصة يتواصل بها[٤].

---

(١) هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد سنة ١٢٩٦هـ بتونس،وكان أشعري العقيدة ، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة من أشهر مصنفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية، والتحرير والتنوير وغيرها توفي في تونس عام ١٣٩٣هـ. انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤).

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (١٩/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٣) انظر: من عجائب المخلوقات، د. عبد الرحمن عميرة (١٩٧).

(٤) انظر: لغة الحيوان، ميلنت أ. سلسام، ترجمة: كامل منصور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، (٩، ١٦، ٣٥، ٤٤، ٦٤، ٨٤)، وسلوك الحيوان، جون بول سكوت، ترجمة: عبد الحميد خليل وعبد الحافظ حلمي، مكتبة الخانجي، القاهرة (٢٤١-٢٦١)، وألوان من حياة الحيوان، د. سعد الدين مكاوي، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون رقم الطباعة والتاريخ، (٣٦-٧٠)، وعالم الحيوان بين العلم والقرآن، د. محمد محمود عبد الله، دار الرشيد، بيروت، ط١،
=

يقول الأستاذ يوسف الملاَّ: «هناك الكثير من وسائل التخاطب لدى السوائم في المجموعة الواحدة، فقد ثبت علميًّا بعد دراسات استغرقت جهد أجيال من العلماء والباحثين، أنَّ الحيوان يتصل بمجموعته عن طريق اللمس والحركة، والرقص والإشارة، والرائحة وإصدار الأصوات، واستخدام حاسة الشم والرائحة إلى جانب المداعبة والتناطح والعض الخفيف والمشاكسة.

وهذا الاتصال والتفاهم بين الحيوانات تستعين به بين أجناسها خلال موسم التزاوج والارتحال للبحث عن الكلأ والمرعى والماء، أو الإنذار باقتراب العدو، ومواجهة الأخطار، وتوزيع الأدوار أثناء الصيد والاقتناص، وحراسة الأوكار والأعشاش، وتلقيم الفراخ، والاحتضان وغيرها»(١).

ويقول أيضًا: «إن معظم أنواع الطيور تعيش في جماعات ولها وسائل تفاهم خاصة بها كالصوت والحركة، واستعراض الريش والرائحة، والصوت الذي يحدثه الحيوان من فمه، أو عن طريق أعضاء أخرى يعبر عن متطلباته الضرورية، وليست له تراكيب اللغة أو رموز تتصل بالنطق، بل هو في جملته مقاطع صوتية متكررة ومتتابعة، يحكمها تصوره البسيط الذي وهبه اللطيف الخبير تعالى.

ويمثل الصوت بأشكاله عند الحيوانات فإمّا عواء وإما مواء، أو تغريد، أو خوار، أو زئير، أو ثغاء، أو نقيق، أو أمواج فوق الصوتية، والصوت الذي يطلقه الحيوان إما يبغي به التحذير، وإمَّا الإنذار من الأخطار القريبة أو يراد التجاذب الجنسي في موسم التكاثر، أو الإعلام عن حدود سيادته على منطقةٍ ما ومستعمرة معينة، وثمة حالات كثيرة أخرى يمكن أنْ يعبر عنها الصوت؛ مثل: الاحتجاج أو طلب العون أو التعبير عن فزع أو خوف أو فرح أو تهليل بلقاء أو إظهار قوة وإبراز مفاتن جميلة»(٢).

١٤١٧هـ، (٧١-٧٥)، والحشرات في القرآن الكريم والسنة المطهرة، د. رمضان مصري هلال، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤٢١هـ، (٧٢-٧٥).

(١) إعجاز القرآن في الكون والإنسان (١٥٥).

(٢) المرجع السابق (١٧٨).

أمّا النحل فقد اكتشف العلماء أنَّ له لغتين هما: لغة الرقص، ولغة الرائحة.

فيحدثنا الدكتور ماهر الصوفي عن اللغة الأولى: (الرقص)، فيقول: «ولعل أغرب ما اكتشفه العلم الحديث في عالم الحشرات هو أنَّ للنحل لغة خاصة يتفاهم بها عن طريق الرقص، وقد شرحها بالتفصيل عالم ألماني ضمنها كتابه المسمى (حياة النحل الراقص) بعد دراسات استمرت نحوًا من ستين عامًا نال بسببها جائزة نوبل العالمية عام ١٩٧٣م، فقد تبين لهذا العالم أنَّ للنحلة الشغالة في جسمها من الأجهزة ما يجعلها تستطيع قياس المسافات والأبعاد والزوايا بين قرص الشمع والخلية، ثم إنها تستخدم لغة سرية في التخاطب عن طريق رقصات خاصة معبرة تنبئ بها أخواتها عن وجود الرحيق الحلو وتحدد لهن موضعه تحديدًا دقيقًا من حيث الاتجاه إليه وبعده عن بيتها، وهي كلها حقائق أغرب من الخيال، ولكنها من آيات الله المعجزة التي كشف العلم الحديث عن بعض أسرارها بعد أربعة عشر قرنًا من نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الصادق الأمين»[(١)].

أمَّا اللغة الثانية فهي لغة الرائحة، فيقول عنها الدكتور عبد الرحمن عميرة: «لقد اكتشف علماء الحشرات أنَّ النحل يستخدم بعض المواد الكيميائية كرسائل يرسلها من خلال إفراز مواد تدعى (الفورمون) تنتج من غدد في جسم النحل يتم استقبالها بواسطة حاسة الشم الحساسة لدى النحل، ومن أبرز من أيد هذه النظرية هو عالم الحشرات (فنر) وبعض معاونيه، وعلى الأخص (جونسون)، حيث يعتبرون أنَّ النحلة تعتمد أساسًا على الروائح كلغة للتفاهم فيما بينها، وقاموا بإجراء سلسلة من التجارب، استنتجوا منها أنَّ النحل عندما يتجمع حول النحلة الراقصة يلتقط منها مجموعتين من الروائح: رائحة الغذاء وروائح الموضع المحيط بالغذاء.

وهذه الروائح تعلق بجسم النحلة عند ارتيادها للمكان الذي اهتدت إليه، وعلى الأخص على الشعيرات المنتشرة على جسمها، ويلتقط النحل المتجمع حولها هذه الروائح عندما يتحسسها بقرني الإشعار (وهما عضوا الشم كما ذكرنا) ويضاف إلى هذا وذاك أنَّ النحلة

---

(١) آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات (١٦٩)، وانظر: لغة الحيوان (٨٤-٩٣)، وسلوك الحيوان (٢٥٣-٢٥٨).

المستكشفة تترك رائحة جماعاتها في المكان الذي ترتاده وتجد فيه منتجعًا طيبًا لها ولأهلها، كما أنها تبرز غدة خاصة للرائحة في جسمها كي تنتشر في المكان، وعلى الأخص إذا لم يكن للغذاء رائحة مميزة بارزة، وسبحان الذي خلق فسوى، وقدر فهدى»[(١)].

وللنمل أيضًا وسائل يتخاطب بها مع أفراده، وقد ذكر الجاحظ أنَّ من أعظم الأدلة على أنَّ للنمل بيانًا، وأن النملة تخبر غيرها بمكان الطعام ما يراه الإنسان؛ حيث يرى النملة وهي تحاول حمل شيء من الطعام، فتعجز عنه فلا تلبث إلا يسيرًا حتى ترجع ومعها أمة من النمل، فمن الذي أخبر النمل بذلك؟[(٢)].

وقد ذكر العلماء أنَّ من وسائل التفاهم والتخاطب عند النمل ما يلي:

١- لغة الرائحة: حيث يفرز النمل عدد من المركبات الكيميائية الطيارة، تعبر بكل مركب منها عن معنى محدود.

٢- اللغة الحركية: وهي قرون الاستشعار التي تستخدمها أفراد النمل، وكذا الأرجل الأمامية لإتمام عملية الاتصال والتفاهم فيما بينها.

٣- اللغة الصوتية: وهذه لم يفهم منها العلماء سوى ذبذبات صوتية مترددة كالصرير تلتقطها خلايا سمعية في أرجل كل واحدة من النمل[(٣)].

فالله تبارك وتعالى هو الذي خلق هذا الحيوان، وهو سبحانه الذي هداه لمعاشه، وعلمه كيف يتعاون مع أفراد مملكته، ووهبه سبحانه وسائل بها يتواصل، وبها يتخاطب، ولكل نوعٍ منها وسيلته الخاصة به، فسبحان اللطيف الخبير.

فحين يتأمل الإنسان، وينظر فيما وهبه الله تبارك وتعالى هذا الحيوان يزداد إيمانه بربوبية الخالق جلَّ في علاه، وأنَّه وحده المتفرد بالملك والخلق والتدبير فلا إله إلا الله، المتفرد بالوحدانية دون سواه.

---

(١) من عجائب المخلوقات د. عبد الرحمن عميرة (١٧٣).

(٢) انظر: كتاب الحيوان (٤/ ٦-٧).

(٣) انظر: لغة الحيوان (٩٤-٩٥)، من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم (٧٠-٧١)، وآيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات (١٩٢-١٩٣).

المسألة الخامسة: الإيحاء للحيوان:

الوحي في اللغة: يطلق الوحي في اللغة ويراد به: الإشارة والكتابة، والرسالة والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك(١).

قال ابن فارس: «الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك، فالوحي الإشارة، والوحي الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان»(٢).

وقال الراغب الأصفهاني(٣): «أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة»(٤).

وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الوحي بأنه: «الإعلام السريع إما في اليقظة وإما في المنام»(٥).

الوحي في الشرع: إعلام الله تعالى لمن اصطفاه من عباده بطريقة خفية سريعة(٦).

وعُرِّف – أيضًا– بأنه : «إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة، أو بغير واسطة»(٧).

ومن دلائل توحيد الله ﷻ وربوبيته؛ إيحاؤه إلى نوع صغير من الحيوان، وهو النحل

---

(١) انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٧٩) مادة (وحي).

(٢) مقاييس اللغة، (٦/ ٩٣) مادة (وحي).

(٣) هو: أبو القاسم، العلامة الماهر، الملقب بالراغب، الحسين بن محمد الأصبهاني، كان من أذكياء المتكلمين، له تصانيف كثيرة، منها: المفردات في غريب القرآن، ومحاضرات الأدباء، توفي سنة (٥٠٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠-١٢١)، الأعلام (٢/ ٢٥٥).

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (٥١٥).

(٥) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٩٧-٣٩٨).

(٦) انظر: علوم القرآن، نور الدين عتر (١٥).

(٧) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١٢٤).

وحي إلهام هداية وإرشاد، فقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩]، فهذه النحلة صغيرة الجسم، التي لا تتجاوز سنتمترين تقريبًا صاحبة الرأس الصغير، قد أوحى الله ﷻ إليها، سبحان الله! كيف دخل الوحي إلى رأسها وجسدها فعملت بمقتضاه، ولم تحد عنه مطلقًا؟!.

إنها قدرة الباري جلَّ في علاه الذي خلقها وخلق ما هو أعظم منها، وهو اللطيف الخبير.

ووحي الله ﷻ إلى النحل هو ما قرره سبحانه في أنفسها، وألهمها من هذه الأعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر، من ذلك:

أولاً: بناء البيوت مسدسة الأضلاع المتساوية، التي ثبت في الهندسة أنَّ تلك البيوت لو كانت بأشكال سوى المسدسات فإنه يبقى بالضرورة فرج خالية ضائعة؛ بخلاف كونها مسدسة.

ثانيًا: أنَّ النحل تتخذ لها رئيسًا، يكون نافذ الحكم على البقية.

ثالثًا: أنها تأكل من كل الثمرات وتسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذللة سهلة عليها، حيث شاءت في هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة، والأودية والجبال الشاهقة، ثم تعود كل واحدة منها إلى موضعها وبيتها، لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة، فتبني الشمع وتخرج العسل الذي فيه شفاء للناس من أدواء تعرض لهم مختلف الألوان، ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها ومآكلها منه(١).

وفي هذا التسخير، وإخراج الشراب مختلفِ الألوان من بطونها، واتخاذها البيوت من الشجر والجبال ومما يعرش الناس دليلٌ على أنَّ الله هو الواحد الذي لا ينبغي أنْ يكون له شريك(٢).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٢٠/ ٥٦-٥٧)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠٠-٥٠١).

(٢) انظر: جامع البيان (١٧/ ٢٥٠).

المطلب الثاني: فطرة الحيوان على التوحيد:

حين نعلم أنَّ الإنسان مفطور على التوحيد، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

وكما دلَّ عليه حديث أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنْتَج البهيمة بهيمة جَمْعاء[1]، هل تحسون فيها من جدعاء[2]؟، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]))[3].

فإن هذه الحيوانات - أيضًا - قد فطرها ربها تبارك وتعالى على توحيده، ومعرفته، وعبادته، فالحيوان أمم أمثالنا، قال عنها الله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ المراد بقوله: (أمم أمثالكم) أي: أمثالكم يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني، ويحمدونني[4].

وقال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره

---

(١) الجمعاء: هي السليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها. انظر: النهاية في غريب الحديث (١٦٤) مادة (جمع).

(٢) الجدعاء: هي مقطوعة الأطراف، أو أحدها. انظر: المرجع السابق (١٤١) مادة (جدع).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، (١٠٦) برقم (١٣٥٩)، ومسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين (١١٤١) برقم (٢٦٥٨).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ١٧٦)، ولباب التأويل في معاني التأويل، علاء الدين الخازن، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، (٢/ ١٣٢)، والبحر المحيط (٤/ ١٢٥).

لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المعرضين عنك، المكذبين بآيات الله: أيها القوم لا تحسبنَّ الله غافلاً عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون، وكيف يغفل عن أعمالكم، أو يترك مجازاتكم عليها، وهو غير غافل عن عمل شيء دبَّ على الأرض صغيرًا أو كبيرًا، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء، بل جعل ذلك كله أجناسًا مجنَّسة، وأصنافًا مصنفة، تعرف كما تعرفون، وتتصرف فيما سخِّرت له كما تتصرفون، محفوظ عليها ما عملت من عمل لها أو عليها، ومثبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب»[1].

ودلائل فطرة الحيوان على التوحيد الآتي:

أولاً: عبادتها له بأنواع العبادات المختلفة، فمن ذلك:

١- أنها تسجد له كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل: ٤٩].

٢- أنَّ الحيوان يسبح الله ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: ٤١].

وهذا النَّمل أخبر عنه النبي ﷺ بأنه يسبح الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قرصت نملة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أنْ قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله))[2].

---

(١) جامع البيان (١١/ ٣٤٤).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٥٧].

٣- أنَّ الحيوان يدعو ويستغفر لمعلم الناس الخير، فعن أبي أمامة الباهلي[١] رضي الله عنه قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: ((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم))، ثم قال رسول الله ﷺ: ((إن الله وملائكته وأهل السموات والأراضين، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير))[٢].

وعن أبي الدرداء[٣] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر))[٤].

فهذه صور من صور عبادة الحيوان لخالقه عز وجل، وسوف يأتي بتوفيق الله وإعانته الكلام مفصلاً عن عبودية الحيوان لله رب العالمين في المبحث الثاني من هذا الفصل.

فإذا كان الحيوان يسجد لخالقه ويسبحه، ويدعوه، فإن ذلك دليل عظيم على تلك

---

(١) هو: أبو أمامة الصدي بن عجلان بن وهب الباهلي، روى عن النبي ﷺ، وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وحدث عنه شريح بن عبد الله ومكحول الشامي، وغيرهم، وروى له الجماعة، كان مع علي رضي الله عنه بصفين، توفي سنة: ٨٦هـ. انظر: الإصابة (٣/ ٤٢٠)، وتهذيب الكمال، أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ، (١٣/ ١٥٨-١٦٣)، والثقات لابن حبان (٣/ ١٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (١٩٢٢) برقم (٢٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٧٦)، برقم (١٨٣٨).

(٣) هو: أبو الدرداء، عويمر بن زيد بن ثعلبة الأنصاري، الخزرجي، حكيم هذه الأمة، كان عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق وفقيههم وقاضيهم، حدث عن النبي ﷺ، وحدث عنه سعيد بن المسيب، وأبو إدريس الخولاني، وغيرهم، كان حافظًا للقرآن رضي الله عنه، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان، توفي سنة ٣٢هـ. انظر: الاستيعاب (٣/ ١٢٢٧-١٢٣٠)، والإصابة (٤/ ٤٧٤)، والثقات لابن حبان (٣/ ٢٨٥)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٣-٢٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب السنة، باب ثواب معلم الناس الخير (٢٤٩٢) برقم (٢٣٩)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، (١/ ٤٦) برقم (٢٣٩).

الفطرة التي فطره الله جلَّ وعلا عليها، من توحيده، ومعرفته.

يقول الشيخ ابن عثيمين: «ولا تستغرب أن تكون هذه الحيوانات تستغفر الله عز وجل للعالم... فالبهائم والحشرات تعلم ربها عز وجل وتعرفه»[(١)].

ثانيًا: ومن دلائل هذه الفطرة الواضحة الجلية عند الحيوان ما أخبرنا به ربنا تبارك وتعالى من قصة الهدهد مع سليمان عليه الصلاة والسلام، فقال سبحانه: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل: ٢٠-٢٦].

فهذا الهدهد يدرك أنّ هذه الملكة ورعيتها يسجدون للشمس من دون الله، ويدرك أنّ السجود لا يكون إلا لله الذي يخرج المخبوء المستور في السموات والأرض من المطر والنبات وغير ذلك، وأنّ الله سبحانه يعلم ما يخفى وما يعلن، وهو رب العرش العظيم، وهو يشهد شهادة التوحيد، ويؤمن بأن الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

إنها فطرة التوحيد التي فطر الله ﷻ الناس عليها، وفطر هذا الحيوان عليها، فعرف أنّ الخالق سبحانه هو الذي يستحق السجود، وأنّ هذه الشمس إنما هي خلق من خلقه؛ فلا يحق لمخلوق السجود لها، فمن أشرك مع خالقه، ثم صرف عبادة من العبادات لغيره، فإنما زيّن الشيطان له سوء عمله، وصده عن السبيل، فهو لا يهتدي إلى الطريق المستقيم.

فالهدهد يعرف ربه، ويوحده، ويكره الشرك ويستنكره، لأنّ ربه ﷻ فطره على التوحيد شأنه شأن غيره من الحيوان.

ومرة أخرى مع حيوان آخر أخبر النبي ﷺ عن خبره الذي يدلّ على فطرة التوحيد التي فطره الله عليها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((عدا الذئب على شاة، فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله؛ تنتزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ، فقال: يا عجبي ذئب مقعٍ على ذنبه يكلمني كلام الإنس؟ فقال الذئب: ألا أخبرك

(١) شرح رياض الصالحين (٥/٥٥١).

بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فأمر ﷺ، فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: (أخبرهم)، فأخبرهم.

فقال رسول الله ﷺ: ((صدق والذي نفسي بيده؛ لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده))[(١)].

ففي هذا الحديث دلالة ظاهرة، وآية بينة على فطرة التوحيد التي فطر الله تبارك وتعالى عليها هذا الذئب، فهو يؤمن بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق، ثم هو يخاطب الراعي بأن يتقي الله ﷻ، كما يفيد الراعي بأنّ النبي ﷺ بالمدينة يحدث الناس بأخبار الأمم السابقة[(٢)].

فهو يعرف أنَّ محمدًا ﷺ رسول أرسله الله ﷻ وليست هذه المعرفة بالنبي ﷺ، وهذا الإيمان به خاصًّا بهذا الذئب، بل هو عام في جميع الحيوان، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه[(٣)]، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلاَّ شدَّ عليه، قال: فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعًا مشفره[(٤)] إلى الأرض، حتى برك بين يديه، قال: فقال النبي ﷺ: هاتوا خطامًا، فخطمه ودفعه إلى صاحبه، قال: ثم التفت إلى الناس، قال: ((إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس))[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٨٢].

(٢) انظر: عبودية الكائنات لرب العالمين، فريد التوني، مكتبة الضياء، جدة، ط١، (٢٧٨).

(٣) هو: أبو عبد الله، جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري، شهد بيعة العقبة مع أبيه، شهد مع النبي ﷺ تسع عشرة غزاة، روى كثيرًا من الأحاديث، وروى عنه جماعة من الصحابة، مات سنة ٧٨، وقيل: ٧٩هـ، بعد أن عمي بالمدينة. انظر: الثقات لابن حبان (٣/ ٥١)، والإصابة (١/ ٤٣٤).

(٤) المشفر للبعير، كالشفة للإنسان. انظر: النهاية في غريب الحديث (٨٧١)، مادة (مشفر).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣١٠)، وسنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز زمرلي، وخالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ في المقدمة، باب: كيف كان أول شأن النبي ﷺ (١/ ٢٢) برقم (١٧)، والمنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد، تحقيق:
=

فالله ﷻ هو الذي خلق هذه الحيوانات وهو سبحانه الذي فطرها على التوحيد وإن كنَّا لا نفهم عنها ولا تفهم عنا.

صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤٠٨ﻫ، (٣٣٧) برقم (١١٢٢)، والحديث حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٩٥) برقم (١٧١٨).

المطلب الثالث: التشريعات الباطلة المتعلقة بالحيوان:

الله جلَّ وعلا هو المتفرد بالخلق وحده وهو - أيضًا - المتفرد بالحكم والتشريع، فلا خالق إلا الله، ولا مدبر إلا الله، ولا حاكم إلا الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فكما أنه سبحانه متفرد بالخلق فهو أيضًا متفرد بالأمر والحكم، فلا حكم إلا حكمه، ولا أمر إلا أمره، يقول الطبري رحمه الله: «ألا لله الخلق كله، والأمر الذي لا يخالف ولا يرد أمره، دون ما سواه من الأشياء كلها، ودون ما عليه المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخلق ولا تأمر»(١).

فالله ﷻ هو الذي أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، فهو الذي يأمر وينهى ويحل ويحرم دون ما سواه، فالحلال ما أحله، والحرام ما حرّمه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الله ﷻ هو الحكم الذي يحكم بين عباده، والحكم له وحده، وقد أنزل الكتب وأرسل الرسل ليحكم بينهم؛ فمن أطاع الرسول كان من أولياء الله المتقين، وكانت له سعادة الدنيا والآخرة، ومن عصى الرسول كان من أهل الشقاء والعذاب، كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى: ١٠]، وقال يوسف: ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ

(١) جامع البيان (١٢/ ٤٨٣-٤٨٤).

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠]، فالحكم لله وحده ورسله يبلغون عنه؛ فحكمهم حكمه، وأمرهم أمره، وطاعتهم طاعته، فما حكم به الرسول وأمرهم به وشرعه من الدين وجب على جميع الخلائق اتباعه وطاعته؛ فإن ذلك هو حكم الله على خلقه»[١].

فلا حكم أحسن من حكمه تعالى، ولا شرع أفضل من شرعه، يقول الحقُّ جلَّ وعلا: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، فهذا إنكار منه سبحانه على كل من خرج عن حكمه جل وعلا، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات[٢].

وقد خلق الله تبارك وتعالى الحيوان وسخّره للإنسان ليأكل منه، ويلبس، ويركب، ويتخذ منه زينة وجمالاً، كل ذلك وفق ما أمره به ربه سبحانه وشرعه له، فلا يحلّ منه إلا ما أحله له ربه، ولا يحرم منه إلا ما حرمه سبحانه، وقد أنكر الله تعالى في آيات كثيرة على الكفار الذين سلكوا شرعًا غير شرعه، فحرموا من الحيوان ما لم يحرمه، وأحلّوا ما لم يحلّه فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٥٩-٦٠].

يقول السعدي رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين: «يقول تعالى منكرًا على المشركين الذين ابتدعوا تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرّم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ يعني أنواع الحيوانات المحللة التي جعلها الله رزقًا لهم ورحمة في حقهم، قل لهم – موبخًا على هذا القول الفاسد –: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾، ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أنْ يفعل الله بهم من النكال، ويحل بهم من العقاب، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٦١-٣٦٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٢٢-١٢٣).

﴿لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ كثير، وذو إحسان جزيل، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، إمَّا لا يقومون بشكرها، وإمّا أنْ يستعينوا بها على معاصيه، وإمَّا أنْ يحرموا منها، ويردوا ما منّ الله به على عباده، وقليل منهم الشاكر الذي يعترف بالنعمة، ويثني بها على الله، ويستعين بها على طاعته»(١).

وهذا الحيوان هو مما سخره الله ﷻ لبني آدم، فأباح له أنْ يأكل أصنافًا منه، ويركب أصنافًا أُخرَ، ويتزين كذلك، فهو تبارك وتعالى المتفرد بالخلق، وهو - أيضًا - المتفرد بالتشريع، فلا حلال إلا ما أحلّه، ولا حرام إلا ما حرّمه.

وقد أنكر تبارك وتعالى على من حرّم شيئًا من الزينة والطيبات - التي منها الحيوان - بغير علم، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢].

وهذا إنكار لما كان عليه أهل الجاهلية من تحريم شيء من اللباس، أو الأموال والطيبات، ومنها البحيرة والسائبة، والوصيلة والحام(٢)، التي سوف يأتي الكلام عليها قريبًا إنْ شاء الله تعالى.

وقد كان أهل الجاهلية يشرعون تشريعات باطلة متعلقة بأنواع من الحيوان، من تحريم وتحليل لم ينـــزل الله بها سلطانًا فمن ذلك:

١- ما كان عليه المشركون من جعل شيء من البهائم بحيرة أو سائبة أو وصيلة أو حاميًا:

قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣].

وهذه أنواع من الحيوان كان الكفار يحرمون على أنفسهم الانتفاع بها، وإن كانوا في

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٢).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (١٢/ ٣٩٨)، ومعالم التنـــزيل (٣/ ٢٢٥).

غاية الحاجة لهذا الانتفاع بها، فبين الله تعالى أنَّ ذلك باطل[١].

وقوله: (ما جعل الله) أي ما حكم الله بذلك، ولا شرعه ولا أمر به[٢]، والبحيرة: هي الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا آذانها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها، وأما السائبة: فكان الرجل يقول: إذا قدمت من سفري، أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في عدم الانتفاع بها، وأما الوصيلة: فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرًا وأنثى في بطن واحد قالوا: وصلت الناقة أخاها، فلا تذبح، وأما الحامي، فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء[٣].

وقيل في تفسيرها أقوال أخرى كثيرة[٤] كلها تدور حول تحريم شيء من البهائم على أنفسهم، وعدم الانتفاع بها من دون شرع ولا عقل؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾ [المائدة: ١٠٤].

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: «وإذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر، ويسيبون السوائب، الذين لا يعقلون أنهم بإضافتهم تحريم ذلك إلى الله تعالى، يفترون على الله الكذب، تعالوا إلى تنـــزيل الله وآي كتابه، ورسوله، ليتبين لكم كذب قيلكم فيما تضيفونه إلى الله تعالى من تحريمكم ما تحرمون من هذه الأشياء، أجابوا من دعاهم إلى ذلك بأن يقولوا: حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به، ويقولون: نحن

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ٩٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٢/ ٩١).

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنـــزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ، (١/ ١٩٠).

(٤) انظر: جامع البيان (١١/ ١٢٤-١٣٤)، وزاد المسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، (٢/ ٤٣٧-٤٣٩)، والبحر المحيط (٤/ ٣٣-٣٤)، واللباب في علوم الكتاب (٧/ ٥٥٣-٥٥٤)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٠٥-٢٠٦).

لهم تبع، وهم لنا أئمة وقادة، وقد اكتفينا بما أخذنا عنهم، ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل.

قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أو لو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون شيئًا؟ يقول: لم يكونوا يعلمون أنَّ ما يضيفونه إلى الله تعالى من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كذب وفرية على الله، لا حقيقة لذلك ولا صحة؛ لأنهم كانوا أتباعَ المفترين الذين ابتدؤوا تحريم ذلك، افتراءً على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من إضافتهم إلى الله تعالى ذكره ما يضيفون، ولا كانوا فيما هم به عاملون من ذلك على استقامة وصواب، بل كانوا على ضلالة وخطأ»[1].

وكان أول من غير دين إبراهيم عليه السلام، فأدخل الأصنام إلى الحجاز، ودعا الناس إلى عبادتها، وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها: عمرو بن لحي الخزاعي[2].

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: ((رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا، ورأيت عمرًا يجر قُصبَهُ[3]، وهو أول من سيَّب السوائب))[4].

٢- تقسيم أهل الجاهلية ما خلقه الله لهم من الزروع والأنعام إلى قسمين، قسم لله وقسم لشركائهم:

قال سبحانه في بيان ضلالهم وتشريعهم الباطل في ذلك: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦].

---

(١) جامع البيان (١١/ ١٣٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٠٤).

(٣) القُصْب: هي المِعَى وجمعه أقصاب. انظر: النهاية، لابن الأثير (٧٥٤)، مادة (قصب).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة، ولا حام)، (٣٨١) برقم (٦٤٢٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف (٨١٩) برقم (٩٠١).

فتبين هذه الآية ما كان عليه المشركون من تشريع باطل في الحرث والأنعام؛ حيث كانوا يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيبًا، وللأوثان نصيبًا، فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدامها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان تركوه، وقالوا: الله غني عنه، وإن سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان؛ لأنها بزعمهم محتاجة(١).

وقيل: إنَّ معنى الآية: أنهم كانوا إذا ذبحوا ما جعلوه لله ذكروا عليه اسم أصنامهم، وإذا ذبحوا ما لأصنامهم لم يذكروا اسم الله عليه(٢).

٣- تقسيم أهل الجاهلية الأنعام إلى أقسام ثلاثة:

وقد بين الله ﷻ هذه الأقسام بقوله: ﴿**وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ١٣٨**﴾ [الأنعام: ١٣٨].

قال الطبري رحمه الله: «وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة أنهم كانوا يحرمون ويحللون من قبل أنفسهم، من غير أنْ يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك»(٣).

فمن جهلهم وضلالهم تقسيم ما رزقهم الله من الحرث والأنعام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسم حِجْر، والحِجْر هو المنع، فهي ممنوعة لا يطعمها إلاّ من يشاؤون بزعمهم، وهم: خدام الأصنام والرجال دون النساء، وهي ما كانت معينة للأصنام.

الثاني: أنعام حرمت ظهورها، وهي: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، التي سبق ذكرها.

الثالث: أنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح، وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام، وقيل المراد لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير، لأنه لما جرت العادة بذكر

(١) انظر: معالم التنـــزيل (٣/ ١٩٢).
(٢) انظر: فتح القدير (٢/ ١٦٥).
(٣) جامع البيان (١٢/ ١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٦/ ٩٦).

اسم الله تعالى على فعل الخير عبر بذكر الله عن فعل الخير[١].

وقيل: أي لا يذكرون اسم الله عند نحرها أو ذبحها، يزعمون أنَّ ما أهدي للجن أو للأصنام يذكر عليه اسم ما قرب له، ويزعمون أنَّ الله أمر بذلك؛ لتكون خالصة القربات لما عينت له، فلأجل هذا الزعم قال سبحانه: ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ﴾[٢].

فالله ﷻ ختم هذه الآية واصفًا هذه التشريعات التي شرعوها بكونها: ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

قال الطبري رحمه الله: «وأما قوله: (افتراء على الله)، فإنه يقول: فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرموا، وقالوا ما قالوا من ذلك، كذبًا على الله، وتخرصًا بالباطل عليه؛ لأنهم أضافوا ما كانوا يحرمون من ذلك، على ما وصفه عنهم جل ثناؤه في كتابه، إلى أنَّ الله هو الذي حرمه، فنفى الله ذلك عن نفسه، وأكذبهم، وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يدعون.

ثم قال عزّ ذكره: (سيجزيهم)، يقول: سيثيبهم ربهم بما كانوا يفترون على الكذب ثوابهم، ويجزيهم بذلك جزاءهم»[٣].

٤- تخصيص أهل الجاهلية بعضًا من الأنعام لذكورهم دون إناثهم، افتراءً على الله ﷻ:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩﴾ [الأنعام: ١٣٩].

فقد كان أهل الجاهلية يخصون ما في بطون هذه الأنعام التي حرموا الانتفاع بها، وهي: البحائر، والسوائب، من لبن وأجنة على ذكورهم دون إناثهم، أمَّا إنْ كان ما في بطونها

---

(١) انظر: معالم التنـــزيل (٣/ ١٩٣)، ومفاتيح الغيب (١٣/ ١٧٠)، وفتح القدير (٢/ ١٦٧).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ١٠٨).
(٣) جامع البيان (١٢/ ١٤٦).

ميتة فهم فيه شركاء جميعًا، يأكل منه الرجال والنساء[١].

ثم أخبر سبحانه أنه سيجزيهم (وصفهم) حين وصفوا ما أحله الله بأنه حرام، ووصفوا الحرام بالحلال، فناقضوا شرعه، وخالفوا أمره، ثم نسبوا ذلك إليه[٢].

فهو سبحانه (حكيم عليم) فالله حكيم في مجازاتهم على وصفهم الكذب، وقيلهم الباطل، حكيم في سائر تدبيره في خلقه، عليم بما يصلحهم[٣].

فهذه صور من التشريعات الباطلة التي ذكرها الله ﷻ عن أحوال بعض أهل الجاهلية التي لم يدلَّ عليها شرع ولا عقل، وأهلها في صنيعهم كانوا في ضلالة وبعد عن الهدى؛ ولهذا قال سبحانه بعد ذكره التشريعات السابقة الباطلة: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠].

فأخبر تبارك وتعالى بهلاك هؤلاء المفترين على ربهم الكذب، الذين عدلوا به الأوثان والأصنام؛ حيث زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم، وتحريم ما أنعم الله به عليهم من النعم، فحرموا ما أحل الله لهم، افتراءً عليه، فهم بذلك قد تركوا طريق الحق في فعلهم، ولم يكونوا على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلونها من قبل ذلك، ولا كانوا مهتدين للصواب فيها، ولا موفقين لها[٤].

وقال سبحانه ممتنًّا على عباده بما أنعم عليهم من الأنعام، أكلاً وركوبًا، محذرًا من اتباع طريق الشيطان الذي كان عليه أهل الشرك في التحليل والتحريم: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام: ١٤٢].

فهو الذي رزقكم هذه الأنعام، منها (حمولة) أي ما يحمل عليه من الإبل وغيرها، ومنها

(١) انظر: معالم التنـــزيل (٣/ ١٩٤)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٩٦).
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٠٨).
(٣) انظر: جامع البيان (١٢/ ١٥٣).
(٤) انظر: المصدر السابق (١٢/ ١٥٤).

(فرش) صغار الإبل، وقيل: الغنم لدنوه من الأرض[١].

ثم قال سبحانه: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ «أي من الثمار والزروع والأنعام، فكلها خلقها الله تعالى، وجعلها رزقًا لكم، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، أي طرائقه وأوامره، كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله، أي: من الثمار والزروع افتراءً على الله»[٢].

وبعد ما بيّنه الله ﷻ من تشريعات باطلة كان عليها أهل الجاهلية، من تحليل وتحريم لطائفة من الحيوان، بيّن سبحانه زيف هذه التشريعات ومخالفتها للفطر السليمة، والعقول الصحيحة، فقال سبحانه: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤].

فهذه حجة بينها الله ﷻ ليحتج بها نبيه ﷺ على أهل الجاهلية، الذين بحروا البحائر، وسيّبوا السوائب، وشرعوا في هذه البهائم شرعًا من عند أنفسهم؛ حيث بيّن لهم أنَّ هذه الأنعام التي سخرها الله ﷻ لهم هي ثمانية أزواج مفصّلة: من الضأن ذكر وأنثى، ومن المعز ذكر وأنثى، فهذه أربعة، ومن الإبل ذكر وأنثى، ومن البقر ذكر وأنثى، فهذه أربعة، ثم أمر نبيه ﷺ بأن يسأل هؤلاء هل حرم عليهم ذكور الضأن والمعز؟ أم حرم عليهم الإناث من الضأن والمعز؟ وإجابتهم معروفة؛ لأنهم لم يكونوا يحرمون الذكور الخلّص، ولا الإناث الخلَّص من الصنفين.

بقي إذا كان الرحم مشتملاً على ذكر وأنثى، فهل تحرمون ما اشتمل عليه رحم الأنثى من الضأن والمعز من غير فرق بين ذكر وأنثى، فلستم تقولون بهذا - أيضًا - وكذلك الحال

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٤٤).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٣٤٤).

في الإبل والبقر.

ومن المعلوم أنهم لا يمكنهم أنْ يقولوا قولاً سائغًا في العقل إلا واحدًا من هذه الأقوال الثلاثة، وهم لا يقولون بشيء منها، ولكنهم اصطلحوا على اصطلاحات من عند أنفسهم، حرام على الإناث دون الذكور، أو محرمة في وقت دون وقت، أو نحو ذلك من تشريعاتهم الباطلة، التي مصدرها الجهل المركب، والعقول المختلفة، المنحرفة، والآراء الفاسدة، التي لم ينـــزل الله بها من سلطان.

فإذا تبين بطلان قولهم وفساده، قيل لهم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾، أي لم يبق عليكم إلا دعوى لا سبيل لكم إلى صحتها، وهي أنْ تقولوا: إنَّ الله وصانا بذلك، وهذا افتراء لا يجهله أحد، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، فمن أشد ظلمًا، وأبعد عن الحق ممن تخرص على الله الكذب وأضاف إليه تحريم ما لم يحرم، وتحليل ما لم يحلل[(١)].

هذه صور من التشريعات الباطلة المتعلقة بأنواع من الحيوان؛ كان عليها أهل الجاهلية، ذكرها الله ﷻ في كتابه مبينًا جهلهم وضلالهم بذلك.

ويدخل في ذلك كلٌّ من اعتقد في الحيوان عقائد مخالفة لما جاءت به الشرائع، مثل ما كان عليه البراهمة[(٢)] من تحريم ذبح الحيوان رحمة به، وتحريمًا لإيذائه بغير جرم[(٣)].

---

(١) انظر: جامع البيان (١٢/ ١٨٤-١٨٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٣١٠).

(٢) البرهمية: هي الهندوسية، وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من التقاليد والعقائد والعادات، ولا يعرف على التحديد متى ظهرت، ولا من أسسها، ولهم معبودات كثيرة، وقد حظيت البقرة عندهم بمكانة عالية، حيث يعبدونها، ومن أشهر عقائدهم: التثليث، قانون الجزاء، تناسخ الأرواح، وينقسم المجتمع عندهم إلى طبقات، ومن أشهر كتبهم: (الفيداء) بأقسامها.
انظر: الملل والنحل، محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ، (٢/ ٢٤٩-٢٥٥)، ومقارنات الأديان، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م، (١٩-٤٥)، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ، (٤٩-٥٩).

(٣) انظر: الملل والنحل (٢٤٩-٢٥٥)، وتلبيس إبليس، أبو الفرج ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، (١٩٠، ٢٢٥).

ومن الناس من كان يمنع من ذبحه وأكل لحمه خوفًا أنْ يكون قد حلت فيه روح أحد أجدادهم؛ فلا يجوز عندهم قتل أي حيوان، وإن كان مؤذيًا(١)(٢).

ويدخل في ذلك كل من حرَّم أكل لحم الحيوان، أو امتنع عمَّا يخرج منه محتجًا بأنَّ في ذلك إيذاءً له، فيحرم ما أحل الله ﷻ، ومن هؤلاء طائفة من الزهاد والمتصوفة(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان مخالفة هذه الطريقة لهدي النبي ﷺ: «ومنهم - أي الزهاد - من لا يرى ذبح شيء من الحيوان، كما هي عليه البراهمة، ومنهم من لا يحرم ذلك، ولكنه هو يتقرب إلى الله بأنه لا يذبح حيوانًا ولا يأكل لحمه، ولا ينكح النساء، ويقول مادحه: فلان ما نكح ولا ذبح.

وقد أنكر النبي ﷺ على هؤلاء كما في الصحيحين عن أنس: ((أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني))(٤).

وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾ [المائدة: ٨٧]»(٥).

وقال أيضًا ردًّا على من يرى في ذبح الحيوان ظلمًا له: «وكذلك الذي يدع ذبح الحيوان، أو يرى أنَّ في ذبحه ظلمًا له هو جاهل، فإن هذا الحيوان لا بد أنْ يموت، فإذا قتل لمنفعة الآدميين وحاجتهم كان خيرًا من أنْ يموت موتًا لا ينتفع به أحد، والآدمي أكمل منه،

(١) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية، عدد (١٥)، مقال: السنن الكونية، د. محمد تقي الدين الهلالي.
(٢) وسوف يأتي إن شاء الله في الفصل الخامس الكلام على مسألة تناسخ الأرواح.
(٣) انظر: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن الجوزي (١٨٧).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٤٣٨) برقم (٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤونة (٩١٠) برقم (١٤٠١).
(٥) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥١٠-٥١١).

ولا تتم مصلحته إلا باستعمال الحيوان في الأكل والركوب ونحو ذلك»[(١)].

وممن كان يرى تحريم أكل اللحم: أبو العلاء المعري[(٢)]؛ حيث مكث خمسًا وأربعين سنة لا يأكل اللحم، ولا البيض، ولا يشرب اللبن، ويحرّم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تنبت الأرض[(٣)].

قال ابن الجوزي[(٤)] في بيان ضلاله في هذا المسلك: «ولقيه رجل، فقال: لم لا تأكل اللحم؟ فقال: أرحم الحيوان، قال: فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان؟ فإن كان الخالق الذي دبر ذلك فما أنت بأرأف منه، وإن كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها، ولا أتقن عملاً منها.

قال المصنف رحمه الله: وقد كان يمكنه ألا يذبح رحمة، فأما ما قد ذبحه غيره، فأي رحمة بقيت في ترك أكله، وقد كانت أحواله تدل على اختلاف عقيدته»[(٥)].

---

(١) المرجع السابق (١٠/ ٥١٣-٥١٤).

(٢) هو: أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، الشاعر، اللغوي، كان متضلعًا في فنون الأدب، له تصانيف كثيرة مشهورة، قرأ على أبيه وعلى علي بن محمد النحوي، وأخذ عنه أبو القاسم التوخي، وأبو زكريا التبريزي، وغيرهما، عمي وهو صغير، وسمى نفسه رهين المحبسين للزوم منـــزله وذهاب عينيه، ورمي بالإلحاد، وأشعاره دالة على ذلك، توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، (١/ ١١٣-١١٦)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣-٣٩)، والبداية والنهاية (١٢/ ٩١-٩٥).

(٣) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج ابن الجوزي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ، (٨/ ١٨٤)، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، (١/ ١٤٠٧)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٥)، والبداية والنهاية (١٢/ ٩١).

(٤) هو: أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، الحنبلي، القرشي، التيمي، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان واعظًا فقيهًا محدثًا، صنف في فنون عديدة، من أشهرها: زاد المسير في التفسير، والموضوعات، والمنتظم في التاريخ، سمع من أبي القاسم بن الحصين، والدينوري، وغيرهم، وسمع منه الحافظ عبد الغني وابن عبد الدائم وغيرهما، توفي سنة: ٥٩٧هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠-١٤٢)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ٩٢-٩٦).

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٨/ ١٨٤).

ويدخل أيضًا في هذا التشريع الباطل طائفة من (النباتيين)[1]، وهم الذين يقتصرون على أكل النبات، ويمتنعون عن أكل لحم الحيوان ومشتقاته، ديانة على طريقة البراهمة الذين سبق الحديث عنهم، فيحرمون على أنفسهم ما أحلَّ الله لهم، فالذي خلق الحيوان هو الذي سخره للإنسان ليأكل منه، وهو ﷻ أرحم بالإنسان والحيوان من غيره.

فكل من اعتقد في شيء من الحيوان خلافًا لما شرعه الله ﷻ أو شرعه أنبياؤه عليهم الصلاة والسلام فقد سلك تشريعًا باطلاً، وخالف أمر الله ﷻ فيما سخّره له لحكمة يعلمها ﷻ؛ إذ هو أحكم الحاكمين، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

---

(١) النباتيون: هم الذين يعتمدون في تغذيتهم على أكل النبات، ويمتنعون عن أكل لحم الحيوان ومشتقاته، أو عن بعض منها، وذلك لأسباب:

١- دينية عند طائفة كبيرة منهم؛ معللين ذلك بأن الإنسان من الحيوان، وكل حيوان إنما يعيش بالتغذية بالنباتات، فحرموا ذبحه وإيلامه والاعتداء عليه؛ لما فيه من الظلم بزعمهم، وهذا عليه كثير من ديانات الهند وغيرهم.

٢- صحية: حيث يرى طائفة من النباتيين أنَّ أضرار اللحوم أكثر من منافعها، وقد يؤدي أكل بعضها إلى شيء من الأمراض.

٣- أخلاقية: حيث يمتنع طائفة من النباتيين عن أكل لحم الحيوان رحمة له، باعتبار ما يحدث للحيوان في المذابح قبل ذبحها أو خوفًا عليها من الألم.

والنباتيون على أنواع:

فمنهم النباتيون الخالصون، وهم الذين لا يتناولون اللحم، ولا الأسماك، ولا البيض، ولا منتجات الألبان، ولا العسل.

ومنهم: الذين لا يتناولون اللحم ومشتقاته، إلا أنهم يتناولون مشتقات الألبان فقط.

ومنهم: الذين لا يتناولون اللحم ومشتقاته، إلا أنهم يتناولون البيض فقط.

ومنهم الذين لا يتناولون اللحم ومشتقاته، إلا أنهم يتناولون البيض ومنتجات الألبان فقط.

ومنهم الذين لا يتناولون اللحم إلا أنهم يتناولون الأسماك فقط.

انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ١٠٥)، وجريدة الشرق الأوسط، عدد (١١١٢٨)، يوم الأحد ٢٢/ ٥/ ١٤٣٠هـ، والشبكة العنكبوتية — منتديات النباتيين — مذهب النباتيين، عبد الله النديم.

المطلب الرابع: تصوير الحيوان:

الله تبارك وتعالى هو الخالق البارئ المصور، فالمصور من أسمائه ﷻ كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

فهو الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريدها ويختارها، وهو الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها[١].

فالله ﷻ هو المصور أي: الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كلَّ شيء منها صورة خاصة، وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها[٢].

فهو سبحانه الذي خلق المخلوقات من إنسان، وحيوان، وجماد، وغيرها، ثم برأها ثم صوَّرها.

«فالخالق هو المقدر قبل الإيجاد، والبارئ الموجد من العدم على مقتضى الخلق والتقدير، وليس كل من قدَّر شيئًا أوجده إلا الله (والمصور) المشكل لكل موجود على الصورة التي أوجده عليها، ولم يفرد كل فرد من موجوداته على صورة تختص به إلا الله سبحانه وتعالى، كما هو موجود في خلق الله للإنسان والحيوان والنبات، كل في صورة تخصه»[٣].

فتصوير الحيوان وإيجاده على هذه الصورة التي أرادها الله ﷻ دليل على وحدانيته، وربوبيته فهو سبحانه المتفرد بالخلق والبرء والتصوير.

ولهذا جاء الوعيد الشديد في تصوير ذوات الأرواح؛ لما فيه من منازعة الله ﷻ في ربوبيته؛ حيث يصنع ما يصنع ليضاهيَ خلق الله ﷻ[٤].

فيحرم تصوير ما له روح من حيوان أو غيره، سواء أكان مجسمًا (ما له ظل) أم غير

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٠٦).

(٢) انظر: لسان العرب (٤/ ٤٧١) مادة (صور).

(٣) أضواء البيان (التتمة) (٨/ ١٢٣-١٢٤).

(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٤هـ، (٢/ ٤٤٤).

مجسم (ما ليس له ظل)[١].

هذا من حيث الصنعة، أمّا من حيث الاستعمال، فالذي دلَّت عليه عموم الأدلة تحريم استعمال ما فيه صور ذوات أرواح من حيوان وغيره، ويستثنى من ذلك:

١- ما كانت الصورة فيه ممتهنة كالتي تكون على البساط أو الوسائد أو غيرها[٢].

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، (١٤/ ٨١)، والمغني، عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، (١٠/ ٢٠٢).

ومما استجد في العصور المتأخرة ما يسمى بالتصوير الآلي (الفوتوغرافي) وقد اختلف فيه العلماء المعاصرون على قولين:

القول الأول: تحريم التصوير الآلي ودخوله في التصوير المحرم، لأنه لا يخرج عن كونه تصويرًا والأدلة دلت على تحريم التصوير عمومًا، وهذا رأي الشيخ محمد بن إبراهيم، انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، مطبعة الحكومة، بمكة المكرمة، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٣٩٩هـ، (١/ ١٨٣-١٨٨)، والشيخ عبد العزيز بن باز، انظر: مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، عبد الله الطيار، دار الوطن، ط١، ١٤١٦هـ، (٢/ ٨١٤)، والشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، انظر: آداب الزفاف في السنة المطهرة، محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤٠٤هـ، (١٠٤-١٠٦).

القول الثاني: أن التصوير الآلي (الفوتوغرافي) لا يدخل في التصوير لأنّ الذي يصور صورة فوتوغرافية لا يصور في الواقع، غاية ما هنالك أنه يلقي الضوء الشديد على جسم أمامه، فيلتقط صورته في لحظة، فهو حبس للظل فقط، كالآلة التي تصور الأوراق، فالآلة أعادت كتابة صاحب الأوراق فقط، وهذا الشخص حبس الظل عن هذه الصورة، واختار هذا القول: الشيخ محمد العثيمين، انظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، مدار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ، (٦/ ٤١٩-٤٢٠)، والشيخ سيد سابق، انظر: فقه السنة، سيد سابق، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، (٣/ ٢٦٢).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، أبو الحسن ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ (٩/ ١٧٩)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، =

٢- لعب الأطفال[١].

٣- ما كان في استعماله ضرورة كالصورة التي تكون في النقود والبطاقات[٢].

والحديث عن التصوير وأحكامه مبسوط في كتب الفقه، وكذلك في كتب شروح الأحاديث، والذي يعنى الحديث به هنا هو الكلام على التصوير وعلاقته بالتوحيد، ومسائل العقيدة؛ إذ إنَّ علَّة التصوير ما يأتي:

أولاً: ما فيه من مضاهاة لله ﷻ في خلقه:

ففي التصوير خلق وإبداع، يكون المصور مشاركًا لله تبارك وتعالى في ذلك الخلق والإبداع[٣].

ودليل ذلك ما روته عائشة[٤] رضي الله عنها، قالت: ((قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت بقِرام[٥] لي على سَهْوَةٍ[٦] لي فيها تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه، وقال:

تحقيق: محي الدين مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ، (٥/ ٤٢٦)، والمغني (١٠/ ١٩٩).

(١) انظر: المفهم (٥/ ٤٢٧)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٨٢)، وشرح رياض الصالحين (٦/ ٤٢٦).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين (٦/ ٤٢٥).

(٣) انظر: القول المفيد (٢/ ٤٣٥).

(٤) هي: أم المؤمنين، أم عبد الله، الصديقة، عائشة بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما، زوج رسول الله ﷺ، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع، ولم يتزوج بكرًا سواها، وتوفي النبي ﷺ وهي بنت ثمان عشرة سنة، توفيت سنة ٥٧هـ. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٨٨١-١٨٨٥)، الثقات لابن حبان (٣/ ٣٢٣)، ومعرفة الثقات، أحمد بن عبد الله العجلي، تحقيق: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة، ط١، ١٤٠٥هـ، (٢/ ٤٥٥).

(٥) القِرام: هو ستر فيه رقم ونقش، وقيل: ثوب من صوف ملون يفرش في الهودج. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، اعتنى به: أبو قتيبة نظر الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٩هـ، (١٣/ ٤٦٩).

(٦) السَّهْوَة: صُفَّة من جانب البيت، وقيل: الرف، وقيل غير ذلك. انظر: المرجع السابق (١٣/ ٤٧٠).

أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون[(١)] بخلق الله، قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين))[(٢)].

فالتصوير كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأن فيه مضاهاةً لله ﷻ في خلقه، ومشابهة له، وليست الحكمة خاصة فيمن صنع الصور لتعبد من دون الله، بل هو عام في جميع تصوير ذوات الأرواح؛ وليست النية شرطًا في المضاهاة؛ لأن المضاهاة حاصلة سواءٌ أكانت بنية أم بغير نية[(٣)].

أمَّا من صوَّر قاصدًا أنْ يضاهي؛ فإنه يصير بذلك القصد كافرًا[(٤)].

وهذا يبين خطورة صور الحيوانات والطيور التي انتشرت في هذه الأزمان وأصبح بعض الناس يمتهن مهنة الرسم والتصوير، فصارت هذه الصور تباع في أماكن كثيرة، ويتساهل فيها الناس، حيث انتشرت صور وتماثيل الحيوانات في البيوت وغيرها، مع ما فيها من مضاهاة لخلق الله ﷻ، فالله المستعان.

ثانيًا: أنَّ التصوير وسيلة من وسائل الشرك:

التصوير هو منشأ الوثنية، وما دخل على القرون قبلنا إنما هو من هذا الباب[(٥)].

فتصوير ذوات الأرواح وسيلة إلى الغلو فيها، الذي يؤدي إلى عبادتها من دون الله ﷻ، وقد وقع التصوير في الأمم السابقة لذوات الأرواح الذي كان وسيلة إلى الشرك، وعبادتها، فمنه ما كان تصويرًا للصالحين من الأنبياء وغيرهم، ومنه ما كان تصويرًا للحيوان.

فمن القسم الأول ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا

---

(١) يضاهون: أي يشبهون ما يصنعونه بما يصنعه الله. انظر: المرجع السابق (١٣/ ٤٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: ما وطء من التصاوير (٥٠٥) برقم (٩٥٥٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان (١٠٥٥) برقم (٢١٠٧).

(٣) انظر: القول المفيد (٢/ ٤٤٣).

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٩١)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٦٥).

(٥) انظر: حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن قاسم، ط٣، ١٤٠٨هـ، (٣٧١).

﴿سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]، أنَّ هذه أسماء أصنام لرجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أنِ انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت(١).

فكان التصوير من الوسائل التي أوقعت قوم نوح في الشرك.

ومن القسم الثاني: وهو تصوير الحيوان الذي أصبح وسيلة للشرك وعبادته من دون الله ﷻ ما قصه الله ﷻ عن قوم موسى عليه الصلاة والسلام من اتخاذهم العجل، وعبادتهم له من دون الله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وقال أيضًا: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٨-٨٩].

فحين ذهب موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه ﷻ، وجعل أخاه هارون عليه الصلاة والسلام خليفة على قومه، اتخذ قومه من بعده من حليهم الذي استعاروه من أقباط مصر تمثالاً على صورة عجل، صوره لهم السامري الذي ألقى على صورة العجل قبضة من تراب، كان أخذها من أثر فرس جبريل ؑ، فصار عجلاً جسدًا له خوار، الذي هو صوت البقر، ثم عبدوا هذا العجل من دون الله ﷻ، مع أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً، بل كانوا على جهل وضلالة وظلم في صنيعهم هذا.

ثم تابوا وندموا على صنيعهم ذلك، وقالوا: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله ﷻ(٢).

واختُلِف في هذا العجل هل كان جسدًا جامدًا بعد تصويرهم له؟ أم أنَّ الله ﷻ جعل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب: (ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق)، (٤٢٣) برقم (٤٩٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: معالم التنــزيل (٣/ ٢٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٧١)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٧٣).

فيه الحياة فأصبح جسدًا بلحم ودم(١).

فكان تصوير الحيوان وسيلة من وسائل الشرك بالله ﷻ، وقيل: إنَّ سبب صناعة هذا العجل وتصويره لأن السامري كان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادتها في نفسه(٢).

ثالثًا: أنَّ التصوير فيه مشابهة لمن كانوا يصنعون الصور والتماثيل لتعبد من دون الله ﷻ:

إذا عُلمَ أنَّ أول شرك وقع في الأرض كان سببه تصوير الصالحين، ثم الغلو في صورهم؛ فإن في صناعة الصور مشابهةً لمن كانوا يصنعون الصور والتماثيل لتعبد من دون الله ﷻ(٣).

فجاء الإسلام محذرًا من التشبه بالمشركين وبأفعالهم، وإن لم يقصد التشبه بهم سدًّا للذريعة التي قد توصل إلى ما وصل إليه حال أولئك.

هذه أبرز العلل التي جعلت التصوير من كبائر الذنوب، وجاء فيه الوعيد الشديد؛ مما يدل على منافاته لكمال التوحيد الواجب.

وقد جاء في التصوير والمصورين نصوص كثيرة تحذر من صنيعهم على وجوه متعددة فمن ذلك:

١- أنّ المصوِّرين هم أشد الناس عذابًا يوم القيامة:

ودليل ذلك ما رواه ابن مسعود(٤)، ؓ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((إنّ أشدّ الناس

---

(١) انظر: معالم التنـــزيل (٣/ ٢٨٣)، ومفاتيح الغيب (١٥/ ٧)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٧٣)، وهو قول ضعيف قال به بعض المفسرين يخالف المشهور عن جمهورهم .

(٢) انظر: جامع البيان (٢/ ٦٦)، وأضواء البيان (٤/ ٤٩٠).

(٣) انظر: المفهم (٥/ ٤٢٢)، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م، (١/ ١١٦).

(٤) هو: أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود الهذلي، كان من أقرأ الصحابة للقرآن، بعثه عمر إلى الكوفة مفقهًا ومقرئًا وأميرًا، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، شهد بدرًا وما بعدها، وهو الذي أجهز على أبي جهل، روى كثيرًا من الأحاديث، وحدث عنه: علقمة =

عذابًا عند الله يوم القيامة المصوِّرون))[١].

فمن صوّر صورة بقصد مضاهاة خلق الله ﷻ، أو صوَّرها لتعبد من دون الله ﷻ فهو أشد الناس عذابًا لوقوعه في الكفر.

وأما من صور لا قصدًا للمضاهاة، ولا لتعبد من دون الله ﷻ ولكن للتكسب أو غير ذلك، فهو من أشد الناس عذابًا[٢]؛ بدليل بعض روايات مسلم التي فيها لفظة (من) وفعله كبيرة من كبائر الذنوب؛ حيث وصف عذابه بالأشد.

٢- تكليف المصور يوم القيامة نفخ الروح في الصورة وليس بنافخ:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما[٣] أنَّ النبي ﷺ قال: ((من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أنْ ينفخ فيها الروح وليس بنافخ))[٤].

فهذا التكليف زيادة في تعذيبه يوم القيامة، وإظهار عجزه ومبالغة في توبيخه وقبح فعله[٥].

ومعروف وغيرهما، توفي سنة ٣٢هـ في المدينة. انظر: الإصابة (٤/ ٢٣٣-٢٣٥)، ومعرفة الثقات للعجلي (٢/ ٥٩).

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب: عذاب المصورين يوم القيامة (٥٠٤) برقم (٥٩٤٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان برقم (٢١٠٩).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٩١)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٦٤).

(٣) هو: أبو العباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ، ولد قبل الهجرة بأربع سنين، دعا له النبي ﷺ بالحكمة والفقه، كان يسمى الحبر والبحر لسعة علمه، وهو أحد المكثرين من الصحابة، توفي سنة ٦٨هـ بالطائف. انظر: الإصابة (٤/ ١٤١-١٥١)، والثقات (٣/ ٢٠٧)، وتقريب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، ١٤٠٦هـ، (٣٠٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ (٥٠٥) برقم (٥٩٦٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، (١٠٥٦) برقم (٢١١٠).

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٨١).

٣- يجعل للمصور بكل صورة صورها نفسًا يعذب بها في جهنم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسًا فتعذبه في جهنم)) وقال: - أي ابن عباس - لرجل معيشته من صنعة يده، وهي: صنع التصاوير حين جاءه مستفتيًا: ((إن كنت لا بدَّ فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له))(١).

فعقوبة المصور التي دل عليها هذا الحديث أنَّ المصور يجعل له يوم القيامة في جهنم مقابل كل صورة صورها نفسًا تعذبه، فقيل معناه: أنَّ الصورة التي صورها يجعل لها روح فتعذبه، وقيل: المراد يجعل له بعدد كل صورة ومكانها شخص يعذبه فتكون الباء بمعنى لام السبب(٢).

والأقرب أنَّ المراد بهذا التعذيب هو ما في الحديث من كونه يؤمر بنفخ الروح فيها تعجيزًا له(٣).

٤- الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة:

عن أبي طلحة(٤) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تدخـــل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب البيوع، باب: بيع التصاوير التي ليس فيها روح (١٧٢) برقم (٢٢٢٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (١٠٥٦) برقم (٢١١٠)، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٩٠)، وفيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، (٥/ ٤١).

(٣) انظر: القول المفيد (٢/ ٤٤٥).

(٤) هو: أبو طلحة، زيد بن سهل بن الأسود، الأنصاري، زوج أم أنس بن مالك، شهد بدرًا وما بعدها، وكان فارس رسول الله ﷺ، كان من كبار الصحابة، توفي سنة ٣٤هـ. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد بن الأثير، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، (٢/ ٣٤٥-٣٤٦)، والثقات (٣/ ١٣٧).

تصاوير))[١].

فهذا وعيد للمصور؛ حيث حرم من دخول الملائكة إلى بيته؛ لكون ما صنعه معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، فعوقب بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه ودفعها أذى الشيطان[٢].

وقيل: إنَّ المراد بالملائكة الذين لا يدخلون البيت الذي فيه صورة هم عموم الملائكة، باستثناء الحفظة؛ إذ هم لا يفارقون الشخص في كل حال، وقيل: بل هو عام في جميع الملائكة حتى الحفظة، لجواز أنْ يطلعهم الله ﷻ على عمل العبد وهم بباب الدار والله تعالى أعلم[٣].

٥- لعن المصور:

فعن أبي جحيفة[٤] ﵁ أنه اشترى غلامًا حجامًا، فقال: ((إن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم، وثمن الكلب، وكسب البغي، ولعن آكل الربا وموكله، والواشمة والمستوشمة، والمصور))[٥].

فلعن المصور دليل على وقوعه في كبيرة من كبائر الذنوب، حيث طرد وأخرج من رحمة الله ﷻ وفي هذا وعيد شديد للمصورين.

٦- لا أحد أظلم من المصور:

عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ: ((ومن أظلم ممن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، باب: التصاوير (٥٠٤) برقم (٥٩٤٩).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٨٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٨٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٦٠).

(٤) هو: أبو جحيفة، وهب بن عبد الله بن جنادة السوائي، العامري، صحابي جليل، سكن الكوفة، حدث عنه ابنه عون وأبو إسحاق، صحب عليًّا، وكان يقال له: وهب الخير، واشتهر بكنيته، مات سنة ٧٤هـ. انظر: أسد الغابة (٥/ ٤٧٧-٤٧٨)، والثقات (٣/ ٤٢٨)، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، (٣/ ٢١٥)، وتقريب التهذيب (٥٨٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: من لعن المصور (٥٠٥) برقم (٥٩٦٢).

ذهب يخلق خلقًا كخلقي، فلْيخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة))[١].

فهذا توبيخٌ للمصور على تشبهه بالله فيما صور، فالله ﷻ أحكم وأتقن على غير مثال احتذاه ولا من شيء قديم ابتدأه، بل أنشأ من العدم، وابتدع من غير معلوم، وأنتم صورتم أشياء موجودة مضاهين له، موهمين أنكم خلقتم كخلقه، فاخلقوا أقلَّ مخلوقاته وأحقرها من الذرة والحبة إنْ كنتم صادقين[٢].

ولهذا جعلهم الله ﷻ بصنيعهم هذا أظلم الظالمين وتحداهم بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، باب: نقض الصور (٥٠٤) برقم (٥٩٥٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (١٠٥٦) برقم (٢١١١)، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٥٥٥).

المطلب الخامس: تغيير خِلْقَة الحيوان:

عداوة الشيطان لبني آدم عداوة قديمة منذ خلق الإنسان، وهي مستمرة إلى يوم القيامة؛ ولهذا حذر الله تبارك وتعالى من اتباعه وأخبر بعداوته لنا، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

ومن الطرق التي سلكها الشيطان لغواية بني آدم التصرف في الحيوان على غير هدي الله ﷻ وشرعه، وتغيير خلق الله ﷻ في الحيوان وغيره، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٦-١١٩].

فهذا قَسَمٌ من الشيطان لَيصرفنَّ بني آدم عن طريق الهدى، وأقسم - أيضًا - أنْ يحمل بني آدم على تبتيك آذان الأنعام، أي قطع آذانها علامة على البحيرة والسائبة، حيث كان أهل الجاهلية يقطعون آذان الأنعام، ويشقونها، ويجعلون ذلك سمة وعلامة على ذلك(١).

وهذا التبتيك هو من تغيير خلق الله ﷻ(٢).

ثم أقسم الشيطان قسمًا آخر: ليأمرن بني آدم بتغيير خلق الله ﷻ.

وللعلماء في بيان المراد بتغيير خلق الله أقوال أشهرها:

القول الأول: أنَّ المراد بتغيير خلق الله ﷻ هو: خصاء ما لا يجوز خصاؤه، وفقء الأعين، وقطع الآذان، وذلك كله تعذيب للحيوان، وتحريم وتحليل بالطغيان؛ إذ الآذان في الأنعام جمال ومنفعة، وكذلك غيرها من الأعضاء؛ فلذلك رأى الشيطان أنْ يغير بها خلق الله تبارك وتعالى(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٦٧).

(٢) انظر: جامع البيان (٩/ ٢٢٣).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٨٨).

القول الثاني: أنَّ المراد بذلك: تغيير دين الله استدلالاً بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠][(١)].

القول الثالث: أنَّ المراد بتغيير خلق الله الوشم وما جرى مجراه، بدليل حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: ((لعن الله الواشماتِ والمستوشمات[(٢)]، والنامصات والمتنمصات[(٣)]، والمتفلجات للحسن[(٤)]، المغيرات خلق الله...الحديث[(٥)]))[(٦)].

القول الرابع: أنَّ المراد بذلك: أنَّ الله ﷻ خلق الشمس والقمر، والأحجار والنار وغيرها من المخلوقات ليعتبر بها وينتفع بها، فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة[(٧)].

ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور[(٨)].

يقول الطبري – رحمه الله – بعد اختياره للقول الثاني: «وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك كل ما يخص ما نهى الله عنه: من خصاء ما لا يجوز خصاؤه، ووشم ما نهى عن

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ٢١٨-٢٢٠).

(٢) الوشم: أن يفرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزرق أثره أو يخضر، والمستوشمة: التي يفعل بها ذلك. انظر: النهاية لابن الأثير (٩٧٤) مادة (وشم).

(٣) النامصة: التي تنتف الشعر من وجهها، والمتنمصة: التي تأمر من يفعل بها ذلك. انظر: المرجع السابق (٩٤٣) مادة (نمص).

(٤) الفلج: فرجة بين الثنايا والرباعيات، والمتفلجات: النساء اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهنّ رغبة في التحسين. انظر: المرجع السابق (٧١٦) مادة (فلج).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، باب المستوشمة (٥٠٤) برقم (٥٩٤٨)، ومسلم في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة...(١٠٥٨) برقم (٢١٢٥) واللفظ له.

(٦) انظر: معالم التنـــزيل (٢/ ٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٩١).

(٧) انظر: معالم التنـــزيل (٢/ ٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٩٣).

(٨) انظر: فتح القدير (١/ ٥١٧).

وشمه ووشره، وغير ذلك من المعاصي، ودخل فيه ترك كل ما أمر الله به، لأن الشيطان لا شك يدعو إلى جميع معاصي الله وينهى عن جميع طاعته، ذلك معنى أمره نصيبه المفروض من عباده، بتغيير ما خلق الله من دينه»(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مبينًا عدم المنافاة بين تفسير التغيير بتغيير الدين، وتفسيره بالخصاء وقطع الأذن: «لا منافاة بينهما، كما قال تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]، فتغيير ما خلق الله عليه عباده من الدين تغيير لخلقه، والخصاء وقطع الأذن تغيير لخلقه، ولهذا شبه النبي ﷺ أحدهما بالآخر في قوله: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء)).

فأولئك يغيرون الدين، وهؤلاء يغيرون الصورة بالجدع والخصاء، هذا تغيير لما خلقت عليه نفسه، وهذا تغيير ما خلق عليه بدنه»(٢).

فتغيير خلقة الحيوان من تغيير خلق الله ﷻ، الذي أقسم الشيطان - لعنه الله - ليأمرنَّ به بني آدم، وفي كتب الفقه تفاصيل لهذا التغيير، وبيان أحكامه.

ومناسبة دخول مباحث التغيير في مسائل الربوبية أنَّ في تغيير خلق الله ﷻ تعدِّيًا على ربوبيته؛ إذ هو سبحانه الذي خلق المخلوقات من إنس وحيوان وغيرها، وصورها على صورة اختارها، فلا خلق أتقن من خلقه، ولا تصوير أكمل من تصويره وصدق الله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

فمن غيَّر خِلْقة الحيوان تغييرًا لم يأذن به الشرع(٣)، فقد اعترض على خالقه تبارك

---

(١) جامع البيان (٩/ ٢٢٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ، (٤/ ٢٨٦).

(٣) من صور تغيير خِلْقة الحيوان التي أذن الشرع فيها:

١- خصاء البهائم لما فيه من المنفعة وحصول السمن، وجمهور العلماء على أنه لا بأس أن يضحي بالخصي، واستحسنه بعضهم إذا كان أسمن من غيره، وإنما جاز ذلك؛ لأنه لا يقصد

=

وتعالى، وطلب خلقًا أتم من خلقه، واتخذ الشطيان وليًّا له من دون الله ﷻ؛ ولهذا أخبر الله بهلاكه في قوله: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

فإذا كان تغيير خِلْقة الحيوان على ما كان يصنعه أهل الجاهلية من قطع آذان البحيرة والسائبة تقربًا بذلك لأصنامهم فهو كفر بالله ﷻ إجماعًا(١)، وكذلك فقء عين الحامي، وهو البعير الذي حمى ظهره عن الركوب لكثرة ما أنسَل، ويسيب للطواغيت(٢).

وإن كان تغيير خِلْقة الحيوان بقطع آذانه أو غيرها، لغرض الجمال والزينة كما يصنعه بعض تجار البهائم فإن هذا مما يحرم فعله، لما فيه من تغيير خلق الله ﷻ، ومشابهة أهل الجاهلية، وتعذيب الحيوان بغير حق(٣).

به التقرب إلى غير الله، وإنما نقصد به تطييب اللحم.

٢- وسم الحيوان في غير الوجه، أما في الوجه فحرام.

٣- إشعار البدن، ومعنى إشعارها جرحها في صفحة سنامها، ويسلت الدم عنها. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٨٩-٣٩١)، وأضواء البيان (٥/ ٥٧٤).

(١) انظر: أضواء البيان (١/ ٣١١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ٢٠٥).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش، (٢٦/ ١٥٨).

المطلب السادس: نظرية النشوء والارتقاء وعلاقتها بالحيوان:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بنظرية النشوء والارتقاء وعلاقتها بالحيوان:

نظرية النشوء والارتقاء[١] وهي ما يعرف بـــ(نظرية التطور)، تقوم هذه النظرية على القول بأن أشكال الحياة المختلفة تعود إلى أصل واحد مشترك، وأنها بدأت من خلايا حية بسيطة تكونت عن طريق المصادفة بعد عمليات كيميائية مركبة، ثم تطورت إلى كائنات كبيرة معقدة، وكان ذلك نتيجة تأثير عوامل طبيعية كالبيئة والمناخ، وموارد الغذاء وطرق الحصول عليه[٢].

ويوضح الدكتور حامد إسحاق خوجة تسلسل هذه النظرية عند دعاة التطور بالأمور الآتية[٣]:

١- أنَّ المخلوقات جميعها كانت بدايتها من خلية واحدة وهي (الأميبا)[٤].

٢- تكونت هذه الخلية من الحساء العضوي نتيجة لتجمع مجموعة من جزيئات البروتين وبينها بقية العناصر الأخرى، حيث أدت عوامل بيئية ومناخية إلى تجمع هذه الجزيئات في خلية واحدة هي: الأميبا.

٣- أنَّ جزيء البروتين تكون نتيجة لتجمع مجموعة من الأحماض الأمينية وترابطها بروابط

---

(١) يرى جمهور أهل البحث العلمي المعاصر، والمشتغلين بعلم الأحياء إلى أنها لا ترقى إلى مسمى (نظرية)، بل هي فرضية بيولوجية وهي أبعد شيء عن أن تكون نظرية، لعدم وجود أي دليل واقعي مشاهد ولو معمليًّا يرجح صحة الفرضية. انظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ، (٣٢١)، والعلمانية، سفر الحوالي، دار الهجرة، (١٧٩).

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ٢٥٠).

(٣) انظر: مجلة الإعجاز العلمي، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عدد (١١) شوال ١٤٢٢هـ، مقال بعنوان (حقيقة نظرية داروين)، د. حامد إسحاق خوجه.

(٤) كانت (الأميبا) هي أدنى الكائنات الحية في التصور، ثم جاء التصحيح إلى (الباكتيريا)، التي هي أدنى من (الأميبا)، ثم جاء التصحيح إلى ما هو أدنى منها وهو(الفيروس)، فالفيروسات في نظرهم الآن تتوسط الحد الفاصل بين الحي وغير الحي. انظر: كواشف زيوف (٣٣٠).

أمينية وكبريتية وهيدروجينية مختلفة، كذلك نتيجة لعوامل بيئية ومناخية مختلفة.

٤- أن الأحماض الأمينية تكونت بدورها نتيجة لاتحاد عناصر الكربون، والنتروجين، والهيدروجين، والأكسجين.

٥- أخذت الخلية الأولى تنقسم وتتطور إلى مخلوقات ذات خليتين، ثم إلى متعددة الخلايا، وهكذا حتى ظهرت الحشرات، والحيوانات، والطيور، والزواحف، والثدييات، ومن ضمنها الإنسان، كما أن جزءاً آخر من الخلية انقسم وتطور إلى أنواع من الخمائر، والطحالب، والأعشاب، والنباتات، الزهرية واللازهرية.

٦- أن الحيوانات في قمة تطورها أدت إلى ظهور الثدييات، والتي مثلت القرود قمة في سلسلة الحيوانات غير الناطقة.

٧- الإنسان هو نوع من الثدييات تطور ونشأ من القرود، ونتيجة لما تميز به الإنسان المعاصر من عقل، وتفكير، ومنطق كانت هناك مرحلة بين القرود والإنسان سميت بـــ(الحلق المفقودة).

فعند أنصار هذه النظرية أن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر الأرض بجرثومة أو جراثيم قليلة تطورت بتأثير عوامل طبيعية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه(١).

فالإنسان كانت بدايته جرثومة صغيرة جدًّا حتى وجدت نفسها في البيئة ثم تدرجت على مر الأزمان إلى حياة نباتية عاشت حول المستنقعات، ثم تدرجت ارتقاءً إلى حياة حيوانية بدائية ثم إلى حيوانات ريشية ومجنحة، ثم تحولت إلى ذوات فقرات، ثم ارتقت إلى حيوانات شبيهة بالإنسان، ثم كانت نهاية هذا التطور إنسانًا أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم، ثم إنسانًا كاملاً بعقله وإدراكه وتفكيره وهو إنسان اليوم(٢).

---

(١) انظر: الإنسان ونظرية داروين، محمد أحمد باشميل، مطبعة شركة الطبع اللبنانية، بيروت، ط١، ١٣٨٤هـ، (٢١).

(٢) انظر: الإنسان والداروينية، محمد صالح كريم خان، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٦م، (٢٧).

هذه هي خلاصة نظرية (التطور) التي ارتبطت في شهرتها وذيوعها بداروين[١].

ثم جاءت الداروينية الحديثة والتي تركز على أن التطور تم بسبب الطفرات[٢]، أو التغيرات المفاجئة في التراكيب الجزيئية المسؤولة عن الوراثة[٣].

وقد اضطر أصحاب (الداروينية الحديثة) إلى إجراء سلسلة من التعديلات عليها تستحق أن توصف – علميًّا – بأنها نظريات جديدة؛ حيث أضافوا قانونًا جديدًا أسموه (قانون التحولات المفاجئة)، أو(الطفرات) وهو قانون لا سند له إلا المصادفة البحتة.

ثم أرغموا على القول بأنه ليس هنالك أصل واحد نشأت عليه الحياة كلها، كما تخيل داروين، بل هناك أصول عدة تفرع عن كل نوع منها أنواع مستقلة، وأن الإنسان متفرد

---

(١) هو: الدكتور: شارلز روبرت داروين، طبيعي، ومؤلف إنكليزي، ولد سنة ١٨٠٩م في إنكلترا، ودرس الطب في جامعة أدنبرة، ثم تركها ودخل كلية (اليسوع)؛ لكون والده يرغب أن يكون ابنه قسيسًا، ثم حصل على الشهادة سنة ١٨٣١م، تأثر داروين ببحث مالثوس حول التزايد السكاني، فتوصل إلى فكرة (الانتخاب الطبيعي)، وفي سنة ١٨٥٩م نشر كتابه (أصل الأنواع)، ثم في ١٨٧١م نشر كتابه في أصل الإنسان، الذي ادعى فيه أن أصل الإنسان من رتبة حيوانية دون رتبة الإنسان، كانت وفاته سنة ١٨٨٢م. انظر: دائرة المعارف، البستاني، دار المعرفة، بيروت، (٧/ ٥٤٧-٥٤٨)، وداروين ونظرية التطور، شمس الدين آق بلوت، ترجمة أورخان محمد علي، دار الصحوة، القاهرة، (١١-١٤).

(٢) يقصد بالطفرة: التغيرات التي تحصل في طبيعة العامل الوراثي، أو شفرات الوراثة (د ن أ)، أي الحمض النووي الريبـــي منقوص الأكسجين، عن طريق الخطأ أو المصادفة، فينشأ تغير في ظهور صفات وراثية جديدة، أو نتيجة لهذا التغير تظهر أنواع مختلفة من الأحياء.

وهكذا يعتقد التطوريون أن السبب الرئيس للارتقاء أو التطور هو حدوث خطأ في المادة الوراثية، لكن العلم جاء بما يثبت خطأ التطوريين الجدد، حيث تبين للعلماء أن العبث بجزيئات الوراثة لا يؤدي إلا إلى آثار سلبية. انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ٢٥٤)، وداروين ونظرية التطور (٦٧-٦٨).

(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ٢٥٠).

(بيولوجيًّا) رغم التشابه الظاهري، وهو المنـــزلق الذي سقط منه داروين ومعاصروه[(١)].

يقول البروفيسور سمبسون الأستاذ في جامعة هارفارد في كتابه الشهير (الأشكال الرئيسية للنشوء): «لقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة بما لا يدع مجالاً للشك أن الكائنات الحية المعاصرة كافة بما فيها الإنسان قد ظهرت بشكل مفاجئ، وهي لا تمت بصلة قرابة للمخلوقات القديمة، كما أثبتت الأبحاث والعلوم عدم وجود تطور مستمر ولا أشكال متقدمة لحيوانات انتقالية تطورية»[(٢)].

أدلة نظرية النشوء والارتقاء:

اعتمد أصحاب هذه النظرية على أدلة زعموا أنها تدل على إثبات ما ذهبوا إليه:

١- علم الحفريات[(٣)]:

تعتمد هذه النظرية على ما شوهد في زمن داروين من الحفريات الأرضية، حيث وجدوا أن الطبقات القديمة تحتوي على كائنات أولية، وأن الطبقات التي تليها تحتوي على كائنات أرقى فأرقى، فذهبوا إلى أن تلك الحيوانات الراقية قد جاءت نتيجة للنشوء والارتقاء من الحيوانات والكائنات الأولى[(٤)].

فيقول أنصار التطور: إنه على الرغم من تأثير الحرارة والضغط ومياه الأمطار وغيرها على قسم كبير من الأحافير فأتلفتها، إلا أن ما وجد منها مفيد لتعزيز أدلة التطور، حيث

---

(١) انظر: العلمانية، سفر الحوالي (١٨٢)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٨هـ، (٢/ ٩٣٨).

(٢) نقلاً عن: الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان وتفنيد نظرية داروين، محمد نبيل النشواتي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ، (٣٠٧).

(٣) انظر: نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها، قيس القرطاس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ، (٧٢-٧٧)، والإسلام ونظرية داروين (٨٥).

(٤) انظر: توحيد الخالق والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد المجيد الزنداني، دار السلام، القاهرة، ط٥، ١٤٢٧هـ (٣/ ٨١).

اكتشفت آثار لأناسي منقرضة مثل: إنسان بكين، وإنسان جاوة، وإنسان نياندرتال[١]، وإنسان بلتدون[٢]، وغيرها، وهذه التي عثر عليها تشابه الأنواع الموجودة حاليًّا، وكلها – أيضًا – تدل على أن الإنسان القديم كان أقل رقيًّا من الإنسان الحالي، ويرون أنه لو عثر على أحافير جديدة فسوف يتم العثور على الشكل الذي تطور منه الإنسان[٣].

٢– تشابه الأجنة[٤]:

اعتمد أصحاب نظرية النشوء والارتقاء على علم الأجنة لإثبات نظريتهم، وذلك لما يوجد من تشابه – في زعمهم – بين أجنة مختلف الحيوانات في مراحلها الأولى.

وهذه الأجنة ومراحل تكونها تمثل عندهم إعادة لتاريخ حياة الكائنات بقانون الاستعادة.

---

(١) إنسان نياندرتال: يزعمون أنه نموذج الإنسان ما قبل التاريخ الذي عاش في أجزاء من أوربا وآسيا وأفريقيا من نحو ١٠٠٠٠٠ إلى ٣٥٠٠٠ سنة مضت، نسبة لوادي نياندرتال في ألمانيا. انظر: الموسوعة العربية العالمية (٣/٢٥٠).

(٢) إنسان بلتدون (بالإنجليزية): Piltdown Man كان خدعة كبيرة قدمت فيها بقايا عظام متحجرة على أنها تعود للإنسان الأول. هذه البقايا تتألف من عظام فك وأجزاء من جمجمة جمعت في عام ١٩١٢م من منجم حصى في بلتداون شرق ساسكس في إنجلترا. أعطي لهذه العينة اسم الإنسان الفجري أو باللاتينية Eoanthropus . ظلت أهمية هذه القطع المتحجرة موضع جدل حتى سطعت الحقيقة في عام ١٩٥٣م، وهي أن هذه القطع ما هي إلا قطع مزورة تم تركيبها عمدًا – فالفك السفلي هو لقرد الغاب وبقايا الجمجمة تعود لجمجمة إنسان حديثة. كذبة إنسان بلتداون ربما تعد الكذبة الأشهر في مجال الحفريات والآثار، وحتى على الصعيد العلمي وذلك لسبب رئيسي مهم وهو طول المدة التي مضت حتى كشفت الحقيقة – قريبًا من ٤٠ عامًا انظر الشبكة العنكبوتية موقع: ويكيبيديا (ar. wipedia. org).

(٣) انظر: نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها (٧٢).

(٤) انظر: توحيد الخالق، للزنداني (٣/ ٨٢)، وتهافت نظرية داروين في التطور أمام العلم الحديث، أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، (٣٨)، والموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ٢٥٢)، ونظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها (٦٨).

فالمراحل التي يمر بها الجنين أثناء تطوره وتكون أعضاؤه المختلفة تحكي قصة التطور التي يمر بها الفرد في تطوره عن أسلافه.

وعملية تكوين الجنين في الإنسان ما هي إلا استعادة لأطوار الجنين في عالم الحيوانات التي تعتبر أقل مرتبة منه، فالجنين ينتهي بما يشبه الذيل في كل من الإنسان والحيوان، وبتطور الجنين يختفي الذيل في جنين الإنسان، ويبقى في جنين الحيوان(١).

٣- علم التشريح المقارن(٢):

يزعم أنصار هذه النظرية أن من أدلتهم عليها: وجودَ سمات عامة، أو أوجه شبه في البنى التركيبية بين أفراد مجموعة تصنيفية معينة.

وهناك تشابه بين جميع الحيوانات في تركيب أجسامها من خلايا متشابهة، وأنسجة وأعضاء متماثلة، فأنسجة الكبد والمعدة لا تختلف جوهريًّا في الأرنب عنها في الإنسان.

وذلك - أيضًا - مثل تشابه بنية ذراع الإنسان مع الساق الأمامية للحصان، ومع جناح الخفاش(٣).

٤- الأعضاء الأثرية(٤):

من أهم الأدلة التي قدّمها التطوريون لإثبات نظريتهم هي: أن جسم الإنسان يحتوي على أعضاء لا تعرف لها وظيفة معينة، أو على أعضاء ضامرة، إذن فهي - على زعمهم - أعضاء أثرية انتقلت إلى الإنسان من أسلافه من الحيوانات، حيث كانت هذه الأعضاء ذات فائدة لها آنذاك، وعندما تطورت هذه الحيوانات وترقت إلى مستوى الإنسان لم تعد لها أي فائدة، فبقيت في جسم الإنسان من دون أي وظيفة أو فائدة سوى الإشارة إلى أن الإنسان

---

(١) انظر الموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ٢٥٢).

(٢) انظر: تهافت نظرية داروين في التطور (٤٧)، والموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ٢٥٢)، والإنسان والداروينية (٦٩)، ونظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها (٥٥).

(٣) انظر: المراجع السابقة.

(٤) انظر: تهافت نظرية داروين في التطور (٣٢)، والإنسان والداروينية (٧٠)، ونظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها (٥٩).

قد انحدر من سلالة حيوانية(١).

فوجود الزائدة الدودية في الإنسان التي هي المساعد في هضم النباتات وليس لها الآن عمل في الإنسان مما يوحي بأنها أثر بقي من القرود لم يتطور؛ لأنها تقوم بدورها في حياة القرود الآن(٢).

القوانين التي بنيت عليها نظرية النشوء والارتقاء:

١- ناموس تنازع البقاء(٣):

ويرى داروين أن الكائنات الحية في تنازع مستمر، وأن الأقوى منها هو الذي يبقى، بينما يتلاشى الضعيف لعدم صلاحيته للحياة.

ويمثل لذلك بسرب الأبقار الوحشية حين تتزاحم على المرعى، فيفوز القوي، ويزداد قوة إلى قوته، بينما يزداد الضعيف ضعفًا إلى ضعفه حتى يتلاشى، وهذا ما يعرف بناموس البقاء عندهم(٤).

٢- ناموس الانتخاب الطبيعي(٥):

يشرح داروين هذا الناموس معقبًا على ما مثل به من سرب الأبقار: فإذا انتقل هذا السرب إلى مسافة بعيدة، ومر بطريق وعرة فإن الأقوى هو الذي يصل إلى مأمنه، بخلاف الأضعف، وهذا يعني أن نتيجة هذا التنازع كله بقاء الأصلح، وهلاك غير الأصلح(٦).

فعوامل الفناء تقوم بإهلاك الكائنات الضعيفة الهزيلة، والإبقاء على الكائنات القوية، فيبقى القوي الذي يورث صفاته القوية لذريته، وتتجمع الصفات القوية، مع مرور الزمن مكونة صفة جديدة في ذلك الكائن، وهو ما يعرف بـــ(النشوء) الذي يجعل الكائن يرتقي

---

(١) انظر: تهافت نظرية داروين في التطور (٣٩).

(٢) انظر: توحيد الخالق، للزنداني (٣/ ٨٢).

(٣) انظر: الإسلام ونظرية داروين (٤٣)، والإنسان والداروينية (٤٣).

(٤) انظر: المراجع السابقة.

(٥) انظر: الإسلام ونظرية داروين (٤٤)، والإنسان والداروينية (٤٤).

(٦) انظر: المراجع السابقة.

بتلك الصفات الناشئة إلى كائن أعلى، وهكذا يستمر التطور، وهذا ما يعرف بــ(الارتقاء)[١].

٣- ناموس المطابقة[٢]:

يرى داروين أن لنوعية الأغذية وطرق الوصول إليها دخلاً كبيرًا في إحداث الاختلافات بين الأنواع.

ويمثل لذلك بالأسد؛ إذ هو من الحيوانات المفترسة آكلات اللحوم، له أنياب حادة، وبراثن قوية، فلو أوجد الأسد على مر آلاف السنين في مكان لا يمكنه الافتراس فيه، ثم أجبر على تعاطي الأغذية النباتية، لاضطر لتعاطيها، ثم بطلت وظيفة أنيابه الحادة وأظفاره الماضية، فتضعف لإهمالها وتتغير تدريجيًّا، وتكون أمعاؤه تحاكي أمعاء آكلات الأعشاب من الحيوانات، ولو فرض أنَّ هذه النباتات لا تتسنى له إلا بخوض نهر، أو تسلق أشجار، فسوف تظهر فيه على التوالي أعضاء تناسب ذلك[٣].

٤- ناموس الوراثة[٤]:

ومعنى هذا الناموس: أن الصفات العرضية التي تحدث في الآباء بواسطة اختلاف الأحوال والأوساط المَعَشِيَّة تنتقل إلى الأبناء، فتنشأ تلك الأبناء مختلفة فيما بينها، ولا يزال هذا الاختلاف يقوى على مر الأجيال والقرون، حتى تستحيل الصفات العرضية إلى صفات جوهرية، وهي في الأصل اختلافات بسيطة، تحولت مع توالي الحقب حتى تأصلت في الكائن الحي فأدت به إلى مباينة الأصل الذي نشأ منه، فيظن الرائي أنهما نوعان مستقلان، وهما نوع واحد[٥].

---

(١) انظر: توحيد الخالق، للزنداني (٣/ ٨٢).

(٢) انظر: الإسلام ونظرية داروين (٤٤)، والإنسان والداروينية (٤٤).

(٣) انظر: المراجع السابقة.

(٤) انظر: المراجع السابقة (٤٥).

(٥) انظر: المراجع السابقة (٤٥).

علاقة نظرية النشوء والارتقاء بالحيوان:

من خلال الحديث السابق عن نظرية النشوء والارتقاء وبيان المراد بها، والأدلة التي اعتمد أصحابها عليها في بناء هذه النظرية، ثم تلك القواعد التي زعموا أن النظرية تسير عليها، يتجلى للباحث بوضوح علاقة هذه النظرية بالحيوان، وذلك من خلال النقاط التالية:

١- الحياة كما تصورها هذه النظرية تكونت من المادة مباشرة بفعل الطبيعة، حيث جاءت الحياة نتيجة تفاعل طبيعي بين أجزاء المادة.

فالحيوان الذي هو أصل الإنسان - على زعم أصحاب هذه النظرية - تولد من المادة دون تدبير من الخالق، بل الطبيعة هي التي أوجدته.

وعمدة النظرية في ذلك مذهب (أرنست هيكل) وتفصيله أن الكون مؤلف من المادة، والمادة مؤلفة من الذرات، ومن هذه المادة ظهر كل ما في الكون من أحياء وغير أحياء، وحركة العالم هي حركة تطور دائم يبتدئ من أبسط الذرات وينتهي إلى أرقى الكائنات.

والكائنات كلها تتألف من عناصر واحدة لا فرق بين حي وغير حي؛ لأن عناصر المواد العضوية موجودة في المواد غير العضوية، وأن بالإمكان تحضير بعض مركبات عضوية بطريقة صناعية، وبهذه الطريقة يمكن أن يوجد الإنسان كائنًا حيًّا دونما احتياج إلى إله ينفرد بالخلق والتكوين(١).

٢- زعمت هذه النظرية أنّ حياة الحيوان والنبات وجدت بمحض الصدفة، ومن دون أن يكون هناك تصميم أو قصد بحدوثهما؛ لأن النظرية الداروينية آلية بحتة تستبعد كل غائية، وتعتمد على محض الاتفاق أو الصدفة في حياة الحيوان والنبات(٢).

٣- الحيوان - كما يزعم أصحاب هذه النظرية - كلّه يرجع إلى أصل واحد، وهو الخلية الأولى - كما سبق - وعن طريق النشوء والارتقاء تتطور من طور إلى آخر؛ فما كان

---

(١) انظر: الإسلام ونظرية داروين (٢٧، ٣١).

(٢) انظر: الإنسان والداروينية (٣٨)، ومصرع الداروينية، محمد علي يوسف، تقديم: د. محمد علي البار، دار الشروق، جدة، ط١، ١٤٠٣هـ، (٨٩).

يمشي على بطنه قد تحول إلى حيوان من ذوات الأربع، وأن هذه التغيرات والتطورات للحيوان تجيء تبعًا لتغير البيئة وتبدل ظروف المعيشة.

فلا يوجد حيوان نشأ على صفته الحالية منذ بدايته؛ بل هو متطور عن حيوانات سابقة له، وهكذا.

٤- عوامل الطبيعة عند أصحاب هذه النظرية هي التي أكسبت الحيوان خصائصه وأعضاءه الجسدية تبعًا لتغير البيئة وتبدل ظروف المعيشة، فأعضاء الحيوان مثلاً إذا أهملت لعدم الحاجة إليها تضمر وتتلاشى، وتظهر أعضاء جديدة يستطيع بها الحيوان العيش في البيئة الجديدة.

٥- يزعم أصحاب هذه النظرية أنّ الإنسان كائن تطور من الحيوان؛ فالإنسان يرجع بأصله لحيوان وليس خلقًا مستقلاً خلقه الله ﷻ، وأوجده على هذه الصورة، هكذا يزعم أصحاب هذه النظرية.

وفي المسألة القادمة - إن شاء الله - الحديث عن هذه النظرية وبيان بطلانها وبالله التوفيق، ومنه العون والسداد.

المسألة الثانية: نقض نظرية النشوء والارتقاء وبيان بطلانها:

نظرية النشوء والارتقاء نظرية مناقضة للشرع والعقل، ويتبين زيفها وبطلانها من خلال المسائل الآتية:

١- تقوم هذه النظرية على الزعم بأن الحياة نشأت على الأرض صدفة دون خالق؛ بل الطبيعة هي التي خلقت الحياة، وهي التي وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء وحرمت بعضًا آخر من الحياة فهلك، وهي حين تصنع ذلك تخبط خبط عشواء، وهي تخلق كل شيء، ولا حد لقدراتها على الخلق(١).

فما هي هذه الطبيعة التي أوجدت المخلوقات؟

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، ط٦، ١٤١٢هـ، (٩٤-٩٧)، والعلمانية للحوالي (١٧٩).

إن الطبيعة لا تخلو من المفاهيم الآتية[(١)]:

أ- إمَّا أن يراد بها ذوات الأشياء من جماد ونبات وحيوان؛ فتكون الطبيعة هي الكون نفسه.

وفساد هذا المفهوم بيِّن لا يحتاج إلى الوقوف عنده؛ لأنّ مفاده أن السماء هي التي أوجدت السماء، والأرض هي التي أوجدت الأرض، فتكون الأشياء أوجدت نفسها، فهي الحادث والمحدث، وهي الخالق والمخلوق في الوقت ذاته، والعقل الإنساني يرفض التسليم بأنّ الشيء يوجد نفسه، كما أن الشيء لا يخلق شيئًا أرقى منه، فالطبيعة من سماء وأرض ونجوم لا تملك عقلاً ولا سمعًا ولا بصرًا، فكيف تخلق إنسانًا سميعًا بصيرًا عليمًا؟.

فكما أنّ هذه الأشياء لا تخلق نفسها، فهي أيضًا لا يعقل أن توجد من غير موجد لها، وصدق الله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

فيقال لهم: متى خَلَقُوا أنفسهم؟ هل قبل أن يُخلقوا - أي حين كانوا عدما -؟ فالعدم لا يكون سببًا للوجود -عقلاً- أم بعد ما خُلقوا؟ فوجودهم تحصيل حاصل.

ب- المفهوم الثاني للطبيعة هي: تلك القوانين التي تحكم الكون؛ بمعنى أنها صفات الأشياء وخصائصها، فهذه الصفات من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وملاسة وخشونة، وهذه القابليات: من حركة وسكون ونمو واغتذاء وتزاوج وتوالد، كل هذه الصفات والقابليات هي الطبيعة.

وهذه صفات شيء قد خُلق فكيف تكون الصفة علة في وجود الموصوف، ثم الموصوف مخلوق أصلاً فكيف توجده صفته وهو موجود؟.

وهذا المفهوم في الحقيقة ليس فيه تفسير وتوضيح للطبيعة، بل هو توضيح للكيفية التي يعمل فيها الكون، فلم نجد في هذا المفهوم إجابة عن موجد الكون وموجد القوانين التي

(١) انظر: العقيدة في الله، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، بيروت، ودار النفائس، الكويت، ط٧، ١٤١١هـ، (٧٥-٧٩)، والشرك في القديم والحديث، أبو بكر زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، (٢/ ٧٢٢-٧٣٠).

تحكمه.

إذا ثبت عدم صلاحية أي من المفهومين السابقين لأن يكون تفسيرًا للطبيعة التي زعم أنصارها أنها هي التي أوجدت الحياة وخلقت المخلوقات، فيبقى مفهوم ثالث لا بدّ أن يقولوا به، وهو: أنّ الطبيعة قوة أوجدت الكون، وهي قوة حية سميعة بصيرة حكيمة قادرة...، وهذا حقٌّ ولكنّ الباطل تسميتكم لذلك بالطبيعة؛ إذ الاسم الحقيقي لذلك هو: الله ﷻ، فهو سبحانه الذي فُطِرت الكائنات على معرفته، وإفراده بالربوبية والألوهية.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - بعد حديثه عن خلق الإنسان، وما أودع الله فيه من عجائب: «فمن الذي تولى ذلك كلَّه وأحكمه، ودبّره وقدّره فأحسن تقديره؟

وكأني بك أيها المسكين تقول: هذا كله من قبل الطبيعة، وفي الطبيعة عجائب وأسرار؛ فلو أراد الله أن يهديك لسألت نفسك بنفسك، وقلت: أخبريني عن هذه الطبيعة، أهي ذات قائمة بنفسها، لها علم وقدرة على هذه الأفعال العجيبة؟ أم ليست كذلك؟ بل هي عرض وصفة قائمة بالمطبوع تابعة له محمولة فيه؟.

فإن قالت لك: بل من ذات قائمة بنفسها، لها العلم التام والقدرة والإرادة والحكمة فقل لها: هذا هو الخالق البارئ المصور، فلم تسمينه طبيعية، ويا لله من ذكر الطبائع ومن يرغب فيها فهلا سميته بما سمى به نفسه على ألسن رسله ودخلت في جملة العقلاء والسعداء فإن هذا الذي وصفت به الطبيعة صفته تعالى وإن قالت تلك: بل الطبيعة عرض محمول مفتقر إلى حامل وهذا كله فعلها بغير علم منها ولا إرادة ولا قدرة ولا شعور أصلا وقد شوهد من آثارها ما شوهد! فقل لها هذا مالا يصدقه ذو عقل سليم، كيف تصدر هذه الأفعال العجيبة والحكم الدقيقة التي تعجز عقول العقلاء عن معرفتها وعن القدرة عليها ممن لا عقل له ولا قدرة ولا حكمة ولا شعور؟ وهل التصديق بمثل هذا إلا دخول في سلك المجانين...

على أنك لو تأملت قولك: (طبيعة) ومعنى هذه اللفظة لدلك على الخالق البارئ لفظها كما دل العقول عليه معناها؛ لأن (طبيعة) فعيلة بمعنى مفعولة أي مطبوعة ولا يحتمل غير هذا ألبتة لأنها على بناء الغرائز التي ركبت في الجسم ووضعت فيه كالسجية والغريزة والبحيرة والسليقة والطبيعة فهي التي طبع عليها الحيوان وطبعت فيه، ومعلوم أن طبيعة من غير طابع لها محال، فقد دل لفظ الطبيعة على البارئ تعالى كما دل معناها عليه، والمسلمون يقولون إن الطبيعة خلق من خلق الله مسخر مربوب، وهي سنته في خليقته التي أجراها عليه ثم إنه

يتصرف فيها كيف شاء وكما شاء، فيسلبها تأثيرها إذا أراد ويقلب تأثيرها إلى ضده إذا شاء، ليرى عباده أنه وحده الخالق البارئ المصور، وأنه يخلق ما يشاء كما يشاء، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له: كن، فيكون، وإن الطبيعة التي انتهى نظر الخفافيش إليها إنما هي خلق من خلقه بمنزلة سائر مخلوقاته، فكيف يحسن بمن له حظ من إنسانية أو عقل أن ينسى من طَبَعَها وخَلَقَها ويحيل الصنع والإبداع عليها؟!»(١).

وحين يزعم دعاة نظرية النشوء والارتقاء حدوث التطور والحياة نتيجة الصدفة؛ فيقال لهم: إنّ هذا العالم وما فيه من أسرار أكبر شاهد على المدبِّر الحكيم، فما يحدث في الكون من تقدير الأرزاق والآجال، وما عليه الكون من إبداع، وما يحتوي عليه من أسرار لا مرد له إلى العشوائية والارتجال.

وردًّا على قول بعض الملاحدة: إنه لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها بلايين السنين، فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبتها قصيدة من قصائد شكسبير، فكذلك الكون الموجود الآن، نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في المادة لبلايين السنين(٢)؛ يقول وحيد الدين خان: «إنّ أي كلام من هذا القبيل (لغو مثير) بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان، فإنّ جميع علومنا تجهل - إلى يوم الناس هذا - أي مصادفة أنتجت واقعًا عظيمًا ذا روح عجيبة، في روعة الكون وينقل عن عالم آخر إنكاره لهذه المقالة: (إنَّ القول بأنّ الحياة وجدت نتيجة (حادث انتفاضي) شبيه في مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفي في مطبعة)»(٣).

والعلم الحديث يكشف لنا كل يوم أن هذا الكون الذي نعيشه فيه نظام بيئي متزن، لدرجة متناهية في الدقة، وهذا أمر لا يمكن أن يحدث مصادفة.

وحول دعوى تكون جزيء البروتين نتيجة لتجمع مجموعة من الأحماض الأمينية صدفة - كما سبق في المسألة الأولى - يحدثنا أ. د. عبد الخالق حامد السبيعي فيقول: «قام العالم

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٩٦-١٩٨).
(٢) انظر: العقيدة في الله، عمر الأشقر (٧٣).
(٣) نقلاً عن المرجع السابق (٧٣-٧٤).

(شارلز إيجين جاي) بحساب احتمال التكوين بعامل المصادفة لجزيء بروتين واحد، فوجد أن هذا يمكن أن يحدث مرة كلما مرت فترة زمنية لا تقل عن (١٠) أس (٢٤٣)، من السنوات، وهذا يزيد على بلايين أضعاف عمر الأرض، وهذا هو احتمال تكون جزيء واحد فقط من البروتين غير المتخصص.

وفي عام ١٩٦٣م قام عالما الكيمياء الحيوية (ماكولم ديكسون) و(أيدويب) بحساب احتمال تكون جزيء البروتين ذاتيًّا نتيجة مجرد التقاء جزيئات أحماض أمينية في مخلوط منها، وقد تبين أن هذا الاحتمال لكي يتحقق يقتضي حجمًا من مخلوط الأحماض الأمينية المعروفة يصل إلى أضعاف حجم الكرة الأرضية بمقدار (١٠) أس (٥٠) ضعفًا، كل ذلك لمجرد تكون جزء بروتين واحد من النوع العادي غير المتخصص، أما احتمال تكون جزيء بروتين متخصص مثل (الهيموغلوبين) فإن الحساب قد وصل إلى ضرورة توافر حجم من مخلوط الأحماض الأمينية لا يقل عن (١٠) أس (٥١٢) ضعف حجم الكون كله.

فما أروع قدرة الخالق ﷻ الذي منح أجسامنا الحياة والقدرة على أن تبني هذه الجزيئات بدقة بالغة ليلاً ونهارًا، حتى ونحن نيام، حقًّا ما أروع قدرة الخالق ﷻ»[(١)].

فهذه النظرية كما يتبين لكل باحث منصف قامت على الإلحاد وإنكار الخالق ﷻ.

ولهذا نجد مذاهب الفلسفة المادية والإلحادية التي سادت أوربا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قد احتضنت نظرية النشوء والارتقاء كجزء من معتقداتها المذهبية، ذريعة لإنكار وجود الخالق[(٢)].

ومع اعتراف بعض أنصار هذه النظرية بخلوها من البراهين نجدهم يصرون على الاعتراف بها؛ لأنّ فيها إنكارًا للخالق ﷻ.

يقول السير آرثر كيث: «إن نظرية النشوء لا زالت حتى الآن بدون براهين – وستظل

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، عدد (٤٥٦)، السنة (٤)، شعبان، ١٤٢٤هـ، (٥٣)، وانظر أيضًا تفصيلاً جميلاً لاستحالة تكون البروتين صدفة: داروين ونظرية التطور (٤١-٦٣).

(٢) انظر: مجلة الوعي الإسلامي، مقال أ. د. عبد الخالق السبيعي، عدد (٤٥٦)، (٥٣).

كذلك- والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا غير وارد على الإطلاق»[(١)].

ويقول واطسن: «إن علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبار أو الاستدلال المنطقي، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور»[(٢)].

إذًا هي إلحاد يقابله إيمان باعتراف مؤيِّديها.

٢- لا يزال السلف المباشر للإنسان، والذي تطور من القرود - كما يزعم التطوريون - وهو ما يعرف (بالحلقة المفقودة) مجهولاً، وسوف يظل كذلك؛ لأنه في الحقيقة شيء معدوم، فأين ذهبت هذه الحلقة؟

هل اختفت قبل أن تتطور لتصبح ذلك الإنسان؟

لماذا بقيت القرود وهي أقل منها رتبة؟

وكذلك الحلقات المفقودة؛ فإنها ناقصة بين طبقات الأحياء، وليست بالناقصة بين الإنسان وما دونه فحسب، فلا توجد - أيضًا - حلقات بين الحيوانات الأولية ذات الخلية الوحيدة، والحيوانات ذوات الخلايا المتعددة، ولا بين الحيوانات الرخوة ولا بين المفصلية، ولا بين الحيوانات اللافقرية، والفقرية، ولا بين الأسماك والحيوانات البرمائية، ولا بين الأخيرة والزحافات والطيور، ولا بين الزحافات والحيوانات الأديمية[(٣)].

٣- إذا كان قانون النشوء والارتقاء حكمًا لعملية التطور، فإنه كان ينبغي أن تحدث خلال تاريخ البشرية بعض التحولات بين الأنواع جميعًا، ولكن التاريخ لم يسجل حالة واحدة تحول فيها نوع إلى نوع آخر، بأن أصبح الحمار حصانًا، أو الفأر أرنبًا، أو القرد إنسانًا، ولكن المشاهد هو احتفاظ الأنواع سواء أكانت نباتية أم حيوانية بخصائصها[(٤)].

٤- لماذا توقف التطور عند الإنسان؟ فلم يترق الخلق من إنسان إلى كائن أرقى منه، وفقًا

(١) نقلاً عن العلمانية، للحوالي (١٨٥).

(٢) نقلاً عن العلمانية، للحوالي (١٨٥).

(٣) انظر: توحيد الخالق (٣/ ٨٥).

(٤) انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ٢٥٣).

لنظرية النشوء والارتقاء.

أليس في هذا دليلٌ على بطلان هذه النظرية المزعومة، وأن المخلوقات أوجدها الله عز وجل، على هيئتها لحكمة يريدها سبحانه وتعالى.

٥- المدة اللازمة للتطور - على زعم أصحاب هذه النظرية- تزيد على سبعة بلايين سنة، بينما عمر الأرض - كما قدره الفلكيون والطبيعيون - لا يربو على ثلاثة بلايين سنة، فالفرق كبير جدًّا[١].

٦- تطور الكائنات بعضها من بعض يمكن أن يقبل فيما يتعلق بالحيوان لو أثبت العلم ذلك إثباتًا قاطعًا، وصدقه الواقع، مع أن ذلك يستحيل إثباته.

يقول أورخان محمد علي: «إنَّ أمامنا مئات الآلاف من أنواع المخلوقات الحيوانية منها والنباتية، لم تثبت إلى الآن ولا حالة واحدة من التحول من نوع إلى نوع آخر، لم تثبت هذه لا في سجل الحفريات، ولا في المحاولات العديدة التي جرت في مختبرات عديدة لتحويل بعض الأحياء مثل (ذبابة الفاكهة) من نوع إلى آخر، ونحن نتحدى أنصار التطور كلهم على الإثبات بحالة واحدة فقط من التحول من نوع إلى نوع آخر...هذا هو المهم، المهم هو الإثبات بإثبات واحد والإشارة إلى حالة واحدة فقط، لا نريد أكثر، تم فيها مثل هذا التحول، أما الإكثار من استعمال المصطلحات العلمية في غير مواضعها الصحيحة فهو إما خداع أو جهل»[٢].

أما ما يتعلق بالإنسان فإن النصوص الشرعية بينت المراحل التي خلق بها آدم عليه السلام، وهي التراب فالطين فالحمأ المسنون، فالصلصال.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى

---

(١) انظر: توحيد الخالق (٨٥).

(٢) تهافت نظرية داروين في التطور (٦٠).

فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١-٧٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٨﴾﴾ [الحجر: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمن: ٤].

فقد بينت هذه الآيات المراحل التي مر بها خلق الإنسان، وأن بداية خلقه كانت من تراب كما دلّ عليه قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ [الحج: ٥]، ثم بُلّ ذلك التراب فصار طينًا يعلق بالأيدي كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات: ١١]، ثم اسودَّ ذلك الطين وتغيَّر فصار حمأ مسنونًا، ثم يبس حتى صار صلصالاً، أي تسمع له صلصلة من يبسه(١).

فهذه هي المراحل التي كانت بداية خلق آدم عليه الصلاة والسلام، ولو كان هناك مراحل قبلها أو بعدها لبينها ربُّنا ﷻ، وقد بين ربنا تبارك وتعالى البداية واضحة بقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٧-٩].

وفي هذه الآيات رد صريح واضح على من زعم عدم ورود شيء يثبت أن أبانا آدم لم يسبقه إنسان قبله من نوع آخر، وأن الأدلة لم تدل على نفي وجود أمم قبل أمة أبينا آدم(٢).

فالله ﷻ أخبر بأنه خلق آدم من تراب وأخبر أنَّ بداية خلق الإنسان كانت من طين، وهذا الإنسان هو آدم عليه الصلاة والسلام، كما في قوله سبحانه: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ [ص: ٧١]، فكيف يقال مع ذلك: إن الأدلة لم تدل على أسبقية آدم عليه الصلاة والسلام.

وإذا كان دعاة التطور يزعمون أن الإنسان تطور من غيره من الكائنات فإن القرآن

(١) انظر: أضواء البيان (٣/ ١٤٤).

(٢) هذا ما قرره محمد أحمد باشميل في الإسلام ونظرية داروين (١٦٠).

الكريم يبطل ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء: ١]، فبني آدم كلهم يرجعون إلى نفس واحدة، فلو كان قبل آدم أنفس من حشرات وغيرها لم يقل سبحانه: (نفس واحدة).

ودعوى تطور الإنسان من حشرة حتى وصل إلى ما وصل إليه يبطله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ [ص: ٧٢].

فأخبر الله ﷻ الملائكة أنه خالق بشرًا من طين، فإذا سواه ونفخ فيه من روحه فعليهم السجود له، فهل كان نفخ الروح في هذا المخلوق بعد أن وصل إلى صورته الحالية فقط، وكان قبل بلا روح، فتكون تلك الأطوار التي مر بها من حشرات...حتى قبل وصول صورته الأخيرة بلا روح، أم أن الروح نفخت فيه منذ نشأته الأولى، ومتى أمرت الملائكة بالسجود له إذا كانت الروح قد نفخت فيه قديمًا، كل ذلك يبين ضلال هذه النظرية.

فهل سجود الملائكة كان للحشرات أو غيرها من الحيوانات إذا كانت الروح قد نفخت فيه قبل وصوله إلى حالته الأخيرة؟.

أم أن السجود كان بعد وصوله إلى حالته الأخيرة فيكون هذا السجود بعد عمر طويل لم يشر إليه ربنا تبارك وتعالى حين قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ [ص: ٧٢].

وكون الروح قد نفخت فيه بعد وصوله إلى مرحلته الأخيرة وما قبله حشرات وحيوانات بلا روح بيِّن البطلان.

وأما احتمال نفخ الروح فيه أولاً، ثم كون السجود له بعد وصوله إلى مرحلته الأخيرة فقد بينت السنة بطلانه - أيضًا - فعن أنس[(١)] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لما صور الله تعالى آدم عليه السلام في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو،

(١) هو: أبو حمزة، أنس بن مالك بن النضر، الخزرجي، الأنصاري، خدم النبي ﷺ عشر سنين، وكان من المكثرين لرواية الحديث، وحدث عنه خلق كثير، توفي في البصرة سنة ٩٣هـ، وقد جاوز عمره المائة. انظر: الإصابة (١/ ١٢٦-١٢٨)، والثقات لابن حبان (٣/ ٤)، وتقريب التهذيب (١١٥).

فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتمالك))[(١)].

فقد دلّ الحديث على أنّ الله ﷻ خلق آدم وصوره من الطين كما سبق بيانه، ثم تركه فترة بلا روح حتى طاف به إبليس، وذلك في الجنة.

فإذا كانت الروح لم تنفخ في آدم عليه السلام إلا بعد تسويته على صورته الأخيرة تبين بطلان دعوى التطور من الحشرات وغيرها.

والحديث دلّ - أيضًا - على أنّ الله ﷻ خلق آدم عليه السلام في الجنة، ثم تركه فيها بلا روح، فمتى مرت تلك الأطوار المزعومة من حشرات وقرود؟ هل كانت الحشرات والقرود في الجنة؟ كل ذلك يبين بطلان هذه النظرية التي لا سند لها عقلاً ولا شرعًا[(٢)].

٦- عند النظر إلى الأدلة التي اعتمد عليها أصحاب هذه النظرية، يجدها الباحث بنيت على سراب، ولا رصيد لها من الحقيقة والواقع.

فمن الأدلة التي استدلوا بها - كما سبق - علم الحفريات؛ حيث استندوا إلى أشياء أثرية وجدت في طبقات الأرض، فزعموا أنها تدل على وجود كائنات قديمة تطورت حتى وصلت إلى شبه الإنسان، وأن كل طبقة تحتوي على كائنات أرقى من الطبقة التي دونها.

ويجاب عن ذلك بأن علم الحفريات لا يزال ناقصًا، وعلى فرض وجود الكائنات الأولى البدائية أولاً، ثم الأرقى ليس دليلاً على تطور الكائنات الراقية من الكائنات الأدنى، بما هو دليل على ترتيب وجود هذه الكائنات فقط.

وإذا كانت الحفريات في زمن (داروين) تقول: إن أقدم عمر للإنسان هو ستمائة ألف سنة فإن الاكتشافات الحديثة في علم الحفريات قد قدّرت عمره إلى عشرة ملايين، وهذا دليل على أنّ علم الحفريات علم متغير لا يبنى عليه دليل قطعي.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والأدب، باب: خلق الإنسان خلقًا لا يتمالك (١١٣٤) برقم (٢٦١١).

(٢) انظر في بيان بطلان هذه النظرية من الناحية الشرعية: الآيات الدالة على الله تعالى (٤٥٠-٤٩٩)، وأربع كلمات مفيدة في الأحكام والعقيدة، صالح البليهي، مطابع السلمان، ١٤٠٩هـ، (٣٨-٤٨)، حيث أورد أدلة كثيرة تدل على بطلانها.

وعلى افتراض صحة هذا العلم – أيضًا – فإنه يدل فقط على أن الحيوان الأرقى جاء بعد الحيوان الأدنى وليس هناك دليل على أن الأرقى جاء من الأدنى.

ومثال ذلك: لو عثر الباحثون بعد مليون سنة في الطبقات الأولى من الأرض على بقايا عربة يد، وفي الثانية بقايا عربة خيل، وفي الثالثة بقايا عربة سيارة، وفي الرابعة طيارة، فهل يدلُّ ذلك على تطور اليد بفعل ظروف الطبيعة من عربة يد إلى طائرة، أم أنّ هذا يدل فقط على مجيء الطائرة بعد عربة اليد، وهكذا[1].

وأمّا من دليل الأجنة، فإن تطور علم الأجنة كشف عن ضعف حجتهم، التي استندوا إليها من أن التشابه في الأجنة دليل على تحول الأنواع وتطورها، وقد أوضحت وسائل الكشف العلمي الحديث زيف هذه المعلومة، وأن هناك اختلافًا في أجنة الحيوان في تفاصيلها الدقيقة.

وقد كشف – أيضًا – علماء الأجنة والأحياء أنّ كل جنين من أجناس الكائنات الحية يتكون من مجموعة من خلايا، وأن نواة كل خلية من خلايا الإنسان تتكون من ٤٦ كروموزومًا (صبغيًّا)، وهو عدد في كل خلية من خلايا الإنسان، فإذا زاد العدد أو نقص تعرض الإنسان لخلل عقلي أو اضطراب خلقي، وبفحص خلايا القرد وجد هؤلاء العلماء أنّ نوى خلاياه تتكون من ٤٤ كروموزومًا، وهو عدد ثابت في نوى خلايا القرد لا يزيد ولا ينقص، وهذه الكروموزومات أو الصبغيات هي التي تحدد النوع، وهي العامل الرئيسي الذي يحدد صفات كل كائن حي، وقد أثبت علم الأجنة أن عوامل الوراثة تجعل من المستحيل تطور نوع إلى نوع آخر، لأن هناك عواملَ وراثيةً كامنة في خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه، وتحتم أن يظل في دائرة النوع الذي نشأ منه، فالقط أصله قط، وسيظل قطًّا على الدوام بمشيئة الله تعالى[2].

ويجاب عن استدلال أصحاب هذه النظرية بعلم التشريح المقارن وزعمهم: وجود سمات عامة أو أوجه شبه في البنى التركيبية بين أفراد مجموعة تصنيفية معينة.

---

(١) انظر: توحيد الخالق (٨٢–٨٥).

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ٢٥٢).

هل يمكن أن يقال: إنّ التشابه دليل على تطور الأنواع بعضها من بعض؟

أليس هذا دليلاً على إتقان الخلق ودقة صنعه، وأن الذي خلق هذا النوع هو الذي خلق النوع الآخر، ومع ما بينهما من التشابه فقد وهب سبحانه لكل نوع منها سمات خاصة به، فتبارك الله أحسن الخالقين.

فهل يستطيع أحد أن يقول: إن وجود العجلة في الدراجة والسيارة والطائرة والقطار يعتبر دليلاً على تطور كل نوع من النوع السابق له؟

أم أن هذا دليل على أن صنع هذه المكائن يعود إلى مصدر واحد، وهو الإنسان؟[(١)].

ولقد أثبت علم التشريح المعاصر فروقًا هائلة بين الإنسان والقردة، التي هي أقرب الحيوانات شكلاً إلى الإنسان، من ذلك: القامة عند الإنسان، ودقة حاسة اللمس، والمهارة اليدوية، ونمو الدماغ، وحجم الجمجمة، والتعبير بالنطق عن الأفكار، وفوق ذلك كله يتميز الإنسان بقواه العقلية والقدرة على التصور وتكوين الأفكار والتعبير عن الفكرة المجددة[(٢)].

وأما دليل وجود أعضاء أثرية زائدة في الإنسان، وأن هذا دليل على بقائها من الأنواع السابقة له، والتي قد تطور منها الإنسان، فيقال لأصحاب هذه النظرية: إن العلم يكشف لنا كلّ يوم عن أشياء لا علم لنا بها؛ فإذا كانت هذه الأعضاء أو غيرها في حدود علمنا زائدة لا فائدة منها، فعلينا أن لا نتسرع فقد يكشف العلم عن فوائد لها، كانت مجهولة بالنسبة لنا.

يقول البروفيسور (داون ت. كيش): «كان التطوريون قد أعلنوا في يوم من الأيام أنّ (١٨٠) عضوًا في جسم الإنسان ليست سوى أعضاء أثرية لا فائدة منها، وأنها كانت مفيدة في السابق لأسلاف الإنسان من الحيوانات، ولكن على أي حال فإنّه بتقدّم العلم فقد تقلّص هذا العدد واقترب علميًّا من الصفر، فهناك أعضاء مهمة مثل الغدة العصترية، والغدة الصنوبرية، واللوزتين، والفقرات الذيلية اعتبرت في وقت من الأوقات أعضاء أثرية، فالغدة العصترية واللوزتان لهما وظائف الدفاع ضد الأمراض، أما الزائدة الدودية فهي تحتوي على

---

(١) انظر: نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها (٥٥)، وتهافت نظرية داروين في التطور (٤٧).

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ٢٥٢).

أنسجة مشابهة للأنسجة التي توجد في اللوزتين، وهي أيضًا فعالة في الدفاع ضد الأجسام التي تغزو الجسم...»[١].

ويقول الزنداني عن الزائدة الدودية: «ولقد عرف أخيرًا أن الزائدة تقوم بوظيفة صمام أمن ضد العفونات في الأمعاء، كما أن العلم قد يكشف أن لها حكمة أخرى لا تزال غائبة عنا حتى اليوم»[٢].

٧- وأمّا القوانين التي اعتمد عليها أصحاب نظرية النشوء والارتقاء في بنائها فيمكن مناقشتها بما يلي:

أولاً: ناموس تنازع البقاء:

تنازع البقاء سنة كونية سنها الله ﷻ في خلقه، فكل المخلوقات في صراع مستمر من أجل البقاء، ومن أجل تأمين الحياة والغذاء، وقد أشار الله ﷻ إلى هذا في كتابه، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فالناس والدوابّ في صراع مستمر، ومع ذلك فليس البقاء دائمًا للأقوى، فنرى حيوانات صغيرة لا تملك شيئًا من وسائل القوة ما زالت منذ أن خلقها الله ﷻ تعيش بالقرب من الحيوانات الأخرى القوية، فلم تهلك هذه الحيوانات على قواعد هذه النظرية، بل بقيت القوية والضعيفة وربما غلبت القوية الضعيفة أحيانًا.

ثانيًا: ناموس الانتخاب الطبيعي:

فدعوى أن عوامل الطبيعة تقوم بإهلاك الكائنات الضعيفة والإبقاء على الكائنات القوية دليل لا يسلم لأصحاب هذه النظرية؛ فكما أن هناك عواملَ تقوم بإهلاك بعض الكائنات، فإن هناك عوامل أخرى تعمل بمقابلة ذلك؛ لأنّ الله ﷻ قدّر الحياة فهيأ أسبابها، فنجد الشمس والبحار والرياح والأمطار والنباتات والجاذبية، كل هذه وغيرها تتعاون للإبقاء على

---

(١) نقلاً عن: تهافت نظرية داروين في التطور (٣٥).

(٢) توحيد الخالق (٨٦).

حياة الإنسان وغيره من الحيوانات[١].

وقد أغفل هذا القانون ما يقع من كوارث ونوائب يكون لها أثر كبير في تغييرات هائلة، وفي مساحات شاسعة، وتفعل الكوارث فعلها من غير تمييز أو انتخاب، فلم تكن الكوارث تختار الضعفاء وتبقي الأقوياء.

وإذا كان هذا الناموس صحيحًا، فلماذا انقرض الإنسان الأول (الأصلح حسب النظرية) وبقي الحيوان القرد الأقل مرتبة من الإنسان؟

إن القول بهذه القاعدة يستلزم انقراض القرد القديم وبقاء الإنسان الأول، وهو ما يعرف بالحلقة المفقودة، والكون يعج بالصالح والأصلح والفاسد على السواء[٢].

٤- ناموس المطابقة:

إن ما يعزوه أصحاب هذه النظرية إلى ناموس المطابقة هو ما سبق الكلام عنه عند الحديث عن الطبيعة وزعمهم أنها تخلق، ولا حد لقدرتها على الخلق؛ فهي هنا تشبه تصرف الخالق ﷻ بمخلوقاته، فهي تهب لبعض المخلوقات يدًا، وللبعض الآخر جناحًا، فلها تصرف في عالم الأحياء لا نهاية له.

فإذا كانت البيئة تؤثر على الحيوانات فلماذا أثرت على الحيوانات الفقرية فطورتها ووقفت بالحيوانات اللافقرية مع أن الظروف التي مرت عليها واحدة، وهما أصل واحد[٣]؟

٥- ناموس الوراثة:

ويكفي في رد هذا الناموس ما ذكره أ. د. عبد الخالق السبيعي بقوله: «حين أعلن (داروين) نظرية التطور كان لا يعلم شيئًا عن قوانين (مندل) للوراثة، وعلم الوراثة وهو علم راسخ الأركان يقطع بأن الكائنات تتوارث صفاتها الوراثية عن طريق الجينات الوراثية للأبوين بغض النظر عن الظروف البيئية، بينما تصر نظرية التطور على القول: إنه يتم تطور

(١) انظر: توحيد الخالق (٨٧).

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٥/ ٢٥٤).

(٣) انظر: الإنسان والداروينية (٢٤٧-٢٤٨).

صفات الكائنات بتأثير ضغط البيئة والتنافس من أجل البقاء»[١].

فدعوى أن حدوث نشوء لبعض الخصائص والصفات العارضة ثم توريثها في النسل يرفضها علم الوراثة الحديث، فكل صفة لا تكمن في الناسلة ولا تحتوي صبغة من صبغاتها فهي صفة عارضة لا تنتقل إلى الذرية بالوراثة.

مثال ذلك: الحداد قوي العضلات، لا تنتقل قوة العضلات إلى ذريته، كما أن العالم الغزير العلم لا ينتقل علمه بالوراثة إلى أبنائه[٢].

وبعد مناقشة هذه النظرية يحسن القول: إنَّ هذه النظرية منذ أن انتشرت قوبلت بالرد والإنكار، ليس من علماء الإسلام ورجال الكنيسة فحسب؛ بل حتى من علماء الغرب الذين أثبتت لديهم البحوث والدراسات زيف هذه النظرية.

١- يقول (فون باير) مؤسس علم الأجنة: إن الرأي القائل: إن النوع الإنساني متولد من القردة السيمانية، هو بلا شك أدخل رأي في الجنون قاله رجل على تاريخ الإنسانية[٣].

٢- يقول الدكتور (جوستاف جولبر): يكفي لإبطال نظرية داروين أن يتأمل الإنسان الحشرة، فإنها ظهرت في أقدم العصور في الحياة الأرضية، فإنها تنقلب من حال الدودة إلى حشرة طائرة، ولا تأثير لشيء عليها من الخارج، كما أن الهوة عميقة بين الحالة الأولى، وهي كونها دودة، وبين الحالة الثانية وهي كونها طائرة، وهي هوة تضيع فيها جميع النظريات الداروينية الماركسية، فالحشرة أدت شهادة حسية ضد مذهب داروين، كما أثبتت عجزه عن تفسير غرائزها الأولية[٤].

٣- يقول العالم الطبيعي (أغا سيز): إن الفكرة التي يعتنقها الداروينيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع سابق ليست إلا افتراضًا اعتباطيًّا يتعارض والآراء الفسيولوجية

(١) مجلة الوعي الإسلامي، عدد (٤٥٦)، (٥٤).

(٢) انظر: توحيد الخالق (٨٨).

(٣) نقلاً عن مجلة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ذو القعدة، ١٣٩٦هـ، (٩/ ١٣٧٠)، مقال (فساد نظرية داروين) للأستاذ مصطفى محمد الحديدي.

(٤) المرجع السابق.

الرصينة[١].

٤- يقول (كرسي موريسون): إن القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئًا عن وحدات الوراثة (الجينات) وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقًّا، أعني عند الخلية[٢].

لقد كادت نظرية النشوء والارتقاء أن تموت في مهدها، ولكن اليهود الذين يستغلون أمثال هذه النظريات لمحاربة الأديان وما فيها من عقائد ربانية، كان لهم الدور الكبير لانتشارها واستغلالها في محاربة الأديان حتى نادوا بالتطور وعدم الثبات في كل شيء: الدين والأخلاق والتقاليد، ثم انطلقت من هذه النظرية نظريات أخرى تسعى لهدم الأديان والأخلاق، والله المستعان[٣].

---

(١) نقلاً عن الإنسان والداروينية (١٢٥).

(٢) نقلاً عن العلمانية، للحوالي (١٨٣).

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب (٩٧-١٠٠).

المطلب السابع: البركة في الحيوان:

وفيه أربع مسائل:

التمهيد: البركة في اللغة والشرع:

البركة لغة: تطلق البركة في اللغة على الأمور الآتية:

١- الثبوت واللزوم: قال ابن فارس: «الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء»[(١)]، ومنه سميت البِرْكة بذلك لإقامة الماء فيها[(٢)].

٢- النماء والزيادة[(٣)]، وكثرة الخير ودوامه[(٤)].

٣- السعادة[(٥)].

البركة في الشرع: البركة في الشرع ثبوت الخير الإلهي في الشيء[(٦)].

فالبركة ثبوت الخير ودوامه، وكثرة الخير وزيادته[(٧)].

فالمبارك ما جعل الله ﷻ فيه الخير الكثير، ومنه ﷻ تطلب البركة، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «البركة كلها له تعالى ومنه، فهو المتبارك، ومن أُلقي عليه بركته فهو المبارك»[(٨)].

فالبركة كلها من الله ﷻ، وطلبها من غيره سبحانه شرك به ﷻ.

والتبرك هو: طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر، وكل ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه بسبب ذات مباركة أو زمان مبارك، ولا بدَّ أن تكون هذه البركة ثابتة شرعًا، وأن

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٢٢٧)، مادة (برك).

(٢) انظر: الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، ط٢، ١٤٠٢هـ، (٤/ ١٥٧٤) مادة (برك).

(٣) انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٩٥)، والقاموس المحيط (١٢٠٤)، مادة (برك).

(٤) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٦٨١).

(٥) انظر: القاموس المحيط (١/ ١٢٠٤) مادة (برك).

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن (٤٤).

(٧) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤٢١هـ، (٤٣).

(٨) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٦٨٢).

يعتقد العبد أن ما يتبرك به إنما هو سبب البركة، وليس هو واهب البركة[١].

وقد جاءت النصوص في إثبات البركة في بعض الحيوان، أو شيء مما يخرج منها، ومن ذلك:

المسألة الأولى: البركة في الخيل:

الخيل من الحيوانات التي دلت النصوص على بركتها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((البركة في نواصي[٢] الخيل))[٣].

فأخبر ﷺ: أن البركة، أي: النمو والزيادة في الخير تنـــزل في نواصي الخيل[٤].

وقد ذكر طائفة من العلماء أن النبي ﷺ كنى بالناصية عن جميع ذات الفرس، كما تقول العرب: فلان مبارك الناصية، ومبارك الغرة، فيكنى بها عن الإنسان[٥].

وقال آخرون: إن المراد بذلك الناصية وخصت بذلك لكونها المقدم منها، فكان تخصيصها بذلك لرفعة قدرها[٦].

وعلى كلا القولين فإن الحديث دليل على بركة الخيل وفضلها، ومن بركة في الخيل أنَّه بها يحصل الجهاد الذي فيه خير الدنيا والآخرة، وقد قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع، د. علي نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١١هـ، (١٧-٢٢).

(٢) النواصي هي: الشعر المسترسل على الجبهة. انظر: شـــرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ١٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٢٢٩) برقم (٢٨٥١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب فضيلة الخيل وأن الخير معقود بنواصيها (١٠١٣) برقم (١٨٧٤).

(٤) انظر: فيض القدير (٣/ ٢٨٦).

(٥) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٥٧)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ١٦).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٢١)، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، (٣/ ٦١).

﴿يَعْلَمُهُمْ﴾ ... [الأنفال: ٦٠][(١)].

وقد جاءت نصوص كثيرة في فضائل الخيل، وما فيها من الخير فمن ذلك:

١- أن الله ﷻ أقسم بها في كتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ١-٥].

يقول السعدي - رحمه الله -: «أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة ما هو معلوم للخلق، وأقسم تعالى بها في الحال التي لا يشاركها فيه غيرها من أنواع الحيوانات فقال: (والعاديات)، أي العاديات عدوًا بليغًا قويًّا، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها عند اشتداد العدو.

(فالموريات) بحوافرها ما يطأن عليه من الأحجار، (قدحًا) أي: تقدح النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عدون، (فالمغيرات) على الأعداء (صبحًا) وهذا أمر أغلبي أن الغارة تكون صبحًا.

(فأثرن به) أي: بعدوهن وغارتهن، (نقعًا) أي: غبارًا، (فوسطن به) أي: براكبهن (جمعًا) أي: توسطن به جموع الأعداء الذين أغار عليهم»[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «سبحانه أقسم بما يعرفونه من شأن الخيل إذا كانت في غزو، فأغارت، فأثارت النقع، وتوسطت جمع العدو، وهذا أمر معروف، وذِكْرُ خيل المجاهدين أحق ما دخل في هذا الوصف، فذكره على وجه التمثيل لا الاختصاص، فإن هذا شأن خيل المقاتلة، وأشرف أنواع الخيل خيل المجاهدين، والقسم إنما وقع بما تضمنه شأن هذه العاديات من الآيات البينات من خلق هذه الحيوان الذي هو أكرم البهيم وأشرفه، وهو الذي يحصل به العز والظفر والنصر على الأعداء...فهذا من أعظم آيات الرب تعالى، وأدلة قدرته وحكمته، فذكرهم بنعمه عليهم في خلق هذا الحيوان الذي ينتصرون به على الأعداء

---

(١) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان بن محمد القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، (٧/ ٣٩١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١١٠١).

ويدركون به ثأرهم»[١].

٢- الحث على ارتباط الخيل واقتنائها للجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾ الآية [الأنفال: ٦٠].

«إن الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها التي عقد الخير في نواصيها وهي أقوى القوة، وأشد العدة وحصون الفرسان، وبها يجال في الميدان خصها بالذكر تشريفًا»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((من احتبس فرسًا في سبيل الله؛ إيمانًا بالله وتصديقًا، بوعده فإن شبعه وريَّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة))[٣].

فهذه فضيلة عظيمة لمن جعل الخيل وقفًا على الجهاد في سبيل الله نصرة لدينه، وميزة للخيل على غيرها من الدواب.

٣- ملازمة الخيرية لنواصي الخيل إلى يوم القيامة، ويدل عليه حديث عروة بن أبي الجعد[٤]، رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والغنم))[٥].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت، (٤٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: من احتبس فرسًا في سبيل الله (٢٢٩) برقم (٢٨٥٣).

(٤) هو: عروة بن الجعد، وقيل بن أبي الجعد البارقي، صحابي سكن الكوفة، وهو أول قاض بها، وبارق: جبل يسكنه الأزد، حدث عنه شعبة وسماك، وأخرج حديثه الجماعة. انظر: الثقات لابن حبان (٣/ ٣١٤)، والكاشف (٢/ ٢٢٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: الجهاد ماض مع البر والفاجر (٢٢٩) برقم (٢٨٥٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الخيل وأن الخير معقود بنواصيها الخير (١٠١٤) برقم (١٨٧٣).

قال ابن عبد البر[١]- رحمه الله -: «في هذا الحديث الحض على اكتساب الخيل وتفضيلها على سائر الدواب؛ لأنه ﷺ لم يأت عنه في غيرها مثل هذا القول وبذلك تعظيم لشأنها وحض على اكتسابها، وندب إلى ارتباطها في سبيل الله عدة للقاء العدو»[٢].

المسألة الثانية: البركة في الغنم:

الغنم من الدوابّ التي دلت السنة على حصول البركة فيها، فعن أم هاني[٣] رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال لها: ((اتخذي غنمًا؛ فإنَّ فيها البركة))[٤].

وجاء في حديث عروة البارقي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((الإبل عزٌّ لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة))[٥].

---

(١) هو: حافظ المغرب، العلامة: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، النميري، الأندلسي، المالكي، ولد سنة ٣٦٨هـ، أخذ العلم عن خلق منهم: الطلمنكي ومحمد بن رشيق، وحدث عنه ابن حزم وأبو علي الغسَّاني، وغيرهم، له مصنفات كثيرة، منها: الاستذكار، والاستيعاب، كان فقيهًا، حافظًا، عالمًا بالقراءات، وبالخلاف، وعلوم الحديث والرجال، وكان على مذهب السلف، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣-١٦٣).

(٢) التمهيد (١٤/ ٩٦).

(٣) هي: أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب، القرشية، الهاشمية، بنت عم النبي ﷺ، قيل اسمها: فاختة، وقيل: عاتكة، وقيل غير ذلك، أسلمت عام الفتح، وروت عن النبي ﷺ عدة أحاديث، توفيت في خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٩٦٣-١٩٦٤)، والثقات لابن حبان (٣/ ٤٤٠)، وتقريب التهذيب (٧٥٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٢٤)، وابن ماجه في سننه في أبواب التجارات، باب: اتخاذ الماشية (٢٦١٤) برقم (٢٣٠٤)، وفي مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر الكناني، تحقيق: محمد الكشناوي، دار العربية، بيروت، ١٤٠٣هـ، (٣/ ٤٠) برقم (٨١٤)، قال: «هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٤٠٤) رقم (٧٧٣).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه في أبواب التجارات، باب: اتخاذ الماشية (٢٦١٤) برقم (٢٣٠٥)، وفي مصباح الزجاجة (٣/ ٤٠) رقم (٨١٥) قال: «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٦٢) رقم (١٧٦٣).

فالغنم فيها بركة، كما أخبر النبي ﷺ، لما فيها من اللباس والطعام والشراب وكثرة الأولاد، فإنها تلد في العام ثلاث مرات، ففيها خير وسرعة نتاج وكثرته؛ حيث يمتلئ منها وجه الأرض، والسباع تلد ستًّا وسبعًا، ولا يُرَى منها إلا الواحد في الأطراف[١].

فلهذا حث النبي ﷺ على اتخاذ الغنم وتربيتها لوجود البركة فيها، وأخبر – أيضًا – أنها خير مال المسلم الذي يعتزل به عند اشتداد الفتن، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال[٢]، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن))[٣].

قال ابن عبد البر– رحمه الله –: «وفي هذا الحديث حض على كسب الغنم، وفي ذلك فضل لها»[٤].

فالغنم خير مال المسلم في ذلك الوقت؛ لأن المعتزل يأكل من لحومها ونتاجها ويشرب من ألبانها ويستمتع بأصوافها باللبس وغيره، وهي ترعى الكلأ في الجبال، وترد المياه؛ وهذه المنافع والمرافق لا توجد في غير الغنم[٥].

ولم يُبْعَثْ نبيٌّ إلا ورعاها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم)، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: (نعم، كنت أرعاها على قراريط[٦]،

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٨٥)، وفيض القدير (١/ ١٤٦).

(٢) شَعَفَ الجبال: رؤوسها، وشعفة كل شيء أعلاه. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٧٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن (٣) برقم (١٩).

(٤) التمهيد (١٩/ ٢٢٠).

(٥) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن رجب الدمشقي، تحقيق: طارق عوض الله محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٢هـ، (١/ ٩٩).

(٦) القيراط: جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في أكثر البلاد. انظر: النهاية لابن الأثير (٧٤٣) مادة (قرط).

لأهل مكة))[١].

المسألة الثالثة: بركة اللبن:

ومن البركة في بعض ما ينتجه الحيوان ما أودعه الله ﷻ من البركة في اللبن الذي يخرج من بين فرث ودم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦][٢].

ويدل على بركة اللبن ما روته عائشة رضي الله عنها، قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أتي بلبن قال: بركة أو بركتان))[٣].

فأخبر ﷺ أن اللبن بركة، يعني: أنَّ شربه زيادة في الخير[٤].

ومن بركة اللبن أنَّه يكفي شاربه عن الطعام والشراب، وليس ذلك لغيره، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أطعمه الله طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وارزقنا خيرًا منه، ومن سقاه الله لبنًا، فليقل اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه، فإني لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب إلاَّ اللبن))[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإجارات، باب رعي الغنم على قراريط (١٧٥) برقم (٢٢٦٢).

(٢) سبق الحديث عن نعمة تسخير اللبن في المبحث الأول الصفحة رقم [٧٤].

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٤٥)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الأطعمة، باب: اللبن (٢٦٧٧) برقم (٣٣٢١)، واللفظ له، وقال في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٣) رقم (١١٥٢): «أم سالم الراسبية وجعفر بن برد لم أر من تكلم فيهما بجرح ولا توثيق، وباقي رجال الإسناد ثقات»، وقال عنه أحمد البنَّا في الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد ابن حنبل الشيباني، دار الشهاب، القاهرة، (١٧/ ١١٥): «سنده جيد»، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٩/ ١٦٥) برقم (٤١٦٤).

(٤) انظر: فيض القدير (٥/ ١١٣).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٢٥)، وأبو داود في سننه، في كتاب الأشربة، باب: ما يقول إذا شرب اللبن (١٤٩٩) برقم (٣٧٣٠)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الأطعمة، باب: اللبن (٢٦٧٧) برقم (٣٣٢٢)، والفظ له، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٤١١) برقم (٢٣٢٠).

قال القرطبي رحمه الله: «قال علماؤنا: فكيف لا يكون ذلك وهو أول ما يتغذى به الإنسان، وتنْمي به الجثث والأبدان، فهو قوت خليّ عن المفاسد به قوام الأجسام، وقد جعله الله تعالى علامة لجبريل على هداية هذه الأمة التي هي خير الأمم، فقال في الصحيح: ((فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال لي جبريل: اخترت الفطرة، أما إنك لو اخترت الخمر لغوت أمتك))(١)، ثم إن في الدعاء بالزيادة منه علامة الخصب وظهور الخيرات والبركات، فهو مبارك كله»(٢).

المسألة الرابعة: بركة بهيمة الأنعام بعد نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان:

في آخر الزمان وبعد نزول عيسى عليه السلام، وقتله للمسيح الدجال وإهلاك الله سبحانه وتعالى يأجوج ومأجوج، يأمر الله تبارك وتعالى الأرض فترد بركتها، ويبارك الله سبحانه وتعالى في الثمار وفي بهيمة الأنعام، كما جاء ذلك في حديث النواس بن سمعان(٣)، رضي الله عنه الطويل، وفيه: ((ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة(٤) من الرمانة، ويستظلون بقحْفِهَا(٥)، ويبارك الله في الرِّسْل(٦)، حتى إن اللقحة(٧) من الإبل لتكفي الفئام(٨) من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ(٩) من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مناقب الأنصار، باب: المعراج (٣١٥) برقم (٣٨٨٧)، من حديث مالك بن صعصعة، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات (٧٠٦) برقم (١٦٣) من حديث أبي ذر.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٣٤).

(٣) هو: النواس بن سمعان الكلابي، الأنصاري، صحابي، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحدث عنه جبير بن نفير، وأبو إدريس الخولاني وغيرهم، سكن الشام، ذكر ابن عبد البر أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أخته فاستعاذت بالله منه، فتركها. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٥٣٤)، الثقات لابن حبان (٤/ ٤١١)، وتهذيب الكمال (٣٠/ ٣٧).

(٤) العصابة: الجماعة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٦٩).

(٥) القحف: القشر، تشبيهًا بقحف الرأس الذي فوق الدماغ. انظر: النهاية لابن الأثير (٧٣٣) مادة (قحف).

(٦) الرِّسل: بكسر الراء وإسكان السين، هو اللبن. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٦٩).

(٧) اللقحة: هي التي تحلب من النوق، وقيلت هنا على التي تحلب من البقر والغنم. انظر: المفهم (٧/ ٢٨٦).

(٨) الفئام: الجماعة من الناس. انظر: المرجع السابق.

(٩) الفخذ: الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٦٩).

الناس))[١].

فهذه بركة ينـــزلها الله تبارك وتعالى في آخر الزمان، وتظهر في بعض مخلوقاته، ومنها بعض الحيوان؛ حيث يبارك الله ﷻ في لبنها فتكفي أممًا من الناس.

وعلل ذلك الإمام ابن القيم – رحمه الله – بأنّ الأرض لما طهرت من المعاصي ظهرت فيها آثار البركة من الله ﷻ التي سحقت بسبب الكفر والذنوب[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال (١١٨٦) برقم (٢٩٣٧).

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، (٤٣).

المبحث الثاني

المسائل المتعلقة بتوحيد الألوهية:

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: عبودية الحيوان لله رب العالمين.

المطلب الثاني: عبادة البشر للحيوان في القديم والحديث.

المطلب الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بذبح الحيوان.

المطلب الرابع: التطير بأنواع من الحيوان.

المطلب الخامس: تعليق التمائم، وعلاقته بالحيوان وحكم الإسلام فيه.

المطلب السادس: الولاء والبراء عند الحيوان.

تمهيد في تعريف توحيد الألوهية:

سبق الكلام في المبحث الأول على تعريف التوحيد عند الحديث عن توحيد الربوبية.

الألوهية لغة:

يقال في اللغة: ألَه إلاهةً وأُلُوهةً وأُلوهيَّةً:

أي عبد عبادةً، والإله بمعنى: مألوه؛ أي معبود.

وألَّههُ: اتخذه إلهًا؛ أي معبودًا وكل ما اتخذ معبودًا، فهو إله عند متخذه[1].

توحيد الألوهيه شرعًا:

هو إفراد الله عز وجل بجميع أنوع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ماسوى الله تعالى كائنًا من كان[2].

فهو عبادة الله وحده لا شريك له[3]

فيدخل في توحيد الألوهية جميع العبادة من دعاء، وذبح، وتسبيح، وصلاة، وخوف ورجاءٍ وغيرها، فمن أفرد الله تعالى بهذه العبادة ولم يشرك معه فيها غيره فقد حقق توحيد الألوهية.

---

(١) انظر: الصحاح (٦/٢٢٢٣)، ولسان العرب (١٣/٤٦٧) مادة (أله)، والقاموس المحيط (١٦٠٣).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (٣٦)، وأعلام السنة المنشورة (٥١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/٤٤٨)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/٢٩).

المطلب الأول: عبودية الحيوان لله رب العالمين:

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: تسبيح الحيوان:

التسبيح لغة: التسبيح في اللغة التنـــزيه، تقول: سبحت الله تسبيحًا أي: نزهته تنـــزيهًا[(١)].

التسبيح في الشرع: وتعريف التسبيح في الشرع: تنـــزيه الله تعالى عما لا يليق به في ذاته وصفاته وأفعاله[(٢)].

وتنـــزيهه سبحانه عن النقائص ليس مجرد قول باللسان، بل هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح[(٣)].

فحاصل المعنى للتسبيح في الشرع هو: تنـــزيه الله تبارك وتعالى في الاعتقاد والقول والعمل، عما لا يليق به سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته وأقواله وأفعاله[(٤)].

وتسبيح الخالق تبارك وتعالى ليس مقصورًا على الملائكة والإنس والجن، بل هناك مخلوقات أخرى رفع عنها قلم التكليف ولم تملك عقولاً، وهي مع ذلك تسبح ربها وتوحده سبحانه.

فقد جاء في الكتاب والسنة إسناد التسبيح إلى جميع الكائنات المختلفة من البشر والحيوان والنبات والجماد، العاقلة منها وغير العاقلة، الناطقة وغير الناطقة، والنامية والجامدة، وكل ما يصدق عليه أنه شيء مما خلق الله في السموات أو في الأرض أو فيما بينهما من

---

(١) انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي مخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (٣/ ١٥١)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٢٥)، ولسان العرب (٢/ ٤٧٠) جميعها في مادة (سبح).

(٢) انظر: فتح القدير (٤/ ٤٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ١٥١).

(٤) انظر: التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه، د. محمد إسحاق كندو، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، (١/ ٧٦).

المخلوقات التي لا يحيط بأنواعها ولا يُحصي عددها إلا الخالق القدير، الذي أحاط بكل شيءٍ علما، وأحصى كل شيء عددا.

وفي كتاب الله ﷻ آيات كثيرة أسند فيها التسبيح إلى هذه الكائنات مجملة في بعضها، ومفصلة في بعضها الآخر[(١)].

قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١].

قال السعدي – رحمه الله –: «يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وسعة سلطانه أنّ جميع ما في السموات والأرض من الحيوانات الناطقة والصامتة وغيرها، والجوامد تسبح بحمد ربها، وتنـــزهه عمَّا لا يليق بجلاله»[(٢)].

وكذلك افتتح الله تبارك وتعالى سورًا أخرى بمثل ما افتتح به هذه السورة مبينًا تنـــزيه وتقديس جميع المخلوقات له سبحانه، فقال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحشر: ١]، وقال سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]، وقال سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]، وقال سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

فأسند الله عزَّ جل التسبيح في هذه الآيات إلى جميع المخلوقات، مرة بلفظ الماضي ومرة بلفظ المضارع، إشارة إلى أن هذه الأشياء مسبحة في كل الأوقات ولا يختص تسبيحها بوقت دون وقت، بل هي مسبحة أبدًا في الماضي، وستكون مسبحة أبدًا في المستقبل[(٣)].

ولفظ (ما) في هذه الآيات اسم موصول، وهو من صيغ العموم، وإن كان استعماله غالبًا لغير العاقل، فقد جاء استعماله في هذه الآيات للعاقل وغير العاقل، بتغليب غير العاقل لكثرته[(٤)].

---

(١) انظر: التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه (١/ ٣٣١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٩٨٧).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٢٩/ ١٧٩-١٨٠)، وفتح القدير (٥/ ١٦٥)، وأضواء البيان (٧/ ٨٠٥).

(٤) انظر: أضواء البيان (٧/ ٨٠٥).

وفي سورة الإسراء أخبر سبحانه أنَّ السموات والأرض هي - أيضًا - ومن فيها تسبِّح لله ﷻ فقال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

فجاءت كلمة (شيء) التي هي أهم العمومات، فدلت على شمول التسبيح جميع المخلوقات من سماء وأرض وملائكة، وإنس وجن وطير وحيوان، ونبات وشجر ومدر، وكل مخلوقات الله تعالى[(١)].

وقد اختلف أهل التفسير في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾، هل هو على عمومه أم لا، على قولين:

القول الأول: أن هذه الآية عامة في جميع المخلوقات وأنَّ كل مخلوق يسبِّح الله ﷻ من حيوان ونبات وجماد، وإنس وجن وغير ذلك، وهو قول أكثر العلماء[(٢)].

القول الثاني: أنَّ هذه الآية ليست على عمومها وأنَّ كلمة (شيء) عامة يراد بها الخصوص، واختلف أصحاب هذا الرأي بالأشياء التي تدخل في شيء، على أقوال:

قيل: إنَّ كل شيء حي فهو يسبح دون الميت[(٣)].

وقيل: إنَّ الحيوانات والناميات تسبِّح دون الجماد فالشجرة تسبِّح والأسطوانة لا تسبح[(٤)].

قيل: إنَّ كل شيء يسبح ما لم يتغير وينقل من مكانه، فالتراب يسبِّح ما لم يبتل، والخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها، والورقة تسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت

(١) انظر: المرجع السابق (٨/ ١٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٥٥)، وتفسير القرآن، منصور السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم ابن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، (٣/ ٢٤٤)، وتفسير القرآن العظيم (٥/ ٧٦).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٩).

(٤) انظر: معالم التنـــزيل (٥/ ٩٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٧١).

تركت التسبيح[١].

والقولان الأوَّلانِ من القول الثاني ظاهرا الضعفِ، ويكفي في ردهما ما جاء في النصوص من تسبيح الجماد، كقوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، وأمَّا القول الثالث فتحكم لا دليل عليه.

وهذه أقوال لا دليل عليها يقوى على تخصيصها، والقول الأول القائل بعموم التسبيح لجميع المخلوقات هو القول الصحيح إن شاء الله؛ لوضوح دليله، فإنَّ كلمة (شيء) كما سبق عامة ولا مخصص لها؛ فهي شاملة لجميع الكائنات، والله أعلم.

وجاء في السنة - أيضًا - إسناد التسبيح إلى الكائنات؛ فعن عمرو بن عبسة[٢]، ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ما تستقل[٣] الشمس فيبقى شيء من خلق الله ﷻ إلا سبح الله ﷻ وحمده، إلا ما كان من الشياطين وأعتى بني آدم)، فسألت عن أعتى بني آدم؟ فقال: (شرار الخلق، أو شرار خلق الله ﷻ))[٤].

فدلت هذه النصوص على أنَّ الحيوان من المخلوقات التي تسبح الله ﷻ وتنـــزهه عن كل عيب ونقص، عابدة خاضعة له بذلك، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تسند التسبيح إلى أصناف من الحيوان، منها:

١- الطير:

أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه عن تسبيح الطير في أربعة مواضع:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا

---

(١) انظر: معالم التنـــزيل (٥/ ٩٦)، وزاد المسير (٥/ ٣٩).

(٢) هو: أبو نجيح، عمرو بن عبسة السلمي، صحابي مشهور، أسلم قديمًا، وهاجر بعد أحد، سكن الشام ومات بها، يقال: إنه رابع من أسلم، روى عنه: شرحبيل بن السمط وسليم بن عامر. انظر: الإصابة (٤/ ٦٥٨-٦٦٠)، والثقات (٣/ ٢٦٩)، وتقريب التهذيب (٤٢٤، ٧٢٠).

(٣) أي ترتفع وتتعالى. انظر: فيض القدير (٥/ ٥٥٧).

(٤) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا استقلت الشمس (١٢٩) برقم (١٤٩)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٢٦٤) برقم (٢٢٢٤).

فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

فبين ﷻ أنَّ الجبال والطير كانت تسبح مع داود ﵇ إذا سبّح(١)، فكانت الطير والجبال إذا مرّ بها داود ﵇ مسبِّحًا جاوبته بالتسبيح، وكان يأمرها بالتسبيح إذا فتر لينشط فتسبِّح بأمره(٢).

وتسبيح الطير والجبال مع داود عليه الصلاة والسلام لما أعطاه الله ﷻ من طيب الصوت بتلاوة كتابه الزبور، فكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تأويبًا(٣).

وقوله سبحانه: (والطير) معطوف على الجبال، أي وسخرنا الطير تسبح مع داود، وقيل: هو مفعول معه، أي: وسخرنا الجبال يسبحن مع الطير(٤).

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور: ٤١].

ففي هذه الآية يخبر تبارك وتعالى بتسبيح جميع الكائنات، من الملائكة والإنس، والجن، والحيوانات، والجمادات، كما سبق الحديث عنه فيما مضى، ثم أخبر سبحانه بتسبيح نوع من هذه المخلوقات وهي الطير، فقال: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ﴾، أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها سبحانه إليه(٥).

والطير من جملة المخلوقات التي تسبح، فلم خصّها سبحانه في هذه الآية مع ذكره لجميع الكائنات؟

قيل: خصَّ الطير بالذكر من جملة الحيوانات؛ لأنها تكون بين السماء والأرض، فتكون

---

(١) انظر: جامع البيان (١٨/ ٤٧٩)، وأضواء البيان (٤/ ٦٧٢).

(٢) انظر: معالم التنـــزيل (٥/ ٣٣٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٣٣٦).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٢٥).

(٤) انظر: الكشاف (٣/ ١٢٩)، والبحر المحيط (٦/ ٣٠٧)، وفتح القدير (٣/ ٤١٩)، والتسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٣٥).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٧٨).

خارجة عن حكم من في السماء والأرض[١].

وقيل: خصّ الطير لما فيها من الصنعة البديعة التي تقدر به تارة على الطيران، وتارة على المشي، وذكر صدور التسبيح منها حال كونها صافات أجنحتها؛ لأنَّ هذه الحالة هي أغرب أحوالها؛ فإن استقرارها في الهواء مسبحة من دون تحريك لأجنحتها ولا استقرار على الأرض من أعظم صنع الله الذي أتقن كل شيء[٢].

واختلف أهل التفسير في رجوع الضمير المستتر في (علم) على قولين:

القول الأول: أنَّ الضمير يرجع إلى الله ﷻ فيكون المعنى: كل من المسبحين والمصلين قد علم الله صلاته وتسبيحه[٣]، واختار ابن جرير الطبري رحمه الله هذا القول.

القول الثاني: أنَّ الضمير في (علم) يرجع إلى (كل)، أي: كل من المصلين والمسبحين قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه، كما ألهمه إيّاها ربنا تبارك وتعالى، واختار هذا القول الحافظ ابن كثير[٤]، والسعدي[٥]، والشنقيطي[٦]، رحمهم الله جميعا.

الموضع الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾ [سبأ: ١٠].

يخبر سبحانه تبارك وتعالى عما أكرم به نبيه داود ؑ، حيث جعل الجبال والطير تُؤوِّب معه أي: ترجع التسبيح معه[٧].

فهذه نعمة أنعم بها سبحانه على داود ؑ؛ إذ جعل الجبال الراسيات، الصم الشامخات تسبح معه إذا سبح، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع

---

(١) انظر: معالم التنـــزيل (٦/ ٥٣)، والبحر المحيط (٦/ ٤٢٥).
(٢) انظر: فتح القدير (٤/ ٤٠).
(٣) انظر: جامع البيان (١٩/ ٢٠٠)، وأضواء البيان (٢٤٤).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٧٨).
(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٦٧).
(٦) انظر: أضواء البيان (٦/ ٢٤٤).
(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٨٥).

اللغات، وذلك لما أعطاه الله سبحانه من الصوت العظيم بأمر الله تعالى لها[١].

وقوله: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾، التأويب: هو: التسبيح[٢]، والمعنى: سبِّحي ورجعي التسبيح مع داود إذا سبَّح[٣]، والطير مأمورة بما أمرت به الجبال من ترجيع التَّسبيح، أي إذا نادينا الطير بمثل ذلك من ترجيع التسبيح معه[٤].

الموضع الرابع: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٨-١٩]، وفي هذه الآية كما سبق بيانٌ لما أكرم الله به عبده داود ﵇ من تسخير الجبال والطير تسبح بتسبيحه.

فأخبر سبحانه أنه سخر مع داود الجبال يسبِّحن بالعشي، وذلك من وقت العصر إلى الليل، والإشراق، وذلك بالغداة وحتى الضحى، وكذلك سخر الطير يسبحن معه محشورة بمعنى: مجموعة له، فكان إذا سبح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه واجتماعها إليه كان حشرها[٥].

فهذه أربعة مواضع في الكتاب العزيز أخبر الله تبارك وتعالى فيها عن تسبيح الطير، فهي تنـــزه الله ﷻ وتبرئه عن النقائص وإن كنَّا لا نفقه ذلك كما أخبر سبحانه: ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهذا التسبيح هو نوع من أنواع العبادة التي تجلَّت في هذه المخلوقات لخالقها ﷻ، وهي فرد من أفراد لا تحصى توحد ربها وتخضع لجلاله، وإن كانت غير مكلفة فهي مطيعة لخالقها عابدة له ذليلة، فهو سبحانه المتفضل عليها بالإيجاد والرزق فله الحمد أولاً وآخرًا.

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/ ١٥٣).

(٣) انظر: الكشاف (٣/ ٥٨٠)، والبحر المحيط (٧/ ٢٥٢)، وأضواء البيان (٤/ ٦٧٢).

(٤) انظر: أضواء البيان (٤/ ٦٧٢).

(٥) انظر: جامع البيان (٢١/ ١٦٨-١٦٩)، ومعالم التنـــزيل (٧/ ٧٦).

٢- النمل:

وهذه النمل - أيضًا - جاءت السنة مصرحة بتسبيحها له تبارك وتعالى، فعن أبي هريرةﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قرصت نملة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله؟))[١].

ففي الحديث دليل على أنَّ النمل شأنها شأن المخلوقات الأخرى تسبح الله ﷻ.

يقول الحافظ ابن حجر: «قوله ﷺ: (أمة من الأمم تسبح الله) استدل به على أن الحيوان يسبح الله تعالى حقيقة، ويتأيد به قول من حمل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ على الحقيقة»[٢].

فيجب الإيمان والتصديق بكل ما جاء عن الله سبحانه وعن رسوله ﷺ، فلها تسبيح وتنـــزيه يعلم ربنا تبارك وتعالى كيفيته فهو سبحانه المطلع على صغائر الأمور وعظائمها، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

ففي النصوص السابقة دلالة واضحة على تسبيح الكائنات كلها، ومنها الحيوان تسبيحا حقيقيًّا بلسان المقال، وهذا القول هو أشهر القولين[٣]، بل هو قول السلف والمحققين من العلماء المتأخرين[٤]، وغيره ليس بمعتمد[٥]، بل هو خلاف أقوال المفسرين[٦].

وقد ذهب فريق آخر من المفسرين إلى أنَّ تسبيح الكائنات الذي جاء في الكتاب والسنة

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٥٧].

(٢) فتح الباري (٧/ ٥٩٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٧٦).

(٤) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٤٤)، ومعالم التنـــزيل (٥/ ٩٦)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ (٤/ ١٨٨)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٤٧).

(٥) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٤٥).

(٦) انظر: بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها (٢/ ٣١٣).

محمول على التسبيح بلسان الحال لا بلسان المقال[١]، وقد تنوعت عباراتهم وتفسيرهم لهذا التسبيح وبيان كيفيته:

فمنهم من جعل تسبيح العقلاء حقيقيًّا بلسان المقال، وتسبيح غير العقلاء - من الحيوانات والنباتات والجمادات - مجازيًّا بلسان الحال[٢].

ومنهم من جعل تسبيح الحيوان - ناطقًا وغير ناطق - حقيقيًّا وتسبيح غير الحيوان تسبيحه مجازيًّا بلسان الحال[٣].

واختلف هؤلاء في التعبير عن تسبيح الكائنات الحالي الذي أثبتوه بعد اتفاقهم على نفي التسبيح الحقيقي.

فقيل: تسبيح الكائنات هو آثار الصنعة فيها: أي كونها دالة على خالقها بهيئتها وإتقان صنعها فهذا بمنــزلة تسبيح الخالق[٤].

وقيل: تسبيح الكائنات هو كونها سببًا داعيًا إلى التسبيح، فمن رآها سبح الله ﷻ لما يظهر فيها من آثار الصنعة[٥].

وقال فريق ثالث: تسبيح الكائنات هو خضوعها وخشوعها لله ﷻ[٦].

والذي جعل هؤلاء يحملون تسبيح الكائنات على التسبيح الحالي، تحكيم العقل والحس في كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ، حيث جعلوا هذا التسبيح تسبيحا مجازيا، كصنيعهم في الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة، فإنهم حين لم يشاهدوا ذلك في الواقع، ولم تتصوره عقولهم حملوه على التسبيح بالحال والدلالة[٧].

ولهذا تجد أن الذين أكثروا الكلام في تسبيح الكائنات، وادعوا أنه تسبيح مجازي، هم

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٦٢٦)، ومفاتيح الغيب (٢٠/ ١٧٤-١٧٦).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٩-٤٠).

(٤) انظر: الكشاف (٢/ ٦٢٦).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٧٣).

(٦) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٠).

(٧) انظر: التسبيح في الكتاب والسنة (٣٦١/١).

من رؤوس أهل الكلام وممن تأثروا بهم(١).

ولا شك أن القائلين: بأنّ تسبيح الكائنات جميعها تسبيح حقيقي وإن كنّا لا ندرك كيفية تسبيح بعض الكائنات أسعد الناس بالدليل، ويتبين بطلان قول من جعل تسبيح بعض الكائنات حاليًّا بالوجوه الآتية(٢):

أولاً: أنّ الله ﷻ قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فلو كان المراد بالتسبيح هنا هو التسبيح الحالي لكان هذا التسبيح مفقوهًا، والآية تنطق بأنّ هذا التسبيح لا يفقه(٣).

وأجاب أصحاب القول الآخر بأنّ المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ [الإسراء: ٤٤]، المشركون؛ لأنهم وإن كانوا معترفين بالخالق لكنهم لمّا جعلوا معه آلهة لم ينظروا ولم يقرّوا؛ لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه(٤).

وتخصيص الخطاب بالمشركين تخصيص بلا دليل، فالصواب أنّه خطاب للجميع، وهو دال على ما سبق من عدم إدراكنا كيفية تسبيح جميع الكائنات التي تسبح بغير لغتنا.

ثانيًا: لو كان التسبيح تسبيح دلالة فأي تخصيص لداود عليه الصلاة والسلام؛ حيث أخبر سبحانه - كما سبق - أنَّ الجبال والطير تسبح مع داود، فتكون مسبحة مع الخلق كلهم(٥).

ثالثًا: قول من قال: إنّ تسبيحها نفوذ مشيئة الرب وقدرته فيها، ودلالتها على الصانع قول باطل؛ لأنَّ هذا وصف لازم دائم لها، لا يكون في وقت دون وقت، والله سبحانه أخبر عن الجبال وتسبيحها، فقال: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [ص: ١٨]، فخص

---

(١) انظر: الفصل (١/١٠١)، والكشاف (٢/٦٢٦)، ومفاتيح الغيب (٢٠/١٧٦).

(٢) انظر: أضواء البيان (التتمة) (٨/ ١٦-٢٤)، والتسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٣٦٣-٣٦٧).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٥٩)، وفتح القدير (٣/ ٢٣١)، أضواء البيان (٦/ ٦٠٦).

(٤) انظر: الكشاف (٢/ ٦٢٦)، والبحر المحيط (٦/ ٣٨).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٧٣).

وقت العشي والإشراق بالتسبيح[(١)].

رابعًا: أن الحامل لمن زعم أن تسبيح الكائنات تسبيح حالي، وهو دلالتها على الخالق، هو تحكيم الحس والعقل، واستبعاد حصول النطق والإدراك من هذه الكائنات، وعدم إدراك العقل لتسبيح الكائنات وكون الحس لم يشهد بذلك، دليل على عجزهما، وليس دليلاً على عدم حصول التسبيح، وصدق الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ [الإسراء: ٤٤][(٢)].

خامسًا: أنَّ الله ﷻ أخبر أنَّ غير العقلاء من المخلوقات لها إدراك يعلمه سبحانه، ونحن لا نعلمه، فقال سبحانه عن الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٧٤]، فأثبت لها خشية، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

والإباء والإشفاق إنما يكونان بالإدراك.

ومن ذلك ما جاء في قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام، حيث أدرك أنَّه أحاط بما لم يحط به سليمان، ومعرفته لسبأ بعينها، ومعرفته بعرش المرأة وتوليتها عليهم، وما كانوا عليه من السجود للشمس وغير ذلك.

وكذلك النملة أدركت مجيء سليمان عليه السلام[(٣)].

سادسًا: أنَّ الصحابة سمعوا تسبيح بعض الجمادات بين يدي النبي ﷺ، فهل يقال: إن ما سمعوه تسبيح دلالة؟

من ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((كنَّا نعد الآيات بركة وأنتم تعدّونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقلَّ الماء، فقال: (اطلبوا فضلة من ماء)، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: (حي على الطهور المبارك، والبركة من الله)،

---

(١) انظر: جامع الرسائل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، (١/ ٤٣).

(٢) انظر: أضواء البيان (التتمة) (٨/ ١٦)، والتسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٣) انظر: أضواء البيان (٦/ ٢٤٥-٦٠٦)، و(٨/ ١٧-١٨).

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنَّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل))[1].

وما رواه أبو ذر[2] رضي الله عنه، قال: ((انطلقت ألتمس رسول الله ﷺ في بعض حوائط المدينة، فإذا رسول الله ﷺ قاعد، فأقبل إليه حتى سلم على النبي ﷺ، قال أبو ذر وحصيات موضوعة بين يديه فأخذهنَّ في يديه فسبحنَّ في يده ثم وضعهنَّ في الأرض فسكتن، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد أبي بكر فسبحن في يده، ثم أخذهنّ فوضعهنَّ في الأرض فخرسن، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد عمر فسبحن في يده، ثم أخذهن فوضعهنَّ في الأرض فخرسن، ثم أخذهنَّ فوضعهن في يد عثمان فسبحن، ثم أخذهن فوضعهنّ في الأرض فخرسن))[3].

بل جاء ما يدل على أنَّ (سبحان الله وبحمده) هي صلاة جميع الكائنات – من حيوان وغيره – كما في الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد في وصية نوح عليه السلام لابنيه، وفيه:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٢٩١) برقم (٣٥٧٩).

(٢) هو: أبو ذر، جندب بن جنادة، تقدم إسلامه، وتأخرت هجرته، وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، روى عنه أنس وابن عباس وعطاء وغيرهم، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٢هـ بالربذة. انظر: الاستيعاب (١/ ٢٥٢-٢٥٦)، والإصابة (٧/ ١٢٥-١٢٩).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، (٢/ ٧٧٠) برقم (١١٨٠)، والطبراني في المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسين، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، (٢/ ٥٩) برقم (١٢٤٤)، والبزار في البحر الزخار، أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٤٠٩هـ (٩/ ٤٣٤) برقم (٤٠٤٤)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ، (٢/ ٣٠٨) برقم (١١٤٦).

((وآمركما بسبحان الله وبحمده، فإنهما صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء))[(١)].

فعلى المسلم الإيمان بذلك كلِّه، وأن يكل الكيفية لخالق تلك الكائنات، ولا نقيس بعقولنا، أو نستبعد أمرًا لم تدركه حواسنا.

فالمخلوقات تسبح بلسان الحال، وتسبّح - أيضًا - بلسان المقال تسبيحًا يعلمه ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهذا كله شاهد على إفراد الخالق تبارك وتعالى بالألوهية، وأنه سبحانه المستحق لأن يعبد وحده دون سواه، فهذه الحيوانات التي لا عقل لها ولا تكليف عليها، عرفت خالقها تبارك وتعالى وسبحت بحمده ونزهته عن كل عيب أو نقص فسبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك.

المسألة الثانية: سجود الحيوان لله ﷻ:

السجود لغة: أصل السجود في اللغة التذلل والخضوع، ويقال: سجد إذا انحنى وتطامن إلى الأرض[(٢)].

السجود في الشرع: السجود في الشرع: الهوي ووضع الجباه على الأرض بقصد الخضوع[(٣)]، وهو أعظم الهيئات الدالة على الخضوع والخشوع والطواعية التامة[(٤)].

وقد أخبر ﷻ في كتابه العزيز أنَّ جميع الكائنات - من إنس وجن وملائكة وحيوان وغيرها - تسجد له تبارك وتعالى، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧٠، ٢٢٥)، والبخاري في الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ، (١/ ١٩٢) برقم (٥٤٨)، من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، دار الصديق، ط١، ١٤٢١هـ، (٢١٩) برقم (٢٢٤)، وفي صحيح الترغيب والترهيب،محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف،الرياض، ط٥، (٢/ ١٠٥) برقم (١٥٣٢).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ١٣٣)، مادة (سجد)، وتاج العروس (٨/ ١٧٢) مادة (سجد)، والبحر المحيط (١/ ٣٠٠).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٥)، والتحرير والتنوير (١٣/ ١١٠).

(٤) انظر: البحر المحيط (١/ ٥٢٨)، وتاج العروس (٨/ ١٧٢)، مادة (سجد).

وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩﴾ [الرعد: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨-٤٩].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ﴾ [الحج: ١٨].

فما من شيء في هذا الوجود إلا ويسجد لله سبحانه، اعترافًا بربوبيته وألوهيته ﷻ، فكل من في السموات والأرض، والشمس والقمر والنجوم، وكل ما نراه من جبال وأشجار، ونبات وحيوان، ما له روح وما لا روح له يسجد لله ﷻ.

واختلف أهل التفسير في سجود الكائنات غير العاقلة من حيوان ونبات وجماد على أربعة أقوال:

القول الأول: أنَّ المراد بالسجود: سجود خضوع وانقياد واستسلام(١)، فهي منقادة لإرادة الله غير ممتنعة عليها(٢)، مسخرة لقدرته لا تتأتّى عن تدبيره(٣).

القول الثاني: ظهور أثر صنعة الخالق فيها(٤)، فهي تدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبر فيه(٥).

القول الثالث: أن السجود ها هنا هو: الطاعة والعبادة، وأنَّ كل الأشياء ساجدة مطيعة من حيوان وجماد(٦).

---

(١) انظر: جامع البيان (١٧/ ٢١٩)، وزاد المسير (٤/ ٤٥٣)، وبحر العلوم (٢/ ٢٢١).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٥٦٩).

(٣) انظر: أنوار التنـزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، (٢/ ٨٥).

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٥٤).

(٥) انظر: معالم التنـزيل (٥/ ٢٣).

(٦) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ١٧٦)، ومعالم التنـزيل (٥/ ٣٧٢).

فسجود كل شيء بحسب حاله وما يختص به[١].

قال السمعاني[٢] رحمه الله: «فإن من اعتقاد أهل السنة أن الحيوان والموات مطيع كله لله تعالى، وقال بعضهم: إن سجود الحجارة هو بظهور أثر الصنع فيه، على معنى أنه يحمل على السجود والخضوع لمن تأمله وتدبر فيه، وهذا قول فاسد، والصحيح ما قدمنا والدليل عليه أن الله تعالى وصف الحجارة بالخشية، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، ولا يستقيم حمل الخشية على أثر القدرة فيه»[٣].

القول الرابع: أن السجود: سجودٌ حقيقي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله — في بيان خطأ من فسر سجود الكائنات بالخضوع والانقياد؛ لأنها في هذا التفسير لا فعل لها، فكيف يقال عنه: طوعًا وكرهًا، فقال رحمه الله: «القرآن يدل على أن السجود والتسبيح أفعال لهذه المخلوقات، وكون الرب خالقًا لها إنما هو كونها مخلوقة للرب ليس فيه نسبة أمر إليها، يبين ذلك أنه خص الظل بالسجود بالغدو والآصال، والظل - متى كان وحيث كان - مخلوق مربوب، والله تعالى جعل الظلمات والنور، والقول الذي ذكره البغوي[٤]، أقرب من القول الذي ذكره أبو الفرج[٥]، وهو سبحانه تارة يجعلها آيات له، وتارة يجعلها ساجدة مسبحة، وهذا نوع غير هذا.

وعلى هذا القول: الجميع واحد، ليس في كونها ساجدة مسبحة إلا كونها آية دالة

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٩٨)، وتيسير الكريم الرحمن (٤٨٠).

(٢) هو: العلامة: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، المروزي، ولد سنة ٤٢٦هـ، سمع من أحمد الكراعي، وأبي القاسم الزنجاني وغيرهم، وسمع منه محمد السنجي ومحمد الفاشاني، وغيرهم، كان حنفيًّا ثم تحول شافعيًّا، كان شوكًا في أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة، توفي سنة ٤٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤-١١٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ٤٢٨).

(٤) المراد بقول البغوي: «إن سجودها بمعنى الطاعة». انظر: معالم التنـــزيل (٥/ ٣٧٢).

(٥) قول أبي الفرج ابن الجوزي: إن من لا يعقل سجوده أثر الصنعة فيه، والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق. انظر: زاد المسير (٤/ ٤٥٣).

وشاهدة للخالق تعالى بصفاته لكونها مفعولة له، وهذا معنى ثابت في المخلوقات كلها لازم لها، وهي آيات للرب بهذا الاعتبار، وهي شواهد ودلائل وآيات بهذا الاعتبار، لكن ذاك معنى آخر كما يعرف بين كون الإنسان مخلوقًا وبين كونه عابدًا لله، فهذا غير هذا، هذا يتعلق بربوبية الرب له، وهذا يتعلق بتألهه وعبادته للرب»[١].

وقال أيضًا: «وأما تفسير سجودها وتسبيحها بنفوذ مشيئة الرب وقدرته فيها ودلالتها على الصانع فقط فالاقتصار على هذا باطل، فإن هذا وصف لازم دائم لها، لا يكون في وقت دون وقت»[٢].

فالصواب - والعلم عند الله - أن جميع الكائنات تَسْجُد لخالقها سجودًا حقيقيًّا، وإن كنَّا لا نعلم كيفية سجودها، كما أنها تسبح الخالق وتنـــزهه وإن كنّا لا نفقه تسبيحها، ولا يلزم أن يكون لها سجود كسجودنا على سبعة أعضاء، بل لكل مخلوق سجود يخصه.

فيجب الإيمان والتسليم بذلك، يقول الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره لخشية الحجارة: «فإن قيل: الحجر جماد، فكيف يخشى؟ قيل: الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه، ومذهبُ أهل السنة والجماعة أنَّ الله تعالى خلق علمًا في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقل، لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية، كما قال جلّ ذكره: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨] الآية، فيجب على المؤمن الإيمان به، ويكل علمه إلى الله ﷻ»[٣].

وقال الشنقيطي رحمه الله في بيانه لسجود ظلال المخلوقات وأنه سجود حقيقي: «ونحن نقول: إن الله جلَّ وعلا قادر على كل شيء، فهو قادر على أن يخلق للظل إدراكًا يسجد به لله تعالى سجودًا حقيقيًّا، والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من كتاب أو سنة»[٤].

---

(١) جامع الرسائل (٤٣-٤٤).

(٢) المرجع السابق (٤٣).

(٣) معالم التنـــزيل (١/ ١١١).

(٤) أضواء البيان (٣/ ١٠٠).

وقد أخبر النبي ﷺ أن الشمس تسجد تحت العرش، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ حين غربت الشمس: ((أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]))(١).

فإذا كانت الشمس تسجد تحت العرش، فلا مانع أن يسجد غيرها من الحيوانات والنباتات، ولهذا جاء عن الضحاك(٢)، أنه قال: ((إذا فاء الفيء توجه كل شيء ساجدًا قِبَلَ القبلة، من نبت أو شجر))(٣).

وقال مجاهد(٤): ((إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل))(٥)، فالحيوانات من مخلوقات الله تبارك وتعالى التي تسجد له سبحانه سجود خضوع وانقياد وسجود طاعة وعبادة؛ إذ هو سبحانه المستحق لأن يعبد دون سواه، فهذه الحيوانات كما أنها عرفت ربها وخالقها فقد خضعت له وأفردته سبحانه بالطاعة والعبادة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر (٢٥٩) برقم (٣١٩٩).

(٢) هو: أبو القاسم، الضحاك بن مزاحم الهلالي، البلخي، المفسر، لقي جماعة من التابعين، ولم يشافه أحدًا من الصحابة، قيل: سمي الضحاك؛ لأن أمه حملت به سنتين فولد وله أسنان، حدث عنه: علي بن الحكم ومقاتل بن حيان وغيرهم، كان له عناية بعلم القرآن، فكان يعلم الصبيان، فلا يأخذ منهم شيئًا، مع لزوم الورع، وثّقه أحمد وابن معين وأبو زرعة، توفي سنة ١٠٥هـ. انظر: الثقات لابن حبان (٦/ ٤٨٠)، وميزان الاعتدال (٣/ ٤٤٦).

(٣) انظر: جامع البيان (١٧/ ٢١٧).

(٤) هو: أبو الحجاج مجاهد بن جبر، المخزومي، مولاهم، كان مولى للسائب بن أبي السائب، إمامًا في التفسير والقراءات، حجة، روى له الجماعة، وروى عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما، وروى عنه الحكم ومنصور وغيرهم، كان فقيهًا عابدًا ورعًا متقنًا، توفي بمكة وهو ساجد سنة ١٠٣هـ. انظر: الثقات لابن حبان (٥/ ٤١٩)، والكاشف (٣/ ١٠٦)، وتقريب التهذيب (٥٢٠).

(٥) انظر: جامع البيان (١٧/ ٢١٧).

المسألة الثالثة: دعاء الحيوان ربه تبارك وتعالى واستغفاره:

الدعاء لغة:

أصل الدعاء أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك(١).

وقال ابن منظور: «دعا الرجل دعوًا ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانًا أي صِحت به واستدعيته»(٢).

الدعاء شرعًا:

الابتهال إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة فيما عنده من الخير(٣).

وعُرِّف – أيضًا –: بأنه استدعاء العبد ربه عَزَّ وَجَلَّ العناية واستمداده إياه المعونة(٤).

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بتعريف مختصر شامل، فقال: «هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه»(٥).

الاستغفار لغة: الغفر في اللغة يطلق على الستر والصفح والتغطية(٦)، واستغفره من ذنبه أي: طلب منه غَفْرَه(٧).

الاستغفار في الشرع: هو طلب المغفرة وستر الذنوب(٨)، قال الإمام الطبري رحمه الله: «الاستغفار معناه: طلب العبد من ربه عَزَّ وَجَلَّ غفران ذنوبه»(٩).

وقد دلت النصوص على أن من عبودية الحيوان للخالق تبارك وتعالى: الدعاء

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٩)، مادة (دعو).

(٢) انظر: لسان العرب (١٤/ ٢٥٨)، مادة (دعا).

(٣) انظر: المصباح المنير (١/ ١٩٤)، مادة (دعوت).

(٤) انظر: شأن الدعاء، حمد محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ١٩٨٤م، (٤).

(٥) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠).

(٦) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٥)، مادة (غفر)، والمصباح المنير (٢/ ٤٤٩)، مادة (غفر).

(٧) انظر: القاموس المحيط (٥٨٠)، مادة (غفر).

(٨) انظر: التسهيل لعلوم التنـــزيل (١/ ١٠٢)، والبحر المحيط (٥/ ٢٠٢).

(٩) جامع البيان (٢٢/ ١٩٨).

والاستغفار، ومن أمثلة ذلك:

١- صلاة النمل والحوت على معلم الناس الخير والعالم واستغفارهما لهما:

أخبر النبي صلى عليه وسلم أنَّ النملة والحوت يصليان على معلم الناس الخير - أي يدعوان له - فعن أبي أمامة الباهليﷺ قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان، أحدهما: عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: ((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم))، ثم قال رسول الله ﷺ: ((إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير))[١].

وأخبر - أيضًا - أنّ الحيتان تستغفر للعالم، فعن أبي الدرداءﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر))[٢].

فالنمل والحيتان يعلمون منـــزلة العالم ومعلم الناس الخير، فهي تدعو له وتستغفر له، وإلحاقهما وعطفهما على دعاء الله ﷻ والملائكة وأهل السموات والأرض له يدل على أن هذا الدعاء دعاء حقيقي، وليس مجازيًّا[٣].

وهذا دليل على أن جميع الكائنات علوها وسفلها - من حيوانات وغيرها - تدعو وتستغفر للعالم، ومعلم الناس الخير، لما لهما من فضل عظيم على الكائنات كلها؛ ولأنّ بركة علمهم وعملهم وإرشادهم وفتواهم سبب لانتظام أحوال العالم، وهم الذين يبينون ما يحل وما يحرم منها، ويوصون بالإحسان إليها، ودفع الضر عنها، حتى بإحسان القِتْلَة، والنهي عن المثلة[٤].

وهذا الدعاء والاستغفار - كما سبق - دعاء واستغفار حقيقي، خلافًا لمن فسره: بأنّ

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٩٣].

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٩٣].

(٣) انظر: عبودية الكائنات (٢٨٠).

(٤) انظر: فيض القدير (٤/ ٥٦٨-٥٦٩).

الله يكتب له بعدد كل أنواع الحيوانات الأرضية استغفارة مستجابة[١].

فإنّ هذا صرف للكلام عن ظاهره من غير دليل يدل عليه، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ولا تستغرب أن تكون هذه الحيوانات تستغفر الله ﷻ للعالم؛ لأن الله ﷻ قال في القرآن الكريم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، فالبهائم والحشرات تعلم ربها ﷻ، وتعرفه...المهم أن الله تعالى سخر هذه الكائنات تستغفر للعالم»[٢].

٢- دعاء الفرس:

والفرس - أيضًا - أخبر عنها النبي ﷺ أنها تدعو في كل سحر بدعوتين، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من فرس عربي إلا يؤذن له عند كل سحر بدعوتين: اللهم خوّلْتني مَنْ خوَّلتني من بني آدم وجعلتني له، فاجعلني أحب أهله وماله إليه أو من أحب أهله وماله إليه))[٣].

فهذا الفرس يدعو بدعاء يتجه به إلى من يستحق الدعاء، وهو الله تبارك وتعالى، وهو يعلم أنه تحت تصرف الخالق جلَّ في علاه، وأنه مسخر من قبل ربه سبحانه لبني آدم، فدعا بهذا الدعاء.

والمؤمن الصادق يؤمن بذلك كلِّه ولا يطلب تأويلاً وصرفًا لكلام النبي ﷺ عن ظاهره؛ إذ هو في غاية البيان والوضوح، فهو دعاء حقيقي وإن كنَّا لا نفقهه.

فالمخلوقات - من حيوان ونبات وجماد - خاضعة ذليلة طائعة لخالقها تبارك وتعالى،

---

(١) انظر: المرجع السابق (٤/ ٣٥٤).

(٢) شرح رياض الصالحين (٥/ ٥٥١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٧٠)، وسنن النسائي الصغرى، أحمد بن شعيب النسائي، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ، كتاب الخيل والسبق والرمي، باب: دعوة الخيل (٢٣٢٤) برقم (٣٦٠٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٠١) برقم (٢٤٥٧)، وصححه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ، (١/ ٤٧٤) برقم (٢٤١٤).

وهذه الحيوانات هي من جملة هذه الكائنات، فهي تعرف ربها ﷻ وتؤمن به وتدعوه، ولكل كائن عبادة وطاعة لا يلزم أن تكون مشابهة لعبادة البشر.

المسألة الرابعة: خوف الحيوان من الله ﷻ:

من عبودية الحيوان لخالقها أنها تخاف منه ﷻ، وقد دلَّ على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قبض، وفيه تقوم الساعة، ما على الأرض من دابّة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة[١] حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلا ابن آدم...))[٢]. الحديث.

فهذه الدوابّ تخاف يوم الجمعة؛ لأنها تعلم أن قيام الساعة يكون فيه، فهي تشفق من هذا اليوم؛ لأنها تعلم ما في الساعة من أهوال.

فهذه الدوابّ صباح كل يوم جمعة تستمع استماع حذر وإشفاق وخشية الفجأة والبغتة[٣].

وقد ذكر بعض العلماء أن هذه الدوابّ تعلم الأيام بعينها، وأنَّ القيامة تقوم يوم الجمعة[٤].

والخوف من قيام الساعة هو خوف من الخالق تبارك وتعالى، وخشية من عذابه، فمن

---

(١) مصيخة: أي مصغية مستمعة، منتظرة لقيامها فيه. انظر: النهاية لابن الأثير (٥٣١)، مادة (صيخ)، وفيض القدير (٣/ ٦٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٥٣)، والنسائي في السنن الصغرى في كتاب الجعة، باب: ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة (٢١٨١) برقم (١٤٣١)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، (١/ ٣٠٨) برقم (١٣٥٤).

(٣) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، مؤسسة قرطبة، (٢٣/ ٤١).

(٤) انظر: حاشية السندي على النسائي، نور الدين السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ، (٣/ ١١٤).

الذي علَّم هذه الدوابّ أنَّ قيام الساعة يكون يوم الجمعة؟ إنَّ هذه الدوابّ وإن كانت لا تعقل فإن الله تبارك وتعالى الذي خلقها ورزقها وألهمها، هو الذي علّمها، فهي تعرف خالقها، وتعظمه، وتتصرف كما سخرها الله سبحانه له، فهي تشفق من هذا اليوم العظيم؛ لأن الله تبارك وتعالى ألهمها ما يكون فيه من الأمور الجليلة التي تفزع لها القلوب، فلذلك وجلت منه، فسبحان الذي عظم سلطانه، فأشفقت، ووجلت الدوابّ من عذابه، وأصبح كثير من المكلفين غافلين عن عذابه، معرضين عن أوامره ونواهيه.

هذه صور تجلت فيها عبودية الحيوان لخالقه تبارك وتعالى فهو يسبحه ويسجد له، ويدعوه ويستغفره ويخافه، فالمؤمن يؤمن بذلك ويعلم أن ذلك كلَّه حق، وأن لهذه الحيوانات عبوديةً كعبودية المكلفين، ولا يلزم أن تكون هذه العبودية مماثلة لعبوديتهم، بل كل كائن ألهمه ربه سبحانه كيفية عبادته لربه ﷻ، فيجب الإيمان بذلك والتسليم به، وعدم تحكيم العقول تحكيمًا يخالف نصوص الكتاب والسنة، فالنصوص قد دلت على ما هو أعظم من ذلك، فَجَبلُ أُحدٍ وهو جماد يحب النبي ﷺ، والجذع يحن حزنًا لفراق النبي ﷺ، والطريق الأسلم في هذا وغيره أن نفوِّض علم الكيفية لخالق تلك الكائنات، ولا نقيس بعقولنا إثبات أو نفي النصوص الشرعية.

المطلب الثاني: عبادة البشر للحيوان في القديم والحديث:

الحيوانات من مخلوقات الله تبارك وتعالى، التي فطرها الله ﷻ على توحيده ومعرفته، فهي تسبح الله ﷻ، وتسجد له، وتدعوه وتخافه، وهي لا تملك لأنفسها ضرًّا ولا نفعًا، فهي مسخرة مذللة تحت تصرف الخالق تبارك وتعالى وقدرته، ومع ذلك وقعت طوائف كثيرة من البشر في إشراكها مع الله ﷻ؛ حيث عبدوا أنواعًا من الحيوان، واتخذوها ربًّا وإلهًا، فزين لهم الشيطان أعمالهم وصدهم عن التوحيد الذي كانت عليه البشرية، من آدم عليه السلام والقرون التي جاءت بعده، كما قال ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

يقول ابن عباس رضي الله عنه: ((كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين))[(١)].

وقبل ذكر صور من عبادة البشر للحيوان في القديم والحديث يحسن ذكر الأسباب التي أوقعت أممًا من البشر في عبادة الحيوان؛ فقد ذكر بعض الباحثين أسبابًا مختلفة في عبادة الحيوان عند المصريين والهنود قديمًا، وهي وإن كانت تتحدث عن عبادة هؤلاء للحيوان، فقد تكون لها علاقة بغيرهم من الأمم، أو انتقلت منهم إلى أمم أخرى، ومن أبرز تلك الأسباب[(٢)]:

١- أن المصريين قديمًا قبل توحد كلمتهم، وخضوعهم لسلطان واحد كانت قبائلهم تتنازع وتتناحر، فإذا انتصرت جماعة على أخرى، رمز المنتصرون لقراهم ببعض الحيوانات القوية، ولقرى خصومهم ببعض الحيوانات الضعيفة، حتى استمرت تلك الرموز ردحًا

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٩٦) رقم (٤٠٠٩)، وقال صحيح على شرط البخاري، والطبري في جامع البيان (٤/ ٢٧٥).

(٢) انظر: مقارنات الأديان، (١٣، ١٤)، و(الله)، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، ط٨، ٢٠١٢م، (٦٣، ٧٤، ٧٥)، والأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، د. إبراهيم محمد إبراهيم، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ، (٦٨-٦٩)، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة، د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، (٨٧-٩٠).

طويلاً من الزمان، ثم نسي الناس المعنى وبقي الرمز، وصارت أسماء تلك الحيوانات باقية في الأذهان مقرونة بالتقديس محاطة بهالة من التأليه، فقدست بلا فرق بين قوي وضعيف[(١)].

٢- يرى فريق آخر من الباحثين أن الحيوانات لم تكن تعبد على أنها آلهة، بل كانت أساسًا رمزًا للآلهة، فكان لكل إله رمزه المقدس، ولما سرت فكرة تقديس الحيوان إلى العامة لم يعبدوه على أنه رمز للآلهة، بل عبدوه على أنه من الآلهة نفسها، وبذلك صار عندهم في صف الآلهة، وليس رمزًا لها[(٢)].

٣- ويذهب فريق ثالث إلى أن سبب عبادة الحيوان عند طوائف من البشر ما كان يعتقد بعض المتقدمين من الحلول والقول بتناسخ الأرواح، فكما أن الروح - في زعمهم - لا بدَّ لها من جسم تحل فيه بعد موت صاحبها، فكذلك الآلهة، لا بدَّ لها من مأوى تأوي إليه في الحياة، وجسم تحل فيه، ثم اختاروا أحياءً تكون - في زعمهم - أحرى لحلول الآلهة فيها، فاختاروا حيوانات تتصل بالخصب والإنتاج والبذور والثمار، وأحلوها في غيرها لميزة لاحظوها أو توهموها، فأحلوا آلهتهم أحيانًا في ثور، وأحيانًا في قط، وأخرى في تمساح، أو في طائر، ثم صاروا يقدسون هذه الحيوانات، ويعبدونها على أنها أوعية قد حلت فيها الآلهة[(٣)].

٤- ويرى فريق رابع أنَّ عنصري الرغبة والرهبة هما السبب الحقيقي في تقديس بعض هذه الحيوانات[(٤)]، فبعضها يقدس ويعبد خوفًا منه، وبعضها الآخر يقدس زعمًا منهم أنَّه يملك لهم نفعًا فيعبدونه رجاء هذا النفع.

---

(١) انظر: مقارنات الأديان، لأبي زهرة (١٣-١٤)، و(الله)، للعقاد (٦٣)، والأديان الوضعية (٦٨).

(٢) انظر: مقارنات الأديان لأبي زهرة (١٤).

(٣) انظر: مقارنات الأديان لأبي زهرة (١٤)، و(الله)، للعقاد (٧٤-٧٥)، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة (٨٩-٩٠)، والأديان الوضعية (٦٩).

(٤) انظر: دراسات في الأديان الوثنية القديمة (٨٩)، ومشكلة التأليه في فكر الهند الديني، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، دار الفيصل للثقافة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، (٥١-٥٢).

٥- وفريق خامس يرى أنَّ تقديس البشر لهذه الحيوانات ما هو إلا نوع من الطوطمة[١]، على اعتبار أنهم في تقديسهم للحيوانات يشبهون الطوطميين الذين اعتقدوا أنَّ هذه الحيوانات هي الجد الأعلى للقبيلة، وأنّ القبيلة تنسب إليه[٢].

هذه أبرز الأسباب التي وقفت عليها في تعليل عبادة البشر للحيوان، ويصعب الجزم بترجيح سبب على سبب؛ إذ إنَّ عبادة الحيوان قديمة جدًّا مما يجعل الجزم بتقديم قول على قول يحتاج إلى بحث في هذه الأقوال والتحقق من صحة هذا التعليل أو ذاك، وكل ذلك يحتاج إلى أسانيد ثابتة، وأدلة قوية ترجح هذا القول على القول الآخر، وقد يصدق التعليل ببعض هذه الأقوال في مكان، وبعضها الآخر في مكان آخر.

والذي نؤمن به فيما يتعلق بعبادة البشر للحيوان قديمًا وحديثًا ما يأتي:

١- ما سبق بيانه في بداية هذا المطلب من أسبقية التوحيد على الشرك، وأنَّ عبادة البشر للحيوان لم تحدث إلا بعد وقوع الشرك الذي طرأ على البشرية بعد أن عاشت قرونًا على التوحيد، يقول ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣].

٢- أن عبادة البشر للحيوان سببها الرئيس عداوة الشيطان لبني آدم، وسعيه لصدهم عن التوحيد، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

وفي الحديث القدسي: ((وإنِّي خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم

---

(١) الطوطمية: يراد بها كائنات تحترمها بعض القبائل قديمًا؛ حيث يعتقد بعض الناس وجود علاقة نسب بينهم وبين واحدٍ منها، ويسمونه طوطمهم، ومن أجل ذلك حرِّم قتل هذا الحيوان أو لمسه، واعتقدت بعض القبائل في العصور الماضية بقدسية الطوطم وعبدته، ويمكن لأي عشيرة أن تتخذ طيرًا أو سمكة أو حيوانًا أو نباتًا؛ ليكون لها طوطمًا. انظر: الموسوعة العربية العالمية (١٥/ ٦٤٢)، مادة (الطوطم)، وموسوعة الأديان السماوية والوضعية (٥٢-٥٣).

(٢) انظر: مشكلة التأليه (٢١)، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة (٨٨).

عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أُنزِّل به سلطانًا))(١).

يقول ابن القيم رحمه الله متحدثًا عن تلاعب الشيطان ببني آدم: «ومن تلاعبه: تلاعبه بعبَّاد الحيوانات، فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر»(٢).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة، وقالوا: هي بنات الله تعالى، تعالى الله عن ذلك، وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر»(٣).

صور من عبادة البشر للحيوان قديمًا وحديثًا:

عبادة الحيوان حدثت في البشرية قديمًا ولا تزال أمم من البشر تعبد أنواعًا من الحيوانات وتقدسها، ولم يكن هذا الشرك محصورًا في مصر دون مصر، بل وقع في أمصار كثيرة، وهذه صور منها:

١- مصر:

عبد المصريون أنواعًا كثيرة من الحيوانات، وكانت عبادتهم لها قديمة جدًّا، يقول أبو زهرة(٤)، رحمه الله: «اتفق المؤرخون على أن المصريين كانوا يعبدون الحيوان، وتضافرت على ذلك الأخبار، وبلغت حدًّا استفاضت معه، فلا يستطيع أحد أن ينكرها، ولقد كانوا يتحمسون في عبادتهم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١١٧٤) برقم (٢٨٦٥)، من حديث عياض بن حمار المجاشعي.

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٣) تلبيس إبليس (٥٨).

(٤) هو: أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، ينتهي نسبه إلى الأشراف، ولد عام ١٣١٦هـ، تنقل بين عدة مناصب من مدرس إلى أستاذ مساعد، إلى أستاذ كرسي، إلى رئيس قسم الشريعة، واختير عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر،وكان يلمز شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو من خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،وقد وقع في مخافات كثيرة في الأسماء والصفات أصدر كتبًا كثيرة، منها: أصول الفقه، وأحكام التركات والمواريث، ومحاضرات في مقارنات الأديان وغيرها، كانت وفاته بالقاهرة سنة ١٣٩٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥)، ومقدمة مقارنات الأديان (٣) ، والبيان لأخطاء بعض الكتاب للشيخ صالح الفوزان (١٤٦-١٧٠) ،وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١٩٩-٢٠١).

للحيوان إلى حد لا يحفلون معه بقوى مهما تكن رهبته أن يمس ذلك الحيوان بسوء»[١].

وقد اتخذ المصريون معظم آلهتهم بأشكال حيوانية، بعضها كان في شكل حيوان كامل (كعجل أبيس)[٢]، فكانوا يخافون نوعًا من الحيوانات فيقدسونه ويحبون بعضها الآخر فيقدسونه[٣].

وقد بدأت الآلهة المصرية القديمة على شكل حيوانات، فكانت لكل جماعة معبودها، فمنهم من عبد ابن أوى، ومنهم من عبد التمساح، ومنهم من عبد العجل أبيس، وجماعات أخرى عبدت القردة والحية والقط وغيرها[٤].

فلم تكن عبادة المصريين مقصورة على نوع واحد من الحيوان، بل اشتملت على أعداد كبيرة من الحيوان، منها:

القط، والعجل، والتمساح، والثعبان، والصقر، والكبش، والسبع، والكلب، والعنـــزة، وابن آوى، وفرس البحر، والضفدعة وغيرها من المخلوقات[٥].

وقد مرت عبادة الحيوان عند المصريين بمرحلتين:

الأولى: كانت عبادة الحيوان فيها مقصورة على فرد معين منها من آحاد تلك الحيوانات، التي كانت تختار للعبادة فمثلاً في العجول والبقر كانت العبادة مقصورة على عجل معين أطلقوا عليه (عجل أبيس).

الثانية: تعدد العبادة من الفرد المعين إلى النوع كله، فلم تعد العبادة مقصورة على واحد

---

(١) مقارنات الأديان (١٣).

(٢) أبيس هي: لقب العجول المقدسة التي كانت تدفن هناك، وكان عجل أبيس رمزًا للخصوبة، وكان يعبد، واعتبره قدماء المصريين روح الإله. انظر: دائرة المعارف (٢/٤٠٧).

(٣) انظر: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، حسن نعمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤م، (٩٦).

(٤) انظر: أديان العالم، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، (٣٢).

(٥) انظر: الأديان الوضعية (٦٧)، وأديان العالم (٣٢)، وموسوعة الأديان (٩٦-٩٧).

معين من آحاد النوع وإنما تشمل النوع كله، فكل البقر مقدسة، وكل القطط مقدسة[١].

وقد بالغ المصريون القدامى في تقديسهم للحيوان وعبادتهم لها إلى حد جعلهم ينسبون إليها العلم بالغيب والتنبؤ بالمستقبل، كل ذلك بدافع من عقيدتهم في حلول الآلهة فيها[٢].

٢- الهند:

الهند من أعظم بلاد العالم تعددًا للآلهة؛ حيث أوصل بعض الباحثين المعبودات في بلاد الهند إلى ثلاثمائة مليون أو تزيد[٣].

فعُبِدَ في الهند ولا يزال تعبد أنواع كثيرة من الآلهة، من البشر، والحيوان، والنبات، والجماد وغير ذلك.

وقد حظي الحيوان بنسبة كبيرة من بين المعبودات الأخرى.

ومن أعظم الحيوانات المعبودة في الهند البقرةُ؛ فقد نالت النصيب الأكبر في ذلك، فلها قداسة تعلو أي قداسة[٤].

قدس الهندوس البقرة، وحرموا أكل لحمها، أو استخدامها، وقد رافقت قداستها الأجيال، وما تزال حتى اليوم؛ حيث توجد تماثيلها وصورها ورموزها في كل معبد، بل في كل بيت هندوسي[٥]، وذبحها حتى اليوم يعد عندهم من الجرائم الشنيعة[٦]، ومن المشاكل التي تعانيها الهند الآن تقديس البقرة، والامتناع عن إيذائها أو ذبحها، ويعجب المرء حين يرى الملايين من الأبقار الهائمة، حتى قيل: إن في الهند ثلاثمائة مليون من هذه الأبقار، بين شعب

---

(١) انظر: مقارنات الأديان (١٤)، والأديان الوضعية (٦٩-٧٠).

(٢) انظر: مقارنات الأديان (١٥)، والأديان الوضعية (٧٠).

(٣) انظر: أديان العالم (٨١)، ومعتقدات آسيوية، د. كامل سعفان، دار الندى، مدينة نصر، ط١، ١٤١٩هـ، (١٧١).

(٤) انظر: أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١١، ٢٠٠٠م، (٢٨)، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد محمد الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤، ١٤٢٩هـ، (٦٠٢)، ومعتقدات آسيوية (١٧٢)، وأديان العالم (٨٣).

(٥) انظر: موسوعة الأديان السماوية الوضعية (١١٧).

(٦) انظر: أديان العالم (٨٣).

يشعر بوطأة المجاعة، ويعاني من الفقر والضيق ما يعانيه[١].

وللهندوس أناشيد ومقالات تبين المنـــزلة العالية التي نالتها البقرة من التقديس والتمجيد، فمن ذلك: نشيد ترجم إلى العربية بعنوان صلاة البقرة:

أيتها البقرة المقدسة، لك التمجيد والدعاء، في كل مظهر تظهرين به، أنثى تُدرِّين اللبنَ في الفجر وعند الغسق، أو عجلاً صغيرًا، أو ثورًا كبيرًا، فلنعدَّ لك مكانًا واسعًا نظيفًا يليق بك، وماءً نقيًّا تشربينه، لعلك تنعمين بيننا بالسعادة[٢].

ومما تُرجِم إلى العربية ما ذكره المهاتما غاندي في عبادة البقر بعنوان: (أمي البقرة) وأهم ما جاء فيه:

«إنَّ حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية هي هدية إلى العالم، وهي إحساس برباط الأخوة بين الإنسان وبين الحيوان، والفكر الهندي يعتقد أنَّ البقرة أمٌّ للإنسان، وهي كذلك في الحقيقة، إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندي، وهي خير حماية للهند...

عندما أرى البقرة لا أعدني أرى حيوانًا؛ لأنِّي أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع...

وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين، وتتطلب منَّا خدمات طوال العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا، ولا تتطلب منَّا شيئًا مقابل ذلك سوى الطعام العادي، وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهضة، ولكن أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئًا ذا بال، وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية، لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها، حتى العظم والجلد والقرون.

...أنا لا أقول هذا لأقلل من قيمة الأم، ولكن لأبيّن السبب الذي دعاني لعبادة البقرة، إنَّ ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال وأنا أعُدُّ نفسي من هؤلاء»[٣].

---

(١) انظر: المرجع السابق (٨٢).

(٢) مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى (٢٩).

(٣) انظر: المرجع السابق (٣١).

وتقديس البقرة وعبادتها عند الهندوس يرجع إلى أسباب كثيرة، لعل أبرزها:

١- أنَّها أغلى الثروات، وكانوا في حاجة إلى العطف عليها وتربيتها؛ لأنَّها تدر لهم فوائد كثيرة؛ ولهذا وضعوا في كتبهم المقدسة أبياتًا في تمجيدها[(١)].

٢- أرجع بعض الباحثين السبب في هذه القداسة إلى السياسة القديمة التي كانت تهدف إلى الحفاظ على الزراعة بحيوان الجر، حتى يسد حاجة السكان الذين يتكاثرون، فحرمت ذبح البقر، ثم ما لبثت هذه السياسة أن تحولت إلى عقيدة[(٢)].

٣- أنها رمز الإيثار؛ لأنها تقدم الطعام طائعة وهي حية، وتمنح اللبن دائمًا ولا تطلب مقابله سوى الطعام العادي[(٣)].

ولم تقتصر العبادة في الهند على البقرة، وإن كان لها النصيب الأكبر من ذلك، فهناك معبودات أخرى من الحيوان، وهناك قطعان كبيرة من القرود تتجمع حول بعض المعابد، ولها عناية وتوقير.

والثعابين كذلك من الحيوانات المقدسة، وهناك معابد كثيرة تعج بها.

ويظهر الجميع استياءَهم من قتل الثعابين على الرغم من ضحاياها الذين يعدون بمئات الألوف سنويًّا، ويقدمون لها الذبائح[(٤)].

يقول الدكتور: محمد أحمد الخطيب: «الهندوس يؤلهون القردة والأفاعي، وهي مصادر الرعب التي ترمز لطبيعة الآلهة، ولعل أخطر هذه الأفاعي المقدسة أفعى تسمى (ناجا)، لها عند الهندوس منـــزلة خاصة، فهم يقيمون لها حفلاً دينيًّا كل عام تقدم لها فيه هي وزملائها من الأفاعي قرابين من اللبن والموز توضع عند مداخل جحورها، وأكبر مركز عبادة الأفاعي في شرقي ميسور، فهناك معابد في هذا الإقليم تسكن فيها جموع زاخرة من الأفاعي، حيث يقوم الكهنة على إطعامها والاهتمام بها، وإذا كانت القردة والأفاعي لها هذه القدسية عند

---

(١) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٦٠٢).

(٢) انظر: معتقدات آسيوية (١٧٢-١٧٣).

(٣) انظر: مقارنة الأديان، لأحمد شلبي (٣١).

(٤) انظر: معتقدات آسيوية (١٧٣).

الهندوس، فهناك من الحيوانات الأخرى ما يتمتع هو الآخر بمثل هذه القدسية مثل التماسيح والنمور، والطواويس والببغاوات، بل والفئران أيضًا»[(١)].

ومن الآلهة المعبودة في الديانة الهندوسية: السلحفاة، الخنـــزير، الأسد، رأس الفيل، الحدأة، رأس الحصان[(٢)].

ولا يزال تقديس البقرة في بلاد الهند عند طائفة كبيرة منهم، فقد ذكر الرَّحالة محمد بن ناصر العبودي حفظه الله مواقف كثيرة شاهدها في بلاد الهند من معابد للبقر، وتقديسهم لها، والوقوف عند مرورها في الطرقات تعظيمًا واحترامًا لها، ومحاربتهم لمن يذبح شيئًا منها، أو يؤذيها[(٣)].

وفي بلدة (دشنوك) التي تبعد حوالي ٣٠كم من بيكانير في ولاية (راجستان) الهندية يوجد معبد كارني ماتا (معبد الفئران)، حيث يوجد في هذا المعبد ما يقارب (٢٠٠٠٠) عشرون ألف فأرٍ تطعم وتتمتع بالحماية والرعاية؛ حيث يعتقدون أنها هي الإله الذي تعبر عنهم وعن فقرهم.

كما تتعهد عدد من العائلات الغنية برعاية المعبد والإنفاق عليه، ويوجد هناك رهبان ونساك للقيام والسهر على راحة الفئران، كما أنَّ هناك سدنةً للمعبد يتولون تنظيفه وإطعام الفئران التي تسرح وتمرح فيه حيث شاءت[(٤)].

---

(١) مقارنة الأديان، د. محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط٢، ٢٠٠٩م، (٤٠١).

(٢) انظر: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني (٥٤-٥٥).

(٣) انظر: الرحلات الهندية (نظرات في شمال الهند)، محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ (٢٧/١)، والرحلات الهندية (الشمال الشرقي في الهند)، محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ (١٠٦)، والرحلات الهندية (في وسط الهند)، محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ (١٢٣-١٢٤)، والرحلات الهندية (في أقصى شرق الهند)، محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ (١٢٤).

(٤) وجدت تقريرا مصورا عن هذا المعبد في مواقع ومنتديات كثيرة في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) انظر مثلا: موقع صحيفة إيملات:

http://www.e-mailaat.com/news.php?action=show&id=٥١٤٤

هذه أشهر الأمصار التي تجلت فيها عبادة الحيوان، وإن لم يكن مقصورًا عليها فالشرك وعبادة غير الله تعالى من حيوان وغيره منتشرة في أمصار كثيرة.

وقد وجدتْ عبادةُ الحيوان أيضًا في اليابان والرومان وعند الكنعانيين، وفي جزيرة العرب، وقبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية(١).

وقد أخبر الله تبارك وتعالى عن عبادة اليهود للعجل، الذي صنعوه من ذهب، فقال سبحانه: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وهذا العجل الذي عبدوه وإن لم يكن عجلاً حقيقيًّا فإن سبب صنيعهم العجل أن الذي صنعه لهم وهو السامريّ كان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه(٢).

وهذه الصور تبين الجهل والضلال الذي وقعت فيه طوائف من البشر قديمًا وحديثًا؛ حيث عبدت معبودات كثيرة من الحيوان، مع اعترافهم أنها لم تخلقهم ولا تملك لهم رزقًا ولا نفعًا ولا ضرًّا، والله تبارك وتعالى يقول في بيان بطلان هذه الآلهة وغيرها: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]، وإن كان بعض المتأخرين قد يعتقد فيها شيئًا من النفع والضر كما سبق في تقديس المهاتما غاندي للبقرة.

بل المخلوقات كلها ملك لله وحده، وهو الذي خلقها فلا ينبغي أن يعبد الا هو سبحانه يقول جلّ وعلا: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٣]، ويقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

فهذه الآيات وغيرها كثير تبين أن جميع المعبودات التي عبدها البشر قديمًا وحديثًا من حيوان أو غيره، هي ملك له سبحانه و لم تخلق شيئًا، ولا تستطيع ذلك، فلا تصح عبادتها من

(١) انظر: موسوعة الأديان السماوية والوضعية (٥٢، ٥٣، ٨٠، ٩٢، ١٢١).

(٢) انظر: جامع البيان (٢/ ٦٦)، وتلبيس إبليس (٥٨).

دون الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ وحده المتفرد بالخلق والملك والتدبير وهو سبحانه الذي يعطي ويمنع، وينفع ويضر، فالواجب إفراده سبحانه بالعبادة دون سواه.

المطلب الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بذبح الحيوان:

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: التقرب إلى الله تعالى بذبح بهيمة الأنعام:

من المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان، مسائل الذبح، فإنَّ من أجلِّ القربات وأعظم العبادات التقرب إلى الله ﷻ بذبح بهيمة الأنعام، وقد قرن الله تبارك وتعالى بين عبادة الصلاة وعبادة الذبح، وأمر بإخلاصهما لله ﷻ، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٢]، والمراد بالنسك في هذه الآية الذبح، كما ذكر ذلك كثير من المفسرين(١)، يقول الطبري رحمه الله: «النسك: الذبح لله، في لغة العرب يقال: نسك فلان لله نسيكة، بمعنى: ذبح لله ذبيحة»(٢).

وقال ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فأمره ربه تبارك وتعالى أن يجعل صلاته ونحره خالصين له ﷻ دون سواه، وهاتان العبادتان من أجلِّ العبادات وأعظمها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما: الصلاة والنسك، الدالتان على القرب والتواضع، والافتقار وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، وإلى عدته وأمره، وفضله، وخلقه، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله، الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، وتركًا لإعانة الفقراء وإعطائهم، وسوء الظن منهم بربهم، ولهذا جمع الله بينهما، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]، والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه، والمقصود: أن

---

(١) انظر: جامع البيان (١٢/ ٨٣)، ومعالم التنزيل (٣/ ٢١١)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٥١)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٧٧)، وفتح القدير (٢/ ١٨٥)، وتيسير الكريم الرحمن (٣١٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (٣/ ٨٦).

الصلاة والنسك هما من أجل ما يتقرب به إلى الله»[١].

وأخبر ﷻ أن الذبح عبادة مشروعة لكل الأمم السابقة، فقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

فلم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله تبارك وتعالى مشروعًا في جميع الملل[٢]، ثم أمر سبحانه أن يكون الذبح له، وأن يذكر عند الذبح؛ لأنه هو رازق ذلك[٣]، فوجب إخلاص هذه العبادة له سبحانه دون سواه.

والدماء التي يتقرب إلى الله ﷿ بها هي:

١- الأضحية:

والأضحية في اللغة: ذبح الأضحية وقت الضحى[٤]، وبها سمي يوم الأضحى[٥].

وفي الشرع: ما يذبح من بهيمة الأنعام أيام النحر تقربًا إلى الله تعالى[٦].

ويدل على مشروعيتها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين[٧]، فرأيته واضعًا قدمه على صفاحهما يسمي ويكبر فذبحهما بيده))[٨].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٥٣١-٥٣٢).
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٤٢٠).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٦٣-٦٤).
(٤) انظر: المصباح المنير (٢/ ٣٥٩)، مادة (الضحاء).
(٥) انظر: مختار الصحاح (٤٠٣)، مادة (ضحا).
(٦) انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، ومصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ، (٢/ ٥٣٠).
(٧) الأملح: الذي بياضه أكثر من سواده، وقيل: النقي البياض. انظر: النهاية لابن الأثير (٨٨٠)، مادة (ملح).
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأضاحي، باب: من ذبح الأضاحي بيده (٤٧٨) برقم (٥٥٥٨)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الأضاحي، باب استحسان الأضحية وذبحها مباشرة (١٠٢٨) برقم (١٩٦٦).

٢- العقيقة:

والعقيقة في اللغة: من العقّ، وأصل العقّ الشق[١]، وأصلها الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد، وسميت الشاة التي تذبح في تلك الحال عقيقة؛ لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح[٢].

ويدل على مشروعيتها ما روته عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ أمرهم: ((أن يعق عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة))[٣].

٣- الهدي:

والهدي في اللغة: ما أتحف به[٤].

والهدي في الشرع: ما يهدى إلى الحرم من النعم وغيرها[٥].

ويشمل هدي التمتع والقران، وهدي الفوات والإحصار، ويدخل فيه - أيضًا - فدية الأذى، قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وقال سبحانه في بيان جزاء الصيد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] الآية.

---

(١) انظر: العين (١/ ٦٢-٦٣).

(٢) انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٥٧) مادة (عق).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣١)، والترمذي في سننه في كتاب الأضاحي، باب: ما جاء في العقيقة (١٨٠٦) برقم (١٥١٣)، وابن ماجه في سننه في كتاب أبواب الذبائح، باب العقيقة (٢٦٦٩) برقم (٣١٦٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٤/ ٣٨٩) برقم (١١٦٦).

(٤) انظر: القاموس المحيط (١٧٣٤).

(٥) انظر: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، موسى الحجاوي، تحقيق: عبد اللطيف السبكي، دار المعرفة، بيروت، (١/ ٤٠١).

وهذه الدماء التي شرع التقرب إلى الله بها مختصة ببهيمة الأنعام، قال ابن القيم – رحمه الله –: «وهي مختصة بالأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام، ولم يعرف عنه ﷺ ولا عن الصحابة هدي، ولا أضحية ولا عقيقة من غيرها، وهذا مأخوذ من القرآن من مجموع أربع آيات.

إحداها: قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: ١].

والثانية: قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٨].

والثالثة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأنعام: ١٤٢-١٤٣] ثم ذكرها.

والرابعة: قوله تعالى: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥].

فدل على أن الذي يبلغ الكعبة من الهدي هو هذه الأزواج الثمانية»[(١)].

المسألة الثانية: الذبح لغير الله ﷻ:

الذبح عبادة من العبادات التي لا يجوز صرفها إلاَّ لله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وقال أيضًا: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

فمن صرف هذه العبادات لغير الله تعالى، وتقرب إلى غيره بإراقة الدم فقد أشرك في عبادته، واتخذ ندًّا مع الله تبارك وتعالى، وخرج من دين الإسلام؛ لأنه وقع في الشرك الأكبر، وقد جاءت السنة بلعن من ذبح لغير الله تعالى، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غير منار الأرض))[(٢)].

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣١٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله (١٠٣١) برقم (١٩٧٨).

وأخبر الله ﷻ في كتابه العزيز بحرمة الأكل مما ذبح لغيره، فقال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وما أهل به لغير الله تعالى هو: ما ذبح للآلهة والأوثان، يسمى عليه بغير اسم الله ﷻ، أو قصد به غيره من الأصنام(١).

وقال ﷻ في سورة المائدة في بيان المحرمات من الذبائح: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]، والنصب حجارة كانت تجمع في الموضع من الأرض، فكان المشركون يقربون لها بالذبح، ويعبدونها من دون الله تعالى(٢).

فمن ذبح لغير الله تعالى كمن يذبح للسلطان أو الجن أو قبر نبي أو صالح أو غير ذلك، فقد عظمه تعظيمًا لا يكون إلا لله تبارك وتعالى؛ إذ الذبح أو النحر عبادة عظيمة؛ لأن الذبائح، أو المنحورات من الإبل، أو البقر، أو الغنم، مما تعظم في نفوس أهلها، ونحرها وذبحها له سبحانه فيه تعظيم له، فمن تقرب بهذا الذبح لغيره فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، وصرف لغيره عبادة وقربة لا ينبغي صرفها إلا للخالق ﷻ.

والذبح لغير الله تعالى له صورتان(٣):

الصورة الأولى: أن يذبح باسم الله، ويقصد بذلك التقرب لغير الله، فيقول مثلاً: باسم الله، وينحر الدم، وهو ينوي بإزهاق النفس وبإراقة الدم التقرب لغير الله ﷻ من نبي أو صالح أو جن أو غير ذلك، فهذا وإن ذكر اسم الله، فإن الشرك حاصل من جهة أنه أراق الدم تعظيمًا لغير الله.

الصورة الثانية: أن يذكر على الذبيحة عند ذبحها اسمًا غير اسم الله ﷻ، كمن يقول: باسم المسيح، أو النبي فلان، أو يسمي صاحب القبر، أو الجن أو غيرهم، ويقصد بذلك –

---

(١) انظر: جامع البيان (٣/ ٣١٩).

(٢) انظر: المرجع السابق (٩/ ٥٠٨-٥٠٩).

(٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح عبد العزيز آل الشيخ، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٢، ١٤٣٣هـ، (١٤٢-١٤٣).

أيضًا – التقرب إليهم بذلك، فهذا جمع شركًا في الاستعانة، وشركًا في العبادة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمسلم لو ذبح لغير الله، أو ذبح باسم غير الله لم يبح، وإن كان يكفر بذلك»[(١)].

وقال أيضًا: في بيان الصورتين السابقتين، وأن الذبح من أجل المذبوح له أعظم من الذبح باسمه فقط: «قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]، ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه، كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: بسم الله، فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له، والنسك له، أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره، والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور»[(٢)].

فيدخل في الذبح لغير الله تعالى صورٌ منها[(٣)]:

١- ما ذبح للأصنام وغيرها تقربًا إليها.

٢- ما ذبح للحم وذكر عليه اسم غير الله تعالى.

٣- ما ذبح تعظيمًا لمخلوق وتحية له عند نزوله ووصوله إلى المكان الذي يستقبل فيه، مثل ما يذبح للملوك والرؤساء عند قدومهم إذا نزل من الطائرة أو من السيارة أو من الدابّة.

٤- ما ذبح عند انحباس المطر في مكان معين أو عند قبر لأجل نزول المطر.

٥- ذبائح الجن والكهان والعرافين، وهي التي تذبح لتعظيم الجن بطلب من السحرة والكهان والعرافين، وقد يذكر عليها اسم الله تعالى ويقصد بها التقرب إلى الجن، وقد يذكر عليها اسم الجن أو الشياطين، وعادة ما تكون هذه الذبائح بصفات مميزة يطلبها الساحر أو الكاهن، ومن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤١٧هـ، (٢/ ٥٦١).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٦٥-٥٦٦).

(٣) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، د. صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ، (١/ ١٦٨-١٦٩).

علاماتها: تحديد زمان معين أو صفة معينة للذبح، كالذي يذبح وقت زوال الشمس، أو منتصف الليل، وفي مكان غريب، كالذي يذبح بين القبور أو في الحمام، أو غير ذلك، ويكون الباعث لهذا التقرب بهذا الذبح للجن وغيرهم أمور منها:

١- الخوف من الجن أن تصيبه بأذى عند نزول البيت أو مكان آخر.

٢- طلب الشفاء من المرض، أو إخراج الجن المتلبس بالمريض.

٣- حماية لأهل البيت من الأذى، أو الأموال من الضياع.

٤- طلب رد الغائب، أو اكتشاف سارق، أو معرفة مفقود.

فهذه كلها صور من صور الذبح لغير الله تعالى، التي توقع صاحبها في الشرك الأكبر المخرج من دين الله تعالى؛ إذ الذبح عبادة وتعظيم لا يتقرب بها إلا لله تبارك وتعالى، فهو سبحانه المستحق لذلك دون غيره كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

المسألة الثالثة: ما ذبح من الحيوان ولم يذكر عليه اسم الله ﷻ:

أمر الله تبارك وتعالى بذكر اسمه عند الذبح، مما ذُبح تقربًا إليه سبحانه، كالأضحية والهدي والعقيقة، أو ما ذبح لأكل لحمه، ونهى عن أكل ما لم يذكر اسمه عليه، فقال جلَّ وعلا: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨-١١٩].

قال ابن كثير – رحمه الله –: «هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه، ومفهومه: أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه، كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات، وأكل ما ذُبح على النصب وغيرها.

ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه، فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩]»(١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣١٥-٣١٦).

وقال سبحانه ناهيًا عن أكل ما لم يذكر عليه اسمه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

ويدخل في هذا النهي ما ذكر عليه اسم غير الله، كالذي يذبح للأصنام، وآلهة المشركين، والميتة، ومتروك التسمية مما ذبح لله، كالضحايا والهدايا، أو للحم والأكل[(١)].

فدلت النصوص على وجوب ذكر اسم الله تعالى عند الذبح، وتحريم ما لم يذكر عليه اسمه تبارك وتعالى، وهو على نوعين:

الأول: ما ذبح لغير الله تعالى سواء أذكر عليه غير اسم الله، أم قصد به غيره، وقد سبق الكلام عليه في المسألة السابقة.

الثاني: ما لم يذكر عليه اسم الله ﷻ، ولا غيره، ولا يقصد به التقرب إلى غير الله تعالى، ويدخل في هذا ما لم يذكَّ، ومتروك التسمية، أما ما لم يذك فقد أخبر ﷻ بحرمته، فقال جلَّ وعلا: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ الآية [المائدة: ٣].

والميتة: ما فقدت حياته بغير ذكاة شرعية، والمنخنقة: الميتة بخنق، بيد أو حبل، أو إدخالها رأسها بشيء ضيق فتعجز عن إخراجه حتى تموت، والموقوذة: الميتة بسبب الضرب، أو هدم شيء عليها، والمتردية: الساقطة من علو، كجبل أو غيره، والنطيحة: هي التي تنطحها غيرها فتموت بذلك[(٢)].

وأمَّا التسمية عند الذبح فقد أجمع العلماء على مشروعيتها[(٣)]، وقد دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، وقد سبق ذكر الآيات الدالة على مشروعية ذكر اسم الله تعالى والأمر بذلك عند الذبح، أما السنّة فمن ذلك:

(١) انظر: بحر العلوم (١/ ٤٩٧)، وتيسير الكريم الرحمن (٣٠٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٤٠).

(٣) انظر: الإجماع، محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، (٦٠).

- ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((ضحّى النبي ﷺ بكبشين أملحين، فرأيته واضعًا قدمه على صفاحهما يسمي ويكبر فذبحهما بيده))[١].
- وما رواه رافع بن خديج[٢] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((ما أنهر الدم وذُكِر اسم الله عليه فكل...)) الحديث[٣].

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم التسمية عند الذبح على أقوال أشهرها ثلاثة:

القول الأول: أن التسمية واجبة، ولا تحل الذبيحة عند ترك التسمية عمدًا، وتسقط بالنسيان، وهو قول الجمهور[٤]: أبي حنيفة[٥]، ومالك[٦]، وأحمد في المشهور عنه[٧]، ودليلهم عموم الأدلة الدالة على وجوب التسمية مع ما جاء من النصوص في العفو عن السهو والنسيان[٨].

القول الثاني: أن التسمية سنة، وأن الذبيحة تحل سواء أترك التسمية عالمًا ذاكرًا أم

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [١٩٤].

(٢) هو: رافع بن خديج، الحارثي، الأوسي، الأنصاري، أول مشاهده أحد ثم الخندق، روى عنه ابنه رفاعة وعطاء وطاووس، أخرج حديثه الجماعة، توفي سنة ٧٤هـ. انظر: الإصابة (٢/ ٤٣٦) الكاشف (١/ ٢٣٢)، وتقريب التهذيب (٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الذبائح والصيد، باب التسمية على الذبيحة ومن ترك متعمدًا (٣٧٤) برقم (٥٤٩٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب الأضاحي، باب: الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن والظفر وسائر العظام (١٠٩٢) رقم (١٩٦٨).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٣٤٠).

(٥) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٥/ ٤٦)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت، (٨/ ١٩١).

(٦) انظر: منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل، محمد عليش، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ، (٢/ ٤٢٩).

(٧) انظر: المغني لابن قدامة (١٣/ ٢٩٠).

(٨) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٠٣).

جاهلاً ناسيًا، وهو مذهب الشافعي(١)، وحملوا الآيات الناهية عن الأكل من الذبيحة التي لم يسم عليها على الذبائح المذبوحة لغير الله، كذبائح الجاهلية التي يذبحونها لأوثانهم؛ لأنهم يذكرون اسم غير الله عليها، أو على التي ماتت من دون ذكاة.

واستدلوا بعدم ذكر التسمية في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ ...الآية [المائدة: ٣].

وبحديث عائشة رضي الله عنها: ((أن قومًا قالوا لرسول الله ﷺ: إنَّ قومًا يأتوننا بلحم لا ندري أذكر اسم الله عليه، أم لا؟، فقال: (سموا عليه أنتم وكلوه)، قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر))(٢).

قالوا: لو كانت التسمية واجبة لما جاز الأكل مع الشك(٣).

القول الثالث: أنَّ التسمية واجبة، ولا تسقط عمدًا ولا سهوًا، وهذا القول رواية عن الإمام أحمد(٤)، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية(٥)، والشيخ ابن عثيمين(٦).

لعموم الأدلة الدالة على وجوب التسمية عند الذبح، وأنَّ الصحابة ﷺ سألوا النبي ﷺ عن اللحم الذي لا يدرون هل سمي عليه أم لا؟ فأمرهم أن يسموا، فلو لم تكن التسمية واجبة لما استشكلوا ذلك، ولو كانت التسمية غير شرط أو كانت تسقط في مثل هذه الحال

---

(١) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين، يحيى بن شرف النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ، (٣/ ٢٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الذبائح والصيد، باب: ذبيحة الأعراب ونحوهم (٤٧٤) برقم (٥٥٠٧).

(٣) انظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، (١/ ٥٤٠).

(٤) انظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ، (٣/ ٢٤٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ٢٣٩).

(٦) انظر: أحكام الأضحية والذكاة، محمد بن عثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٤هـ، (٧١).

لقال لهم النبي ﷺ: وما يضركم إذا تركتموها[(١)].

والقول الأول هو الأقرب - والله أعلم - لعموم الأدلة الدالة على وجوب التسمية عند الذبح من الكتاب والسنة، وحَمْلُ أصحاب القول الثاني الأدلة التي تنهى عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه على ما ذبح لغير الله، أو الميتة فقط لا يستقيم؛ إذ نصوص السنة جاءت موضحة لوجوب التسمية عند الذبح، كقوله ﷺ: ((ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل))[(٢)]، وكذلك فعله ﷺ؛ حيث كان يسمي عند الذبح[(٣)].

ونصوص الشريعة جاءت برفع الحرج عن هذه الأمة، فدلت على سقوط التسمية حال النسيان والله أعلم.

وهذه المسألة لها بسط كبير في كتب الفقه، وذُكِرت هنا لبيان أهمية الإهلال باسم الله تعالى على الذبائح، وأنَّ ذلك عبادة وقربة لله تبارك وتعالى، وأن ترك ذلك عمدًا يؤدي إلى تحريمها.

وفيه مشروعية ذكر اسم الله ﷻ في شؤون الإنسان كلها، وأن يكون على صلة بربه تبارك وتعالى عابدًا خاضعًا له في جميع أحواله لا يشغله عنه حال دون حال، ولا مكان دون مكان.

وفي بحوث مخبرية أثبت عشرون من كبار علماء الطب والطب البيطري والصيدلة والعلوم في الجامعات السورية أنَّ التسمية والتكبير عند ذبح الحيوان تعمل على تعقيم كامل لبدنه، وتطهره من الدماء والجراثيم، بعكس الذبائح التي لا يذكر اسم الله عليها[(٤)].

وصدق الله: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ ...الآية [الحج: ٣٦].

المسألة الرابعة: الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله:

من المسائل المتعلقة بذبح الحيوان: أن يذبح المسلم ذبيحة لله تعالى ذاكرًا عليها اسم الله

(١) انظر: المرجع السابق (٧٣-٧٤).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٠١].

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [١٩٤].

(٤) انظر: من آيات الإعجاز العلمي، الحيوان في القرآن الكريم (٣٦٤).

عز وجل، ولكن الذبح حصل بمكان يذبح فيه لغير الله تعالى، فهذا من المنهيات التي جاءت الأدلة بالتحذير منها والنهي عنها، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة (١)، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم)) (٢).

إذا وجد مكان يذبح فيه لغير الله تعالى، كمكان عند قبر، أو مكان اعتاد المشركون التقرب بالذبائح لأصنامهم وأوثانهم فيه، فإن المسلم لا يحل له أن يذبح في هذا المكان ولو ذبحه خالصًا لله عز وجل؛ لأنه شابه المشركين في تعظيم الأمكنة التي يتعبدون فيها لغير الله تعالى، وهو وسيلة من وسائل الشرك.

الحكمة من هذا النهي:

أولاً: أن في ذلك مشابهة للمشركين.

ثانيًا: حتى لا يعظم هذا المكان ويحيا ما اندرس فيه من الشرك.

ثالثًا: حتى لا يكون في ذلك تقوية للمشركين على فعلهم إذا رأوا من يفعل مثلهم.

---

(١) بوانة: هضبة من وراء ينبع. انظر: النهاية لابن الأثير (٩٤) مادة (بون).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب: الأيمان والنذر، باب: مايؤمر به من الوفاء بالنذر (١٤٧٠) رقم (٣٣١٣)، وصحح إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (٢٨٧)، ورقم (١٤٠٦)، وصححه الألباني في تحقبق مشكاة المصابيح (٢/٢٨٢) رقم (٣٤٣٧).

المطلب الرابع: التطير بأنواع من الحيوان:

وفيه تمهيد ومسألتان:

التمهيد: تعريف التطير:

التطير لغة:

التطير مصدر تطير، واسم مصدره طِيَرَة، وهي: التشاؤم بالشيء[(١)].

وقيل للشؤم طيرة؛ لأن العرب كان من شأنها زجر الطير، والتطيُّر ببارحِها وبنعيق غربانها، وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها، فسموا الشؤم طيرة، لتشاؤمهم بها وبأفعالها[(٢)].

وقد كانت العرب إذا أرادت فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير؛ فإن طار يمينًا كان له حكم، وإن طار يسارًا كان له حكم، وإن طار أمامًا كان له حكم، وإن طار فوق رأسه كان له حكم، ومن ثم سميت الطيرة أخذًا من اسم الطير، وأكثر ما كانوا يعولون عليه في ذلك الغراب ثم تعدوه إلى غير الطير من الحيوان، ثم جاوزوا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك[(٣)].

وكانوا يسمون الطير عندما يهيجونها للتطير بها: السانح، والبارح، فالسانح ما ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، والبارح بالعكس، وكانوا يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح[(٤)].

التطيُّر في الشرع:

معنى التطير في الشرع هو معناه في اللغة، فقد عرف التطير في الشرع: التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع أو المعلوم[(٥)].

---

(١) انظر: النهاية لابن الأثير (٥٧٤)، مادة (طير)، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٥٦٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ١١).

(٣) انظر: صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م، (١/ ٤٥٥-٤٥٦).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٨٣).

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/ ٣١١)، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٥٥٩).

فيكون التشاؤم بالمرئي، مثل: من رأى طيرًا أو مريضًا في طريقه فانصرف عن الأمر الذي قد عزم على فعله.

ومثال المسموع: لو سمع أحدًا يقول: يا خاسر، أو يا خائب، فتشاءم وانقبضت نفسه بسبب ذلك وربما انصرف عمَّا عزم على فعله.

ومثال المعلوم: التشاؤم ببعض الأيام، أو بعض الشهور، أو غير ذلك[(١)].

المسألة الأولى: علاقة التطيُّر بالحيوان:

التطير - كما سبق في تعريفه - هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم، فهو عام في كل ما يتطير به البشر من حيوان وغيره، إلاَّ أن الحيوان قد نال النصيب الأكبر عند كثير من الناس قديمًا وحديثًا، ولهذا نجد أن التطير مشتق من بعض أنواع الحيوان، يقول الجاحظ: «وأصل التطير إنما كان من الطير ومن جهة الطير، إذا مرَّ بارحًا وسانحًا، أو رآه يتفلى وينتتف، حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم أو الأعضب أو الأبتر زجروا عند ذلك وتطيروا عندها، كما تُطُيِّر من الطير إذا رأوها على تلك الحال، فكان زجر الطير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطير؛ ثم استعملوا ذلك في كل شيء»[(٢)].

وقيل: إنَّ اشتقاق الطِّيرة من الطَّير، لسرعة لحوق البلاء - على اعتقادهم - كما يسرع الطير في الطيران[(٣)].

فالحيوانات من مخلوقات الله تبارك وتعالى، لا تملك لنفسها نفعًا، ولا تستطيع أن تدفع عنها ضرًّا إلا بإذن الله تعالى، فهي مسخرة منقادة لما خلقها له الباري جلَّ في علاه، ومع ذلك استطاع الشيطان أن يوقع طوائف من البشر في التشاؤم بأنواع منها؛ ليقعوا فريسة لجهلهم وللشيطان، فهل هذا المخلوق الضعيف يملك لهم ضرًّا أو نفعًا، وهل ذهاب الحيوان يمنة أو يسرة إلا بتقدير من خالقه ﷻ؟!

وما تصدره الحيوانات من أصوات، أو تكون عليه من هيئات وأشكال كلُّ ذلك بتدبير

---

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٥٥٩).

(٢) كتاب الحيوان (٣/ ٤٣٨).

(٣) انظر: حياة الحيوان الكبرى (٣/ ٣٥).

من اللطيف الخبير، لم تكن تصنع ذلك لتدل على غائب أو مجهول، حتى يتطير البشر بأصواتها، وبأشكالها وألوانها.

ومن أمثلة التطيُّر بالحيوان:

١- الغراب:

وهو من أكثر الطيور التي كانت العرب تتشاءم به وبصوته، وبكل ما يصدر عنه، ولهذا كلما ذكروا شيئًا مما يتطيرون به ذكروا الغراب معه، وقد يذكرونه ولا يذكرون غيره، فهو المقدم عندهم في الشؤم(١).

وكان الغراب هو المقدم عندهم في باب الشؤم؛ لأنه كان أسود، ولونه مختلف إن كان أبقع، ولم يكن على إبلهم أشدُّ من الغراب، وكان حديد البصر يُخاف من عينيه، فلهذا قدموه في باب الشؤم(٢)، ومع ما كان عليه من صفاء في العين، وحدة في البصر فقد كانوا يسمونه الأعور، وليس بأعور، تطيرًا منه(٣)، ومن شدة تشاؤم العرب به اشتقوا من اسمه: الغربة، والاغتراب، والغريب(٤).

٢- الطاووس:

الطاووس مع جماله وحسن منظره تشاءم به بعض البشر(٥).

٣- العَقْعَق:

وهو طائر على قدر الحمامة، وعلى شكل الغراب، وذو لونين أبيض وأسود، طويل الذنب، وكانت العرب تتشاءم به، وبصياحه؛ لأنهم كانوا يشتقون منه العقوق(٦).

---

(١) انظر: كتاب الحيوان (٣/ ٤٤٣).

(٢) انظر: حياة الحيوان الكبرى (٣/ ٢٦٧).

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: كتاب الحيوان (٢/ ٣١٦).

(٥) انظر: كتاب الحيوان (١/ ٢٨٨)، (٢/ ٢٤٣)، وحياة الحيوان الكبرى (٣/ ٦).

(٦) انظر: حياة الحيوان الكبرى (٣/ ١٨٧).

٤- الصُّرد:

وهو طائر فوق العصفور، أبقع، ضخم الرأس، ضخم المنقار، يصيد العصافير(١)، وقد كانت العرب تتشاءم بصوته وشخصه، وقيل: إنهم كرهوه من اسمه من التصريد، وهو التقليل(٢).

٥- البوم والبومة:

وهو - أيضًا - من الطيور يتطير بها بعض الناس وبعضهم يتفاءل بها(٣)، ويضرب به المثل في الشؤم(٤).

هذه أمثلة يسيرة تدل على جهل طوائف من البشر، وصد الشيطان لهم عن التوحيد؛ حيث ربطوا قلوبهم ببعض الحيوان، فصاروا يتشاءمون ببعضها، ويعلقون آمالهم بالبعض الآخر منها، واعتقدوا فيها النفع والضر من دون الله تبارك وتعالى، وهو وحده النافع الضار، الذي لا يُتوكل على أحد غيره، كما قال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

المسألة الثانية: حكم الإسلام في التطير:

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على ذم التطير، وأن صاحبه قد وقع في الشرك، فمن ذلك:

١- قال تعالى عن قوم صالح: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

يخبر تبارك وتعالى عن قوم صالح عليه السلام أنهم كانوا يتشاءمون به وبمن معه عندما يصابون بالقحط والبلاء، ويزعمون أن سبب هذا صالح وأتباعه، فرد عليهم: بأن طائركم - على

---

(١) انظر: المرجع السابق (٢/ ٦٥٢).

(٢) انظر: النهاية لابن الأثير (٥١٣) مادة (صرد).

(٣) انظر: كتاب الحيوان (٣/ ٤٥٧).

(٤) انظر: المنجد في اللغة، علي بن حسن الهنائي، دار الشروق، بيروت، ط٢٠، (٥٥)، مادة (بوم).

زعمكم وتسميتكم - وهو حظكم في الحقيقة من تعذيب أو إعفاء هو من عند الله تبارك وتعالى وبقضاء الله وقدره[١].

٢- وقال تعالى عن آل فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

فأخبر سبحانه عن آل فرعون أنهم كانوا إذا أصابهم البلاء قالوا: ما أصابنا البلاء إلاّ من شؤم موسى وقومه، فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فالخصب والجدب والخير والشر كله من الله، فالله هو الذي قدره، ولا علاقة لموسى وقومه بذلك[٢].

فالله تعالى لم يحك التطيُّر إلاَّ عن أعداء الرسل، فدلَّ ذلك على ذمِّه والنهي عنه[٣].

وهذا الشؤم إنما جاءهم بسبب كفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله، فالشؤم الذي أجراه الله عليهم هو بسبب أعمالهم، لا بسبب موسى عليه السلام ومن معه[٤].

٣- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الطيرة شرك، الطيرة شرك ثلاثًا، وما منَّا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل))[٥].

ففي هذا الحديث التصريح بتحريم الطيرة، وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب بغير

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٦٣).

(٢) انظر: معالم التنــزيل (٣/ ٢٦٩).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/ ٢٧٣-٢٧٤).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦، ١٤٠٥هـ، (٤٢٢).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الكهانة والتطير، باب: في الطيرة (١٥١٠) برقم (٣٩١٠)، والترمذي في سننه، في كتاب السير، باب: ما جاء في الطيرة (١٨١٨) برقم (١٦١٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٩)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٢١) برقم (١٦٧٩)، ولفظة: (وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل) مدرجة من كلام ابن مسعود. انظر: سنن الترمذي نفس الموضع، حيث نقله عن الإمام البخاري عن سليمان بن حرب في ذلك، ومفتاح دار السعادة (٣/ ٢٨٠)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٨٤)، وتيسير العزيز الحميد (٤٣٨).

الله تعالى[١].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة[٢] ولا صفر[٣]))[٤].

ينفي رسول الله ﷺ في هذا الحديث هذه الأشياء الأربعة، وهذا النفي ليس نفيًا للوجود؛ لأنها موجودة، ولكنه نفي للتأثير؛ فالمؤثر هو الله تعالى، فما كان منها سببًا معلومًا؛ فهو سبب صحيح، وما كان منها سببًا موهومًا؛ فهو سبب باطل، ويكون نفيًا لتأثيره بنفسه إن كان صحيحًا، ولكونه سببًا إن كان باطلاً[٥].

وقد يكون النفي نفيًا للوجود مع اعتبار أن وجود الباطل كعدمه كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨].

فهذه بعض الأدلة التي دلت على تحريم التطير وأنَّه شرك أصغر مناف لكمال التوحيد، حيث اعتمد المتطير على سبب لم يجعله الله ﷻ سببًا.

وقد يقع المتطير في الشرك الأكبر لو اعتقد أن ما تطير به فاعل بنفسه من دون الله

---

(١) انظر: تيسر العزيز الحميد (٤٣٨).

(٢) الهامة: اسم طائر كانوا يتشاءمون به، وهي من طير الليل، وقيل: هي البومة،وكانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لايدرك بثأره تصير هامة فتقول : اسقوني ، فإذا أدرك بثأره طارت ،وقيل كانو يزعمون أن عظام الميت أو روحه تصير هامة ، فتطير انظر: النهاية لابن الأثير (١٠١٦)، مادة (هوم)،وغريب الحديث لأبي عبيد (٢٧/١)،وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٤١٨/٩).

(٣) صفر: قيل: هي حية تكون في البطن تؤذي الإنسان، وأنها تعدي، وقيل: المراد به شهر صفر؛ لكونهم يؤخرون محرم إلى صفر، فأبطله الإسلام. انظر: المرجع السابق (٥١٩) مادة (صفر).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الطب، باب: لا هامة (٤٩٢) برقم (٥٧٥٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الطب، باب: لا عدوى ولا طيرة...(١٠٧٢) برقم (٢٢٢٠).

(٥) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٥٦٤).

تعالى؛ لأنه جعل لله شريكًا في الخلق والإيجاد[١].

ومنافاة التطير لكمال التوحيد الواجب جاءت من الوجوه الآتية:

١- اعتقادهم أن التطير يجلب لهم نفعًا أو يدفع عنهم ضرًا: يقول ابن الأثير - رحمه الله -: «وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعًا أو يدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك»[٢].

٢- أن المتطير قطع التوكل على الله، واعتمد على أمر لا حقيقة له، بل هو وهم وتخييل؛ فأي رابطة بين هذا الأمر وبين ما حصل له.

علاج التطير:

من وقع في قلبه شيء من التطير فعليه بالتوكل على الله ﷻ، وأن يعلم أن الله ﷻ هو النافع الضار، وهو الذي قدر الأقدار، فلا يقع شيء إلا بعلمه وإرادته تبارك وتعالى، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه في الحديث السابق: (ولكن الله يذهبه بالتوكل)[٣].

«أي: وما منّا أحد إلا ويعتريه ويخطر له، ويقع في قلبه من الطيرة شيء، فحذف اعتمادًا على فهم السامع، ولكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه، واعتمادنا عليه، والاستناد إليه»[٤].

وقد أرشد النبي ﷺ من رأى ما يكره بالتوكل على الله تعالى، والإيمان به سبحانه النافع الضار، فقال: ((فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك))[٥].

---

(١) انظر: المرجع السابق (١/ ٥٧٥).

(٢) النهاية لابن الأثير (٥٧٤).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٠٩].

(٤) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٢٢٠).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الكهانة والتطير، باب في الطيرة (١٥١١) برقم (٣٩١٩) من حديث عروة بن عامر، وصححه النووي في رياض الصالحين (٤٩٥)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٢٣/٤) رقم (١٦١٩).

«أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك، الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات، وهذا دعاء يناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضرًّا، ويعد من اعتقد فيها سفيهًا مشركًا»[(١)].

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٣٧).

المطلب الخامس: تعليق التمائم وعلاقته بالحيوان، وحكم الإسلام فيه:

تعريف التمائم:

التمائم في اللغة: جمع تميمة، وهي خرز يثقب ويجعل فيه سيور وخيوط تعلق بها(١)، وهي - أيضًا - العوذة التي تعلق على الإنسان وغيره لدفع الآفات عنه(٢).

والتميمة مأخوذة من تمّ الشيء إذا اكتمل، فكأنهم يريدون أنها تمام الدواء والشفاء المطلوب(٣).

قال ابن عبد البر- رحمه الله - معرفًا التميمة بأنها: «عند أهل العلم: ما علق في الأعناق من القلائد خشية العين، أو غيرها من أنواع البلاء»(٤)، فالتميمة: ما علق لدفع العين وغيرها، من أي شيء كان(٥).

فالتميمة: قد يعلقها المعلق طلبًا لدفع ما نزل به من البلاء، وقد يكون الباعث له على تعليقها: دفع البلاء المتوقع من مرض أو عين أو غير ذلك.

تعليق التمائم من الحيوان:

يتبين من تعريف التمائم أنها كل ما علق من أي شيء طلبًا لدفع البلاء قبل وقوعه، أو رفعه بعد وقوعه.

فمن التمائم ما يكون مصنوعًا من الحيوان، أو على صورة حيوان، يعتقد الجاهل أنها تدفع عنه الأذى، أو تحميه من العين وغيرها، ومن هذه الاعتقادات الفاسدة:

١- أن تعليق منقار الغراب على الإنسان يحميه من العين(٦).

٢- تعليق عين الذئب يحمي من اللص، واللسع، والعين، والصرع، والجن(٧).

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ١٨٥) مادة (تم).
(٢) انظر: لسان العرب (١٢/ ٦٩) مادة (تمم).
(٣) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٣٣٩) مادة (تم).
(٤) التمهيد (١٧/ ١٦٢).
(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٦٧).
(٦) انظر: حياة الحيوان الكبرى (٣/ ٢٨٣).
(٧) انظر: حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٢٤٣، ٢٤٥)، ومعارج القبول (٢/ ٤٩٨).

٣- أنياب الثعلب إذا علقت على المصروع برئ، ونابه يشد على الصبي الذي به ريح الصبيان فيذهب عنه، ولا يفزع في نومه، وتحسن أخلاقه[(١)].

٤- رأس الفأرة يشد في خرقة كتان، ويعلق على رأس صاحب الصداع الشديد، فيزول صداعه، وينفع من الصرع، وإن علقت عين الفأرة على من به حمى الرِّبع أبرأته، وذنب الفأر يجعل في جلد حمار، ثم يجعلا في خرقة حرير، فتعلق على اليد اليسرى حتى تقضي حاجته عند الملوك وغيرهم[(٢)].

٥- تعليق ناب الضبع، وعظام النسور تحفظ معلقها من العين[(٣)].

٦- تعليق رجل الذئب أو شعره أو يده على من أصيب بالجن[(٤)].

إلى غير ذلك من أجزاء بعض الحيوانات التي يعتقد فيها بعض الجهلة أنها ترفع عنهم البلاء أو تدفعه من دون الله تعالى.

تعليق التمائم على الحيوان:

تعليق التمائم لم يكن مقصورًا على الإنسان فقط، بل من الناس من يعلق التمائم على الحيوان، ومنهم من يعلقها على منـــزله أو دابته لرفع البلاء عنها أو لدفعه قبل وقوعه.

وقد نهى النبي ﷺ عن تعليق التمائم على الحيوان كما في حديث أبي بشير الأنصاري[(٥)] رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، قال عبد الله[(٦)]: حسبت أنه

---

(١) انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ٥٨٦-٥٨٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (٣/ ٣٤٧-٣٤٨).

(٣) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ حكمي، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٣هـ، (٢/ ٤٩٨).

(٤) انظر: فتاوى نور على الدرب، عبد العزيز بن باز، ترتيب وإشراف: د. محمد سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ، (١/ ٣١٥-٣١٦).

(٥) هو: أبو بشير، قيس بن عبيد الأنصاري، من بني مازن بن النجار، صحابي جليل، شهد الخندق، ومات بعد الستين، جاوز عمره المائة، روى عنه: عباد بن تميم وضمرة بن سعيد. انظر: الإصابة (٧/ ٤١)، والثقات لابن حبان (٣/ ٣٤١)، والكاشف (٣/ ٢٨٤).

(٦) هو: عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، الأنصاري، المدني، روى عن أنس وسالم ابن عبد الله وغيرهما، وروى عنه مالك وسفيان الثوري وغيرهما، قال: محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث، عالمًا، توفي سنة ١٣٥هـ، وأخرج له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٣٥٠-٣٥١).

قال: والناس في مبيتهم؛ فأرسل رسول الله ﷺ رسولاً: ((لا تبقينّ في رقبة بعير قلادة من وتر – أو قلادة – إلا قطعت))[(١)].

وقد جاء عن الإمام مالك رحمه الله أنَّ صنيعهم ذلك كان دفعًا للعين؛ حتى لا تصيب دوابهم[(٢)].

قال البغوي– رحمه الله –: «تأول مالكُ بنُ أنس أمرَه ﷺ بقطع القلادة على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون بتلك الأوتار والقلائد التمائم، ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئًا»[(٣)].

حكم تعليق التمائم من الحيوان وعليه:

تعليق التمائم من الحيوان وعليه داخل في حكم تعليق التمائم لدفع البلاء أو رفعه، وهو على نوعين:

النوع الأول: التمائم المحرمة[(٤)]:

وهي التمائم التي تكون بشيء غير الكتاب والسنة، كالتي تكون من طلاسم اليهود أو المشركين، أو مستخدمي الجن ونحوهم، وكالتي تكون من الخرز أو الأوتار أو حلق الحديد وغيرها، وكالتي تكون فيها ذكر بعض الأسماء المجهولة، أو لا يوجد في داخلها إلا أحرف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل (٢٤١) برقم (٣٠٠٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب اللباس، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير (١٠٥٧) برقم (٢١١٥).

(٢) انظر: الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، كتاب صفة النبي ﷺ، باب ما جاء في نزع المعاليق والجرس من العنق (٢/ ٩٣٧) برقم (١٦٧٧).

(٣) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ، (١١/ ٢٧).

(٤) انظر: معارج القبول (٢/ ٥١٢)، وأحكام الرقى والتمائم، د. فهد ابن ضويان السحيمي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، (٢٢٩-٢٤٠)، والمفيد في مهمات التوحيد، د. عبد القادر عطا صوفي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ، (٢٠٢-٢٠٣).

وأرقام حسابية، وكالتي يكون فيها شرك، كالاستغاثة بأحد غير الله ﷻ.

وقد جاءت أدلة كثيرة بتحريم هذا النوع من التمائم منها:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ الرقى والتمائم والتِّولة[١] شرك))[٢].

٢- عن عقبة بن عامر[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من تعلق تميمة فقد أشرك))[٤].

٣- عن عبد الله بن عُكَيم[٥] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من تعلق شيئًا وكل إليه))[٦].

وتعليق التمائم من هذا النوع على الإنسان أو الحيوان أو المنـــزل أو غير ذلك هو من الشرك.

يقول ابن الأثير - رحمه الله -: «وإنما جعلها شركًا؛ لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه»[٧].

---

(١) التِّولة هي: ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره. انظر: النهاية لابن الأثير (١١٣) مادة (تول).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٨١)، وأبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب في تعليق التمائم (١٥٠٨) برقم (٣٨٨٣)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٤٨) رقم (٣٣١).

(٣) هو: عقبة بن عامر، الجهني، صحابي، كان فقيهًا، فاضلاً، شاعرًا، روى عنه: ابن عباس وجبير بن نفير، وخلق غيرهم ولي إمرة مصر زمن معاوية رضي الله عنه، توفي سنة ٥٨هـ. انظر: الإصابة (٤/ ٥٢٠)، والثقات لابن حبان (٣/ ٣٨)، والكاشف (٢/ ٢٣٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٥٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٣) برقم (٧٥١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٩٢) برقم (٦٣٩٤).

(٥) هو: عبد الله بن عكيم الجهني، أبو مصعب، سمع كتاب النبي ﷺ إلى جهينة، وهو مخضرم، مات في إمرة الحجاج. انظر: تقريب التهذيب (٣١٤).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣١١)، والترمذي في سننه، في كتاب الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق (١٨٥٩) برقم (٢٠٧٢)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٢٤١) برقم (٧٥٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٠٨) برقم (٢١٦٧).

(٧) انظر: النهاية (١١٢) مادة (تمم).

فإن كان المعلق لها يعتقد أنها سبب وليس لها تأثيرٌ بنفسها فهو مشرك شركًا أصغر؛ لأنه اعتقد أن ما ليس بسبب سببًا.

وإن كان صاحبها يعتقد فيها النفع والضر، وأنها مؤثرة بنفسها دون الله تعالى، فهذا شرك أكبر[١].

والعلة في تحريم التمائم، ما فيها من اللجوء إلى غير الله تعالى في جلب الخير ودفع الضر، بما لم يجعله الله سببًا شرعيًّا لذلك، واعتقاد ذلك جهل وضلال؛ إذ لا مانع للشر ولا جالب للخير غير الله، ولما فيه من تعلق القلوب والغفلة عن الله سبحانه وتعالى.

النوع الثاني: التمائم المختلف فيها:

وهي التمائم التي تكون بشيء من القرآن أو السنة الصحيحة، وقد اختلف العلماء في حكمها على قولين:

---

(١) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٧٤)، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٢/ ٣٨٤)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/ ١٦٥).

القول الأول: جواز تعليق التمائم، التي من الكتاب والسنة، ويروى هذا القول عن عبد الله بن عمرو[(١)(٢)]، وسعيد ابن المسيب[(٣)(٤)]، وابن سيرين[(٥)(٦)]، وعطاء[(٧)(٨)]، ومالك[(٩)]، والقرطبي[(١٠)]، وظاهر قول ابن تيمية[(١١)] وابن القيم[(١٢)] وابن حجر[(١٣)] وغيرهم، وجمهور أصحاب هذا القول على أن التعليق الجائز هو ما كان بعد نزول البلاء أما ما كان

---

(١) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، السهمي، أسلم قبل أبيه، كان من المكثرين من الصحابة لرواية الحديث، روى عنه: عروة وطاووس وغيرهما، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في الطائف سنة ٦٣هـ. انظر: الإصابة (٤/ ١٩٢-١٩٣)، الثقات لابن حبان (٣/ ٥٠-٢١١)، وتقريب التهذيب (٣١٥).

(٢) انظر: مسند أحمد (٢/ ١٨١).

(٣) هو: سعيد بن المسيب بن حزن، المخزومي القرشي، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، كان من سادات التابعين فقهًا ودينًا وورعًا وعلمًا، مات بعد التسعين من الهجرة، وقد ناهز الثمانين، وأخرج حديثه الجماعة. انظر: الثقات لابن حبان (٤/ ٢٧٣-٢٧٥)، وتقريب التهذيب (٢٤١).

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، (٥/ ٤٣).

(٥) هو: أبو بكر، محمد بن سيرين، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه، كان ثقة ثبتًا، فقيهًا فاضلاً، حافظًا متقنًا، يعبر الرؤى، رأى ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، وروى عنه قتادة وخلف، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: الثقات لابن حبان (٥/ ٣٤٨)، وتقريب التهذيب (٤٨٣).

(٦) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٤٤) برقم (٢٣٥٤٨).

(٧) هو: أبو محمد، عطاء بن أبي رباح، القرشي مولاهم، المكي، ثقة، فقيه، فاضل، كثير الإرسال، روى عن عائشة وأبي هريرة، وروى عنه الأوزاعي وابن جريج وغيرهما، توفي سنة ١١٤هـ، وعمره ٨٠ سنة، وأخرج حديثه الجماعة. انظر: الكاشف (٢/ ٢٣١)، وتقريب التهذيب (٣٩١).

(٨) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٤٣) برقم (٢٣٥٤٤)، وشرح السنة (١٢/ ١٥٨).

(٩) انظر: التمهيد (١٧/ ١٦١).

(١٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٢٥-٣٢٦).

(١١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٤-٦٥).

(١٢) انظر: زاد المعاد (٤/ ٢١٢، ٣٥٨).

(١٣) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٥٨).

قبله فليس بجائز(١).

ومن أدلة هذا القول ما يأتي(٢):

١- قول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٢- قوله ﷺ: ((من تعلق شيئًا وكل إليه))(٣).

قالوا: فمن علق القرآن ينبغي أن يتولاه الله ولا يكله إلى غيره؛ لأنه تعالى هو المرغوب إليه، والمتوكل عليه في الاستشفاء بالقرآن(٤).

٣- قول عائشة رضي الله عنها: ((التمائم ما علق قبل نزول البلاء، وما علق بعده فليس بتميمة))(٥).

٤- ما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: ((كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: (بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)، قال فكان عبد الله ابن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه))(٦).

---

(١) انظر: شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ، (٤/ ٣٢٥)، والتمهيد (١٧/ ١٦١)، وزاد المعاد (٤/ ٣٥٧).

(٢) انظر: التمائم في ميزان العقيدة، د. علي بن نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض، (٣٩)، وأحكام الرقى والتمائم (٢٤٧-٢٥١).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢١٦].

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٢٥-٣٢٦).

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٤٢) برقم (٥٧٠٧)، وسنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، (٩/ ٣٥٠).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٨١)، وأبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب: كيف الرقى (١٥٠٩) برقم (٣٨٩٣)، والترمذي في سننه، في كتاب الدعوات، باب: دعاء الفزع من النوم (٢٠١٤) برقم (٣٥٢٨)، والحديث لا يصح إسناده. انظر: تحفة الأحوذي (٩/ ٣٥٦)، وقد ضعف الألباني زيادة قوله: (وكان عبد الله بن عمرو...). انظر: الكلم الطيب، لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٧٧م، (٨٤) رقم (٤٩).

وأجابوا عن الأدلة المانعة من التمائم بأنها: خاصة بما لا يعرف، أو على ما كان من أهل الجاهلية(١).

القول الثاني: منع تعليق التمائم مطلقًا من الكتاب والسنة، ومن غيرهما، وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه(٢)، وعبد الله بن عكيم رضي الله عنه(٣)، وعقبة ابن عامر رضي الله عنه(٤)، وإبراهيم النخعي(٥)(٦)، وابن العربي(٧)(٨)، وكثير من العلماء المحققين المتأخرين(٩).

ومن أدلة أصحاب هذا القول:

١- عموم النهي الوارد في التمائم، وهذا العموم لم يثبت ما يخصصه فيبقى على عمومه(١٠).

٢- لو كان العمل مشروعًا لبينه النبي ﷺ لأمته(١١)، والسنة دلت على أن المستعمل هو

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٣٥١) برقم (١٩٣٩٦)، باب التمائم.

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣٥) برقم (٢٣٤٦٤).

(٣) انظر: مسند أحمد (٤/ ٣١٠).

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣٥) برقم (٢٣٤٦٥).

(٥) هو: أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، الكوفي، الفقيه، كان عجبًا في الورع والخير، رأسًا في العلم، ثقة يرسل كثيرًا، توفي سنة ٩٦هـ وعمره ٥٠ سنة. انظر: الكاشف (١/ ٥١)، وتقريب التهذيب (٩٥).

(٦) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣٦) برقم (٢٣٤٦٧) و(٢٣٤٦٩).

(٧) هو: أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي، المعروف بابن العربي، ولد سنة ٤٦٨هـ، ورحل مع أبيه إلى المشرق، سمع من الغزالي وأبي زكريا التبريزي، وسمع منه الحسن بن علي القرطبي، وأبو القاسم السهلي، وغيرهما، كان متبحرًا في العلم، كريم الشمائل، ولي قضاء إشبيلية، صنف في الحديث، والفقه، والأصول، والأدب، والنحو، والتاريخ، توفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ٦١-٦٣).

(٨) انظر: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، أبو بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٨/ ٢٢٢).

(٩) منهم سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد (١٦٨)، وعبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد مع حواشي: محمد حامد الفقي، مراجعة وتصحيح ابن باز، دار الخير، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، (١٠٩)، وابن باز في مجموع الفتاوى والمقالات (٢/ ٣٨٥)، وحافظ حكمي في معارج القبول (٢/ ٥١٠)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٤٨).

(١٠) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٦٨)، وفتح المجيد (١٠٩)، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٢/ ٣٨٤).

(١١) انظر: التمائم في ميزان العقيدة (٤٠)، وأحكام الرقى والتمائم (٢٤٦).

الذكر دون التعليق[(١)].

٣- سد الذرائع حتى لا يصل الأمر من التمائم المختلف في حكمها إلى تعليق التمائم الشركية[(٢)].

٤- تعليق القرآن يفضي إلى امتهانه كالدخول به إلى الخلاء ونحوه[(٣)].

٥- القول بالتعليق قد يعطل سنة الرقية بالقرآن والأدعية، فإنَّ الذي يعلق القرآن بكامله قد يظن أنَّه لا يحتاج أن يتعوذ بشيء من القرآن والأدعية[(٤)].

ويجاب عن أدلة أصحاب القول الأول، المجيزين لتعليق التمائم من القرآن والسنة بما يأتي:

١- الآية عامة وليس فيها ذكر للتعليق، والسنة قد دلت على أَنَّ المستعمل هو الذكر دون التعليق[(٥)].

٢- الاستدلال بحديث ((من تعلق شيئًا وُكِل إليه)) يجاب عنه بأن السنة قد دلت على الطريق الصحيح للاستشفاء بالقرآن، وهو طريق الرقى لا التعليق.

ولو كان من تعلق القرآن وُكِلَ إليه لكفانا إذن أن نعلقه ولم تأت أذكار الصباح والمساء، ولا داعي لقراءته، وقراءة الأذكار، وفي ذلك تعطيل لما ثبت في السنة[(٦)].

وأمَّا ما جاء عن عائشة رضي الله عنها فيجاب عنه بأنه اجتهاد منها رضي الله عنها خالفها فيه بعض الصحابة فلا يكون له حكم الرفع.

وأمَّا ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فالرواية ضعيفة كما سبق، ولو

---

(١) انظر: عارضة الأحوذي (٨/ ٢٢٢).

(٢) انظر: فتح المجيد (١٠٩)، ومعارج القبول (٢/ ٥١٠)، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٢/ ٣٨٤).

(٣) انظر: فتح المجيد (١٠٩)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/ ١٨٥).

(٤) انظر: التمائم في ميزان العقيدة (٤٤).

(٥) انظر: عارضة الأحوذي (٨/ ٢٢٢).

(٦) انظر: أحكام الرقى والتمائم (٢٤٨).

صحت الرواية فهو اجتهاد منه لا يعارض الأدلة الدالة على عدم جواز التعليق[١]، فلم يسند هذا الفعل إلى النبي ﷺ؛ بل هو عمل فردي لا يترك به حديث النبي ﷺ وعمل كبار الصحابة.

وأصحاب القول الثاني، وهم القائلون بمنع تعليق التمائم مطلقًا من الكتاب والسنة هم أسعد بالدليل وأقرب إلى الصواب والعلم عند الله تعالى.

---

(١) انظر: تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (٨٩).

المطلب السادس: الولاء والبراء عند الحيوان:

من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة موالاة المؤمنين ومحبتهم والبراءة من الشرك وأهله(١).

يقول ﷻ عن ولاء المؤمنين لإخوانهم المؤمنين: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، فهم أولياء بعض في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة(٢).

ويقول ﷻ محذرًا من موالاة أهل الشرك من جميع الملل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

فنهى الله ﷻ عن اتخاذ المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين أولياء وأصدقاء وأخلاء، كما بينه ﷻ بقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨](٣).

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤].

«ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعني مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم»(٤).

ولا يكفي في الموالاة في الله مجرد الحب، بل لا بد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب، وهي النصرة والإكرام، والاحترام والكون مع المحبوبين باطنًا وظاهرًا.

---

(١) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ١٩٥)، ومجموع الفتاوى (٨/ ١٩١)، و(١٤/ ٢٨٠)، والولاء والبراء في الإسلام، د. صالح الفوزان، دار الوطن، الرياض، ١٤١١هـ، (٣)، والولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني، دار طيبة، الرياض، ط٣، ١٤٠٩هـ، (١٣٤-١٣٩).

(٢) انظر: معالم التنـــزيل (٤/ ٧٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ١١١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٩٢).

ولا يكفي - أيضًا - في المعاداة في الله مجرد بغض القلب، بل لا بد من لازم البغض، وهو إظهار العداوة بالفعل، كالجهاد لأعداء الله والبراءة منهم، والبعد عنهم باطنًا وظاهرًا(١).

وإذا كان الولاء والبراء مأمورًا بهما المكلف، فلا إيمان إلا بموالاة أهل الإيمان ومحبة التوحيد وأهله، والبراءة من الشرك وأهله، كما قال سبحانه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فإن في بعض الحيوانات - وإن كانت غير مكلفة - صورًا رائعةً تدل على محبتها للطاعة وأهلها، وبغضها للمعصية وأهلها، وتأذيها بهم.

وفي المقابل صور لطائفة أخرى من الحيوانات تعادي أهل الإيمان والصلاح.

فمن صور محبة الحيوانات للطاعة وأهلها:

١- ما أخبر عنه النبي ﷺ من أن الدوابّ غير الوزغ كانت تطفئ النار عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: ((إن إبراهيم لما ألقي في النار جعلت الدوابّ كلها تطفئ عنه إلا الوزغ فإنه جعل ينفخها عليه))(٢).

٢- الديك، أخبر عنه النبي ﷺ أنه يدعو إلى الصلاة، فعن زيد بن خالد(٣)رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تسبوا الديك، فإنه يدعو إلى الصلاة))(٤).

٣- في قصة الهدهد مع سليمان عليه الصلاة والسلام دلائل جليَّة على محبته للتوحيد،

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٨١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢١٧)، والنسائي في السنن الصغرى، في كتاب المناسك، باب: قتل الوزغ (٢٢٧٠) برقم (٢٨٣٤)، وابن ماجه في سننه، في أبواب الصيد، باب: قتل الوزغ (٢٦٧٢) برقم (٣٢٣١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٠٨) رقم (١٥٨١).

(٣) هو: زيد بن خالد الجهني، المدني، صحابي مشهور، روى عنه عطاء بن يسار وأبي مسلمة، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، توفي بالكوفة سنة ٧٨هـ، وعمره ٨٥ سنة. انظر: الإصابة (٢/ ٦٠٣)، الكاشف (١/ ٢٦٥)، وتقريب التهذيب (٢٢٣).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٩٣)، وأبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب: في الديك والبهائم (١٥٩٦) برقم (٥١٠١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٦٠) برقم (٥١٠١).

وعداوته للمعصية وأهلها، قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: ٢٤-٢٦].

فهذا الهدهد يستنكر عبادة الشمس من دون الله، ويحذر من طاعة الشيطان، فهو يعادي الشرك وأهله، ويحب شهادة التوحيد ويدعو إليها.

٤- أن النملة في جحرها، والحوت يصلون على معلم الناس الخير، محبة لفعله، وفرحًا بطاعته قال ﷺ: ((إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير))[١].

ومن صور بغض الحيوان للعصاة والفجار ما يأتي:

١- أن الدوابّ تستريح من موت الفاجر، وذلك لانتهاكه حرمات الله تعالى، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة، قال: ((مستريح أو مستراح منه)، قالوا: يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: (العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب))[٢].

فهذه الدوابّ تنـــزعج من وجود الفاجر في الأرض؛ لأنه مبارز لله عز وجل، فإذا مات استراحت منه، فهي تميز بين أولياء الله وأعدائه، فسبحان الله رب العالمين.

٢- أن الدوابّ والحشرات والبهائم تلعن الذين يكتمون ما أنزل الله تعالى، يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٩٣].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقائق، باب: سكرات الموت (٥٤٦) برقم (٦٥١٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في مستريح ومستراح منه (٨٢٧) برقم (٩٥٠).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ عدة أقوال[(١)]:

فقيل: جميع الخلائق إلا الجن والإنس، وقيل: هم الملائكة، وقيل: الجن والإنس، وقيل: جميع عباد الله تعالى.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: ((يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، قال: دواب الأرض))[(٢)].

وجاء عن مجاهد –رحمه الله– أن دواب الأرض تلعنهم، فتقول: منعنا القطر بخطايا بني آدم[(٣)].

يقول ابن كثير – رحمه الله –: «أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك، فكما أن العالم يستغفر له كل شيء، حتى الحوت في الماء والطير في الهواء، فهؤلاء بخلاف العلماء، فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون»[(٤)].

فالدوابّ تحب الطاعات وتوالي أهلها، وتكره المعاصي وتتبرأ من أهلها، إلا ما جاء عن عداوة الوزغ لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقد أمر النبي ﷺ بقتله، وقال: ((كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام))[(٥)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «وسماه النبي ﷺ فاسقًا، وأخبر أنه كان ينفخ النار على إبراهيم – والعياذ بالله – حين ألقاه أعداؤه في النار من أجل أن يشتد لهبها، مما يدل على عداوته

---

(١) انظر: جامع البيان (٣/ ٢٥٤-٢٥٨)، ومعالم التنـــزيل (١/ ١٧٥)، وزاد المسير (١/ ١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٩١-١٩٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، في أبواب الفتن، باب: العقوبات (٢٧١٩) برقم (٤٠٢١)، وقال القرطبي: سنده حسن، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٩١).

(٣) انظر: جامع البيان (٣/ ٢٥٥)، وشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، (٣/ ١٩٨) برقم (٣٣١٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ (٢٧٢) برقم (٣٣٥٩) من حديث أم شريك.

لأهل التوحيد والإخلاص»[١].

وبعد فإن الباحث في مسائل الحيوان يجد فيها مسائل كثيرة متعلقة بالتوحيد، من دلالته على ربوبية الله عز وجل، وفطرته على التوحيد، وعبوديته لربه، ووقوع طوائف من البشر في الشرك عن طريق الحيوان، من عبادته وذبحه لغير الله تعالى، أو التطير به، أو تعليق التمائم منه أو عليه، وغير ذلك من المسائل المتعلقة بأنواع التوحيد.

(١) شرح رياض الصالحين (٦/ ٦٩٣).

الفصل الثاني

المسائل المتعلقة بالملائكة والجان

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المسائل المتعلقة بالملائكة.

المبحث الثاني: المسائل المتعلقة بالجنِّ.

المبحث الأول

المسائل المتعلقة بالملائكة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: امتناع الملائكة من دخول البيت ومن مرافقة الصحبة التي فيها كلب.

المطلب الثاني: ما جاء في دواب الملائكة.

المطلب الثالث: رؤية الحيوان للملائكة.

تمهيد: تعريف الملائكة:

لغةً: الملائكة جمع، مفرده مَلَك، والملك أصله: ألك، والمألكة، والمألك: الرسالة، ومنه اشتق الملائك؛ لأنهم رسل الله.

وقيل اشتق من: لأك والملأكة هي: الرسالة.

وألكني إلى فلان؛ أي بلغه عني [١].

اصطلاحًا: خلق من خلق الله تعالى، لهم أجسام نورانية لطيفة، قادرة على التشكل، ولهم قوة عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلقٌ كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[٢].

والإيمان بالملائكة معناه: التصديق الجازم بالقلب واللسان، والجوارح بهم وبما ورد في شأنهم في الكتاب والسنة.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/١٣٧) مادة (ألك)، ولسان العرب (١٠/٣٩٢) مادة (ألك)، وعالم الملائكة الأبرار (٧).

(٢) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام (٢/٥٤)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (٩٩).

المطلب الأول: امتناع الملائكة من دخول البيت ومن مرافقة الصحبة التي فيها كلب:

أخبر النبي ﷺ بأنّ البيت الذي فيه كلب، والرفقة الذين معهم كلب محرومون من حضور الملائكة وصحبتها لهم؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((واعد رسولَ الله ﷺ جبريلُ عليه السلام في ساعة يأتيه فيها، فجاءت الساعة ولم يأته، وفي يده عصا فألقاها من يده، وقال: ما يخلف الله وعده ولا رُسُلُه، ثم التفت فإذا جرو كلب[١] تحت سرير، فقال: يا عائشة، متى دخل هذا الكلب هنا؟ فقالت: والله ما دريت، فأمر به فأُخرج، فجاء جبريل عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: واعدتني فجلست لك، فلم تأتِ، فقال: منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنّا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة))[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس[٣]))[٤].

قال النووي[٥] رحمه الله: «وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات،

---

(١) الجرو: بكسر الجيم وضمها وفتحها، ثلاث لغات مشهورات، وهو: الصغير من أولاد الكلاب، وسائر السباع. انظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٤٧)، وتاج العروس (٣٧/ ٣٤٠) مادة (جرو).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان...(١٠٥٤) برقم (٢١٠٤).

(٣) الجرس: هو ما يعلق على الدواب، ولعلَّ سبب كون الملائكة لا تصحب الرفقة التي فيها جرس: أنَّه شبيه بالنواقيس، ولما في صوته من العزف والموسيقى. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/ ٩٥)، وشرح رياض الصالحين (٦/ ٤٣١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس، باب كراهة الكلب والجرس في السفر (١٠٥٦) برقم (٢١١٣).

(٥) هو: أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف النووي الشافعي، ولد سنة ٦٣١هـ بنوى، تتلمذ على أبي إسحاق المرادي، والإربلي، وغيرهما، كان زاهدًا ورعًا، لا يضيع له وقت بالليل ولا بالنهار، مشتغلاً بالحديث وعلومه، وقد صنف كتبًا كثيرة، منها: المنهاج شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، وغيرها، توفي سنة ٦٧٦هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: =

ولأنَّ بعضها يسمى شيطانًا كما جاء به الحديث[١]، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره الرائحة القبيحة، ولأنها منهي عن اتخاذها، فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته، وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه وفي بيته، ودفعها أذى الشيطان، وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتًا فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال؛ لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها»[٢]، فالنووي -رحمه الله- يختار أن الملائكة الذين لا يدخلون بيتًا فيه كلب أو صورة هم ملائكة الرحمة، أما الحفظة فيدخلون كل بيت.

والقول الثاني: أنَّ امتناع الملائكة من البيت الذي فيه صورة أو كلب ظاهره عموم الملائكة، إذ لا يوجد نص يخصص الحفظة من الامتناع، فجائز أن يطلعهم الله تعالى على عمل العبد ويسمعهم قوله وهم على باب الدار[٣].

وأبعد فريق آخر من العلماء؛ حيث جعلوا امتناع الملائكة من دخول البيت الذي فيه صورة أو كلب خاصًّا بمن ينـــزل بالوحي، وهو جبريل عليه السلام؛ إذ يلزم من ذلك أن يكون اختصاص النهي بعهد النبي ﷺ؛ لأن الوحي انقطع بعده، وكذلك قالوا في امتناع الملائكة من الصحبة التي فيها جرس أنه محمول على الرفقة التي فيها رسول الله ﷺ، وهو تأويل بعيد جدًّا[٤].

والأرجح والعلم عند الله تعالى القول بالعموم، وأن الملائكة كلهم لا يدخلون بيتًا فيه صورة أو كلب؛ لعموم الأدلة، ولا يوجد دليل صريح في تخصيص بعضهم دون بعض.

والبيت يراد به المكان الذي يستقر فيه الشخص، سواء أكان بناءً أم خيمة أم غير

د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ، (٨/ ٣٩٥-٤٠٠)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٢/ ١٥٣-١٥٧).

(١) جاء في الحديث: ((الكلب الأسود شيطان))، أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب: قدر ما يستر المصلي (٧٥٧) برقم (٥١٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/ ٨٤)، وانظر: تحفة الأحوذي (٨/ ٧٢).

(٣) انظر: المفهم (٥/ ٤٢١)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٦٠).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٦١).

ذلك[١].

وللعلماء رحمهم الله قولان في الكلاب التي يَمْنَعُ وجودُها حضورَ الملائكة:

القول الأول: أنّ الملائكة لا تدخل بيتًا ولا تصحب رفقة فيها كلب من الكلاب التي لم يؤذن فيها شرعًا[٢].

القول الثاني: أن الملائكة لا تدخل البيت ولا تصحب الرفقة التي فيها كلب أذن فيه شرعًا أو لم يؤذن فيه[٣].

والراجح أن الملائكة لا تدخل البيت ولا تصحب الرفقة التي فيها كلب مطلقًا؛ لعموم الأدلة.

والكلاب التي أذن الشرع فيها هي: كلب الماشية، أو كلب الزرع، أو كلب الصيد، فعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من اتخذ كلبًا، إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع، انتقص من أجره كل يوم قيراط))[٤].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله سبب نقص أجر متخذ الكلاب التي لم يأذن فيها الشرع من أجل: «امتناع الملائكة من دخول بيته، أو ما يلحق المارين من الأذى، أو لأنّ بعضها شياطين، أو عقوبة لمخالفة النهي، أو لولوغها في الأواني عند غفلة صاحبها، فربما تنجس الطاهر منها، فإذا استعمل في العبادة لم يقع موقع الطاهر»[٥].

وأجاز بعض العلماء اتخاذ الكلاب لغير هذه الثلاثة عند الحاجة، كحفظ الدور

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٦٠).

(٢) انظر: المفهم (٥/ ٤٢١، ٤٣٤)، وشرح رياض الصالحين (٦/ ٤٣٢).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٤/ ٨٤)، وتحفة الأحوذي (٨/ ٧٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الحرث والمزارعة، باب: اقتناء الكلب للحرث (١٨١) برقم (٢٣٢٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساقاة، باب: الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه، وبيان تحريم اقتنائها (٩٥١) برقم (١٥٧٥) واللفظ له.

(٥) فتح الباري (٦/ ١١٦).

والدروب[١]، وكاقتنائها للدلالة على المخدرات، أو اكتشاف السارق.

ويشترط في الكلب الذي يتخذه الإنسان ألا يكون أسودَ للمنع منه مطلقًا[٢].

أما بقية الكلاب التي لم يأذن الشارع باقتنائها فإنها سبب لحرمان دخول الملائكة بيت صاحبها، أو مرافقة مقتنيها، ونقص أجره، وفي ذلك خسارة عليه في الدنيا والآخرة، فالملائكة تنــزل بالرحمة والسكينة، وبُعدها سبب للشقاء والهلاك.

ومن أعظم الخسران ما يراه المسلم عند بعض الشباب ممن أعجب بالغرب أو الشرق، وأخذ يقلدهم في مأكله ومشربه ومسكنه، ومن ذلك تربية الكلاب، فصاحبه وقع في محذورين:

الأول: التشبه بالكفار والإعجاب بهم.

الثاني: حرمان الملائكة من دخول بيته ومرافقته.

والمسلم يحذر من صنيع ذلك، ويتبين له خطورة هذا العمل المخالف لما جاء به نبينا ﷺ، فالخير فيما دلنا عليه، والشر فيما حذرنا منه.

---

(١) انظر: التمهيد (١٤/ ٢١٩)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٠/ ٢٣٦)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ١١٧).

(٢) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٢هـ، (١١/ ٧٧).

المطلب الثاني: ما جاء في دوابّ الملائكة:

الملائكة عليهم السلام خَلْق عظيم من مخلوقات الله تبارك وتعالى الدالة على قوته وعظمته، وقد وهبهم الله ﷻ من القوة والسرعة ما لم يعط مثله غيرهم من المخلوقات، يقول الله ﷻ في بيان ملائكة النار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقد أخبر النبي ﷺ أنه لم ير جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها إلاّ مرتين، فرآه منهبطًا من السماء سادًّا عِظَم خَلْقِه ما بين السماء والأرض[(١)].

والله تبارك وتعالى أخبر أنه جعلهم أولي أجنحة، فقال سبحانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١].

وسرعة الملائكة عليهم السلام فوق كل سرعة عرفها البشر؛ فهي سرعة لا تقاس بمقاييسهم، فقد كان السائل يأتي الرسول ﷺ، فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من رب العزة ﷻ[(٢)].

ومن دلائل سرعتهم عليهم السلام سرعة انتقالهم من الأرض إلى السماء، وبين كل سماء وسماء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم –وهو أعلم بهم– كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون))[(٣)].

---

(١) ورد هذا الحديث في حديث أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب: معنى قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ (٧٠٩) برقم (١٧٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: عالم الملائكة الأبرار، د. عمر الأشقر، دار النفائس، عمان، الأردن، ط٧، ١٤١٥هـ، (٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٤٥) برقم (٥٥٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب المساجد، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٧٧٦) برقم (٦٣٢).

ومع ما منحهم الله تبارك وتعالى من قوة عظيمة وسرعة عالية، وأجنحة متعددة، فقد دلت النصوص أنَّ لهم دوابَّ يمتطوها لحكمة يعلمها ربنا ﷻ؛ وإن كنَّا لا نعلم شيئًا عن كيفية هذه الدواب، ولا صفاها فإننا نؤمن بما دلت عليه تلك النصوص من وجودها وركوب الملائكة عليها، فمن الأدلة على ذلك:

١- قتال الملائكة يوم بدر على الخيل:

أخبر الله ﷻ عن مشاركة الملائكة في القتال في غزوة بدر الكبرى، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٥].

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: (مسوِّمين)[١] أن الملائكة عليهم السلام كانوا مسومين[٢] خيولهم أي: معلمة نواصيها وأذنابها بالصوف والعِهْن، وأنهم كانوا يقاتلون على خيل بُلْق[٣][٤].

وجاء في صحيح مسلم تسمية فرس من خيل الملائكة الذين أمدَّ الله بهم المسلمين يوم بدر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم

(١) قرأ ابن كثير وأبو عاصم (مسوِّمين) بكسر الواو، والباقون بفتحها. انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ (٧٠)، واختار ابن جرير الطبري القراءة بكسر الواو. انظر: جامع البيان (٧/ ١٨٥).

(٢) مسومين: أي معلمين. انظر: لسان العرب (١٢/ ٣١٣) مادة (سوم).

(٣) البلق: سواد وبياض. انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٥) مادة (بلق)، والقاموس المحيط (١/ ١١٢٢).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ،عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا (٣/٧٥٥) ، جامع البيان (٧/ ١٨٧)، وزاد المسير (١/ ٤٢٥)، والمحرر الوجيز (١/ ٥٠٤)، والتسهيل لعلوم التنـــزيل (١/ ١١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٥)، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ٩٤).

حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدَّث رسول الله ﷺ، فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة))، الحديث(١)، وحيزوم: اسم فرس الملك عليه السلام(٢).

وأخبر النبي ﷺ يوم بدر عن مشاركة جبريل عليه السلام على فرسه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: ((هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب))(٣).

٢- ركوب جبريل عليه السلام والنبي ﷺ البراق:

جاء في بعض أحاديث الإسراء والمعراج ما يدل على ركوب النبي ﷺ رديف جبريل عليه السلام على البراق، فمن ذلك ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((أُتِيت بالبراق وهو دابّة أبيض طويل يضع حافره عند منتهى طرفه، فلم نزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس))، الحديث(٤).

وقد استدل به طائفة من العلماء على أنَّ النبي ﷺ لم يركب على البراق وحده، بل كان رديف جبريل عليه السلام(٥).

والشاهد من الحديث ركوب جبريل عليه السلام على البراق.

فنؤمن بوجود دواب تركبها الملائكة، وإن كنَّا لا نراها ولا نعلم شيئًا عن كيفيتها، فنؤمن ونصدق بكل ما جاء عن الله ورسوله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (٩٩٠) برقم (١٧٦٣).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ٨٥)، والنهاية في غريب الحديث (٢٤٥) مادة (حيزم).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: شهود الملائكة بدرًا (٣٢٦) برقم (٣٩٩٥).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٩٢)، والترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل (١٩٧٠) برقم (٤٧٣١)، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٧٠) برقم (٣٣٦٨).

(٥) منهم ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٦٣٥)، وبدر الدين محمود بن أحمد العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة ورقمها (١٧/ ٢٥)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٨/ ٤٦٤).

ولثبوت قدر مشترك بين الحيوان المعروف الذي هو موضوع الرسالة وبين هذه الدوابّ الواردة في هذا المبحث هو الذي سوغ البحث في هذا الموضوع هنا، ومثله ما يتعلق بدواب الجن وحيوانات الجنة والنار، والله أعلم.

المطلب الثالث: رؤية الحيوان للملائكة:

منح الله تبارك وتعالى الحيوانات قدرة تختلف عن قدرة الإنسان، فجعلها ترى ما لا يراه الإنسان، وتسمع ما لا يسمعه الإنسان[١]، فقد أخبر النبي ﷺ عن رؤية الديك للملك، ورؤية الحمار للشيطان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: ((إذا سمعتم صياح الدِّيكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانًا))[٢].

فأرشد النبي ﷺ في هذا الحديث إلى سؤال الله تبارك وتعالى من فضله عند صياح الديكة؛ لأنّ صياحها علامة على رؤيتها لملك من الملائكة الكرام، قال القاضي عياض[٣] رحمه الله: ((وذلك - والله أعلم - لتأمين الملائكة على دعاء بني آدم، واستغفارهم له فرحًا ببركة ذلك، وحسن عون الملك به، إذا دعا بحضرته بالتأمين والاستغفار له، وإشهاده له بالتضرع إلى الله والإخلاص))[٤].

ففي الحديث دليل على أنَّ الله خلق للديكة إدراكًا تدرك به النفوس القدسية، كما خلق للحمير إدراكًا تدرك به النفوس الشريرة الخبيثة[٥].

وفيه مزية وفضل للديك، ولهذا جاء النهي عن سبه، كما في حديث زيد بن خالد

---

(١) يأتي إن شاء الله الحديث عن ذلك في الفصل الرابع.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (٢٦٧) برقم (٣٣٠٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الذكر والدعوات، باب: استحباب الدعاء عند صياح الديك (١١٥١) برقم (٢٧٢٩).

(٣) هو: أبو الفضل، الحافظ، عياض بن موسى اليحصبي، العبسي، ولد في سبتة سنة ٤٧٦هـ، وأصله من الأندلس، أخذ العلم عن القاضي الغساني وأبي الحسن بن سراج وخلق، تولى القضاء بسبتة مدة طويلة، ثم تولى قضاء غرناطة ثم قرطبة، له مصنفات كثيرة، منها: الشفاء وإكمال المعلم وغيرها، توفي سنة ٥٤٤هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ٦٧-٦٩)، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣-٤٨٥).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ، (٨/ ٢٤٤).

(٥) انظر: فيض القدير، للمناوي (١/ ٤٨٨).

رضي الله عنه، أنّ النبي ﷺ قال: ((لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة))[١].

وقيل إن السر في هذه المزية؛ لأن الديك أقرب الحيوانات صوتًا إلى الذاكرين الله؛ لأنها تحفظ غالبًا أوقات الصلاة، وأنكر الأصوات صوت الحمير، فهو أقربها صوتًا إلى من هو أبعد من رحمة الله[٢].

وإن كان بعض الصحابة قد رأى جبريل عليه السلام، فإن رؤيتهم له لم تكن بصورته الحقيقية، أما الحيوان فقد أطلقت النصوص رؤية طائفة منها للملك وبعضها للشيطان، والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٢٤].

(٢) انظر: فيض القدير، للمناوي (١/ ٤٨٨).

المبحث الثاني

المسائل المتعلقة بالجنِّ

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تشكُّل الجن على صورة الحيوان.

المطلب الثاني: وصف بعض الحيوان بالشيطان.

المطلب الثالث: ما جاء في دوابِّ الجن.

المطلب الرابع: رؤية الحيوان للشيطان.

تمهيد: التعريف بالجنِّ.

لغة: يقال: جنَّ الشيء يجُنُّه جنًّا أي: ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جنَّ عنك، وسمي الجِنُّ بذلك لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه(١).

وقد أطلق على الملائكة لفظ: الجِنَّة بالكسر؛ وذلك لاستتارها عن العيون، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الصافات: ١٥٨]، حكاية عن كفار قريش الذين قالوا: الملائكة بنات الله(٢).

وسميت الجنة بهذا الاسم لكثرة شجرها؛ بحيث يستر بعضها بعضًا(٣).

اصطلاحًا: نوع من الأرواح العاقلة المكلفة المريدة، خلقت من نار مستترين عن الحواس، لا يرون على طبيعتهم ولا بصورهم الحقيقية، ولهم قدرة التشكيل، يأكلون ويشربون ويتناكحون، ومنهم المؤمن والكافر، وهم محاسبون على أعمالهم ومجزيون عليها(٤).

يجب الإيمان بكل ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، مما يتعلق بالجن ووجودهم وتكليفهم، وأن منهم المؤمن والكافر، وفي هذا المبحث بيان في مسائل الجن المتعلقة بالحيوان.

---

(١) انظر: لسان العرب (٩٢/١٣) مادة (جنن).

(٢) انظر معالم التنزيل (٦٣/٧).

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١١-٤٥٤).

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٧٩/٣-١٨٠)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٨٨/١)، وعالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (٨-٩).

المطلب الأول: تشكل الجنِّ على صورة الحيوان:

الجنُّ خلقهم الله تبارك وتعالى من نار كما أخبر سبحانه في كتابه عنهم بقوله: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧].

وقال النبي ﷺ: ((خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم))(١).

وقد أعطاهم الله تبارك وتعالى قدرة على التشكل؛ فيتصورون بصور وأشكال مختلفة من إنسان وحيوان وغير ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم؛ فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر، والغنم والخيل، والبغال والحمير، وفي صور الطير وفي صور بني آدم»(٢).

ومن الأدلة التي دلت على تشكلهم على صورة إنسان أو حيوان ما يأتي:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: (((يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟) قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته، فخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود)، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: (إنه سيعود)، فرصدته، فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟) قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته، فخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود)، فرصدته

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الزهد، باب: في أحاديث متفرقة (١١٩٦) برقم (٢٩٩٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٤٤)، وقال العيني: «الجن يتصورون في صور شتى، ويتشكلون في صور الإنسان والبهائم، والحيات والعقارب، والإبل والبقر، والغنم والخيل، والبغال والحمير، وفي صورة الطير». عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٣٥).

الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هنّ؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية، فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة؟) قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ: (أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟)، قال: لا، قال: (ذاك شيطان)))[١]، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله من فوائد الحديث: أن الجن تظهر للإنسان بما تتصور به[٢].

٢- عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه[٣]، قال: قال رسول الله ﷺ: ((الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون))[٤]، فالجن يتصورون على صور حيات، وعلى صور كلاب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوكالة، باب: إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز (١٨٠) برقم (٢٣١١).

(٢) انظر: فتح الباري (٦/ ١٠٢).

(٣) أبو ثعلبة واختلف في اسمه، فقيل: جرهم، وقيل: جرثوم، وقيل: اسمه عمرو بن جرثوم الخشني، من قضاعة، كان ممن بايع تحت الشجرة، روى عنه: سعيد بن المسيب ومكحول، وآخرون، أرسله النبي ﷺ إلى قومه فأسلموا مات في خلافة معاوية، وقيل سنة ٧٥هـ. انظر: الإصابة (٧/ ٥٨-٥٩)، والثقات لابن حبان (٣/ ٦٣)، وتقريب التهذيب (٦٢٧).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٥) برقم (٣٧٠٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، (٢/ ٢٦٥) برقم (٢٦٥)، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح،
=

٣- عن أبي ذرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود، قلت: يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي سألت رسول الله ﷺ كما سألتني، فقال: الكلب الأسود شيطان))(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته كثيرًا، وكذلك بصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة»(٢).

٤- عن أبي السائب(٣): ((أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته، قال: فوجدته يصلي، فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكًا في عراجين(٤) في ناحية البيت، فالتفت فإذا حية، فوثبت لأقتلها، فأشار إليّ أن اجلس، فجلست، فلما انصرف إلى بيت الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم، فقال: كان فيه فتى منّا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فرجع إلى أهله، فاستأذنه يومًا، فقال له رسول الله ﷺ: (خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة)، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به، وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا

محمد بن عبد الله التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ، (٢/ ٤٤٣) برقم (٤١٤٨).

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٣٢].

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٢).

(٣) هو: أبو السائب، مولى هشام بن زهرة بن عثمان بن عمرو بن كعب السلمي، التابعي الجليل، أصله من فارس، روى عن المغيرة وأبي هريرة وأبي سعيد، وروى عنه العلاء والزهري. انظر: الثقات لابن حبان (٥/ ٥٩١)، وتهذيب الكمال (٣٣/ ٣٣٨)، والكاشف (٣/ ٢٩٩).

(٤) هي الأعواد التي تكون في سقف البيت، شبهها بالعراجين. انظر: النهاية لابن الأثير (٦٠٢) مادة (عرج).

بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار، فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسرع موتًا الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ، وذكرنا ذلك له، وقلنا له: ادع الله أن يحييه لنا، فقال: ((استغفروا لصاحبكم))، ثم قال: ((إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا فإذا رأيتم منها شيئًا فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان))[١].

ففي هذا الحديث دلالة على أن الجنَّ يتشكلون في صورة الحيات، فهذه الحية التي قتلها هذا الصحابيرضي الله عنه كانت جنيًّا في صورة حية صُرِع الفتى بسببها.

فأرشد النبي ﷺ من رأى حية في بيته أن يناشدها ثلاثًا؛ فإذا ظهرت بعد ذلك جاز له قتلها؛ لأنها خرجت عن المعنى الذي من أجله نهي عن قتلها، وعادت إلى الحكم الذي كان جميع الحيات عليه قبل ذلك[٢].

وعلم أنها ليست من عوامر البيوت، ولا ممن أسلم من الجن، بل هو شيطان فلا حرمة عليكم فاقتلوه، ولن يجعل الله له عليكم سبيلاً، بخلاف العوامر ومن أسلم[٣].

ويستثنى من هذه الحيات: الأبتر[٤]، وذو الطُفْيتين[٥]، فإنهما يقتلان في البيوت من غير إنذار، ويدل عليه أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يومًا عند هدم له، فرأى وبيص جان[٦]،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها (١٠٧٥) برقم (٢٢٣٦).

(٢) انظر: شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ، (٧/ ٣٨١).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٤/ ٢٣٦).

(٤) الأبتر: صنف من الحيات قصير الذنب، وقيل هي الحية القصيرة، تشبه مقطوع الذنب. انظر: التمهيد (١٦/ ٢٣)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٤/ ٢٣٠).

(٥) الطفيتان: خطان أبيضان على ظهر الحية، وقيل خطان أسودان. انظر: التمهيد (١٦/ ٢٣)، وشرح صحيح مسلم (١٤/ ٢٣٠)، وفيض القدير (٢/ ٧٥).

(٦) الوبيص: البريق. انظر: النهاية (٩٥٦) مادة (وبص)، والجان هي: الحية الدقيقة. انظر: النهاية (١٧٠) مادة (جنن).

فقال: ((اتبعوا هذا الجان فاقتلوه، قال أبو لبابة الأنصاري[١]: إني سمعت رسول الله ﷺ نهى عن قتل الجان التي تكون في البيوت إلا الأبتر وذا الطُفْيتين؛ فإنهما اللذان يخطفان البصر[٢]، ويتتبعان ما في بطون النساء[٣]))[٤].

فقد دلت هذه الأدلة على أن الجن تتصور وتتشكل بأشكال كثيرة، منها ما يكون على صورة أنواع من الحيوان، كالكلب الأسود والحيات وغيرها، وعندئذ يمكن رؤيتهم، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله عن الشيطان: «وأنه قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها...، وأنهم[٥] يظهرون للإنسان لكن بالشرط المذكور[٦]»[٧].

---

(١) أبو لبابة: هو رفاعة بن عبد المنذر، الأنصاري، المدني، صحابي مشهور، كان أحد النقباء، روى عنه أولاده وسالم وغيرهم، استخلفه النبي ﷺ على المدينة حين خرج إلى بدر، وضرب له بسهمه وأجره، توفي في خلافة علي رضي الله عنه. انظر: الإصابة (٧/ ٣٤٩)، والثقات لابن حبان (٣/ ٣٢)، وتقريب التهذيب (٦٦٩).

(٢) يخطفان البصر، قيل: معناه يطمسان البصر بمجرد نظرهما إليه لخاصة جعلها الله في بصريهما إذا وقعا على بصر الإنسان، وقيل: إنهما يقصدان البصر باللسع والنهش، والأول أصح. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/ ٢٣٠).

(٣) أي أن المرأة الحامل إذا نظرت إليهما خافت وأسقطت الحمل. انظر: المرجع السابق.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (٢٦٧) رقم (٣٣١٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، باب: قتل الحياة وغيرها(١٠٧٤) رقم (٢٢٣٣).

(٥) أي الجن.

(٦) الشرط هو: أنهم يتشكلون بغير صورهم الحقيقية.

(٧) فتح الباري (٦/ ١٠٢)، وانظر: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن إمكان رؤيتهم في مجموع الفتاوى (١٥/ ٧).

المطلب الثاني: وصف بعض الحيوان بالشيطان:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: إخبار النبي ﷺ أن بعض الكلاب شيطان:

جاء في السنة النبوية إطلاق الشيطان على الكلب الأسود، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرَّحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاته الحمار، والمرأة، والكلب الأسود، قلت: يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: الكلب الأسود شيطان))[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فنقتله، ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها وقال: عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين[٢]، فإنه شيطان))[٣].

وقد اختلف العلماء في تفسير الشيطان الذي أطلق على الكلب الأسود على قولين:

القول الأول: أنّ الحديث يحمل على ظاهره، وأنّ الشيطان يتصور بصورة الكلب الأسود[٤]، ومن الأدلة لهذا القول: قوله ﷺ: ((الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون))[٥].

فإذا كانت الجن تتصور بصورة الكلاب فلا مانع أن يكون المراد بقوله ﷺ عن الكلب الأسود: إنه شيطان جنّ.

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٣٢].

(٢) البهيم: الخالص السواد، وأمَّا النقطتان فهما: نقطتان معروفتان بيضاوان فوق عينيه. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٠/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب المساقاة والمزارعة، باب: الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه، وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية، ونحو ذلك (٩٥١) برقم (١٥٧٢).

(٤) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٥٩م، (٢/ ٢٨٠)، وحاشية السندي على سنن النسائي، (٢/ ٦٤).

(٥) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٤٤].

القول الثاني: أنّ المراد بالشيطان في هذا الحديث هو شيطان الكلاب، لا شيطان الجن، فالكلب الأسود شيطان؛ لأنه أخبث الكلاب وأضرها وأعقرها(١).

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الصحيح: أنه شيطان كلاب، لا شيطان جن، والشيطان ليس خاصًّا بالجن، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، فالشيطان كما يكون في الجن، يكون في الإنس، ويكون في الحيوان، فمعنى شيطان في الحديث أي: شيطان الكلاب؛ لأنه أخبثها، ولذلك يقتل على كل حال»(٢).

ومن أدلة هذا القول ما يأتي:

١- النبي ﷺ علَّل الأمر بقتل الكلب الأسود؛ لأنه شيطان، وليست العلّة هنا كونه من شياطين الجن، بل العلة هي الموجودة في الأمر بقتل الحية، التي تبقى بعد الإذن ثلاثًا؛ حيث دلَّ بقاؤها بعد ذلك على أنها ليست من الجن؛ بل هي شيطان حيات، وكذا الكلب الأسود الأمر بقتله لأنه شيطان كلاب.

٢- النبي ﷺ أمر بقتل خمس فواسق منها الكلب العقور، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((خمس من الدوابّ كلهن فواسق يقتلن في الحرم: الغراب، والحِدأُ، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور))(٣).

---

(١) انظر: شرح السنة، (١١/ ٢١٢)، والتمهيد (١٤/ ٢٢٩)، والكاشف عن حقائق السنن، عبد الله بن محمد الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ، (٩/ ٢٨١٦)، وفيض القدير (٥/ ٨٢)، ومرقاة المفاتيح (٨/ ٣٣)، وتحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت (٥/ ٥٣)، وآكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان، محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، (٢٩).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، (٣/ ٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب جزاء الصيد، باب: ما يقتل المحرم من الدواب (١٤٣) برقم (١٨٢٩)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الحج، باب: ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم (٨٧٣) برقم (١١٩٨).

فالأمر بقتل الكلب العقور لما فيه من الضرر موافق للأمر بقتل الكلب الأسود لما فيه من الخبث ولكونه أضر الكلاب، لا لأنه من الجن.

٣- لم يرد في النصوص الندب إلى قتل الشيطان، وفي حديث أبي هريرةﷺ مع الشيطان[١]، لم يأمره النبي ﷺ بقتل الشيطان، فلو كانت العلّة بقتل الكلب الأسود؛ لأنه شيطان لأمر أبا هريرةﷺ بقتل الشيطان، فدلّ ذلك على أن العلّة في ذلك هي كونه شيطان كلاب لا شيطان جن.

٤- النبي ﷺ أخبر بقطع الكلب الأسود للصلاة؛ لأنه شيطان، وتفسير ذلك بالخبث والضرر أصح من تفسيره بكونه شيطانًا حقيقيًّا؛ حيث لم يرد ما يدل على قطع الشيطان للصلاة، بل جاء ما يدل على أن الشيطان الحقيقي لا يقطع الصلاة[٢]، كما في قصة إبليس حين جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فأهوى إليه النبي ﷺ، فما زال يخنقه حتى وجد برد لعابه بين أصبعيه[٣].

٥- الشيطان ليس خاصًّا بالشيطان الحقيقي، بل يطلق في كلام العرب على كل متمرد من الجن والإنس والدواب، فشيطان كل شيء: مارده، وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطانًا لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاقَ وأفعال سائر جنسه، وبعده عن الخير[٤].

والقول الثاني: أنّ المراد بالكلب الأسود شيطان الكلاب لا شيطان الجن هو القول الراجح لقوة أدلته، ولا يمنع أن تكون الجن تتصور بصورته أكثر من غيره من الكلاب، حيث سبق ما يدل على أنّ الجنَّ تتصور ببعض الحيوانات، ومنها الكلاب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٤٤].

(٢) انظر: شرح الزرقاني على موطأ مالك (١/ ٤٤٩).

(٣) ورد هذا في حديث أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨٢)، من حديث أبي سعيد، وذكر ابن رجب في فتح الباري (٦/ ٣٩٧) أنّ إسناده جيد، وأخرج البخاري هذا الحديث – أيضًا – عن أبي هريرة في صحيحه في كتاب الصلاة، باب: ما يجوز من العمل في الصلاة (٩٤) برقم (١٢١٠).

(٤) انظر: جامع البيان (١/ ١١١)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٣١٣).

«الكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته كثيرًا، وكذلك بصورة القط الأسود[١]؛ لأنّ السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة»[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله مبينًا العلة في كون الكلب الأسود يقطع الصلاة دون غيره من الكلاب، وأن النبي ﷺ قد «أجاب عنه بالفرق البين فقال: الكلب الأسود شيطان، وهذا إن أريد به أن الشيطان يظهر في صورة الكلب الأسود كثيرًا، كما هو الواقع فظاهر، وليس بمستنكر أن يكون مرور عدو الله بين يدي المصلي قاطعًا لصلاته، ويكون مروره قد جعل تلك الصلاة بغيضة إلى الله مكروهة له، فيأمر المصلي أن يستأنفها، وإن كان المراد به أن الكلب الأسود شيطان الكلاب، فإن كل جنس من أجناس الحيوانات فيها شياطين، وهي ما عتا منها وتمرد، كما أن شياطينَ الإنس عتاتَهم ومتمرديهم، والإبل شياطين الأنعام، وعلى ذروة كل بعير شيطان، فيكون مرور هذا النوع من الكلاب وهو من أخبثها وشرها مبغضًا لتلك الصلاة إلى الله تعالى»[٣].

المسألة الثانية: إخبار النبي ﷺ أن الإبل خلقت من الشياطين وبيان ذلك:

أخبر النبي ﷺ عن الإبل أنها خلقت من الشياطين، وفي بعض الألفاظ أنها خلقت من الجن، فعن عبد الله بن مغفل[٤] رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: ((صلوا في مرابض الغنم، ولا تصلوا في أعطان[٥] الإبل؛ فإنها خلقت من الشياطين))[٦].

---

(١) لم أجد ما يدل على تصور الجن بصورة القط الأسود وغيره من القطط.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٢)، وانظر: فيض القدير (٢/ ٤٥٠).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، (٢/ ١٠٧).

(٤) هو: أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مغفل المزني، صحابي بايع تحت الشجرة، ونزل البصرة، وقال الحسن البصري: كان أحد العشرة الذين بعثهم عمر إلينا يفقهون الناس، توفي سنة ٥٧هـ، وقيل: ٦١هـ. انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٩٦)، والثقات (٣/ ٢٣٦).

(٥) الأعطان جمع عَطَن، والعَطَن هو: مبرك الإبل حول الماء. انظر: النهاية (٦٢٤) مادة (عطن).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٨٦) وابن ماجه في سننه في أبواب المساجد والجماعات، باب الصلاة في أعطان الإبل ومراح الغنم (٢٥٢٢) برقم (٧٦٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٤١)

=

وفي رواية: ((لا تصلوا في عطن الإبل؛ فإنها من الجن خلقت، ألا ترون إلى عيونها وهِبَابِها[(١)] إذا نفرت؟))[(٢)].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ((سئل رسول الله ﷺ عن الصلاة في مبارك الإبل، فقال: لا تصلوا في مبارك الإبل فإنها من الشياطين، وسئل عن الصلاة في مرابض الغنم فقال: صلوا فيها فإنها بركة))[(٣)].

واختلف العلماء في المراد بكون الإبل خلقت من الشياطين على أقوال:

القول الأول: أن الإبل خلقت من الجن حقيقة[(٤)]، يقول الباجي[(٥)]: «يحتمل أن يكون خص

رقم (٢٠٥٢): عن رجال أحمد أنهم ثقات، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٢٨) برقم (٧٦٩).

(١) الهِبَاب هو: النشاط. انظر: النهاية (٩٩٧) مادة (هبب).

(٢) أخرجها أحمد في مسنده (٥/ ٥٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٨)، وأبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب النهي عن الصلاة في مبارك الإبل (١٢٥٩) برقم (٤٩٣)، وصححه ابن الملقن في: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، عمر بن علي المعروف بابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، (٢/ ٤٠٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/ ٩٤) برقم (١٧٦).

(٤) انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم نوفان عبيدان، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ، (٧٢)، فقد ذكر هذا القول ونقل عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ما يوهم أنَّه يرى هذا القول، ولم يظهر لي أنّ الشيخ يختار هذا القول، بل ذكر الشيخ في أضواء البيان (٣/ ١٨٠-١٨١) إطلاق الشيطان على كل عات متمرد، وأن الإبل إذا نفرت فهي عاتية، متمردة، ثم قال: «فتسميتها باسم الشيطان مطابق للغة العرب».

(٥) هو: أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد، التجيبي، الباجي، الأندلسي، أصله من بطليوس فتحول جده إلى باجة، قرب إشبيلية، أخذ عن مكي بن أبي طالب والحافظ أبي ذر وغيرهما، وحدث عنه: ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما، رحل إلى العراق وأصبهان ودمشق وبغداد والموصل، وولي القضاء بمواضع في الأندلس، له مصنفات كثيرة منها: المنتقى شرح الموطأ، والجرح والتعديل وغيرها، توفي سنة ٤٧٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥-٥٤٥).

الإبل بذلك لما روي أنها خُلقت من الجن، فاستعاذ بالله من سوء ما خلقت منه مخافة أن يكون في الإبل شيء من أخلاق ما خلقت منه»(١).

وقال العيني(٢): «فإنها خلقت من الشياطين، فهذا يدل على أن الإبل خلقت من الجن؛ لأن الشياطين من الجن على الصحيح»(٣).

القول الثاني: أنها خلقت من جنس خلقت منه الشياطين، وهو النار، يقول ابن قتيبة رحمه الله(٤): «النبي ﷺ، وغير النبي ﷺ يعلم أن البعير تلده الناقة، وأنه لا يجوز أن تكون شيطانة تلد جملاً، ولا أنَّ ناقة تلد شيطانًا، وإنما أعلمنا أنها في أصل الخلقة خلقت من جنس خلقت منه الشياطين.

ويدل على ذلك قوله في حديث آخر: أنها خلقت من أعنان الشياطين، يريد من جوانبها ونواحيها، كما يقال: بلغ فلان أعنان السماء، أي نواحيها وجوانبها، ولو كانت من نسلها لقال: فإنها خلقت من نسلها أو بطونها أو أصلابها أو ما يشبه ذلك»(٥).

---

(١) المنتقى شرح موطأ مالك، سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، (٥/ ١٧٦).

(٢) هو: بدر الدين، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى، العيني، الحنفي، أخذ عن محمود العنتابي، ومحمد الراعي، وغيرهما، وعنه: السخاوي وغيره، برع في الحديث، والتاريخ، والصرف والعربية، وله تصانيف كثيرة، منها: عمدة القاري في شرح البخاري والبناية في شرح الهداية، توفي سنة ٨٥٥هـ. انظر: الضوء اللامع (١٠/ ١٣١-١٣٥).

(٣) عمدة القاري (٤/ ١٨١).

(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الكاتب، صاحب التصانيف، حدث عن إسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني وغيرهما، وعنه: ابنه أحمد وعبد الله بن جعفر بن درستويه، وغيرهما، كان من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمة، وعلوم مهمة، من أشهر مصنفاته: غريب القرآن، وغريب الحديث، وأدب الكاتب وغيرها، توفي سنة ٢٧٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٦-٣٠٢).

(٥) تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ، (١٣٢).

وقال ابن رجب رحمه الله(١): «ويجوز أنها خلقت في أصلها من نار، كما خلقت الجن من نار، ثم توالدت كما توالدت الجن»(٢).

القول الثالث: أن الإبل خلقت من نتاج نَعَم الجن لا من الجن أنفسها(٣).

القول الرابع: أنّ المراد بكون الإبل مخلوقة من الشياطين ما ذكره ابن حبان رحمه الله(٤)، من أن معها الشياطينَ على سبيل المجاورة والقرب(٥).

القول الخامس: أن المقصود بكون الإبل خلقت من الشياطين: ما في طبعها من النفور والشرود، فهي خلقت على صفة تشبه الجن من النفور والإيذاء، فخُلُقها وطباعها مشابهة لخُلُق الجن وطباعهم، وذهب إلى هذا القول أكثر العلماء الذين تكلموا على هذه المسألة(٦).

---

(١) هو: أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، سمع من محمد الخباز وإبراهيم العطار وغيرهما، له معرفة تامة بالمذهب ودرس بالمدرسة الحنبلية، له مصنفات كثيرة منها: فتح الباري شرح البخاري، وجامع العلوم والحكم، توفي سنة ٧٩٥هـ بدمشق. انظر: الدرر الكامنة (٣/ ١٠٨-١٠٩)، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ، (٢/ ٨١-٨٢).

(٢) فتح الباري لابن رجب (٢/ ٤٢٢).

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث (١٣٢-١٣٣).

(٤) هو: أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد التيمي، البستي، حدث عن النسائي وأبي يعلى وغيرهما، وعنه، الحاكم، وابن منده وغيرهما، كان من فقهاء الدين، وحفاظ الأثر، له مصنفات كثيرة، منها الصحيح، والتاريخ، توفي في سجستان سنة ٣٥٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢-١٠٥).

(٥) انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، (٤/ ٦٠٣).

(٦) انظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩٦هـ (٣/ ١٥٧)، ومعالم السنن، حمد محمد الخطابي، صححه: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ، (١/ ١٤٩)، وفيض القدير (٢/ ٤٠٥)، وآكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان (٢٩).

قال الخطابي رحمه الله[١]: «فإنها من الشياطين، يريد أنّها لما فيها من النفور والشرود ربما أفسدت على المصلي صلاته، والعرب تسمي كل متمرد مارد شيطانًا، كأنه يقول: إن المصلي إذا صلى بحضرتها كان مغررًا بصلاته لما لا يؤمن من نفارها وخبطها المصلي»[٢].

وقال ابن الأثير رحمه الله: «كأنه قال: إنها لكثرة آفاتها كأنها من نواحي الشياطين في أخلاقها وطبائعها»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يريد والله أعلم أنها من جنس الشياطين، ونوعهم، فإن كل عاتٍ متمرد شيطانٌ من أي الدوابّ كان، فالكلب الأسود شيطان، والإبل شياطين الأنعام، كما للإنس شياطين وللجن شياطين»[٤].

والراجح من هذه الأقوال - والله أعلم - هو القول الخامس، وذلك لما يأتي:

١- تفسير خلق الإبل من الشياطين بأنها خلقت من الشيطنة، كقوله تعالى عن الإنسان: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، فليس معنى ذلك أنّ مادة الخلق من عجل، لكن هذه طبيعته، كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ [الإسراء: ١١]، وكذا الإبل خلقت من الشياطين أي: في طبعها وأخلاقها[٥].

٢- وصف الإبل بأنها خلقت من الشياطين كإطلاق الشيطان على الكلب الأسود، وعلى الحيات التي تبقى بعد الإذن ثلاثًا، فهذه كلها شياطين دواب لا شياطين جن.

---

(١) هو: العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان، حمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، حدث عن ابن داسة وأبي العباس الأصم وغيرهما، وعنه: الحاكم والإسفراييني وغيرهما، رحل في طلب الحديث والعلوم وكان من أوعية العلم، وله شعر جيد ومصنفات كثيرة، منها: غريب الحديث ومعالم السنن وأعلام الحديث وغيرها، توفي سنة ٣٨٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣-٢٨)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٤٩-١٥١).

(٢) معالم السنن (١/ ٤٥١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٤٧) مادة (عنن).

(٤) شرح العمدة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: سعود العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ، (١/ ٣٣١).

(٥) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، (١/ ٤٥١).

٣- جاء في حديث جابرﷺ أنّه أتى النبي ﷺ وهو يصلي على بعيره[١]، فإذا كان النبي ﷺ يصلي على بعيره فهذا مما يؤيد القول بأنّ المراد بكونها خلقت من الشياطين: المشابهة في الطبع والخُلُق؛ لأن النبي ﷺ لم يكن ليصلي على ظهر الشيطان وهو الذي خرج من الوادي الذي فيه شيطان[٢].

ولا يُشكل صلاة النبي ﷺ على ظهر البعير مع نهيه عن الصلاة في أعطان الإبل، للفرق بين الواحد منها وبين كونها مجتمعة لما طبعت عليه من النفار المفضي إلى الأذى وتشويش القلب، فمن صلى في معاطن الإبل لا يأمن أن تأتي إليه فتؤذيه ويحصل له الضرر بذلك بخلاف من كان على ظهر واحد منها فالضرر مأمون، والله أعلم.

فإذا كانت الإبل مشابهة للشياطين في الأخلاق والطباع فلا يبعد أن تكون الشياطين قريبة منها، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنّ على ذِرْوة[٣] كل بعير شيطانًا، فامتهنوهنَّ بالركوب فإنَّما يحمل الله))[٤].

وفي الحديث الآخر، قال ﷺ: ((على ظهر كل بعير شيطان، فإذا ركبتموها فسموا الله، ثم لا تقصروا عن حاجتكم))[٥].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٧٦١) برقم (٥٤٠).

(٢) جاء في هذا حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد، باب: قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها (٧٨٤) برقم (٦٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الذِرْوة هي: أعلى سنام البعير. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٢٦) مادة (ذرا).

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٦١٢) برقم (١٦٢٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٤٥) برقم (٤٠٣٠).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٣)، وصحيح ابن خزيمة، محمد إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ، (٤/ ١٤٣) رقم (٢٥٤٦)، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٦٠٢) برقم (١٧٠٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٦٠) برقم (٢٩٩٤) من حديث حمزة بن عمرو الأسلمي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٥) رقم (١٧٠٩٤): «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح، غير محمد بن حمزة وهو ثقة»، وفي الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار

=

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما أعطان الإبل فقد صرح النبي ﷺ في توجيه ذلك بأنها من الشياطين، وبأنَّها خلقت من الشياطين، وفي روايةٍ جن خلقت من جن، وفي حديث آخر: ((على ذروة كل بعير شيطان)).

والشيطان: اسم لكل عاتٍ متمردٌ من جميع الحيوان والشياطين من ذرية إبليس تقارب شياطين الإنس والدواب، فمعاطنها مأوى الشياطين، أعني: أنها في أنفسها جن وشياطين لمشاركتها لها في العتو والتمرد والنفر وغير ذلك من الأخلاق، وأنّ ذرية إبليس مقترنة بها، وإذا كان كذلك فالمواضع التي هي مألف الشياطين ومثواهم نهى الشارع عن الصلاة فيها لما في الصلاة فيها من المفسدة التي تعكس على المصلي مقصوده من العبادة»(١).

المسألة الثالثة: وصف النبي ﷺ للرَّجل الذي يتبع حمامة بأنه شيطان يتبع شيطانة:

الحمام من الحيوانات التي جاء إطلاق اسم الشيطان عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يتبع حمامة فقال: ((شيطان يتبع شيطانة))(٢).

ففي هذا الحديث وصف النبي ﷺ الرجل الذي يتخذ الحمام للعب، بأنه شيطان وسماه شيطانًا لمباعدته عن الحق، واشتغاله بما لا ينفعه، وسمى هذه الحمامة شيطانة؛ لأنها أورثته الغفلة عن ذكر الله تعالى، وشغلته عما يهمه من صلاح الدارين(٣).

الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، (٤/ ٣٨) رقم (٤٧٠٧)، قال المنذري: «رواه أحمد والطبراني وإسنادهما جيد»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١١٤) برقم (٣١١٤).

(١) شرح العمدة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: خالد بن علي المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، (١/ ٤٥٣-٤٥٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٤٥)، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب: في اللعب بالحمام (١٥٨٥) برقم (٤٩٤٠)، وابن ماجه في سننه في كتاب الأدب، باب: اللعب بالحمام (٢٧٠١) برقم (٣٧٦٥)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ١٨٣) برقم (٥٨٧٤)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٣٣) برقم (٤٩٤٠).

(٣) انظر: عون المعبود (١٣/ ١٩٤)، وفيض القدير (٤/ ٢٢٣).

وذكر ابن حبان رحمه الله: أنه قيل له: شيطان؛ لأن اللاعب بالحمام لا يكاد يخلو من لغو وعصيان، والعاصي يقال له: شيطان، قال الله تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢][١].

وقيل: إن تسمية الحمامة: شيطانة؛ لأنها سبب اتباع الرجل لها، أو أنها تفعل فعل الشياطين، حيث يتولع الإنسان بمتابعتها واللعب بها لحسن صورتها وجودة نغمتها[٢].

وقد دلّ الحديث على النهي عن اللعب بالحمام؛ لأن ذلك سفه ودناءة، وقلة مروءة، ويتضمن أذى الجيران بطيره، وإشرافه على دورهم، ورميه إياها بالحجارة، بخلاف من اتخذ الحمام لطلب فراخها، أو حمل الكتب، أو الأنس بها من غير أذى يتعدى إلى الناس[٣].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن اللعب بالحمام، فأجاب: «اللعب بالحمام منهي عنه، وفي السنن عن النبي ﷺ أنه رأى رجلاً يتبع حمامة، فقال: ((شيطان يتبع شيطانة))[٤]، ومن لعب بالحمام فأشرف على حريم الناس أو رماهم بالحجارة فوقعت على الجيران؛ فإنه يعزر على ذلك تعزيرًا يردعه عن ذلك ويمنع من ذلك، فإن هذا فيه ظلم وعدوان على الجيران؛ مع ما فيه من اللعب المنهي عنه، والله أعلم»[٥].

---

(١) انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٣/ ١٨٣) برقم (٥٨٧٤).

(٢) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار النوادر، الكويت، ١٤٣١هـ، (٨/ ٢٥٧).

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (١٤/ ١٥٦-١٥٧)، وقد ذكر البيهقي رحمه الله أن بعض أهل العلم حمل إطلاق الشيطان في الحديث على إدمان صاحب الحمام على إطارته والاشتغال به، وارتقائه السطوح التي يشرف بها على بيوت الجيران وحُرمهم لأجله. انظر: شعب الإيمان، (٥/ ٢٤٥) برقم (٦٥٣٥).

(٤) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٥٧].

(٥) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٤٦).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وعليه[١] أن يمنع اللاعبين بالحمام على رؤوس الناس؛ فإنهم يتوسلون بذلك إلى الإشراف عليهم والتطلع على عوراتهم»[٢].

(١) أي ولي الأمر.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الوطن، الرياض، بدون ذكر الطبعة وتاريخها (٢٨٢).

المطلب الثالث: ما جاء في دواب الجنِّ:

الجن أعطاهم الله ﷻ قدرة وسرعة في الحركة والانتقال لا توجد عند الإنس؛ لحكمة أرادها الله تبارك وتعالى، فهم ينتقلون من مكان إلى مكان بسرعة عالية، وهم كما أخبر النبي ﷺ، منهم من يطير في الهواء، ومنهم أصناف يحلون ويظعنون[١]، ونحن نؤمن بذلك كلِّه وإن كنَّا لا نعلم الكيفية التي ينتقلون بها.

ونحن نؤمن – أيضًا – بما دلت عليه النصوص من وجود دواب للجن، الله أعلم بها، ومن أدلة ذلك:

ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قال: ((كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير[٢]، أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذ هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك، فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم، أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم، فقال رسول الله ﷺ: فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم))[٣].

فدل هذا الحديث أن الجن لهم دوابٌّ؛ حيث وعدهم الرسول ﷺ بأن البعر يكون علفًا لدوابهم، فدلَّ على أنَّ لهم دوابَّ كما للإنس دواب، وسبق الكلام عن السبب الذي سوغ دخول هذه المسألة في هذه الرسالة المتعلقة بالحيوان المعروف، وأن ذلك لثبوت قدر مشترك بين الحيوان المعروف ودواب الجن، والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٤٤].

(٢) استطير: أي طارت به الجن. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٤/ ١٧٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح على الجن (٧٤٩) برقم (٤٥٠).

المطلب الرابع: رؤية الحيوان للشيطان:

أعطى الله ﷻ الحيوان من الرؤية والسماع ما لم يعط مثله الإنسان، فمنها ما يرى أشياء لا يراها الإنسان من الملائكة والشياطين، وهي - أيضًا - تسمع أشياء لا يسمعها الإنسان، كعذاب القبر[١].

وقد مر بنا في المبحث السابق رؤية الديكة للملك، والحديث هنا عن رؤية الحُمُر والكلاب للشيطان، فعن أبي هريرة رضي الله أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنها رأت شيطانًا))[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا سمعتم نُباح الكلاب ونهيق الحُمُر بالليل، فتعوذوا بالله؛ فإنهن يرين ما لا ترون))[٣].

فقد دلت هذه الأحاديث أنَّ نباح الكلاب ونهيق الحمير علامة على رؤيتها ما لا نراه وهم الشياطين والجن[٤].

وخصّ الليل في الحديث؛ لأنّ انتشار الشياطين فيه أكثر، فيكون نهيق الحمير فيه أكثر، وإن كان النهار كذلك في طلب التعوذ - أيضًا -[٥].

فقد حثّ في الحديث الأول المسلم على الاستعاذة عند سماع نهيق الحمير، ولم يقيده بالليل فيشرع للمسلم عند سماع نباح الكلاب أو نهيق الحمير أن يستعيذ بالله من الشيطان.

فهذه بعض الحيوانات التي دلت النصوص على رؤيتها للجنِّ، وقد انتشر عند بعض

---

(١) يأتي الحديث عن هذا في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٣٩].

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٠٦)، وأبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب نهيق الحمير ونباح الكلاب (١٥٩٧) برقم (٥١٠٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٤٢٣) برقم (١٢٣٤)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٣١٦) برقم (٧٧٦٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٦١) برقم (٥١٠٣).

(٤) انظر: فيض القدير للمناوي (١/ ٤٨٩).

(٥) انظر: المرجع السابق.

الناس أنَّ الذئب يرى الجن، وأن الجن تخاف منه، ولكن هذا لا دليل عليه ولم يرد في النصوص ما يفيد ذلك، وإن كان بعض الرقاة قد يستعمل أعضاءَ من الذئب زاعمًا أنها تطرد الجنَّ فهذا مما لا يُعلم له أصل، والعلم عند الله تعالى.

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله[1]: «وكثيرًا ما يعلقونها يزعمون أن الجن تفر منها، ومنهم من يقول: إنه إذا وقع بصر الذئب على جني لا يستطيع أن يفر منه حتى يأخذه، ولهذا يعلقون عينه إذا مات على الصبيان ونحوهم»[2].

ولعل اعتقاد بعض الناس أنَّ الجن تخاف من الذئب، وأنَّ الذئب يرى الجن، هو الذي جعل طوائف من الناس ينتشر عندهم تعليق التمائم لأعضاء من الذئب -كما مر ذلك في الفصل الأول عند الكلام على تعليق التمائم وعلاقته بالحيوان- فوجد من علَّق أجزاء من بدن الذئب على سيارته أو بيته، معتقدًا أنها تطرد الجن وتحميه منهم، وكلٌّ ذلك من التمائم الشركية التي بنيت على اعتقادات لا صحة لها، والله أعلم.

---

(١) هو: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ولد سنة ١٣٤٢هـ في منطقة جيزان، وطلب العلم في مرحلة مبكرة، حيث لازم الشيخ عبد الله القرعاوي، وتميز بالحافظة القوية، والشعر الجيد، وكان أول مدير للمدارس التي افتتحتها وزارة المعارف في جيزان، من أبرز مصنفاته الكثيرة: معارج القبول، وأعلام السنة المنشورة، توفي سنة ١٣٧٧هـ. انظر: من مشاهير علمائنا، د. محمد بن سعد الشويعر، نادي الطائف الأدبي، ط١، ١٤٢١هـ، (٢٤٥-٢٧٠).

(٢) معارج القبول (٢/ ٤٩٨).

الفصل الثالث

المسائل المتعلقة بالرسل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتعلقة بالحيوان.

المبحث الثاني: دلائل نبوة محمد ﷺ المتعلقة بالحيوان.

المبحث الثالث: الأمثال المضروبة في القرآن من الحيوان.

المبحث الأول

آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتعلقة بالحيوان

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: ما جاء في ناقة نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: إحياء الله الطير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: آيات نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام المتعلقة بالحيوان.

المطلب الرابع: إحياء الميت من قوم موسى بعد ضربه ببعض البقرة التي أمر الله بها.

المطلب الخامس: حياة حوت موسى عليه السلام بعد موته، وجريه في البحر.

المطلب السادس: الحوت الذي التقم يونس عليه السلام وما فيه من الآيات.

المطلب السابع: آيات داود وسليمان عليهما السلام المتعلقة بالحيوان.

المطلب الثامن: خلق عيسى عليه السلام من الطين كهيئة الطير، ثم يكون طيرًا بعد النفخ فيه بإذن الله تعالى.

تمهيد: تعريف النبي والرسول:

لغةً: النبي في لغة العرب مشتق من النبأ وهو الخبر.

وقيل: إنه مشتق من النبوة وهي الشيء المرتفع[(١)].

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه، قال تعالى مخبرًا عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٥][(٢)].

شرعًا: اختلف العلماء في تعريف كلٍّ من النبي والرسول على أقوال أشهرها[(٣)]:

١) أن الرسول أعم من النبي، فالرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه و لم يؤمر بالبلاغ، فكل رسولٍ نبي، وليس كل نبي رسولاً.

٢) أنه لا فرق بين الرسول والنبي.

٣) أن الرسول من أوحي إليه بشرعٍ جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله، فيبعث لقوم موافقين أي: مؤمنين.

والقول الثالث هو الراجح بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢].

أخبر سبحانه وتعالى بأنه أرسل رسلاً وأنبياء، والمرسل لا بد أن يبلغ ما أرسل به، فدل على أن بينهما فرقًا، وأنهما أُمِرا بالبلاغ والله أعلم.

فيجب الإيمان بالرسل، وهو اعتقاد ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، في سنته إجمالاً وتفصيلاً.

فنؤمن بما علمنا منهم وما لم نعلمه، وأن الله تعالى اصطفاهم، وأنزل عليهم كتبًا، وأنه يجب اتباعهم، وتصديق ما جاؤوا به.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣٠٧/٥) مادة (نبأ)، ولسان العرب (٣٠١/١٥) مادة (نبأ).

(٢) انظر: لسان العرب (٨٣/١١-٨٤) مادة (رسل)، والقاموس المحيط (١٣٠٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٨٤/٧)، والكشاف (١٦٥/٣)، وتفسير القرآن للصمعاني (٤٤٧/٣)، ومفاتيح الغيب (٤٣/٢٣)، والنبوات (١٨٤).

تمهيد: تعريف آيات الأنبياء:

الآية في اللغة هي العلامة، وتطلق أيضًا على العبرة، كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، أي: أمور وعبر مختلفة، وتطلق على الحجج أيضًا[(١)].

والآية الشخص، فيقال: آية الرجل: أي شخصه، وخرج القوم بآيتهم، أي: جماعتهم[(٢)].

وسميت الآية من القرآن بذلك؛ لأنها جماعة من حروف القرآن، وقيل: كأنها العلامة التي يُفْضَى منها إلى غيرها، كأعلام الطريق المنصوبة للهداية[(٣)].

وآيات الأنبياء عليهم السلام هي: الأدلة والبراهين والعلامات التي تدل على صحة نبوتهم، التي احتج الله تعالى بها على الكفار، وتكون خارقة لعادة جميع الثقلين فلا تكون لغير الأنبياء[(٤)].

وتسمية ما أيد الله به رسله عليهم السلام بالآيات أولى من تسميتها بالمعجزات؛ لأن هذا هو الموافق للكتاب والسنة، فالقرآن جاء فيه لفظ الآية والبرهان والبينة دون لفظ المعجزة[(٥)].

والآية – أيضًا – أبلغ من المعجزة، لأنَّ آيات الأنبياء خارجة عن مقدور الإنس والجن،

---

(١) انظر: لسان العرب (١٤/ ٦١)، مادة (أيا)، والقاموس المحيط (١٦٢٨)، باب الواو والياء فصل الهمزة.

(٢) انظر: لسان العرب (١٤/ ٦٢) مادة (أيا).

(٣) انظر: لسان العرب (١٤/ ٦٢) مادة (أيا).

(٤) انظر: جامع البيان (٩/ ٣٦٣)، (١١/ ٣٣٧)، (١٣/ ٦٨)، والنبوات، أحمد بن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ، (٣٠، ٢٣١).

(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن تيمية، تحقيق: د. علي الألمعي، ود. عبد العزيز العسكر، ود. حمدان الحمدان، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ، (٣/ ٢٤٢).

ولا تكون إلا من الله، أما المعجزة فقد تكون لغير الأنبياء من البشر[١].

وقد أيد الله تعالى رسله بآيات كثيرة، منها ما هو من جنس الحيوان، وفي هذا المبحث ذكر آيات الأنبياء عليهم السلام من الحيوان.

---

(١) انظر: النبوات (٨، ٢٤)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥/ ٢٠٦).

المطلب الأول: ما جاء في ناقة نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام:

من آيات الله العظيمة تلك الناقة التي أيد الله ﷻ بها نبيه صالحًا عليه الصلاة والسلام حين أرسله إلى قوم ثمود[1]، وقد كانت هذه الآية إجابة لطلب قومه حين طلبوا من صالح عليه الصلاة والسلام أن يأتيهم بآية تدل على صدقه، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣-١٥٤].

وذكر بعض المفسرين أنهم سألوا صالحًا آية معينة، وهي: ناقة تخرج من هذا الجبل وهم ينظرون[2].

فأجاب الله ﷻ سؤالهم، وأيد صالحًا عليه الصلاة والسلام بهذه الآية، فقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الأعراف: ٧٣].

فأخبر صالح عليه الصلاة والسلام قومه بأن الله تعالى قد أيده بحجة وبرهان على صدق قوله، وحقيقة ما يدعو إليه، من إخلاص التوحيد لله، وإفراده بالعبادة دون سواه، وهي هذه الناقة التي أخرجها الله من هذا الجبل، دليلاً على نبوته وصدق مقالته، فهي معجزة لا يقدر على مثلها أحد إلا الله تعالى[3].

وقد أضاف الله تبارك وتعالى هذه الناقة إليه فقال: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ إضافة تفضيل وتخصيص[4].

وأخبر ﷻ عن عظيم هذه الآية بأنها ترد الماء يومًا ويرده القوم يومًا آخر، فللقوم شرب

---

(١) ثمود هو: ثمود بن غاثر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت مساكن قوم ثمود الحِجْر، بين الحجاز والشام، إلى وادي القرى وما حوله. انظر: تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، (١/ ١٢٦، ١٣٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٣٦).

(٣) انظر: جامع البيان (١٢/ ٥٢٥).

(٤) انظر: معالم التنـــزيل (٣/ ٢٤٧).

ولها شرب، قال سبحانه: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨].

فأخبر ﷻ: أن الماء قسمة بينهم، يوم لهم ويوم لها، فكان القوم يشربون من الماء يومًا وتشرب الناقة يومًا آخر، فإذا غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن(١).

وحذّرهم الله ﷻ من الاعتداء على هذه الناقة، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦]، وقال أيضًا: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣].

فقال نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام لهم: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: احذروا عقر ناقة الله تعالى، ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ أي: ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء، فلا تتعرضوا للماء بيوم شربها(٢)، لكنّ القوم لم يستجيبوا له، بل كذبوه وعقروا الناقة فقال ﷻ عنهم: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]، وقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقد أضاف الله ﷻ عقر الناقة إلى قوم ثمود مع أنَّ الذي تولى العقر واحد منهم، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢].

وقيل إن اسمه: قدار بن سالف(٣).

وحين ذكر النبي ﷺ الذي عقر الناقة قال: ((فانتدب لها رجل ذو عز ومنعة في قومه

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٢/ ٥٩٢).

(٢) انظر: معالم التنـــزيل (٨/ ٤٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٠).

(٣) انظر: جامع البيان (٢٤/ ٤٥٩)، ومعالم التنـــزيل (٧/ ٤٣١)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧٥).

كأبي زمعة))[١]؛ لأن الجميع اتفقوا على العقر، فنسب إليهم جميعًا[٢].

ويدل على تعاونهم واتفاقهم على قتلها قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩]، وفي هذا دليل على أنَّ من كان راضيًا بجناية جان أو جريمته، متابعًا ومتعاونًا معه، يكون مشاركًا له في تحمل التَّبِعَة؛ ودفع الثمن، وحصول العقوبة.

ثم كانت نتيجة تكذيب هؤلاء القوم وعقرهم الناقة العذاب والهلاك، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٧-١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]، فأهلكهم الله ﷻ بالرجفة والصيحة[٣]، يقول الله ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨]، وقال سبحانه: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧].

فكانت صيحة من الملك عليه السلام، فلما صاح بهم رجفت بهم الأرض من شدة تلك الصيحة، وفارقت أرواحهم أبدانهم[٤].

وهذه الناقة العظيمة التي أيد الله بها صالحًا عليه السلام جعلها الله تعالى آية من آياته في[٥]:

١- عِظَمِها حتى لم تشبهها ناقة.

٢- كثرة لبنها، فقد كان يكفي القوم جميعًا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحًا﴾، (٢٧٠) برقم (٣٣٧٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (١١٧٣) برقم (٢٨٥٥)، من حديث: عبد الله بن زمعة.

(٢) انظر: جامع البيان (٢٤/ ٦٤٠)، والمحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٠٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ١٩٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٥).

(٤) انظر: أضواء البيان (٢/ ٣٢٥).

(٥) انظر: أضواء البيان (٣/١٩٠).

٣- كثرة شربها، قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥٥].

٤- أنها آية مبصرة، أي: بينة تجعلهم يبصرون الحق واضحًا لا لبس فيه، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩].

المطلب الثاني: إحياء الطير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام:

من آيات الله ﷻ التي أجراها الله تبارك وتعالى على أيدي أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ما قصَّه الله ﷻ في شأن إحياء الطير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فأخبر الله تبارك وتعالى عن نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه سأل الله ﷻ أن يريه ببصره كيفية إحياء الموتى، وجمهور أهل التفسير على أنّ إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكًّا في إحياء الموتى قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أُخبرت به، فهو عليه الصلاة والسلام قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عيانًا ليحصل له مرتبة عين اليقين[(١)].

وذهب طائفة من المفسرين إلى أنّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام شك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فسأل ربه أن يريه إحياء الموتى من أجل هذا العارض الذي عرض في قلبه من الشيطان، فعند معاينة ذلك عيانًا لا يقدر بعد ذلك أن يلقي الشيطان في قلبه مثل الذي ألقى فيه، واختار هذا القول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله[(٢)].

واستدل أصحاب هذا القول بالأثر الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في قوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ((ما في القرآن آية أرجى عندي منها))[(٣)].

وبما جاء عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: ((دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب

---

(١) انظر: معالم التنـزيل (١/ ٣٢٢-٣٢٣)، والمحرر الوجيز (١/ ٣٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٩٧)، والتسهيل لعلوم التنـزيل (١/ ٩١)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٤٦٦)، وفتح القدير (١/ ٢٨١)، وتيسير الكريم الرحمن (١١٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٥/ ٤٨٩-٤٩١).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/ ٤٨٩) برقم (٥٩٧٠).

الناس، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾))[(١)].

وبما رواه أبو هريرةﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((نحن أحق بالشك من إبراهيم؛ إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ويرحم الله لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي))[(٢)].

وأجيب عن أدلة أصحاب هذا القول بما يأتي:

أمَّا أثر ابن عباس رضي الله عنهما فقد تؤول بأنّ هذه الآية هي أرجى آية من حيث ما فيها من سؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك، ويجوز أن يقول: هي أرجى آية؛ لأن الإيمان كاف، ولا يحتاج بعده إلى تنقير وبحث[(٣)].

وأمَّا قول عطاء فمعناه: دخل في قلب إبراهيم ما يدخل قلوب الناس من حب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به، ولهذا قال النبي ﷺ: ((ليس الخبر كالمعاينة))[(٤)]، و لم يدخل في قلبه الشك[(٥)].

وأما قوله ﷺ: ((نحن أحق بالشك من إبراهيم))، فقد أجاب عنه الخطابي رحمه الله بقوله: «مذهب هذا الحديث التواضع والهضم من النفس، وليس في قوله: ((نحن أحق بالشك من إبراهيم)) اعتراف بالشك على نفسه، ولا على إبراهيم ؑ، لكن فيه نفي الشك عن كل واحد منهما، يقول: إذا لم أشك أنا و لم أرتَبْ في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بألاَّ يشك فيه، وألاَّ يرتاب، وفيه الإعلام أن المسألة من قبل إبراهيم لم

---

(١) انظر: جامع البيان (٥/ ٤٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾...(٢٧٤) برقم (٣٣٧٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٣٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٩٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢١٥)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٩٦) برقم (٦٢١٣)، وصححه الألباني في تحقيق كتاب مشكاة المصابيح (٣/ ٢٤٧) برقم (٥٧٣٨).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٣٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٩٨).

تعرض من جهة الشك، لكن من قبل طلب زيادة العلم واستفادة معرفة كيفية الإحياء، والنفس تجد من الطمأنينة بعلم الكيفية ما لا تجده بعلم الآنيَّة والعلم في الوجهين حاصل، والشك مرفوع»[(١)].

وقول الجمهور بأنّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يحصل منه شك في قدرة الله تبارك وتعالى على إحياء الموتى هو الراجح، والعلم عند الله تعالى؛ لأنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم هذا الشك في قدرة الله تعالى على البعث، وهم صلوات الله وسلامه عليهم متفقون على الإيمان بالبعث، وقد أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل، فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥][(٢)]، وإذا كان كثير من المؤمنين أو أكثرهم لم يدخلهم شك في هذا الأمر فكيف بالخليل عليه السلام؟

وقد استجاب الله تعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فأراه آية لتكون زيادة في يقينه، فكانت هذه الآية من الطير؛ حيث أمره الله تبارك وتعالى أن يأخذ أربعة من الطير، واختلف أهل التفسير في أنواع الطير التي أمر الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يأخذها على أقوال كثيرة[(٣)]، وإن كان تحديد هذه الأنواع لا طائل تحته، إذ لو كان ذلك مهمًّا لنص عليه القرآن[(٤)].

ثم قال له تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، أي: قطعهن، وقيل: أملهنَّ إليك ثم قطعهنَّ[(٥)]، فأخذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذه الطير وقطعهنَّ، ثم خلط بعضها ببعض، ثم جعل على كل جبل جزءًا من أجزاء هذه الطير، وأمسك رؤوس هذه الطير بيده، ثم دعاهنَّ بإذن الله تعالى، فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت، وعاد كل جسد إلى رأسه الذي بيد إبراهيم عليه الصلاة والسلام[(٦)].

---

(١) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق ودراسة: د. محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ، (٣/ ١٥٤٥-١٥٤٦).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٩٩).
(٣) انظر: جامع البيان (٥/ ٤٩٤-٤٩٥)، وزاد المسير (١/ ٣١٤).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٦٦).
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٩٩).
(٦) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٣٥٣-٣٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣٠١)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٤٦٦).

ثم أقبلن إليه سعيًا، فكان كل طائر كما كان قبل أن يقطعه، فأراه الله تعالى إحياء الموتى بقدرته، «وإنما أمر الله إبراهيم أن يجعل الأطيار الأربعة أجزاء متفرقة على كل جبل، ليري إبراهيم قدرته على جمع أجزائهن وهنّ متفرقات متبددات في أماكن مختلفة، حتى يؤلف بعضهن إلى بعض، فيعدن كهيئتهنّ قبل تقطيعهن وتمزيقهن، وقبل تفريق أجزائهن على الجبال أطيارًا أحياءً يطرن، فيطمئن قلب إبراهيم، ويعلم أن كذلك جمع أوصال الموتى لبعث القيامة، وتأليف أجزائهم بعد البلى، ورد كل عضو من أعضائهم إلى موضعه الذي كان قبل الردى»[1].

فكانت هذه آية عظيمة أظهرها الله تبارك وتعالى على يد نبيه وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد كانت هذه الآية من الحيوان، والذي خلق الحيوان ثم أماته وأعاد بعثه هو الذي خلق الإنسان، وهو سبحانه القادر على بعثه بعد وفاته، فكانت هذه آية عظيمة دالة على عظم الباري سبحانه وقدرته وأنه هو المتفرد بالخلق والإحياء، والبعث والنشور، فتبارك الله رب العالمين.

فجعل الله تعالى هذا النوع من الحيوان آية دالة على قدرته على إحياء الموتى، وسببًا في حصول طمأنينة قلب إبراهيم عليه السلام، حين يعاين إحياء الله تعالى لهذه الطير بعد أن قطعهنَّ، ثم جعل على كل جبل منهن جزءا، إذا بهن يأتين سعيًا بعد مناداته لهنَّ.

فصارت هذه الطير التي قطعت ثم وزعت أجزاؤها على كل جبل وبعد مفارقتها للحياة، حية تسعى وتستجيب لنداء إبراهيم عليه السلام، فأظهر الله تعالى بها آية من آياته.

---

(١) جامع البيان (٥/ ٥١٠).

المطلب الثالث: آيات نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام المتعلقة بالحيوان:

أرسل الله ﷻ موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون وقومه، يدعوهم إلى عبادة الله ﷻ وتوحيده، وأيده بآيات بيِّنات، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢].

وهذه الآيات التسع هي: اليد، والعصا، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

وقيل في تفسيرها – أيضًا – أقوال أخرى والله أعلم[١].

والحديث هنا عن الآيات التي أيد الله بها موسى عليه الصلاة والسلام والمتعلقة بالحيوان، وهي:

١– انقلاب العصا حية:

أيد الله نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بآية عظيمة تدل على صدق نبوته، وهي انقلاب العصا الجامدة حية تسعى، يقول ﷻ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: ١٧–٢١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: ٣١].

فهي آية عظيمة؛ حيث تحولت هذه العصا التي في يد موسى عليه الصلاة والسلام حية عظيمة، ثعبانًا طويلاً يتحرك حركة سريعة فإذا هي تهتز كأنها جان، وهو أسرع الحيات

---

(١) انظر: جامع البيان (١٧/ ٥٦٤–٥٦٧) ومعالم التنــزيل (٥/ ١٣٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٤٢)، وتفسير القرآن العظيم (٥/ ١٢٢).

حركة، ولكنه صغير، فهي في غاية الكبر وفي غاية سرعة الحركة[١].

وهذا فرعون الطاغية حين بعث الله ﷻ إليه موسى عليه الصلاة والسلام يدعوه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، أبى واستكبر وطلب من موسى عليه الصلاة والسلام آية تدل على صدق نبوته، فأيده الله تعالى بهذه الآية العظيمة، وهي انقلاب العصا ثعبانًا مبينًا، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٦-١٠٧].

فلما ألقى موسى عليه الصلاة والسلام العصا أمام فرعون إذا هي ثعبان مبين، والثعبان: الحية الضخم الذكر، وهو أعظم الحيات، ومبين، أي: حية لا لبس فيها[٢].

وقد وصفت هذه العصا مرة بأنها ثعبان مبين، ومرة بأنها حية تسعى، ومرة ثالثة بالجان، وهذا لا تناقض فيه، فأمَّا الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى، والصغير والكبير، فيكون وصفها مرة بأنها حية وبأنها ثعبان لا منافاة بينهما.

وأما الثعبان والجان فبينهما تنافٍ؛ لأنّ الثعبان هو: العظيم من الحيات، والجان الدقيق منها، وقد أجيب عن ذلك بوجهين:

الأول: أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة، ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانًا، فأريد بالجان أول حالها، وبالثعبان مآلها.

الثاني: أنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان، فكان خلْقهما خلق الثعبان العظيم، واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته[٣].

ففي انقلاب العصا الجامدة اليابسة ثعبانًا عظيمًا آية عظيمة دالة على عظمة الله تعالى وقدرته، فالعصا انقلبت ثعبانًا مبينًا لا يشك من رآه في أمره، فليس الأمر تخييلاً وخداعًا للبصر، فالله ﷻ خلق في العصا حياة وغيَّر أوصافها وأعراضها، فصارت حية.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٧٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٤٦).

(٣) انظر: معالم التنـــزيل (٥/ ٢٦٩)، والكشاف (٣/ ٦٠)، وزاد المسير (٥/ ٢٨٠)، والتسهيل لعلوم التنـــزيل (٣/ ٩٣).

«وفي وصف ذلك الثعبان بكونه مبينًا وجوه:

الأول: تمييز ذلك عما جاءت به السحرة من التمويه الذي يلتبس على من لا يعرف سببه، وبذلك تتميز معجزات الأنبياء من الحيل والتمويهات.

والثاني: في المراد أنهم شاهدوا كونه حية لم يشتبه الأمر عليهم.

الثالث: المراد أن ذلك الثعبان أبان قول موسى عليه السلام عن قول المدعي الكاذب»[1].

٢- الجراد.

أرسل الله عز وجل آيات على فرعون وقومه، حين دعائهم موسى عليه الصلاة والسلام، فطغوا وأفسدوا في الأرض، فكان من هذه الآيات ما قصه الله سبحانه وتعالى في كتابه، فقال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، وقد كانت هذه الآيات بعد أن ابتلاهم الله تعالى بالسنين ونقص من الثمرات، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

فلمَّا لم يتعظوا وينـــزجروا عن طغيانهم وفسادهم أرسل الله عليهم هذه الآيات وهي الطوفان، وهو: أمر من الله عز وجل طاف بهم، الله أعلم بكيفيته[2]، وذهب ابن عباس رضي الله عنه وجماعة من السلف إلى أن المراد به: الماء والمطر الشديد[3].

فطلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو الله عز وجل أن يكشف عنهم هذا البلاء ليؤمنوا، فدعا فدفعه الله عنهم، ثم أنبتت الأرض نباتًا حسنًا فطغوا، فبعث الله تعالى عليهم الجراد، فأكل جميع ما أنبتت الأرض، فأكل زروعهم وثمارهم، حتى إنها كانت تأكل السقوف والأبواب

(١) مفاتيح الغيب (١٤/ ١٥٩).

(٢) انظر: جامع البيان (١٣/ ٥٣).

(٣) انظر: جامع البيان (١٣/ ٦٣)، ومعالم التنـــزيل (٣/ ٢٦٩).

حتى تتهدم ديارهم[١].

فتجلت هذه الآية العظيمة في كثرة الجراد الذي ابتلاهم الله به، واستكبارهم بعد ذلك كله، ثم دعاؤهم الله عز وجلّ أن يكشف ما بهم.

٣- القمل:

وهذه آية أخرى أرسلها الله تعالى على فرعون وقومه حين كشف الله تعالى عنهم الجراد، ثم طغوا بعد ذلك، وأفسدوا، فأرسل الله تعالى عليهم القُمَّل، وقد قيل: إنه السوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل: هو الدَّبى، وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له، وقيل: هو البراغيث، وقيل: هو دوابٌّ سود صغار، وقيل: هو ضرب من القِرْدان يسمى الحمنات[٢]، وقيل: يجوز أن تكون هذه كلها أرسلت عليهم[٣]، وكانت تتعلق بجسومهم وشعورهم[٤].

فكان هذا ابتلاء آخر من الله تعالى بسبب كفرهم وفسادهم، فبعد أن أكلت الجراد ثمارهم، وكشف عنهم هذا البلاء أصابهم الله تعالى بالبلاء الآخر، وهي هذه القُمَّل التي تنخر الحبوب وتقضي عليها، أو تؤذيهم في أجسامهم وشعورهم.

٤- الضفادع:

ومن الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه الضفادع بعد أن كشف عنهم القُمَّل بدعوة موسى عليه السلام، ولكنَّ القوم عادوا إلى فسادهم وكفرهم فأرسل الله تعالى الضفادع التي سلطت عليهم، فكانت تدخل في فرشهم وبين ثيابهم وفي قدورهم، فسلطها الله تعالى

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٢٠٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٤٤)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٥٧).

(٢) انظر: جامع البيان (١٣/ ٥٤-٥٦)، وزاد المسير (٣/ ٢٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٥٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٥٩)، وفتح القدير (٢/ ٢٣٨).

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٣).

عليهم حتى كثرت وآذهم[١].

فكانت هذه آيات مفصلات أرسلها الله تعالى على فرعون وقومه، وفي كل مرة يطلب القوم من موسى عليه السلام أن يكشف عنهم هذا البلاء ويعاهدوه على الإيمان به، ثم ينكثون، قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]، فلما كشف الله تعالى عنهم العذاب إلى أجل هم بالغوه لا محالة، إذا هم ينقضون ما عاهدوا الله عليه، ويصرون على كفرهم وضلالهم، قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٥]، فكانت نهايتهم ما أخبر به سبحانه بقوله: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

فلم تنفع فيهم هذه الآيات التي أرسلها الله عز وجل عليهم واحدة تلو الأخرى، بل في كل مرة يرجع القوم إلى ضلالهم، يقول الله تعالى في بيان تتابع هذه الآيات عليهم: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٧-٤٨].

فأقام الله تعالى عليهم الحجة بهذه الآيات التي أرسلها إليهم، والتي لم يحسنوا التعامل معها، بل أصروا على العناد والتكذيب، فخسروا خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤٤٤)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٥٩)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٦٣).

المطلب الرابع: إحياء الميت من قوم موسى بعد ضربه ببعض البقرة التي أمر الله بها:

من الآيات المتعلقة بالحيوان، ما قصه الله تبارك وتعالى علينا من قصة بقرة بني إسرائيل التي أمر الله قوم موسى أن يذبحوها، وذلك عند تنازعهم في شأن النفس التي قتلوها، فأمرهم الله تعالى بذبح بقرة، ثم ضرب الميت بجزء منها لتعود له الحياة بإذن الله تعالى، فيخبر بمن قتله، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٦٧-٧٣].

فقد أمر الله تعالى قوم موسى على لسان نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام أن يذبحوا بقرة، فلما تعنت القوم وشددوا في طلب أوصاف هذه البقرة شدّد الله عليهم، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ((لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها، لكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم))(١).

فجاءت أوصاف هذه البقرة كما بيَّنها الله تعالى بأنها(٢):

١- بقرة متوسطة، لا مسنة ولا صغيرة، بل هي بين ذلك، وهي أقوى ما يكون من الدوابّ

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٢/ ٢٠٤) برقم (١٢٣٥)، وصحح إسناده ابن كثير، انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: معالم التنزيل (١/ ١٠٧-١٠٨)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٥١-٤٥٧)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ١٥٧-١٥٩)، وفتح القدير (١/ ٩٧-٩٨).

والبقر، وأحسن ما تكون.

٢- صفراء شديدة الصفرة، تعجب الناظرين من حسنها.

٣- ليست مذللة بالحراثة، ولا معدة للسقي في السانية، فهي لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث.

٤- سليمة من العرج وسائر العيوب.

٥- لا شية فيها، أي: لا لون فيها غير لونها، فلا بياض ولا سواد فيها، بل هي صفراء فاقع لونها.

وبعد تعنت بني إسرائيل، وتشديدهم على أنفسهم بطلب أوصاف البقرة مرة بعد مرة، ذبح القوم هذه البقرة، وما كادوا يذبحونها لقلة انقيادهم وتعنتهم على أنبيائهم[(١)].

وقيل: كان المانع لهم من ذبحها غلاء ثمنها أو خوف الفضيحة[(٢)].

فالذبح لم يحصل منهم إلا بعد عسر ومشقة، وتعنت وعناد لما جبلت عليه نفوس القوم من العناد، وعدم الانقياد لأوامر الله تعالى، وطاعة رسوله.

ثم أمر الله تعالى القوم بعد ذبح هذه البقرة بأن يضربوا هذا الميت ببعض البقرة، والله أعلم بهذا الجزء من البقرة، الذي أُمروا أن يضربوا به الميت؛ إذ لا دلالة في الآية عليه، ولم يدل عليه دليل صحيح، ولا يضر الجهل به، فالذي يهم أن القوم قد ضربوه ببعض البقرة[(٣)].

وجاءت بعد ذلك الآية العظيمة؛ حيث أحيا الله تعالى هذا الميت بعد ضربه ببعض البقرة، فأخبر عن قاتله[(٤)].

فكانت هذه الآية حجة على المشركين المكذبين بالبعث، فأمرهم ﷻ بالاعتبار بما كان منه سبحانه من إحياء هذا القتيل بعد مماته، فكما أحياه سبحانه في الدنيا، كذلك يحيي

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ١٦٥)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ١٦٠).

(٢) انظر: جامع البيان (٢/ ٢٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٥٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٢/ ٢٣١)، وفتح القدير (١/ ١٠٠).

(٤) انظر: معالم التنـــزيل (١/ ١٠٩)، والمحرر الوجيز (١/ ١٦٥)، وزاد المسير (١/ ١٠٢).

الموتى بعد مماتهم ثم يبعثهم يوم القيامة[١].

فأجرى الله تعالى هذه الآية العظيمة على يد موسى عليه الصلاة والسلام بجنس هذه البقرة التي فتن بها بنو إسرائيل مرتين: مرة بعبادة العجل، ومرة بذبحها.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «والظاهر أن هذه القصة كانت بعد قصة العجل، ففي الأمر بذبح البقرة تنبيه على أن هذا النوع من الحيوان الذي لا يمتنع من الذبح والحرث والسقي لا يصلح أن يكون إلهًا معبودًا من دون الله تعالى، وأنه إنما يصلح للذبح والحرث والسقي والعمل»[٢].

وقد نَبَّه الله تعالى في هذه الآيات على قدرته، وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل، فجعل تبارك وتعالى ذلك حجة لهم على المعاد[٣].

وهذا الدليل - الوقوع والعيان - أحد الأدلة الثلاثة التي جاءت في القرآن الكريم للدلالة على إثبات المعاد، ففي القرآن أدلة شرعية وعقلية ووقائع حدثت جعلها الله ﷻ من أدلة قدرته على البعث والمعاد.

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/ ٢٣٢)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ١٦١).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٣١٧).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٦١).

المطلب الخامس: حياة حوت موسى عليه السلام بعد موته، وجريه في البحر:

من الآيات العظيمة المتعلقة بالحيوان، والتي أظهرها الله تعالى على أيدي رسله عليهم الصلاة والسلام ما قصّه الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم من قصة موسى عليه السلام ورحلته إلى الخضر عليه السلام، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٠-٦٤].

ففي هذه القصة من آيات الله العظيمة أنَّ موسى عليه الصلاة والسلام لما عزم على الرحلة إلى الخضر عليه السلام وركوب البحر إليه سأل ربه تبارك وتعالى علامة يعرف بها مكانه، فأمره الله عز وجل أن يأخذ معه حوتًا ميتًا، فإذا عادت إليه الحياة كان ذلك مكانه، فكان موسى عليه الصلاة والسلام وفتاه يأكلان من هذا الحوت الميت، ثم بعد مدة من الزمن أحيا الله هذا الحوت وسلك سبيله في البحر، فقد أخبر النبي ﷺ بأن موسى عليه الصلاة والسلام قال: أي رب اجعل لي عَلَمًا أعلم ذلك منه، قال: خذ حوتًا ميتًا حيث ينفخ فيه الروح[1].

فكانت هذه آية عظيمة، فأي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهرًا، ثم صار حيًّا بعدما أكل بعضه؟[2].

وثمَّ آية أخرى في هذا الحوت، وذلك فيما أخبر الله تبارك وتعالى عن هذا الحوت بأنه اتخذ سبيله في البحر سربًا، وذلك أن الله تبارك وتعالى قد أمسك جرية الماء على الموضع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف: ٦١]، (٣٩٥) برقم (٤٧٢٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) انظر: جامع البيان (١٨/ ٦١).

الذي سار فيه الحوت، فصار مسلك الحوت في البحر كالكوة المحفورة في الأرض(١).

فبقي موضع سلوك الحوت في البحر فارغًا، حتى مشى عليه موسى عليه الصلاة والسلام متبعًا له، فأفضى به الطريق إلى جزيرة في البحر، وفيها وجد الخضر(٢).

فقد أخبر النبي ﷺ أن الله أمسك عن الحوت جرية البحر حتى كأنَّ أثره في حجر(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا من آيات الله، وإلا فقد جرت العادة أن الحوت إذا انغَمَرَ في البحر يتلاءم البحر عليه، لكن هذا الحوت من آيات الله، أولاً: أنه قد مات، وأنهما يقتاتان منه، ثم صار حيًّا ودخل البحر، ثانيًا: أنه صار طريقه على هذا الوجه، وهذا من آيات الله تبارك وتعالى»(٤).

---

(١) انظر: فتح القدير (٣/ ٢٩٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٦).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٨٤].

(٤) تفسير القرآن العظيم (سورة الكهف)، محمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٣٣هـ، (١١٠).

المطلب السادس: الحوت الذي التقم يونس ﷺ وما فيه من الآيات:

يونس عليه الصلاة والسلام أرسله الله تعالى إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، فدعاهم، فلم يؤمنوا، فوعدهم بنـــزول العذاب عليهم من الله تعالى، وحدد لهم العذاب بوقت معين، فلمَّا رأى القوم ذلك بأعينهم، تضرعوا إلى الله تعالى، وسألوه أن يرفع عنهم العذاب، فعند ذلك رحمهم وكشف عنهم العذاب(١)، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

ثم قصّ الله تبارك وتعالى علينا قصة يونس عليه الصلاة والسلام مع الحوت وما فيها من آيات عظيمة، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٨].

وذلك أن يونس عليه الصلاة والسلام خرج من بلده مغاضبًا كما قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ولم يذكر الله تعالى ما غاضب عليه، ولم يذكر - أيضًا - الذنب الذي ارتكبه، لعدم فائدتنا بذكره، وإنما فائدتنا بما ذكره الله تعالى لنا أنه أذنب وعاقبه الله مع كونه من الرسل الكرام، وأنجاه الله تعالى بعد ذلك(٢).

وبعد ذلك أبق يونس ﷺ إلى الفلك المشحون، أي هرب إلى السفينة المملوءة

(١) انظر: معالم التنـــزيل (١/ ١٥١-١٥٢)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٣١)، وتيسير الكريم الرحمن (٦١٧).
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٣٢).

بالركاب والأمتعة[١]، فثقلت هذه السفينة بمن فيها، فقرر القوم أن يساهموا بينهم، أي: يقترعوا، فكان يونس عليه السلام من المدحضين، أي: المقروعين المغلوبين[٢].

فألقي عليه السلام في البحر، فجاءت الآية العظيمة؛ حيث أمر الله تعالى الحوت فالتقمه، وهو مُليم، أي: ابتلعه، وهو آت بما يلام عليه[٣].

فلم يصب عليه الصلاة والسلام بأذى من الحوت؛ حيث كان آية عظيمة، إذ هيأ الله تعالى له بطن الحوت، فمكث فيه ما شاء الله له أن يمكث، ولولا عناية الله تعالى لأكله الحوت ومات من لحظته، ولكن الله تبارك وتعالى أنجاه؛ لأنه كان من المسبحين الذاكرين لله قبل ذلك، فألقي في أرض خالية من الشجر والبناء على ضعف فيه، وأنبت الله سبحانه عليه شجرة من القرع فوقه تظله وينتفع منها[٤].

فكانت هذه الآية ليونس عليه الصلاة والسلام، وكانت لها علاقة بهذا الحوت، الذي هو نوع من أنواع الحيوان؛ وهو من مخلوقات الله تعالى المسخرة بأمره، لا تخرج عن قدرته، وتدبيره، فسبحان من له ملك السموات والأرض والبحار وتبارك الله رب العالمين.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٣)، وتيسير الكريم الرحمن (٨٣٢).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٧/ ٦٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١١٩).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٧/ ٦٠).

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٧٦)، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٥).

المطلب السابع: آيات داود وسليمان عليهما السلام المتعلقة بالحيوان:

أظهر الله تبارك وتعالى بعض آياته على يد نبييه داود وسليمان عليهما السلام، وكان بعض هذه الآيات متعلقة بالحيوان، وهي:

١- تسبيح الطير مع داود عليه السلام:

لقد أعطى الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام صوتًا جميلاً، وحين أثنى النبي ﷺ على صوت أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال له: ((يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارًا[(١)] من مزامير آل داود))[(٢)].

فدلَّ الحديث على حسن الصوت الذي كان يتمتع به داود عليه الصلاة والسلام؛ إذ المراد بآل داود في هذا الحديث هو داود عليه السلام نفسه؛ حيث لم ينقل أنّ أحدًا من أولاده ولا من أقاربه أعطي من حسن الصوت ما أعطي داود عليه السلام[(٣)].

فكان من حسن صوته عليه السلام أن الجبال والطير كانت تسبح معه إذا سبح، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

قال الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره وسخرنا مع داود الجبال والطير يسبحن معه إذا سبح»[(٤)]، وقال الشنقيطي رحمه الله: «والتحقيق: أن تسبيح الجبال والطير مع داود المذكور تسبيح حقيقي؛ لأن الله جلَّ وعلا يجعل لها إدراكات تسبح بها، يعلمها هو جلَّ

---

(١) المزمار هنا هو: الصوت الحسن، فشبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٠٢) مادة (زمر)، وشرح صحيح مسلم (٦/ ٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل القرآن، باب: حسن الصوت بالقراءة بالقرآن (٤٣٧) برقم (٥٠٤٨)، ومسلم في كتاب فضائل القرآن، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن (٨٠٢) برقم (٧٩٣).

(٣) انظر: غريب الحديث، حمد الخطابي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ، (١/ ٣١٨)، وشرح صحيح مسلم (٦/ ٨٠).

(٤) جامع البيان (١٨/ ٤٧٩).

وعلا ونحن لا نعلمها»[(١)].

وقد ورد تسبيح الطير مع داود عليه السلام في آيات أخرى، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

يقول السعدي رحمه الله: «ومن نعمه عليه، ما خصه من أمره تعالى الجمادات، كالجبال والحيوانات من الطيور أن تؤوب معه، وترجع التسبيح بحمد ربها، مجاوبة له.

وفي هذا من النعمة عليه، أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون منهضًا له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات تتجاوب بتسبيح ربها وتمجيده، وتكبيره وتحميده، كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى.

ومنها: أن ذلك كما قال كثير من العلماء كان طربًا لصوت داود، فإن الله تعالى قد أعطاه من حسن الصوت ما فاق به غيره، وكان إذا رجع التسبيح والتهليل والتمجيد بذلك الصوت الرخيم الشجي المطرب، طرب كل من سمعه، من الإنس والجن، حتى الطيور والجبال، وسبحت بحمد ربها، ومنها: أنه لعله ليحصل له أجر تسبيحها، لأنه سبب ذلك»[(٢)].

وقال تعالى في بيان ما أكرم به داود عليه السلام: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٨-١٩].

فهذه نعمة اختصها الله تعالى بها نبيه داود عليه السلام، حيث سخر معه الجبال تسبح معه إذا سبح بالعشي والإشراق، أي: وقت العصر إلى الليل، ووقت الضحى، وكذلك سخر تعالى له الطير يسبحن معه، فهي محشورة له، أي: مجموعة له، فكان عليه السلام إذا سبح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطير، وسبحت معه، وكل الطير له أواب، أي: رجاع إلى طاعته وأمره[(٣)]

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٦٧٢)، وقد مضى الحديث في المبحث الثاني في من الفصل الأول عن الكلام على تسبيح الطير، وأن القول الراجح أن التسبيح بلسان المقال وإن كنَّا لا نفقهه ، وهو_ أيضا _ تسبيح بلسان الحال.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٧٩٣-٧٩٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٢١/ ١٦٨-١٦٩).

فظهرت هذه الآية في الطير الذي من شأنه النفور من الأنس، ومع هذا فهي مسخرة له محشورة(١).

٢- تعليم سليمان عليه الصلاة والسلام منطق الطير:

من الآيات التي خصَّ الله بها نبيه سليمان عليه الصلاة والسلام تعليمه منطق الطير، يقول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

فعلمه الله تبارك وتعالى منطق الطير، يعني: أفهمه كلامها(٢)، ففهم من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها(٣).

وسمى صوت الطير نطقًا اعتبارًا بسليمان عليه السلام الذي كان يفهمه(٤)، فجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذا فهمه عنها(٥).

فهل كانت هذه الآية التي اختص بها سليمان عليه السلام خاصة في منطق الطير، أم أنها في جميع الحيوان؟ اختلف أهل التفسير في ذلك على قولين:

القول الأول: أنَّ هذا الأمر في الطير خاصة، دون غيره من الحيوان، بدليل قوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦]، وقالوا: إن النملة طائر؛ إذ قد يوجد لها أجنحة(٦).

القول الثاني: أنَّ ذلك عام في جميع الحيوان، وإنما خصَّ الطير بالذكر؛ لأنها كانت من جند سليمان عليه السلام، وهي أبعد عن الركون إلى الإنسان، وأسرعها نفورًا منه، فعلم أن منطق ما هو أكثر اختلاطًا بالإنسان حاصل له بالأحرى، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٢٩).

(٢) انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٣٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٥)، والتسهيل لعلوم التنــزيل (٣/ ٩٣).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن (٤٩٧).

(٥) انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٣٧).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٧)، والبحر المحيط (٧/ ٥٨)،.

ﵟضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَاﵞ [النمل: ١٩]، فدلت الآية على أنه علم منطق كل صنف من أصناف الحيوان(١).

قال ابن كثير رحمه الله: «أخبر سليمان بنعم الله عليه، فما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر – مما علمناه – مما أخبر الله به ورسوله...الله ﷻ كان قد أفهم سليمان ﵇ ما تتخاطب به الطيور في الهواء، مما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها»(٢).

وقد رد الإمام ابن العربي رحمه الله قول من قصر علم سليمان ﵇ على منطق الطير دون غيره، وجعل النمل من جملة الطير؛ ولذلك فهم منطقها: بأنَّ هذا نقصان عظيم(٣).

وقال رحمه الله: «فجعل الله لسليمان معجزة فهم كلام الطير والبهائم والحشرات، وإنما خصّ الطير لأجل سوق قصة الهدهد بعدها، ألا تراه كيف ذكر قصة النمل بعدها وليست من الطير»(٤).

والقول الراجح من هذين القولين أنَّ سليمان ﵇ علِّم منطق الطير وغيره من الحيوانات، كما دلّ عليه سماعه لخطاب النملة لغيرها من النمل، ولم يصب من جعل النمل من أنواع الطير، والله أعلم.

وقد جاء في كتاب الله ذكر قصتين فيهما علم سليمان ﵇ منطق هذه الحيوانات وهي:

الأولى: سماع سليمان ﵇ النملة وهي تخاطب النمل، يقول الله تعالى: ﵟحَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ

---

(١) انظر: البحر المحيط (٧/ ٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٧)، وفتح القدير (٤/ ١٣٠)، والتحرير والتنوير (١٩/ ٢٣٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩٣).

(٣) انظر: أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، بدون ذكر تاريخ الطباعة ورقمها (٣/ ٤٧٥).

(٤) المرجع السابق (٣/ ٤٧٢).

وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٨-١٩].

يخبرنا تبارك أنَّ سليمان عليه السلام سار هو وجنوده حتى إذا أتوا على وادي النمل، وهو وادٍ لم يبينه الحديث الصحيح، ولا يضر الجهل به، والله أعلم بمكانه، فلما دخلوا هذا الوادي نصحت نملة من النمل أمتها، فقالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، فخافت هذه النملة على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنها[١].

وهل نطقت هذه النملة بكلام الآدميين ففهمه بقية النمل، وسمعه سليمان عليه السلام؟ أم أنها خاطبتهم بخطابهم ففهمه سليمان عليه السلام؟

ذكر أهل التفسير في ذلك قولين[٢]:

القول الأول: أنها صاحت صيحة تنبهت بها بقية النمل، فصوتت بما فهم سليمان عليه السلام منه معنى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، وهذا كما يفهم سليمان عليه السلام ما يفهم من أصوات الطير، وقد جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء في قوله: (ادخلوا) ولم يقل (ادخلن)، فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أُجروا مُجراهم.

القول الثاني: أنَّ النملة تكلمت بذلك، ونطقت بمثل هذه الألفاظ، فلا يمتنع أن يخلق الله تعالى في هذه النملة النطق، وفي غيرها من النمل العقل والفهم.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ٨٥)، ومفاتيح الغيب (٢٤/ ١٦١)، والبحر المحيط (٧/ ٥٨)، وأنوار التنـــزيل وأسرار التأويل (٢/ ١٧٣)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها (٦/ ٢٧٨)، وروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني (١٩/ ١٧٥-١٧٦)، ودعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد أحمد العدوي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ، (٣٠٢-٣٠٣).

والقول الأول هو الراجح؛ لأنه موافق لتعليم سليمان عليه السلام منطق الطير وغيره من الحيوان، وقول من قال: إنها نطقت بهذا الكلام فهذا يحتاج إلى دليل يثبت فهم النمل الأخريات لكلام البشر، فالآية التي أعطاها الله تعالى سليمان عليه السلام هي: فهم منطق هذه الحيوانات، لا أنها هي تنطق بمنطق الآدميين، وهذا كما جرى في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد، يقول ابن كثير رحمه الله: «والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها، وتبسم ضاحكًا من ذلك، وهذا أمر عظيم جدًّا»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «نحن نجد أن الله يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض، وقد سمي ذلك منطقًا وقولاً في قول سليمان: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ ...وفي قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾»(٢).

ولو نطقت النملة بكلام الآدميين لم تكن هذه الآية خاصة بسليمان عليه السلام، فقد سمع غيره كلام الذئب والبقرة كما سبق الحديث عن ذلك(٣)، فيكون في فهم سليمان عليه السلام لمنطقها آية أقوى من نطقها بكلام الآدميين، والله أعلم.

وفيه أدب النملة مع نبي الله سليمان عليه السلام، حيث اعتذرت له ولقومه بأنَّ هذا الفعل إن حدث منهم فهو من غير شعور منهم ولا قصد.

وتبسم سليمان عليه السلام من قول هذه النملة تعجبًا؛ ولما أثنت عليه وعلى جنده؛ حيث نفت عنهم تعمد القبيح من الفعل، وتبسم أيضًا سرورًا بما أعطاه الله تعالى هذه النعمة العظيمة(٤).

الثانية: قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد.

فقد ذكر الله تبارك وتعالى قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد فقال سبحانه: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٩١).
(٣) انظر الصفحة رقم [٨١].
(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٥٤)، وزاد المسير (٦/ ١٦٢)، والتسهيل لعلوم التنـــزيل (٣/ ٩٤).

فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: ٢٠-٢٨].

يخبر الله تبارك وتعالى عن سليمان عليه السلام وملكه العظيم؛ حيث سخر له الله عز وجل هذه الجنود العظيمة، والتي منها الطير، فكان من كمال عزمه، وحسن تنظيمه لجنوده، وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، وكمال فطنته، وعدم إهماله لشيء من أمره، أنه تفقد الطيور، والنظر هل هي موجودة كلها، أم مفقود منها شيء؟ ففقد الهدهد، ثم سأل: هل عرض له شيء يمنع رؤيته له، أم أنه كان غائبًا من غير إذني ولا أمري؟[1].

ثم أقسم عليه السلام ليعذبن هذا الهدهد بسبب غيابه عذابًا شديدًا، أو ليقتلنه إلا أن يأتيه بحجة تبين عذره في تلك الغيبة.

ثم جاء الهدهد إلى سليمان عليه السلام بحجة تنجيه من عقابه، فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾، فبين له أنه اطلع على علم لم يعلم به سليمان عليه السلام، ولم يحط به؛ لأن الأنبياء عليهم السلام لا يعلمون الغيب، وقد تخفى عليهم أمور يعرفها غيرهم، ليعرف الناس بذلك أقدارهم، ولا يغلون بهم[2].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٧٠٦-٧٠٧).

(٢) انظر: دعوة الرسل إلى الله تعالى (٣٠٤).

ثم أخبر الهدهدُ سليمان عليه السلام بالعلم الذي أحاط به، وأنه جاء من سبأ[١]، بخبر صدق؛ حيث وجد امرأة تملكهم، فقد أوتيت من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن، ولها سرير تجلس عليه عظيم هائل[٢].

وقد وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى؛ لأن إبليس حسن لهم عبادة الشمس، وحببها لهم، فمنعهم بذلك من أن يتبعوا الطريق المستقيم، فهم لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه[٣].

واستنكر عبادتهم للشمس من دون الله تعالى، الذي يخرج الخبء وهو الخفي من الأمور، من مطر السماء وكنوز الأرض ونباتها، ويعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال، فهو سبحانه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، فهو سبحانه رب العرش العظيم[٤].

فكان الهدهد داعيًا إلى التوحيد وعبادة الله وحده والسجود له[٥].

واختلف أهل التفسير في قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ ...الآيات [النمل: ٢٥-٢٦]، هل قائل ذلك الله تعالى، أم الهدهد؟ على قولين[٦]، ثم أمر سليمان عليه السلام الهدهد -ليتحقق من صدق كلامه-، أن يذهب بكتاب سليمان عليه السلام فيلقيه إليهم، ثم يستأخر

---

(١) سبأ: هي أرض باليمن، مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، تنسب إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهي التي أرسل الله عليها سيل العرم. انظر: معجم البلدان (٣/ ١٨١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩٦-١٩٧).

(٣) انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٤٧).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٥٧)، وتيسير الكريم الرحمن (٧٠٧).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩٨).

(٦) انظر: الكشاف (٣/ ٣٦٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٥٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٩٦)، ورجح الزمخشري وابن كثير نسبته للهدهد. انظر: الكشاف (٣/ ٣٦٦)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩٨)، وأسند الطبري عن ابن زيد وابن إسحاق نسبته إلى الهدهد. انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٥٠).

عنهم بعيدًا، ثم ينظر بم يرجعون من الجواب(١).

فكانت هذه آية عظيمة من الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام؛ حيث سخر من جنده هذه الطير، ومكنه من تفقدها ليعرف من حضر منها ومن غاب، وجعل الله من آياته العظيمة معرفة منطق هذه الطير، فكان عليه السلام يخاطبها كما يخاطب بنو آدم بعضهم بعضًا، ثم يأمر الهدهد بما يريد فلا محيص له عن تنفيذ أمر سليمان عليه السلام.

وسخر الله تبارك وتعالى هذا الهدهد لسليمان عليه السلام لينقل له أخبارًا من بلاد بعيدة لم يكن سليمان عليه السلام يحيط بها، فكان سببًا في مساعدة سليمان عليه السلام في تبليغ دعوته، وهداية هذه الأمة إلى توحيد الله عز وجل.

فقد سخر الله عز وجل الطير لداود وابنه سليمان عليهما السلام، فكانت تسبح مع داود عليه السلام إذا سبح، وكانت من جند سليمان عليه السلام، تأتمر بأمره ولا تخالف نهيه، ويعلم منطقها، تفضُّلاً وكرمًا من الله تعالى، وصدق الله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

وفي قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام دلائل كثيرة من دلائل التوحيد، ومن ذلك:

١- أن الإحاطة صفة لله عز وجل، وقد دل عليها القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢] وغيرها من الأدلة.

والمخلوق يوصف بالإحاطة، فهذا الهدهد قال لسليمان عليه السلام: (أحطت بما لم تحط به)، ولم ينكر عليه سليمان عليه السلام، والله عز وجل قد سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بأوصاف، وسمى بعض خلقه بهذه الأسماء ووصفهم بهذه الصفات، ولكن ليست الأسماء كالأسماء، ولا الصفات كالصفات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا سمى الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشاركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء

(١) انظر: معالم التنـــزيل (٦/ ١٥٧-١٥٨).

مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص»[(١)].

ومثله وصف الله تعالى لعرش ملكة سبأ: بأنه عظيم، وختم الآية بوصف عرشه بأنه عظيم، وليس العرش كالعرش، ولا العِظَم كالعِظَم.

٢- تفضيل الهدهد نفسه على نبي الله سليمان عليه السلام في شيء مخصوص، حيث أخبر أنه أحاط بما لم يحط به سليمان عليه السلام، وليس في هذا حط من قدر الأنبياء، إذ هم لا يعلمون الغيب، وقد يوجد عند غيرهم من العلم مالم يطلعهم الله تعالى عليه، ومثله ما جاء في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، فقد تعلم موسى عليه السلام من الخضر مع أنه أفضل منه.

٣- فيه دليل على قبول خبر الآحاد، فإن سليمان عليه السلام قبل خبر الهدهد ولم يشترط حصول التواتر.

٤- في قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل: ٢٣]. دليل لأهل السنة، ورد على المعتزلة الذين يستدلون على خلق القرآن بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]. قالوا: كلمة (كل) للعموم، يدخل فيها كل شيء، والقرآن شيء فهو: مخلوق[(٢)].

وقد رد عليهم أهل السنة بأن كلمة (كل) في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، فقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. ومساكنهم شيء ومع ذلك لم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح؛ لأن المراد تدمير كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة.

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣).
(٢) انظر: المغني للقاضي عبد الجبار (٩٤/٧).

وفي هذه الآيات أخبر الله تعالى أن ملكة سبأ أوتيت من كل شيء، والمراد: كل شيء يحتاج إليه الملوك [١].

٥- نسب الهدهد تزيين الأعمال والصد عن سبيل الله إلى الشيطان، وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فأضيف التزيين إلى الله عز وجل قضاءً وقدرًا، وإضافته إلى الشيطان تسببًا، والله تعالى زين لهم سوء أعمالهم، لأنهم أساؤوا، كما يفيده قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. فالتزيين من الله باعتبار التقدير، أما الذي باشر التزيين، ووسوس لهم بذلك فهو الشيطان [٢].

٦- نفى الهدهد الهداية عن قوم سبأ، حيث قال: (فهم لا يهتدون) وهذه الهداية يراد بها: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، فقد كتب الله عليهم الضلال بسبب ضلالهم وتزيين الشيطان لهم أعمالهم، وصده لهم عن طريق الخير.

فإن الهداية على نوعين: هداية دلالة وإرشاد، وهذه تكون لله تعالى ولغيره كما دل عليها قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[الشورى: ٥٢]، وهداية توفيق وإلهام، وهي التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، كما دل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [التوبة: ٥٦]. وهي خلق الهدى في القلب وآثاره، فإن ذلك لله وحده وهو القادر عليه [٣].

٧- اثبات علم الله المحيط بكل شيء، فهو سبحانه يعلم ما تخفيه الأنفس وما تعلنه، وقد دل على علمه سبحانه وتعالى نصوص الكتاب والسنة، والعقل والفطرة.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/١٨١).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/١٨٤)، وتفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٣/٢١).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٣٠٠)، وحاشية كتاب التوحيد (١٤١).

المطلب الثامن: خلق عيسى عليه السلام من الطين كهيئة الطير ثم يكون طيرًا بعد النفخ فيه بإذن الله تعالى:

لقد أجرى الله تبارك وتعالى على يد رسوله عيسى عليه السلام عددًا من الآيات، أيده بها، فآمن له من آمن، وكفر من كفر، وكان من هذه الآيات آية تتعلق بنوع من الحيوان؛ حيث كان عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

فالله سبحانه وتعالى يخبرنا بدعوة عيسى عليه السلام قومه واحتجاجه عليهم بما أيَّدَه الله سبحانه به من آيات تدل على صدق نبوته، ومن هذه الآيات أنه كان يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه، فيطير عيانًا بإذن الله تعالى، الذي جعل هذه آية تدل على أنّ الله أرسله(١).

فهذه آية عظيمة؛ إذ كان عليه السلام يصنع من هذا الطين الجامد صورة طير، ثم ينفخ فيه، فيتحول هذا التمثال إلى طائر حي حقيقي، وهذا كله بإذن الله تعالى وإرادته، وعيسى عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير، وليس خلق عيسى عليه السلام كخلق الله تعالى، فكلمة (خلق) لها معان عدة، منها: ما هو خاص بالله تعالى، وهو الخلق من العدم على غير مثال سابق، ومنها: تحويل الشيء وتصويره من غيره، فيتحول من مادة إلى أخرى كما فعل عيسى عليه السلام.

يقول الراغب رحمه الله: «الخلق: أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل، ولا احتذاء، قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: ١]، أي: أبدعهما بدلالة قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٠١]، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، نحو: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: ١]، ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ [النحل: ٤]، ﴿خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ [الأعراف: ١١]، ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾ [الرحمن: ١٥]، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا من الله تعالى، ولهذا قال في

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٦).

الفصل بينه وبين غيره: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، وأما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال، كعيسى حيث قال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠]»[١].

فعيسى عليه السلام كان يصور هذا الطين على شكل طائر، وهذا أمر مقدور عليه من البشر، ولكنَّ الآية حين ينفخ فيه الروح ويطير، وهذا كله بإذن الله تعالى وإرادته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنه خلق من الطين كهيئة الطير، والمراد تصويره بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن أحدهم أن يصور من الطين كهيئة الطير، وغير الطير من الحيوان، ولكن هذا التصوير محرم، بخلاف تصوير المسيح، فإن الله أذن له فيه.

والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح، فيصير طيرًا بإذن الله عز وجل، ليس المعجزة مجرد خلقه من الطين، فإن هذا مشترك»[٢].

فعيسى عليه السلام صور هذا الطير من طين خلقه الله عز وجل، وكان فعله هذا بإذن الله تعالى، ثم نفخ فيه فصار طيرًا بإذن الله تعالى، فالخالق الحقيقي وواهب الحياة هو الله تعالى الذي لا يشاركه أحد في خلقه، وعيسى عليه السلام رسول أكرمه الله تعالى بالرسالة، وأيده بهذه الآيات العظيمة التي أظهرها على يديه، يقول الرازي رحمه الله: «قوله: (بإذن الله) معناه: بتكوين الله تعالى وتخليقه...وإنما ذكر عيسى عليه السلام هذا القيد إزالة للشبهة، وتنبيهًا على أني أعمل هذا التصوير، فأما خلق الحياة فهو من الله تعالى على سبيل إظهار المعجزات على يد الرسل»[٣].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (١٥٨)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٤٨٧).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٣٢٨).
(٣) مفاتيح الغيب (٨/ ٥٠).

المبحث الثاني

دلائل نبوة محمد ﷺ المتعلقة بالحيوان

وفيه خمسة عشر مطلبًا:

المطلب الأول: شكوى الجمل إلى النبي ﷺ، وأدبه معه.

المطلب الثاني: إخبار الذئب عن النبي ﷺ ودعوته بيثرب.

المطلب الثالث: شكوى الحمَّرة التي فقدت ولدها إلى النبي ﷺ.

المطلب الرابع: إخبار الشاة المسمومة النبي ﷺ عن نفسها.

المطلب الخامس: جمل جابر رضي الله عنه الذي أعيا وما فيه من الدلائل.

المطلب السادس: البراق وما فيه من دلائل النبوة.

المطلب السابع: حديث ناولني الذراع وما فيه من دلائل نبوته ﷺ.

المطلب الثامن: دلائل النبوة من حادثة فرس سراقة بن مالك رضي الله عنه في الهجرة.

المطلب التاسع: عناق جابر رضي الله عنه في غزوة الخندق التي دعا إليها النبي ﷺ أصحابه وما فيها من دلائل نبوته.

المطلب العاشر: دلائل نبوته ﷺ التي تجلت في ظهور حليب الغنم في غير وقته في عدة وقائع.

المطلب الحادي عشر: ركوب النبي ﷺ فرس أبي طلحة عند فزع الناس، وما فيه من دلائل نبوته.

المطلب الثاني عشر: دلائل نبوته ﷺ في ناقته عند قدومه المدينة، وقوله: دعوها فإنها مأمورة.

المطلب الثالث عشر: تسابق البدن إلى النبي ﷺ في حجة الوداع بأيتهنَّ يبدأ.

المطلب الرابع عشر: أدب الوحش عند قدوم النبي ﷺ وانصرافه.

المطلب الخامس عشر: حادثة الفيل وما فيها من دلائل النبوة.

تمهيد: تعريف دلائل النبوة:

الدلائل جمع دلالة، يقال: دَلَلْتُ بهذا الطريق دلالة، أي: عرفته، ودللت به أدل دلالة(١).

وفي الاصطلاح: الدَّلالة: كون اللفظ متى أطلق أو أُحِسَّ فهم منه معناه للعلم بوضعه(٢)، والدلالة كون الشيء يفيد غيره علمًا إذا لم يكن في الغير مانع(٣).

ودلائل نبوة محمد ﷺ: الآيات والبراهين الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام، والتي تتضمن إخبار الله تعالى لعباده بأنَّ هذا رسوله، وأمره لهم بطاعته(٤).

والرسول ﷺ بعثه الله تعالى إلى الخلق كافة من الجن والإنس، فهو أكثر الرسل آيات وبينات، وذكر بعضُ أهل العلم أنَّ أعلام نبوته تبلغ ألفًا(٥).

قال القرطبي رحمه الله: «إن نبينا محمدًا ﷺ أوتي من المعجزات وجمع له من الآيات ما لم يجمع لأحد من الأنبياء قبله، ولم يُعطَ أحد مثله، فكان لذلك أوضحهم دلالة، وأعمهم رسالة، ولذلك لم يُعطِ الله نبيًّا من الأنبياء معجزة إلا أعطى نبينا محمدًا ﷺ مثلها، أو أوضح منها أو ما يقاربها»(٦).

ومن هذه الدلائل ما كان قبل مبعثه ﷺ، وحين مبعثه، وفي حياته، وبعد موته إلى قيام الساعة(٧).

وقد صنف العلماء رحمهم الله كتبًا كثيرة في دلائل نبوته ﷺ(٨)، وكان من هذه الدلائل

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٤٨)، مادة (دل).

(٢) انظر: تاج العروس (٢٨/ ٤٩٨) مادة (دل ل).

(٣) انظر: كتاب الكليات (٤٣٩) فصل الدال.

(٤) انظر: الجواب الصحيح (٣/ ٢٤٢)، والنبوات (١٧٠).

(٥) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٠).

(٦) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن الإسلام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ، (٣٤٨).

(٧) انظر: الجواب الصحيح (٣/ ٥٠٢).

(٨) من هذه المؤلفات:

١- دلائل النبوة، أبو بكر الفريابي، تحقيق: عامر حسين صبري، دار حراء، مكة المكرمة، =

ما له علاقة بالحيوان، وهي كثيرة جدًّا، وفي هذا المبحث ذكرت ما وقفت عليه منها مما صحت به النصوص، وأعرضت عن أخبار كثيرة لم تثبت صحتها، والله أعلم.

١٤٠٦هـ.

٢- دلائل النبوة للبيهقي.

٣- دلائل النبوة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: مساعد الراشد الحميد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٤- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، اعتنى به نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٥- دلائل النبوة، سعيد عبد القادر باشنفر، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ. وقد اشتمل على أكثر من ألف وأربعمائة دلالة بتقديم الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله.

٦- دلائل نبوته ﷺ في ضوء السنة، د. أحمد محمود شيمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

المطلب الأول: شكوى الجمل إلى النبي ﷺ وأدبه معه:

من دلائل نبوة محمد ﷺ مجيء الجمل إليه شاكيًا صاحبه عليه[١]، فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه[٢]، قال: ((أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحبَّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفٌ[٣] أو حائش نخل[٤]، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه[٥]، فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟[٦] فجاء فتًى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، قال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه[٧]))[٨].

---

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (٣/ ١١٠٣-١١٢٨)، والجواب الصحيح (٣/ ٣٧٧-٣٨١).

(٢) هو: أبو جعفر، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، القرشي، الهاشمي، هو أول مولود ولد في الإسلام في أرض الحبشة، وقدم مع أبيه المدينة، وروى عن النبي ﷺ وحفظ عنه، كان كريمًا جوادًا، يسمى: بحر الجود، روى عن أبي بكر وعثمان وعلي وغيرهم، وروى عنه عروة والشعبي وغيرهما، توفي سنة ٨٠هـ بالمدينة. انظر: الاستيعاب (٣/ ٨٨٠)، والإصابة (٤/ ٤٠).

(٣) الهدف هو: كل بناء مرتفع مشرف. انظر: النهاية في غريب الحديث (١٠٠٢) مادة (هدف).

(٤) حائش النخل هو: حائط النخل، والحديقة منه. انظر: التمهيد (٢٢/ ١٠).

(٥) ذفري البعير: ما وراء الأذنين عين يمين النقرة وشمالها، وهي أصل أذنه. انظر: التمهيد (٢٢/ ١٠)، والنهاية (٣٢٧) مادة (ذفر).

(٦) فيه جواز اطلاق الرب إذا كان مقيدًا، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]، أما إذا كان مطلقًا (الرب) فلا يطلق إلا على الله عز وجل، وذهب بعض العلماء إلى أن إضافة الربوبية إلى غير المكلفين لا بأس بها؛ لأن حقيقة العبودية لاتتصور منها، ومن العلماء من منع ذلك مطلقًا ومنهم من كرهه. انظر: تيسير العزيز الحميد (٦٥٣)، وإعانة المستفيد (٢/٣٠٨).

(٧) تدئبه: أي: تكده وتتعبه. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢٩٥) مادة (دأب).

(٨) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٠٤)، وأبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب: ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (١٤١٢) برقم (٢٥٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٥) برقم (٢٢٦٩).

ففي هذا الحديث دلالة وآية من آيات النبي ﷺ؛ حيث جعل الله تعالى هذا البعير يأتي إليه ويشكو صاحبه الذي لا يحسن معاملته؛ إذ كان يجيعه ويكلفه من العمل ما لا يطيقه، فأفهم الله تعالى نبيه ﷺ هذه الشكوى، ثم سكت هذا البعير بعد مسح النبي ﷺ عليه وملاطفته له، ثم توجهه ﷺ إلى صاحب البعير ونصحه بالقيام بحقه، والإحسان إليه، وتقوى الله تعالى فيه، وهذه من رحمته ﷺ وشفقته على المخلوقات ودعوته إلى الإحسان والخير، فصلى الله عليه وسلم.

ومن دلائل نبوته ﷺ أيضًا أدب الجمل الصعب معه ﷺ ومعرفته له[1]، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ((أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر، حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه، قال فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعًا مشفره إلى الأرض، حتى برك بين يديه، قال: فقال النبي ﷺ: هاتوا خطامًا، فخطمه، ودفعه إلى صاحبه، قال: ثم التفت إلى الناس، فقال: إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلمُ أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس))[2].

وفي حديث آخر أنَّ الجمل كان يستصعب على قومه، فلما شكا القوم جملهم إلى رسول الله ﷺ، وجاء إليه، خرَّ هذا الجمل ساجدًا بين يدي النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإن الجمل استصعب عليهم، فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه كان جملاً نسني عليه، وأنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا، فقاموا، فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلب، وإنا نخاف عليك صولته، فقال: ليس عليَّ منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه، حتى خرَّ ساجدًا

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٢٨-٣٠)، والجواب الصحيح (٣/ ٣٧٧-٣٨٤)، ودلائل النبوة لباشنفر (٥٩٣-٥٩٦).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٩٥].

بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قط، حتى أدخله العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله؛ هذه البهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: لا يصح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها، والذي نفسي بيده، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس[١] بالقيح والصديد، ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه))[٢].

وسجود الجمل للنبي صلى الله عليه وسلم سجود تعظيم وتكريم لا سجود عبادة.

وهذا كسجود الملائكة لآدم عليه السلام، فإن سجودهم له تكرمة له وطاعة لله تعالى لا عبادة له[٣].

وكذلك سجود أبوي يوسف عليه السلام وإخوته، فقد كان على طريق التحية والتعظيم لا على طريق العبادة [٤].

وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن هذا السجود كان مشروعًا في الأمم السابقة، وأنه قد نسخ عند سجود معاذ للنبي صلى الله عليه وسلم[٥].

---

(١) تنبجس: أي تنفجر. انظر: النهاية في غريب الحديث (٦٣) مادة (بجس).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٥٨)، والبزار في مسنده (١٣/ ٩٣) برقم (٦٤٥٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٥) بإسناد جيد، وقال ابن كثير - أيضًا - في البداية والنهاية (٦/ ١٤٩): «إسناده جيد».

(٣) انظر: جامع البيان (٥١٢/١)، ومعالم التنزيل (٨١/١).

(٤) انظر: جامع البيان (٢٧٠/١٦)، ومعالم التنزيل (٢٨٠/٤).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣٧/١-٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (٣٧/١)، وتفسير القرآن العظيم (٣٧/١).

المطلب الثاني: إخبار الذئب عن النبي ﷺ ودعوته بيثرب:

من دلائل نبوة محمد ﷺ شهادة الذئب بنبوته[١]، فقد تكلم الذئب بكلام سمعه الراعي، وأخبره بدعوة النبي ﷺ بيثرب، وأنه يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، فتعجب هذا الراعي من كلام الذئب؛ حيث كلمه بكلام الإنس، فذهب إلى النبي ﷺ وأخبره بأمره، فجمع النبي ﷺ الناس وأمره أن يخبرهم بذلك، فكانت هذه دلالة عظيمة من دلائل نبوته ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: ((عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، فقال: ألا تتقي الله تنـــزع مني رزقًا ساقه الله إليّ؟ فقال: يا عجبي ذئب مقعٍ على ذنبه يكلمني كلام الإنس؟ فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ، فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: أخبرهم، فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: صدق، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده))[٢].

وفي حديث آخر أنَّ الراعي كان يهوديًّا، فكانت هذه القصة سببًا في إسلامه، فعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: ((جاء ذئب إلى راعي الغنم فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فصعد الذئب على تلٍّ، فأقعى واستذفر، فقال: عمدتَ إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعتَه مني، فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئبًا يتكلم، قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين[٣]، يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديًّا، فجاء

---

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٢٢-٢٢٣)، ودلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤١-٤٤)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (٣/ ٩٥٣-٩٦١)، والجواب الصحيح (٣/ ٣٨٤).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٨٢].

(٣) الحرة: هي الأرض ذات الحجارة السود، كأنها أحرقت بالنار، والحرار في بلاد العرب كثيرة، منها: حرة أوطاس وتبوك، وأكثرها حوالي المدينة والشام. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٤٥) حرف الحاء

=

الرجل إلى النبي ﷺ فأسلم وخبَّره، فصدقه النبي ﷺ، ثم قال النبي ﷺ: إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده))[1].

والراء، والحرتين واحدة غربي المدينة، والأخرى مما يليها من شرقي المدينة. انظر: التمهيد (٦/ ٣١٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٦)، ومصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، (١١/ ٣٨٣) برقم (٢٠٨٠٨)، ومسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ، (١/ ٣٥٧) برقم (٣٦٠)، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (١/ ٢٢٢) برقم (٢٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/ ٥١٧) برقم (١٤٠٨٣)، قلت: هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد ورجاله ثقات، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ١٦٠): تفرد به أحمد، وهو على شرط السنن، ولم يخرجوه، ولعل شهر بن حوشب قد سمعه من أبي سعيد وأبي هريرة أيضًا، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٣/ ٢٨٨) برقم (٥٩٢٧).

المطلب الثالث: شكوى الحمَّرة التي فقدت ولدها إلى النبي ﷺ:

من دلائل نبوة محمد ﷺ شكوى الحُمَّرة إليه عليه الصلاة والسلام[١]، فقد جاءت الحمرة فوق رأسه ﷺ بعد أن أخذ بعض الصحابة فرخيها، فعلم النبي ﷺ أنها تشتكي إليه، فأمر أصحابه بأن يردوا عليها فراخها، فكان هذا من دلائل نبوته ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: ((كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفْرِش[٢]، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها، ردوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار))[٣].

فكانت هذه الحيوانات تعرف النبي ﷺ، وتعرف رحمته وشفقته حتى بالحيوان، فهذه الحمَّرة جاءت إليه تشتكي كما جاء الجمل إليه - أيضًا - يشتكي ممن ظلمهم، فكان ﷺ خير ناصر للمظلوم، الذي أكرمه الله تعالى بالرحمة بالإنس والجن والحيوان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فسبحان من جعل الجمل الذي لا يبين والحمرة التي لا تعقل ولا تنطق يحسان بشخصية الرسول ﷺ، وأنها شخصية فذة رحيمة عادلة، يلجأ إليها الخائف فيأمن، والجائع فيجد عندها ما يطعمه، والمظلوم فيُنْصَف.

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٣٢-٣٣)، الجواب الصحيح (٣/ ٣٨٢)، ودلائل النبوة لباشنفر (٥٨٨)، ودلائل نبوته ﷺ في ضوء السنة (٤٥٤).

(٢) تفرش: أي تضرب من الأرض وترفرف بجناحيها. انظر: النهاية في غريب الحديث (٦٩٩) مادة (فرش).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٩٦)، وأبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب كراهية حرق العدو بالنار (١٤٢١) برقم (٢٦٧٥)، واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٣٩) رقم (٣٨٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٧) برقم (٧٥٩٩)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي، وصحح إسناده النووي. انظر: رياض الصالحين، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق، دار المأمون للتراث، ودار الفجر الإسلامي، دمشق، ط٢٠، ١٤٢٢هـ، (٤٧٧) رقم (١٦١٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٤) برقم (٢٥).

المطلب الرابع: إخبار الشاة المسمومة النبي ﷺ عن نفسها:

من دلائل نبوة محمد ﷺ أن الشاة أخبرت النبي ﷺ أنها مسمومة[١]، فإنّ يهودية[٢]، أهدت شاة مسمومة للنبي ﷺ، روى ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((إن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات[٣] رسول الله ﷺ))[٤].

وقد جاء في حديث آخر أنَّ هذه الشاة هي التي أخبرت النبي ﷺ عنها، وما فيها من السم، ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: ((كفوا أيديكم فإن عضوًا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة))[٥]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة))[٦].

فكانت هذه معجزة له ﷺ؛ حيث أعلم الله تعالى نبيه ﷺ أنها مسمومة، وكلام عضو منها له ﷺ[٧]، فهذه الشاة قد أخبرت النبي ﷺ أنها مسمومة، فنؤمن بذلك ونصدقه.

فهذه دلالة عظيمة من دلائل نبوة محمد ﷺ، أظهرها الله تعالى في هذه الشاة المسمومة فسبحان الله رب العالمين.

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٢٥٦-٢٦٤).

(٢) هي: زينب بنت الحارث اليهودية، وهي ابنة أخي مرحب اليهودي. انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٢٦٣)، والمعجم الكبير للطبراني (٢/ ٣٥) برقم (١٢٠٤).

(٣) اللهوات: جمع لهات، وهي: اللحمات في سقف أقصى الفم. انظر: النهاية (٨٤٨) مادة (لها).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الهبة، باب: قبول الهدية من المشركين (٢٠٦) برقم (٢٦١٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، باب: السم (١٠٦٧) برقم (٢١٩٠).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٢٢) برقم (٧٠٩٠)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٥٢٣) رقم (١٤٠٩١): رواه البزار، ورجاله ثقات.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الديات، باب: فيمن سقى رجلاً سمًّا، أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟ (١٥٥٤) برقم (٤٥١٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٤) برقم (١٢٠٢)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٥٥) برقم (٤٥١٢): حسن صحيح.

(٧) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٤/ ١٧٩).

المطلب الخامس: جمل جابرﷺ الذي أعيا، وما فيه من الدلائل:

من دلائل نبوة محمد ﷺ بركته ودعاؤه لجمل جابر الذي أعيا، فكان في أول الركب[١]، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ((غزوت مع رسول الله ﷺ، قال: فتلاحق بي النبي ﷺ وأنا على ناضح[٢] لنا قد أعيا[٣]، فلا يكاد يسير، فقال لي: ما لبعيرك؟ قال: قلت: أعيا، قال: فتخلف رسول الله ﷺ معي فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدَّامها يسير، فقال لي: كيف ترى بعيرك؟ قال: قلت بخير قد أصابته بركتك، قال أفتبيعنيه؟ قال: فاستحييت، ولم يكن لنا ناضح غيره، قال: فقلت: نعم، قال: فبعنيه، فبعته إياه على أن لي فقار[٤] ظهره حتى أبلغ المدينة، قال: فقلت: يا رسول الله إني عروس، فاستأذنته، فأذن لي، فتقدمت الناس إلى المدينة حتى أتيت المدينة فلقيني خالي، فسألني عن البعير فأخبرته بما صنعت فلامني، قال: وقد كان رسول الله ﷺ قال لي حين استأذنته: هل تزوجت بكرًا أم ثيبًا؟ قلت: تزوجت ثيبًا، فقال: هلاَّ تزوجت بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟ فقلت: يا رسول الله توفي والدي أو استشهد ولي أخوات صغار فكرهت أن أتزوج مثلهنَّ فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيبًا لتقوم عليهنّ وتؤدبهن، قال: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدوت عليه بالبعير، فأعطاني ثمنه، ورده عليه))[٥].

فهذا الحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومعجزة من معجزاته ﷺ، حيث حصل

---

(١) انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ٢٦١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٥١).

(٢) الناضح: يطلق على البعير أو الثور أو الحمار الذي يسقى عليه الماء. انظر: لسان العرب (٢/ ٦١٩) مادة (نضح).

(٣) عيَّ بالأمر إذا عجز عنه، ولم يطق إحكامه، وأعيا السيرُ البعيرَ، أي: أكلَّه. انظر: لسان العرب (١٥/ ١١١-١١٢) مادة (عيا).

(٤) فقار ظهره: أي خرزات الظهر، والمراد ركوب ظهره. انظر: النهاية في غريب الحديث (٧١٣) مادة (فقر).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد، باب: استئذان الرجل الإمام (٢٣٨) برقم (٢٩٦٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساقاة، باب: بيع البعير واستثناء ركوبه (٩٥٥) برقم (٧١٥).

الانبعاث لجمل جابر رضي الله عنه، وإسراعه بعد إعيائه[١].

فقد بارك الله تعالى في هذا الجمل الذي كان يشتكي جابرﷺ من إعيائه، فأصبح ببركة دعاء النبي ﷺ أسرع من غيره، وجاء عن جابرﷺ أنه قال: ((فكنت بعد ذلك أحبس خطامه لأسمع حديثه فما أقدر عليه))[٢].

وقد بارك الله تعالى في جمل جابر رضي الله عنه؛ حيث أخبر أنه أقام عنده زمان النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، ثم أتى به عمر بن الخطابﷺ فجعله في إبل الصدقة يرعى من أطيب المراعي[٣].

وفي هذا الحديث كرم النبي ﷺ حيث أعطى جابرًا المال، ووهبه الجمل، فضلاً منه وتكرمًا ﷺ.

---

(١) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، تحقيق: أحمد شاكر، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ، (٥٢٣)، والإعلام بفوائد عمدة الأحكام، عمر بن علي الأنصاري المعروف بابن الملقن، تحقيق: عبد العزيز المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ، (٧/ ٢٨٢).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣١١].

(٣) انظر: تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضائلها وتسمية من حلها من الأماثل، علي بن الحسن بن هبة المعروف بابن عساكر، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، (١١/ ٢٢٥).

المطلب السادس: البراق وما فيه من دلائل النبوة:

من دلائل نبوة محمد ﷺ الإسراء والمعراج[١]، فقد أسري به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وأخبر النبي ﷺ بعروجه إلى السماء مع جبريل عليه السلام، حتى صُعد به إلى السماء السابعة، ورؤيته بعض الأنبياء في كل سماء، ثم رفعت إليه سدرة المنتهى، والبيت المعمور، ثم فرضت عليه الصلوات في حديث طويل جدًّا[٢].

والذي عليه جمهور العلماء أن الإسراء كان بروحه وجسده ﷺ يقظة لا منامًا[٣].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات؛ ولا معنى لقول من قال: أسري بروحه

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٥٤-٣٦٥)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (٣/ ١٢٧٨-١٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج (٣١٥) برقم (٣٨٨٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (٧٠٧) برقم (٢٦٣) من حديث مالك بن أنس عن مالك بن صعصعة.

(٣) يقول الحافظ بن حجر رحمه الله: «وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة: فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك؛ إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل». فتح الباري (٨/ ٦١٩)، وانظر اختيار هذا القول في: تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ٢١٤)، ومعالم التنـــزيل (٥/ ٥٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢١٤)، وتفسير القرآن العظيم (٥/ ٤٠)، وأضواء البيان (٣/ ٣٩٣).

دون جسده؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرًا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، و لم يخبر أنه أسرى بروح عبده.

...والأخبار المتتابعة عن رسول الله ﷺ أنَّ الله أسرى به على دابّة يقال لها البراق؛ ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدوابّ لا تحمل إلا الأجسام»[1].

والله ﷻ افتتح سورة الإسراء بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾، والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان منامًا لم يكن له كبير شأن حتى يُتَعجب منه، ولو كان رؤيا منام - أيضًا - لم يكن لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فضل في تصديقه له، و لم يكن فتنة لقريش[2].

ومن الدلائل النبوية في حادثة الإسراء والمعراج الدابّة التي ركبها النبي ﷺ، وهي البراق، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: ((أُتيت بالبراق، وهو دابّة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء...الحديث))[3].

وسميت هذه الدابّة بهذا الاسم قيل: تشبيهًا له بالبرق لسرعته، أو لشدة صفائه وتلألئه

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٣٥٠-٣٥١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢١٤)، وأضواء البيان (٣/ ٣٩١-٣٩٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (٧٠٥) برقم (١٦٢).

وبريقه، وقيل: سمي بذلك لكونه أبيض[(١)].

والبراق قد سخره الله تعالى لمحمد ﷺ كما سخره للأنبياء قبله[(٢)]، وقد ذكر كثير من المفسرين أنَّ إبراهيم ؏ كان يركب البراق[(٣)].

والله ﷻ أراد حمله على البراق تأنيسًا له؛ لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به يبعث إليه بما يركبه والله أعلم[(٤)].

فقد تجلت دلائل نبوة محمد ﷺ في البراق؛ حيث أظهر الله تعالى فيه آيات عظيمة، منها: ركوبه ﷺ دابّة لا مثيل لها من الدواب، وما اتصفت به من السرعة العالية، إذ كان هذا البراق يضع حافره عند منتهى طرفه، ومشاركة غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في ركوب البراق.

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٢١٠-٢١١)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٣٣)، وتحفة الأحوذي (٨/ ٤٤٨).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٣٤)، وتحفة الأحوذي (٨/ ٤٤٨)، ويدل له ما جاء في حديث مسلم السابق، قوله: ((فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء)).

(٣) انظر: جامع البيان (٣/ ٦١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣٥)، واللباب (٢/ ٤٨٩)، والبحر المحيط (٥/ ٢٤٤).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٣٣).

المطلب السابع: حديث (ناولني الذراع) وما فيه من دلائل نبوته ﷺ:

من دلائل نبوة محمد ﷺ ما جاء في ذراع الشاة[١]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((ذبحت لرسول الله ﷺ شاة، فقال: ناولني الذراع، فناولته، ثم قال: ناولني الذراع فناولته الذراع، ثم قال: ناولني الذراع، فقلت: يا رسول الله إنما للشاة ذراعان، قال: أما إنك لو ابتغيته لوجدته))[٢].

وعن أبي رافع[٣] رضي الله عنه قال: ((صنع لرسول الله ﷺ شاة مصلية[٤]، فأتي بها، فقال لي: يا أبا رافع ناولني الذراع، فناولته، فقال: يا أبا رافع ناولني الذراع، فناولته، ثم قال: يا أبا رافع ناولني الذراع، فقلت: يا رسول الله، وهل للشاة إلا ذراعان؟ فقال لو سكت لناولتني منها ما دعوت به. قال: وكان رسول الله ﷺ يعجبه الذراع))[٥].

---

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ٢٦٠)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (٣/ ٨٨٣)، وكتاب الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، (٤/ ١٥٨٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٥١٧)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٠٣) برقم (٦٤٨٤)، وحسن إسناده محققه شعيب الأرناؤوط، والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ١٥٤) برقم (٦٦٥٩)، والبزار في البحر الزخار (١٥/ ٨٨) برقم (٨٣٤٥).

(٣) هو: أبو رافع، أسلم القبطي، مولى رسول الله ﷺ، كان مولى للعباس رضي الله عنه، فوهبه للنبي ﷺ فأعتقه لما بشره بإسلام العباس، شهد أحدًا وما بعدها، روى عن النبي ﷺ وابن مسعود، وروى عنه: أولاده وأبو سعيد المقبري، توفي قبل عثمان رضي الله بيسير، وقيل: في خلافة علي رضي الله عنه. انظر: الإصابة (٧/ ١٣٤).

(٤) مصليَّة: أي مشوية. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥٢٥) مادة (صلا).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٣٢٤) برقم (٩٦٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٥٤٦) رقم (١٤١٣٤): رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي أحمد حسن. وقال في (٨/ ٥٤٧) رقم (١٤١٣٥): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

وعن أبي عبيد(١) رضي الله عنه: ((أنه طَبَخَ للنبي ﷺ قدرًا، فقال له: ناولني الذراع، وكان يعجبه الذراع، فناوله الذراع، ثم قال: ناولني الذراع، فناوله، ثم قال: ناولني الذراع، فقلت: يا نبي الله وكم للشاة من ذراع؟ فقال: والذي نفسي بيده أن لو سكت لأعطيت أذرعًا ما دعوت به))(٢).

يقول الإمام أبو نعيم الأصبهاني(٣) رحمه الله مبينًا دلالة هذه على دلائل النبوة: «ووجه الدلالة من هذه الأخبار إعلامه ﷺ فضيلته بأن الله تعالى يعطيه إذا سأل ما لم تجر العادة به تفضيلاً له، وتخصيصًا؛ ليكون ذلك آية له في نفسه ورفعة له في مرتبته، وإبانة له في الكرامة عن الخليقة، أن لو التمس أذرعًا لكان الله تعالى يجيبه إلى مسألته»(٤).

ففي هذه النصوص آية من آيات النبي ﷺ؛ حيث أخبر عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى يخلق في هذه الشاة ذراعًا بعد ذراع، كلَّ ما طلب منها معجزة له عليه الصلاة والسلام(٥).

---

(١) هو: أبو عبيد مولى رسول الله ﷺ، لا يعرف اسمه، من أصحاب النبي ﷺ وكان يطبخ له، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه شهر بن حوشب. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٧٠٩)، والإصابة (٧/ ٢٦٩)، وتهذيب الكمال (٣٤/ ٥٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٤)، والدارمي في سننه، في المقدمة، باب ما أكرم به النبي ﷺ في بركة طعامه (١/ ٣٥) برقم (٤٤)، وقال محققه حسين سليم: إسناده حسن، والترمذي في الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ، (١٤١) برقم (١٧٠)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية، المكتبة الإسلامية، عمان، (٩٦) برقم (١٤٣).

(٣) هو: أبو نعيم، الحافظ الكبير، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، ولد سنة ٣٣٦هـ، سمع من خلق، منهم: أبو القاسم الطبراني، والآجري، وسمع منه خلق، منهم: الحافظ الخطيب، وأبو صالح المؤذن، له مصنفات مشهورة، منها دلائل النبوة ومعرفة الصحابة، توفي سنة ٤٣٠هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ١٩٥-١٩٨).

(٤) دلائل النبوة (٢/ ٢٦١).

(٥) انظر: مرقاة المفاتيح (٢/ ٤٣).

المطلب الثامن: دلائل النبوة من حادثة فرس سراقة بن مالكﷺ في الهجرة:

من دلائل نبوة محمد ﷺ ما أصاب فرس سراقة بن مالك[١]ﷺ في الهجرة بسبب دعاء النبي ﷺ عليه[٢].

فحين خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكرﷺ للهجرة جعلت قريش دية كل واحد منهما من قتله أو أسره مائة ناقة، فسمع سراقةﷺ رجلاً يقول إني وجدت آنفًا أسْوِدة بالساحل أراها محمدًا وأصحابه، قال سراقة، فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا، انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم[٣].

ثم إنَّ سراقة ركب فرسه في طلب الرسول ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه، فلما وصل قريبًا منهما دعا عليه النبي ﷺ فكفاهما الله تعالى شره، فعن البراء بن عازبﷺ قال: ((لما أقبل النبي ﷺ إلى المدينة تبعه سراقة بن مالك بن جشم، فدعا عليه النبي ﷺ فساخت[٤] به فرسه، قال: ادع الله لي ولا أضرك، فدعا له...الحديث))[٥].

---

(١) هو: أبو سفيان، سراقة بن مالك بن جعشم، المدلجي، الكناني، روى عنه من الصحابة ابن عباس وجابر، وروى عنه سعيد بن المسيب – أيضًا – أخبره النبي ﷺ أنه سوف يلبس سواري كسرى، فلبسهما في خلافة عمر رضي الله عنه، كان شاعرًا، توفي سنة ٢٤هـ. انظر: الاستيعاب (٢/ ٥٨١-٥٨٢)، وأسد الغابة (٢/ ٣٩٥-٣٩٧).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٨٣-٤٩٠)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (٢/ ٥٤٨).

(٣) انظر: صحيح البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣١٨) برقم (٣٩٠٦) من حديث سراقة، والسيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ، (٣/ ١٥-١٦)، والبداية والنهاية (٣/ ٢٢٦).

(٤) ساخت: أي غاصت في الأرض. انظر: النهاية في غريب الحديث (٤٥١) مادة (سوخ).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣١٩) برقم (٣٩٠٨)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الأشربة، باب: جواز شرب اللبن (١٠٣٧) برقم (٢٠٠٩).

ففي هذا الحديث معجزة ظاهرة للنبي ﷺ[١]، حيث أجاب الله دعاءه وساخت يدا الفرس في الأرض، ولم تستطع الوصول إليهما.

فلقد حمى الله تعالى نبيه ﷺ وصاحبه، وصار هذا الصحابي الذي لحق بهما يريد قتلهما أو أسرهما مدافعًا عنهما لا يلقى أحدًا إلا قال له: كفيتكم ما هنا، فلا يلقى أحدًا إلا رده[٢].

وكان سراقة رضي الله عنه كما قال أنس رضي الله عنه: كان أول النهار جاهدًا على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له[٣][٤].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/ ١٨٠)، (١٨/ ١٥٠)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٩٣).

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب في حديث الهجرة (١١٩٩) برقم (٢٠٠٩).

(٣) مسلحة له أي: حارسًا له بسلاحه. انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٩٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣١٩) برقم (٣٩١١)، ضمن حديث طويل عن هجرته ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المطلب التاسع: عناق جابرﷺ في غزوة الخندق التي دعا إليها النبي ﷺ أصحابه وما فيها من دلائل نبوته:

من دلائل نبوة محمد ﷺ البركة التي أنزلها الله تعالى في طعام جابرﷺ الذي دعا إليه النبيَّ ﷺ[١]، وقد دعا إليه النبيُّ ﷺ أهلَ الخندق، وكان من هذا الطعام الذي أنزل الله فيه البركة عناقًا[٢]، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ((لما حُفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خَمَصًا[٣] شديدًا، فانكفيت[٤] إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خَمَصًا شديدًا، فأخرَجَت إليَّ جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة[٥] داجن[٦] فذبحتُها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي وقطعتها في بُرمتها[٧] ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بُهيمة لنا وطحنَّا صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ، فقال: يا أهل الخندق: إن جابرًا قد صنع سُورًا[٨] فحيهلا بكم[٩]، فقال رسول الله ﷺ لا تُنـــزلنَّ برمتكم، ولا تخْبِزُنَّ عجينكم حتى أجيءَ، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤١٥-٤١٦)، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ٢٥٠).

(٢) انظر: أعلام الحديث (٣/ ١٧٢٢)، وجاء مصرحًا بها في حديث جابر رضي الله في صحيح البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (٣٣٦) برقم (٤١٠١).

(٣) الخَمَص: ضمور البطن من الجوع. انظر: المرجع السابق..

(٤) انكفيت: أي انقلبت. انظر: المفهم (٥/ ٣٠٨).

(٥) بُهيمة: تصغير البُهمة، وهي الصغيرة من أولاد الغنم، وقد ذكر أنها كانت عناقًا. انظر: أعلام الحديث (٣/ ١٧٢٢).

(٦) الداجن: هي ما ألف البيوت ولا يخرج إلى المرعى. انظر: أعلام الحديث (٣/ ١٧٢٢)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٣/ ٢١٦).

(٧) البرمة: هي القدر مطلقًا، وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن. انظر: النهاية في غريب الحديث (٧٤) مادة (برم).

(٨) السور: هو الطعام الذي يدعى إليه بلغة الفرس. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/ ٢١٦).

(٩) حيهلا بكم، أي: أقبلوا وهلمُّوا. انظر: المفهم (٥/ ٣٠٨).

الناس، حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك[١]، فقلت: قد فعلت الذي قلتِ، فأخرجتُ له عجينًا فبصق فيه وبارك[٢]، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: ادعُ خابزةً فلتخبز معكِ، واقدحي[٣] من برمتكم ولا تنـــزلوها، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإنّ برمتنا لتغطُّ[٤] كما هي، وإن عجيننا لَيُخبز كما هو))[٥].

ففي هذا الحديث علم من أعلام نبوته ﷺ؛ حيث دعا بالبركة، فاستجاب الله تعالى له على الفور، وظهرت هذه الآية العظيمة، فصار هذا الطعام الذي لا يكفي في العادة إلاّ للعدد القليل يستكثر، فيكفي ألفًا وزيادة، ثم بقي الطعام على حاله، كما كان أول مرة، فلو كان عددهم مائة ألف لكفاهم[٦].

يقول الإمام الخطابي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: «وكان نبي الله قد عوده الله تعالى أن يبارك له في الطعام القليل فيكثر، فجعل أكثر أسباب معجزاته ما يتجلى للبصائر على التدبر والتأمل دون ما يتكشف للأبصار ويتراءى للعيان على ما جرت به عادة الأمم المتقدمة التي سبق لها من الله تعالى القضاء لها بالإهلاك، كقوم صالح حين أُخرجت لهم الناقة من الصخرة ونحوها من الآيات رفقًا من الله تعالى بهذه الأمة، وحفظًا لنبيه فيها، وذلك لما أعطوه من وفارة العقول وزيادة الأفهام، فهي الأمة المرحومة، والله بعباده رؤوف رحيم»[٧].

وهكذا تجلى هذا الدليل من دلائل نبوته ﷺ في بعض الحيوان، وهي هذه العناق

---

(١) أي: ذمته ودعت عليه، وقيل: أي جرى هذا برأيك وسوء نظرك. انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٣/ ٢١٧).
(٢) أي: دعا بالبركة. انظر: المفهم (٥/ ٣٠٩).
(٣) اقدحي من برمتكم، أي: اغرفي. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/ ٢١٧).
(٤) لتغط، أي: أنها ممتلئة تفور، فيسمع لها غطيط. انظر: أعلام الحديث (٣/ ١٧٢٢).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٣٣٦) برقم (٢١٠٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى داره من يثق برضاه بذلك (١٠٤١) برقم (٢٠٣٩).
(٦) انظر: المفهم (٥/ ٣٠٩)، وشرح صحيح مسلم (٣/ ٢١٧).
(٧) أعلام الحديث (٣/ ١٢٢٧).

الصغيرة التي أطعم الله بها خلقًا كثيرًا.

المطلب العاشر: دلائل نبوته ﷺ التي تجلت في ظهور حليب الغنم في غير وقته في عدة وقائع:

من دلائل نبوة محمد ﷺ ظهور الحليب في بعض الغنم في غير وقته في عدة وقائع(١)، فقد تكررت حوادث كثيرة تكون فيها هذه الغنم خالية من الحليب، فيبارك الله تعالى فيها فيظهر الحليب في غير وقته إكرامًا لنبيه ﷺ، وإظهارًا لبعض دلائل نبوته، فمن هذه الوقائع:

١- عن المقداد رضي الله عنه(٢)، قال: ((أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجَهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ، فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنـز، فقال النبي ﷺ: احتلبوا هذا اللبن بيننا، قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه، ونرفع للنبي ﷺ نصيبه، قال: فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا، ويسمع اليقظان، قال: ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب، فأتاني الشيطان ذات ليلة، وقد شربت نصيبي، فقال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه، ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجُرْعة(٣)، فأتيتها فشربتها، فلما أن وغلت في بطني(٤)، وعلمت أنه ليس إليها سبيل، قال: ندَّمني الشيطان، فقال: ويحك ما صنعت؟ أشربت شراب محمد ﷺ؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك، فتذهب دنياك وآخرتك، وعليّ شملة(٥)، إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي، فإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النوم، وأما

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٨٤-٨٦)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (٤/ ١٢١٢-١٢٢٠).

(٢) هو: أبو الأسود، المقداد بن عمرو الكندي، ويقال له: المقداد بن الأسود؛ لأنه حالف الأسود بن عبد يغوث فتبناه، ثم رجع اسمه: المقداد بن عمرو عندما نُهي عن التبني، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، روى عنه علي وأنس وغيرهم، توفي سنة ٣٣هـ. انظر: الإصابة (٦/ ٢٠٢-٢٠٤).

(٣) الجُرْعة: هي الاسم من الشرب اليسير. انظر: النهاية في غريب الحديث (١٤٨) مادة (جرع).

(٤) غلت في بطني: أي دخلت وتمكنت منه، انظر: شرح صحيح مسلم (١٤/ ١٤).

(٥) الشملة: كساء صغير يلتحف به. انظر: المفهم (٥/ ٣٣٣).

صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت، قال: فجاء النبي ﷺ، فسلم كما كان يسلم، ثم رقى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه، فكشف عنه فلم يجد فيه شيئًا، فرفع رأسه إلى السماء، فقلت: الآن يدعو عليَّ فأهلك، فقال: اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني، قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها عليَّ، وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيهما أسمن فأذبحها لرسول الله ﷺ، فإذا هي حافل[١]، وإذا هنَّ حُفَّل كلهنَّ، فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتى علته رَغْوة[٢]، فجئت إلى رسول الله ﷺ، فقال: أشربتم شرابكم الليلة؟ قال: قلت: يا رسول الله اشرب، فشرب ثم ناولني، فقلت: يا رسول الله اشرب، فشرب ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي ﷺ قد روي، وأصبت دعوته، ضحكت حتى أُلقيت إلى الأرض، قال: فقال النبي ﷺ: إحدى سوءاتك يا مقداد، فقلت: يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا، فقال النبي ﷺ: ما هذه إلا رحمة من الله ﷻ، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبيك، فيصيبان منها، قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتَها وأصبتُها معك من أصابها من الناس))[٣].

وقد ذكر النووي رحمه الله أن في ظهور الحليب في هذه الأعنز معجزة من معجزات النبوة وآثار بركته ﷺ[٤].

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: ((كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعيط، فمر بي رسول الله ﷺ، وأبو بكر، فقال: يا غلام هل من لبن؟ قال: قلت: نعم ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينز عليها الفحل، فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل

(١) حافل، أي: ممتلئة الضروع باللبن. انظر: المرجع السابق.

(٢) الرَّغوة هي: زبدة اللبن الذي يعلوه. انظر: شرح صحيح مسلم (١٤/ ١٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره (١٠٤٥) برقم (٢٠٥٥).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (١٤/ ١٥).

لبن فحلبه في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص[١]، فقلص، قال: ثم أتيته بعد هذا، فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال: يرحمك الله، فإنَّك غليِّم معلَّم))[٢].

٣- عن قيس بن النعمان[٣] رضي الله عنه قال: ((لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين مرّا بعبد يرعى غنمًا، فاستسقياه من اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب غير أنَّ ها هنا عناقًا حملت أول الشتاء، فدعا بها فاعتقلها النبي ﷺ، ومسح ضرعها، ودعا حتى أنزلت قال: وجاء أبو بكر رضي الله عنه بمجن[٤]، فحلب، فسقى أبو بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط؟ قال أوتراك تكتم عليَّ حتى أخبرك؟ قال: نعم، قال: فإني محمد رسول الله، فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ؟ قال: إنهم ليقولون ذلك، قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي، وأنا متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، فإذا بلغك أني قد ظهرت فائتنا))[٥].

---

(١) قلص، أي: ارتفع وذهب. انظر: النهاية في غريب الحديث (٧٦٨) مادة (قلص).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٧٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٧٨) برقم (٨٤٥٥)، وابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ، باب المعجزات (١٤/ ٤٣٢) برقم (٦٥٠٤)، وحسنه محققه: شعيب الأرناؤوط، وحسن إسناده الألباني في صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية، عمّان، ط١، ١٤٢١هـ، (١٢٤).

(٣) هو: قيس بن النعمان السكوني، ويقال العبسي، يقال: إنه قرأ القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وأحصاه على عهد عمر، روى عنه: أياد بن لقيط وزيد بن علي أبي القموص. انظر: الاستيعاب (٣/ ١٣٠١)، وأسد الغابة (٤/ ٤٧٦).

(٤) المجن: هو الترس، والميم زائدة؛ لأنه من الجُنة، أي: السترة. انظر: النهاية في غريب الحديث (٨٥٨) مادة (مجن).

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٩) برقم (٤٢٧٣)، وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٤٣) برقم (٨٧٤)، وقال ابن حجر عنه في الإصابة (٥/ ٥٥): أخرجه

=

فقد دلت هذه النصوص على علم من أعلام نبوته ﷺ، وهو ما أعطاه الله تعالى من البركة في الطعام والشراب، وفي هذه النصوص تجلت هذه البركة في الغنم التي ظهر فيها الحليب في غير وقته بسبب دعاء النبي ﷺ، وبركته وهي واحدة، من آيات كثيرة ظهرت فيها بركة الطعام، والشراب له ﷺ.

الطبراني بسند حسن، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٥٤٩) برقم (١٤١٤٠): رواه الطبراني ورجاله، رجال الصحيح.

المطلب الحادي عشر: ركوب النبي ﷺ فرس أبي طلحة عند فزع الناس، وما فيه من دلائل النبوة:

من دلائل نبوة محمد ﷺ ما حدث لفرس أبي طلحة رضي الله عنه التي كانت بطيئة، فأصبحت بعد ركوب النبي ﷺ لها لا تُسْبَقُ[١]، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((فزع الناس، فركب رسول الله ﷺ فرسًا لأبي طلحة بطيئًا، ثم خرج يركض وحده، فركب الناس يركضون خلفه، فقال: لم تراعوا[٢]، إنه لبحرٌ[٣]، فما سُبِقَ بعد ذلك اليوم))[٤].

يقول النووي رحمه الله مبينًا ما اشتمل عليه هذا الحديث من بيان لعظيم بركته ﷺ وهذه الآية التي ظهرت على يديه ﷺ: «وفيه بيان عظيم بركته، ومعجزته في انقلاب الفرس سريعًا بعد أن كان بطيئا، وهو معنى قوله ﷺ وجدناه بحرًا»[٥].

---

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ٢٦٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٥٢-١٥٣)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (٣/ ٩٢٦-٩٢٩)، والجواب الصحيح (٣/ ٣٨٥).

(٢) لم تراعوا، أي: لا تخافوا. انظر: أعلام الحديث (٢/ ١٣٩٩).

(٣) إنه لبحر، أي: جواد واسع الجري، كماء البحر، أو كأنه يسيح في جريه، كما يسيح ماء البحر إذا ركب بعض أمواجه بعضًا. انظر: المرجع السابق.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد، باب: السرعة والركض في الفزع (٢٣٩) برقم (٢٩٦٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب شجاعته ﷺ (١٠٨٥) برقم (٢٣٠٧).

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٨).

المطلب الثاني عشر: دلائل نبوته ﷺ في ناقته عند قدومه المدينة، وقوله: (دعوها فإنها مأمورة):

من دلائل نبوة محمد ﷺ ما جاء في دخوله المدينة وأمره أصحابه أن يخلوا ناقته في سيرها[١]، وذلك في هجرته ﷺ حين مكث أيامًا في قباء، فلما دخل المدينة جعل الأنصار يتطلعون إلى استضافة الرسول ﷺ، فكلما مرّ بأحدهم دعاه للنـــزول عنده، فكان النبي ﷺ يأمرهم بأن يتركوا الناقة تسير حيث أمرها الله تعالى حتى بركت في مكان مسجده اليوم[٢]، فعن عبد الله بن الزبير[٣] رضي الله عنه: ((أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي[٤]، ودار الحسن بن زيد[٥][٦]، فأتاه الناس، فقالوا: يا

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٠١-٥١٠)، ودلائل النبوة لسعيد باشنفر (٢/ ٥٧٠).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٣)، وزاد المعاد (٣/ ٥٨-٥٩)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٤٢-٣٤٨)، وسبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، (٣/ ٢١٧-٢٧٣).

(٣) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد، القرشي، الأسدي، أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، أول مولود في الهجرة، وحفظ عن النبي ﷺ وهو صغير، روى عنه أخوه عروة وعطاء وطاووس وغيرهم، بُويع بالخلافة سنة ٦٤هـ، أحد العبادلة، مشهور بالشجاعة والعبادة، قتله الحجاج بمكة سنة ٧٣هـ. انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٠٥-٩١٠)، والإصابة (٤/ ٨٩-٩٤).

(٤) هو: أبو عبد الله، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من سادات أهل البيت علمًا وفضلاً وفقهًا، حدث عن أبيه وجده القاسم بن محمد، وحدث عنه: مالك وسفيان الثوري، وخلق، توفي سنة ١٤٨هـ. انظر: الثقات (٦/ ١٣١-١٣٢)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٢٥-١٢٦).

(٥) هو: أبو محمد، الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان شيخ بني هاشم في زمانه، روى عن أبيه وعكرمة وغيرهما، وروى عنه مالك وابن إسحاق، وأهل المدينة، ولي إمرة المدينة للمنصور، توفي سنة ١٦٨هـ. انظر: الثقات (٦/ ١٦٠)، وميزان الاعتدال (٢/ ٢٣٩)، وتقريب التهذيب (٢٠٤).

(٦) هذا الكلام من الراوي عن عبد الله بن الزبير وهو حفيده: صِدِّيق بن موسى بن عبد الله بن الزبير.

رسول الله المنـــزل، فانبعثت به راحلته، فقال: دعوها فإنها مأمورة، ثم خرجت حتى جاءت به باب أبي أيوب الأنصاري[١]، فاستناخت به، فأتاه الناس فقالوا: يا رسول الله المنـــزل، فانبعثت به راحلته، فقال: دعوها فإنها مأمورة، ثم خرجت به حتى جاءت به موضع المنبر، فاستناخت به، ثم تحلّلت[٢] وللناس ثَمَّ عريش[٣] كانوا يرشونه ويعمرونه، ويتبردون فيه، فنـــزل رسول الله ﷺ عن راحلته، فأوى إلى الظل، فنـــزل فيه، وأتاه أبو أيوب فقال: يا رسول الله إن منـــزلي أقرب المنازل إليك، فانقل رحلك إليَّ، فقال: نعم، فذهب برحله إلى المنـــزل، ثم أتاه رجل آخر، فقال: يا رسول الله انزل عليَّ، فقال: إن الرجل مع رحله حيث كان، وثبت رسول الله ﷺ في العريش حتى صلى بالناس فيه ثنتي عشرة ليلة))[٤].

---

(١) هو: أبو أيوب، خالد بن زيد بن كليب، الأنصاري، النجاري، شهد العقبة وبدرًا وسائر المشاهد، نزل عنده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، كان مع علي بن أبي طالب ﵁ في حروبه كلها، روى عن النبي ﷺ وأبي بن كعب، وحدث عنه: البراء بن عازب وابن عباس وجابر وجماعة من الصحابة والتابعين، توفي في غزوة القسطنطينية، سنة ٥٢هـ. انظر: الاستيعاب (٢/ ٤٢٤-٤٢٦)، والإصابة (٢/ ٢٣٤).

(٢) يقال: تحلحل إذا تحرك وذهب عن مكانه وزال عنه. انظر: تاج العروس (٢٨/ ٣٣٥-٣٣٦) مادة (حلل).

(٣) العريش: هو كل بناء يستظل به، ويطلق - أيضًا - العريش على الحظيرة التي تسوى للماشية، تكفها من البرد، ويصنع العريش من جريد النخل. انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٥) مادة (عرش)، وتاج العروس (١٧/ ٢٥٦-٢٦١) مادة (ع ر ش).

(٤) سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور الخرساني، حققه وعلق عليه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢/ ٣٤٧) برقم (٢٩٧٨)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٣٥) برقم (٣٥٤٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٩)، والحديث قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٧٩) رقم (٩٩٢٤): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه صديق بن موسى قال الذهبي: ليس بالحجة»، والقصة مشهورة في كتب السيرة، وفي السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، (٢/ ٢١٩)، ذكر المؤلف أن الحديث يرتقي إلى الحسن لغيره.

وجاء في الحديث أن الناقة بركت في موضع مسجده اليوم، وكان مِربدًا[(١)] لغلامين يتيمين من بني النجار، فابتاعه النبي ﷺ منهما، وبنى فيه مسجده[(٢)].

وفي هذه القصة من دلائل نبوته ﷺ ما يأتي:

أولاً: أنَّ النبي ﷺ أخبر عن هذه الناقة بأنها مأمورة، فهي تسير إلى مكان قدره الله تعالى لها، ليكون هذا الموضع له شأن عظيم في الإسلام، فلم يكن النبي ﷺ ولا غيره من الصحابة ليختار المكان الذي تبرك فيه، ولهذا اختارت هذه الناقة مكان مسجد النبي ﷺ اليوم، الذي صار ثاني مسجد في الإسلام في الفضل والشرف بعد المسجد الحرام، فدلَّ ذلك على أنَّ هذا المكان بتقديرٍ وأمر من الله تعالى وحده، وهذا ما جعله ﷺ يأمر الأنصار بأن يخلوا سبيل الناقة، حتى لا يكونَ لأحد مشاركة في اختيار هذا المكان الذي أراده الله تعالى.

ثانيًا: ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله أنَّ بروك الناقة في هذا المكان من توفيق الله لها؛ لأن النبي ﷺ أحب أن ينـــزل على أخواله بني النجار يكرمهم بذلك، فكان نزوله في بني النجار أخواله ﷺ[(٣)].

---

(١) المِربد: هو الموضع الذي يجفف فيه التمر. انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣١٨) برقم (٣٩٠٦) من حديث سراقة بن جعشم.

(٣) انظر: زاد المعاد (٣/ ٥٩).

المطلب الثالث عشر: تسابق البدن إلى النبي ﷺ في حجة الوداع بأيتهنّ يبدأ:

من دلائل نبوة محمد ﷺ ما حدث لبعض البَدَنَات[(١)] عندما قربن للنبي ﷺ يوم النحر، فجعلن يتسابقن إليه، لينحرهنَّ ﷺ[(٢)]، فعن عبد الله بن قُرط[(٣)] رضي الله عن النبي ﷺ قال: ((إنّ أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القرِّ، قال عيسى[(٤)]: قال ثور[(٥)]: وهو اليوم الثاني، وقال: وقُرِّب لرسول الله ﷺ بدنات خمس أو ست، فطفقنَ[(٦)] يزدلفن[(٧)] إليه بأيتهنّ يبدأ، فلما وجبت جنوبها[(٨)] قال: فتكلم بكلمة لم أفهمها، فقلت: ما قال؟ قال: من شاء اقتطع))[(٩)].

---

(١) البدنات جمع بدنة، وهي: تقال للجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه، وسميت بدنة لعظمها وسمنها. انظر: النهاية في غريب الحديث (٦٨) مادة (بدن).

(٢) انظر: خلاصة سير سيد البشر، عبد الله بن حمد الطبري، تحقيق: طلال الرفاعي، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ، (١١٣)، والخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، (٦١)، وسبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٩/ ٥٢٥).

(٣) هو: عبد الله بن قرط، الأزدي، الثمالي، له صحبة، كان أميرًا لأبي عبيدة رضي الله عنه، وقد استعمله أبو عبيدة على حمص في عهد عمر رضي الله عنه، روى عنه عمرو بن قيس السكوني، ومسلم بن عبد الله الأزدي، استشهد بأرض الروم سنة ٥٦هـ. انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٧٨)، والإصابة (٤/ ٢٠٩).

(٤) هو: أبو عمرو، عيسى بن يونس بن أبي إسحاق، السبيعي، الهمداني، من أهل الكوفة، روى عن إسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وروى عنه حماد بن سلمة وابن المديني، كان متقنًا، من الأعلام في الحفظ والعبادة، يحج سنة ويغزو سنة، مات سنة ١٨٧هـ. انظر: الثقات (٧/ ٢٣٨)، والكاشف (٢/ ٣١٩).

(٥) هو: أبو خالد، ثور بن يزيد، الكلاعي، الحمصي، حدث عن خالد بن معدان، وعطاء بن راشد، وخلق، وحدث عنه عيسى بن يونس وسفيان بن عيينة، وخلف، كان حافظًا ثبتًا، وكان قدريًّا، توفي سنة ١٥٣هـ. انظر: الثقات (٦/ ١٢٩)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٣٢).

(٦) طفق، أي: أخذ بالفعل وجعل يقبل. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥٦٥) مادة (طفق).

(٧) يزدلفن: أي يقتربن. انظر: معالم السنن (٢/ ١٥٧).

(٨) وجبت جنوبها، أي: زهقت أنفسها، فسقطت على جنوبها. انظر: المرجع السابق.

(٩) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٥٠)، وأبو داود في سننه في كتاب المناسك، باب: الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ (١٣٥٤) برقم (١٧٦٥)، واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٣٧) برقم =

ففي هذا الحديث علم من أعلام نبوته ﷺ وآية جليلة[١]؛ حيث رأى الصحابة هذه البدنات التي تستعصي عند نحرها، إذ هي في هذا اليوم تتسابق يردن التبرك بيد رسول الله ﷺ في نحرهن.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فقرب منهنّ إليه خمس بدنات رَسَلاً[٢]، وكان ذلك الرَّسَل يبادرن ويتقربنّ إليه ليبدأ بكل واحدة منهن»[٣].

(٩٩٩٤)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٢٤٦) برقم (٧٥٢٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٣٣١) برقم (١٧٦٥).

(١) انظر: مرقاة المفاتيح (٥/ ٥٤٩).

(٢) الرَسَل، هي: القطيع من كل شيء. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٨١) مادة (رسل).

(٣) زاد المعاد (٢/ ٢٦١).

المطلب الرابع عشر: أدب الوحش عند قدوم النبي ﷺ وانصرافه:

من دلائل نبوة محمد ﷺ ما كان من الوحش الذي في بيته عليه الصلاة والسلام؛ حيث كان يقبل ويدبر، فإذا أحس برسول الله ﷺ تأدب معه[١]، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((كان لآل رسول الله ﷺ وحش[٢]، فكان إذا خرج رسول الله ﷺ اشتد ولعب في البيت، فإذا دخل رسول الله ﷺ سكن فلم يتحرك، كراهية أن يؤذيه))[٣].

وفي رواية قالت: ((فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض[٤]، فلم يترمرم[٥] ما دام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه))[٦].

فقد دلَّ هذا الحديث على علم من أعلام نبوته ﷺ، حيث ظهرت هذه الآية في هذا الوحش الذي كان يتغير حاله عند قدوم النبي ﷺ، ويتأدب في حضوره؛ إذ كان يكره ما فيه أذية للنبي ﷺ، وقد كان هذا الوحش كغيره من الحيوان في معرفتها للنبي ﷺ، هذه المعرفة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: ((إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس))[٧].

---

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ٢٢٦)، ودلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٣١-٣٣)، والجواب الصحيح (٣/ ٣٨٣).

(٢) الوحش هو: كل شيء من دواب البر مما لا يُستأنس. انظر: لسان العرب (٣/ ٣٦٨) مادة (وحش).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٠٩)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ١٢١) برقم (٤٦٦٠)، وقال محققه حسين سليم أسد: رجاله رجال الصحيح، والطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٣٤٨) برقم (٦٥٩١)، وقال ابن كثير عنه في البداية والنهاية (٦/ ١٦٢): وهذا الإسناد على شرط الصحيح ولم يخرجوه، وهو حديث مشهور، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٥٥٥) برقم (١٤١٥٢): رجال أحمد رجال الصحيح، وصحح إسناده العيني في عمدة القاري (١٠/ ٢٣٠).

(٤) ربض: أي لصق بالمكان، وأقام ملازمًا له. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٤٠) مادة (ربض).

(٥) لم يترمرم، أي: لم يتحرك، ولم يبرح مكانه. انظر: غريب الحديث، للخطابي (١/ ٣٥٨).

(٦) مسند أحمد (٦/ ١١٢، ١٥٠).

(٧) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٩٥].

المطلب الخامس عشر: حادثة الفيل وما فيها من دلائل النبوة:

من دلائل نبوة محمد ﷺ حادثة الفيل[١]، تلك الحادثة التي ولد رسول الله ﷺ - على الصحيح - في العام نفسه الذي وقعت فيه[٢].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم ما حصل لأصحاب الفيل في سورة سميت باسم الفيل، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل: ١-٥].

وفي كتب السير والتاريخ جاءت هذه الحادثة مطولة وبروايات عديدة، وملخص هذه الحادثة:

أن أبرهة الحبشي بنى كنسية يقال لها القُلَّيس، وتفنن في بنائها، ليصرف الناس عن الكعبة، فغضب رجل من العرب، فذهب إليها وأحدث فيها، فغضب عند ذلك أبرهة وعزم على هدم الكعبة، ثم سار وخرج معه بالفيل، وقيل: إنَّ اسمه (محمود)، وهو كبير الفيلة، وقيل: كان معه ثلاثة عشر فيلاً، وقيل ثمانية، فخرج إليه في الطريق بعض العرب يريدون الدفاع عن البيت فهزمهم، حتى وصل إلى المُغمَّس[٣] جلس فيه وبعث بعوثه إلى مكة وأصابوا من أموال أهل مكة وأنعامهم، وخرجت قريش متفرقين إلى رؤوس الجبال خوفًا من أبرهة وجنده، وكان مما أصابوه إبلاً لعبد المطلب، فجاء عبد المطلب إلى أبرهة واستأذن في الدخول عليه، ثم سأله أن يرد إليه إبله، فتعجب منه أبرهة؛ حيث جاء يسأل عن الإبل ولم يطلب من أبرهة الكف عن البيت، فرد عليه عبد المطلب بقوله: أنا رب الإبل، وللبيت رب

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٨١-٨٦)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ١١٥-١٢٥)، والجواب الصحيح (٣/ ٣٠٧).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٩٤)، وتاريخ الأمم والملوك، (١/ ٤٥٣)، والبداية والنهاية (٢/ ٣٢٠).

(٣) المُغمَّس: هو موضع قرب مكة على طريق الطائف، شرقي الحرم، يقع على نحو ميلين من مكة. انظر: معجم البلدان (٥/ ١٦١)، حرف الميم، باب الميم والغين، وفيض القدير (٥/ ١٧١).

يحميه.

ثم رجع عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده.

ثم انطلق عبد المطلب ومن معه من قريش إلى شعف الجبال يتحرزون فيها، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، فلمَّا وجهوا الفيل إلى مكة برك الفيل، فضربوه فأبى، ثم وجهوه إلى جهة اليمن، ثم إلى جهة الشام، ثم إلى جهة المشرق، فعند كل جهة يوجه إليها يهرول، فإذا وجه إلى مكة برك، ثم أرسل الله تعالى عليهم طيرًا أبابيل(١)، ترميهم بحجارة من سجيل(٢)، فجعلهم كعصف مأكول(٣)(٤).

فرد الله تعالى كيد أبرهة وجنده، وحمى البيت من خرابهم، فكان ذلك العام الذي ولد فيه النبي ﷺ: ليكون من دلائل نبوته وذلك من وجهين(٥):

الأول: أنَّ هذا الجيش الذي أراد هدم الكعبة لو تمكنوا من ذلك لقتلوا أهل مكة، واسترقوا بعضهم، فكان هلاكهم صيانة للرسول ﷺ الذي كان حملاً في ذلك الوقت من السبي.

الثاني: أنَّ الله تعالى حمى البيت مع أنَّ أهله كانوا أهل شرك وعبادة أوثان، وأهلك أعداءهم مع أنهم كانوا نصارى أهل كتاب؛ لأنّ الله تعالى أراد ظهور الإسلام، تأسيسًا للنبوة وتعظيمًا للكعبة، وأن تكون قبلة للصلاة ومنسكًا للحج.

---

(١) أي كثيرة يتبع بعضها بعضًا، كل طائر يحمل ثلاثة أحجار. انظر: جامع البيان (٢٤/ ٢٠٥-٢٠٧)، والمحرر الوجيز (٥/ ٥٢٣).

(٢) أي حجارة من طين في غاية الشدة والقوة. انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٩٧)، وأضواء البيان (٣/ ٣٨).

(٣) العصف المأكول، هو: ورق الزرع إذا أكلته الدواب ثم راثته. انظر: جامع البيان (٢٤/ ٦١٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٩٧).

(٤) انظر: القصة في تاريخ الطبري (١/ ٤٣٦-٤٤٤)، والبداية والنهاية (٢/ ٢١١-٢٢١)، ودلائل النبوة لأبي نعيم (٨١-٨٦)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ١١٥-١٢٥).

(٥) انظر: أعلام النبوة، علي بن محمد الماوردي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، (٢٧١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينًا ما في حادثة الفيل من دلائل نبوته ﷺ: «وكان ذلك عام مولد النبي ﷺ، وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان، ودين النصارى خير من دينهم، فعلم بذلك أن هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت، بل كانت لأجل البيت، أو لأجل النبي ﷺ، الذي ولد به في ذلك العام عند البيت، أو لمجموعهما، وأي ذلك كان، فهو من دلائل نبوته»[١].

فكانت حماية الله تعالى لهذا البيت من أصحاب الفيل في هذا الوقت لها دلالتها العظيمة على نبوته ﷺ، يقول الإمام الخطابي رحمه الله، مبينًا الحكمة من حماية الله تعالى للبيت في هذا الوقت بأذى، ولم يتضرر كذلك أهله، بخلاف غيره من الأزمان؛ حيثُ اعْتُدِيَ على البيت في الإسلام وتأثر بنيانه وسفك فيه الدم الحرام[٢]، «حبس الفيل عنها في الجاهلية حيث كان علمًا لنبوة رسول الله ﷺ، وتنويهًا بذكر آبائه إذ كانوا عُمّار البيت، وسكان الوادي، فكان ذلك الصنيع إرهاصًا للنبوة، وحجة عليهم في إثباتها، فلو لم يقع الحبس عنها والذب عن حريمها لكان في ذلك أمران: أحدهما: فناء أهل الحرم، وهم الآباء والأسلاف لعامة المسلمين ولكافة من قام به الدين، والآخر: أن الله سبحانه أراد أن يقيم به الحجة عليهم في إثبات نبوة رسوله ﷺ، وأن يجعله مقدمة لكونها وظهورها فيهم، فكان مولد رسول الله ﷺ عامئذ، وكانوا قومًا عربًا أهل جاهلية، ليست لهم بصيرة في العلم ولا تقدمة في الحكمة، وإنما كانوا يعرفون من الأمور ما كان دركه من جهة الحس والمشاهدة، فلو لم يجر الأمر في ذلك على الوجه الذي جرى لم يكن يبقى في أيديهم شيء من دلائل النبوة تقوم به الحجة عليهم في ذلك الزمان، فأما وقد أظهر الله الدين، ورفع أعلامه، وشرح أدلته، وأكثر أنصاره، فلم يكن ما حدث عليها من ذلك الصنيع أمرًا يضر بالدين، أو يقدح في بصائر

---

(١) الجواب الصحيح (٣/ ٣٠٧).

(٢) يقصد بذلك ما حدث من الحجاج بن يوسف حين رمى الكعبة بالمنجنيق، وقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه سنة ٧٣هـ، وكذلك ما حدث من القرامطة الذين اعتدوا على الحُجاج وقتلوا خلقًا منهم، وسرقوا الحجر الأسود مدة اثنتين وعشرين سنة عام ٣١٧هـ. انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٣٣٨-٥٤١)، البداية والنهاية (١١/ ١٨٢).

المسلمين، وإنما كان ما حدث منه امتحانًا من الله سبحانه لعباده ليبلو في ذلك الزمان صبرهم، واجتهادهم، ولينيلهم من كرامته ومغفرته ما هو أهل التفضيل به، والله يفعل ما يشاء، وله الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين»[١].

(١) معالم السنن (٢/ ٢١٩-٢٢٠).

المبحث الثالث: الأمثال المضروبة في القرآن من الحيوان:

المثل في اللغة، هو الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله، فهو بمعنى المِثل، نحو: شَبَه، وشِبْه، ويطلق على صفة الشيء، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ...﴾ [الفتح: ٢٩]، أي صفتهم، ويكون بمعنى العبرة والآية[١].

وفي الاصطلاح عرفه ابن القيم بقوله: «تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر»[٢].

فالقرآن الكريم قد اشتمل على كثير من الأمثال التي ضربها الله تعالى لعباده، ليتفكروا فيها، قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

قال الطبري رحمه الله: «(ويضرب الله الأمثال للناس) يقول: ويمثل الله الأمثال للناس، ويشبه لهم الأشباه، (لعلهم يتذكرون) يقول: ليتذكروا حجة الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا، فينـــزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان»[٣].

وفي القرآن أمثال كثيرة ضربها الله تعالى لنا تزيد على الأربعين[٤].

وهذه الأمثال على قسمين:

الأول: ظاهر: وهو المصرح بذكر المثل به، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧].

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (٤٦٢)، ولسان العرب (١١/ ٦١١) مادة (مثل).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٥٠).

(٣) جامع البيان (١٦/ ٥٦٧).

(٤) انظر: المدهش، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، (١٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٥٦).

الثاني: كامن غير مصرح بذكر المثل فيه، وحكمه حكم المثل، كما في قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [آل عمران: ١١][(١)].

العلة من ضرب الأمثال في القرآن:

«ضربُ الله الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور: التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس.

وقد تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر»[(٢)].

وكان بعض السلف يقول: إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣][(٣)].

ومن الأمثال التي ضربها الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم أمثلة مضروبة من الحيوان، وهي[(٤)]:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

ذكر المفسرون أن الله تعالى لما ضرب للمنافقين مثلين في بداية سورة البقرة في قوله

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٦٥-٦٦)، والبرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ، (١/ ٤٨٦)، والإتقان، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ، (٤/ ٣٩-٤١).

(٢) بدائع الفوائد (٤/ ١٣١٤).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٩٤).

(٤) ذكرت ما وقفت عليه من الأمثال المضروبة من الحيوان، ورتبتها ترتيب سورها.

تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]، وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]. قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية.

وقيل: إن سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ذكر الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل استنكره أهل الضلال من اليهود والمشركين، وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله تعالى، فنـــزلت هذه الآية.

وقال آخرون: إنّ هذا مثل ضربه الله تعالى للدنيا في البعوضة، فهي تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن: إذا امتلؤوا رِيًّا أخذهم الله عند ذلك(١).

واختار الطبري رحمه الله القول الأول، لمناسبة هذه الآية لما جاء في أول السورة دون ما جاء من الأمثال في سور أخرى(٢).

---

(١) انظر الأقوال في: جامع البيان (١/ ٣٩٩-٤٠٠)، وأسباب النـــزول، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، مكتبة المجتمع، الخبر، ١٤٢٠هـ، (٢٣)، ومعالم التنـــزيل (١/ ٧٦)، المحرر الوجيز (١/ ١١٠)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٥٩).

(٢) انظر: جامع البيان (١/ ٤٠٠)، ورجحه - أيضًا - ابن حجر، وعلل ذلك بأن كتب أهل الكتاب ممتلئة بضرب الأمثال، فيبعد إنكارهم ما في كتبهم مثله. انظر: العجاب في بيان الأسباب، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ، (١/ ٢٤٧).

فأخبر ﷻ أنَّه لا يستحيي[١] أن يضـــرب الأمثال في البعوضة فمـــا فوقها[٢]، فالله تعالى لا يستحي أن يضرب في الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها[٣].

وضرب الأمثال بالبعوضة فما فوقها، إذا تضمن تحقيق الحق، وإبطال الباطل كان من أحسن الأشياء، والحسن لا يستحيا منه، فهذا جواب اعتراض المعترض[٤].

فالله ﷻ هو الذي خلق البعوضة وخلق ما هو أكبر منها، وما هو دونها، ولا يعجزه سبحانه شيء، وهو سبحانه يضرب الأمثال مما شاء.

«وكيف يمتنع من ضرب المثل بالبعوضة ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يخلقوا

---

(١) صفة الحياء من الصفات الثابتة لله تعالى، كما دلت عليها هذه الآية، ودلت عليها السنة، منها: حديث أبي واقد الليثي في قصة الثلاثة الذين أقبلوا إلى المسجد، فأقبل اثنان وذهب واحد، وفيه: قال رسول الله ﷺ: ((وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه))، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس (٨) برقم (٦٦)، وقوله ﷺ: ((إن الله ﷻ حيي ستير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر))، أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الحمام، باب النهي عن التعري (١٥١٦) برقم (٤٠١٢)، والنسائي في السنن الصغرى، في كتاب الغسل والتيمم، باب: الاستتار عند الغسل (٢١١٢) برقم (٤٠٦)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٣٦٧) برقم (٢٣٣٥).

وقال ابن القيم رحمه الله في متن القصيدة النونية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ (٢٠٧):

وهو الحيي فليس يفضح عبده ... عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره ... فهو الستير وصاحب الغفران

وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ١٨١).

والقول في هذه الصفة كالقول في سائر صفاته سبحانه، فنثبت له سبحانه حياءً لا كحيائنا، كما أثبت لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ.

(٢) ما فوقها، فيه قولان: ما هو أكبر منها، وقيل: ما هو أصغر منها. انظر: زاد المسير (١/ ٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٦١)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٩٣).

(٣) انظر: جامع البيان (١/ ٤٠١).

(٤) انظر: بدائع الفوائد (٤/ ١٥٤٩-١٥٥٠).

بعوضة لا يقدرون عليه»(١).

ثم أخبر سبحانه عن موقف المؤمنين وموقف الكافرين من هذه الأمثال التي يضربها الله سبحانه، فالذين آمنوا يفهمونها، ويتفكرون فيها، فإن علموا تفاصيلها ازداد بذلك علمهم، وإيمانهم، وإن لم يعلموا تفاصيل ذلك علموا أن ذلك حق، وأن الله تعالى لا يضرب الأمثال عبثًا.

وأما الكافرون، فيعترضون ويتحيرون، فيزدادون كفرًا إلى كفرهم(٢).

٢- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠-١٧١].

فهذا مثل ضربه الله تعالى، شبه فيه الكفار وداعيهم هو محمد ﷺ بالراعي الذي ينعق بدوابه من الإبل والغنم، وهي تسمع دعاءه ونداءه ولكنها لا تفهم ما يقول، واختار هذا القول الطبري رحمه الله(٣).

وقيل: المراد تمثيل الكفار حين يدعون آلهتهم الجامدة كمثل الراعي الذي ينعق بدوابه، فالناعق هو العابد الداعي للصنم، والمنعوق به هو المدعو، فحال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه، فهو حين يصيح في جوف الجبال يسمع الصدى لا يفهم منه شيئًا(٤).

فهذا ذم لهؤلاء الكفار الذين يسمعون دعوة النبي ﷺ ثم يعرضون عنها بحجة اتباعهم ما ألفوا عليه آباءَهم مع جهل الآباء والأبناء «هؤلاء المقلدون مثَّلهم القرآن بالسوائم والبهائم تطيع صيحات راعيها من غير تفكير في مدلولاتها الوضعية، لا تفهم أوامره، ولا تفقه نواهيه، ولا تعقل صيحاته ونداءاته، بل تسمع أصواتًا منه اعتادت عليها، تُدعى بصوت فتأتي وتقبل،

(١) بحر العلوم (١/ ٦٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٧).

(٣) انظر: جامع البيان (٣/ ٣١٣).

(٤) انظر: جامع البيان (٣/ ٣٠٨-٣١٣)، ومعالم التنـزيل (١/ ١٨١-١٨٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢١٩-٢٢٠)، وزاد المسير (١/ ٧٤).

وتصرف بآخر فتدبر وتعود»(١).

٣- قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧].

يخبر الله تعالى عن حال رجل آتاه الله تعالى علمًا من علم الكتاب(٢)، وعلم الأنبياء حتى صار عالمًا كبيرًا، ولكنه انسلخ وابتعد عن هذا العلم وعن الانتفاع به، فتسلط عليه الشيطان حين ترك هذا الهدى الذي كان عليه، فأزه إلى المعاصي، فصار الشيطان قرينه، يتبع أوامره، ويقتدي به(٣).

ثم أخبر سبحانه أنه لو شاء لرفع هذا الذي آتاه الله تعالى آيته، ولكنه أخلد إلى الأرض، أي: سكن إلى الحياة الدنيا ومال إليها وآثر لذاتها، وشهواتها على الآخرة، واتبع هواه ورفض طاعة الله وخالف أمره(٤).

ثم ضرب الله تعالى مثلاً بهذا الكافر الذي انسلخ عن آياته بأخس حيوان في أخس حال، حيث ضرب له المثل بالكلب، فإنك إن حملت على الكلب وطردته يلهث، وإن تتركه يلهث، فكذلك الكافر، إن وعظته وزجرته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال، واللهث:

---

(١) الأمثال في القرآن، محمود بن الشريف، دار عكاظ، الرياض، ط٢، (٢٢).

(٢) اختلف أهل التفسير في المقصود بالذي آتيناه آياتنا على أقوال: قيل: هو رجل من بني إسرائيل، يقال له: بلعام بن باعوراء، وقيل: إنه أمية بن أبي الصلت، وقيل: كان رجلاً من الكنعانيين. انظر: جامع البيان (١٣/ ٢٥٢-٢٥٧)، ومعالم التنـزيل (٣/ ٣٠١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٠٣-٣٠٤)، ورجح ابن كثير أن المشهور أنه رجل من المتقدمين من بني إسرائيل، ولا يمنع أن يكون أمية بن أبي الصلت يشبهه. انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٠٨).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٥٠).

(٤) انظر: جامع البيان (١٣/ ٢٦١).

إدلاع اللسان(١).

يقول ابن القيم رحمه الله: «فشبه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به، واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق؛ بالكلب الذي هو أخبث الحيوانات، وأوضعها قدرًا وأخسها نفسًا، وهمته التي لا تتعدى بطنه، وأشدها شرهًا وحرصًا.

...وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلِها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب في حال لهثه سر بديع، وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله ﷻ والدار الآخرة، فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه، واللهف واللهث شقيقان في اللفظ والمعنى»(٢).

فجاء تشبيه من أعطاه الله تعالى علمًا ثم انسلخ منه بسبب تقديمه الدنيا على الآخرة بنوع من أخس الحيوان، وهو: الكلب في أخس صفة، إذ هو يلهث دائمًا، إن حُمِل عليه أو ترك، وهذا حال صاحب الدنيا الذي آثرها على الآخرة.

٤- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

فمثل الله تعالى حال هؤلاء الكفار الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يبصرون الهدى بالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يعيشها في الدنيا، بل هم أضل منها(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٢٣٣).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٦٥-١٦٦).

(٣) يأتي الحديث عن هذه الآيات في الفصل الخامس في مبحثي: تفضيل الأنعام على المشرك، وتشبيه الكافرين ببعض الحيوان.

٥- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

إنه نداء من الله تعالى إلى الناس جميعهم، ليخبرهم بأن كل ما يدعون من دون الله تعالى، من تلك المعبودات الباطلة من أصنام وأوثان، أو من بشر، أو من كواكب سيارة، أو غيرها من الآلهة المختلفة، التي تزعمون أنها تمدكم بالعافية، أو السلطان، أو تعينكم في طلب الرزق، أو أي شيء قد تبغونه، فإن دعواتكم لها وطلب عونها لكم كله باطل، ولا جدوى منه؛ لأن تلك المعبودات لا تقدر على شيء إلا أن يشاء الله؛ بل جميع هذه المعبودات التي تدعى من دون الله تعالى ليس لها أدنى قدرة، أو أدنى إمكانية على خلق ذباب، ولو اجتمعوا له، وتعاونوا عليه، مع أن الذباب من الكائنات الحية الأقل صغرًا في دنيا الأرض.

والأمر في الخلق ليس منوطًا بالصغر والكبر من حيث الأحجام والأشكال، فالذي خلق الذباب الصغير، وغيره من الحشرات، هو الذي خلق الإبل والفيل وغيرها.

بل هذه المعبودات في غاية الضعف، والقرآن الكريم يبرز هنا الضعف المزري لهذه المعبودات - أيضًا - عندما يقول: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُ﴾ [الحج: ٧٣].

فهذه الآلهة المزعومة لا يقف عجزها عند عدم استطاعتها خلق الذباب، بل وينعدم شأنها بتاتًا إن يسلبها هذا الذباب شيئًا، بحيث لا تملك أي قدرة أو وسيلة على استنقاذه أو استرجاعه منه، فهذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالى عاجزة عن إنقاذ ما يسلبها الذباب، وهو الكائن المعروف بضعفه وهزاله، فمعنى ذلك أن تلك الآلهة أشد ضعفًا منه(١).

فالآلهة المعبودة لا تقدر على استرجاع ما سلبها منه الذباب، مع ضعف الطالب الذي هو الصنم، والآلهة المعبودة، وضعف المطلوب - أيضًا - وهو الذباب الذي سلبها ذلك

---

(١) انظر: معجم الأمثال في القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ، (٤٣٤-٤٣٦).

الشيء[(١)].

ويبين الإمام ابن القيم رحمه الله روعة هذا المثل، الذي ضربه الله تعالى للناس، وكيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان، فيقول: «فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه، فمن لم يسمعه فقد عصى أمره، كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبارة وأحسنها، وأحلاها، وسجل على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد، وعاون بعضهم بعضًا بأبلغ المعاونة لعجزوا عن خلق ذباب واحد، ثم بين عجزهم وضعفهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين يسقط عليهم، فأي شيء أضعف من هذا الإله المطلوب، ومن عابده الطالب نفعه وخيره، فهل قدَّر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه آلهة هذا شأنها؟»[(٢)].

٦- قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين، الذين يعبدون معه غيره، يرجون منهم النفع، ودفع الضر، ويدعونهم من دون الله تعالى، فإن مثلهم كمثل العنكبوت، اتخذت بيتًا يحميها من الحر والبرد والآفات، وهو بيت ضعيف متى مسته أدنى هابة أذهبته، فهو كما وصفه الله تعالى (أوهن البيوت)، فهو لا يقيها حرًّا ولا بردًا، كذلك حال هؤلاء الذين يتخذون من دون الله أولياء يرجون نفعهم، ويخافون ضرهم، يتعززون بهم، ويستنصرونهم، وهم فقراء عاجزون من جميع الوجوه، فلم يزدادوا بذلك إلا ضعفًا إلى ضعفهم، ووهنًا إلى وهنهم، فكما أن بيت العنكبوت لا يغني من حر ولا برد ولا مطر فكذلك آلهتهم لا تدفع عنهم ضرًّا ولا تقدر

---

(١) انظر: جامع البيان (١٨/ ٦٨٥)، وتفسير القرآن العظيم (٥/ ٤٥٠)، وقيل: الطالب هو: العابد، والمطلوب، هو: الصنم، ورجح الطبري وابن كثير القول الأول.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، اختصار: محمد الموصلي، تحقيق: د. حسن العلوي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، (١/ ١٨٤-١٨٥).

لهم نفعًا[(١)].

ويتحدث الرازي رحمه الله عن بيان الحكمة من ضرب المثل ببيت العنكبوت، دون غيره، فيقول: «فيه وجوه: الأول: أن البيت ينبغي أن يكون له أمور: حائط حائل، وسقف مظل، وباب يغلق، وأمور ينتفع بها ويرتفق، وإن لم يكن كذلك فلا بد من أحد أمرين، إما حائط يمنع من البرد وإما سقف مظل يدفع عنه الحر، فإن لم يحصل منها شيء فهو كالبيداء ليس ببيت، لكن بيت العنكبوت، لا يجنُّها ولا يكنُّها، وكذلك المعبود ينبغي أن يكون منه الخلق والرزق، وجر المنافع ودفع المضار، فإن لم تجتمع هذه الأمور فلا أقل من دفع ضرٍّ أو جر نفعٍ، فإن من لا يكون كذلك فهو المعدوم بالنسبة إليه سواء، فإذن كما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معاني البيت شيء، كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معاني الأولياء شيء.

الثاني: هو أن أقل درجات البيت أن يكون للظل فإن البيت من الحجر يفيد الاستظلال ويدفع أيضًا الهواء والماء، والنار والتراب، والبيت من الخشب يفيد الاستظلال ويدفع الحر والبرد ولا يدفع الهواء القوي ولا الماء ولا النار، والخباء الذي هو بيت من الشعر أو الخيمة التي هي من ثوب إن كان لا يدفع شيئًا يظل ويدفع حر الشمس، لكن بيت العنكبوت لا يظل فإن الشمس بشعاعها تنفذ فيه، فكذلك المعبود أعلى درجاته أن يكون نافذ الأمر في الغير فإن لم يكن كذلك فيكون نافذ الأمر في العابد، فإن لم يكن أقل من ألاَّ ينفذ أمر العابد فيه، لكن معبودهم تحت تسخيرهم، إن أرادوا أجلُّوه وإن أحبوا أذلّوه.

الثالث: أدنى مراتب البيت أنه إن لم يكن سبب ثبات واتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق، لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت، فإن العنكبوت لو دام في زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها، فإذا نسج على نفسه واتخذ بيتًا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت، فكذلك العابد بسبب العبادة ينبغي أن يستحق الثواب، فإن لم يستحقه فلا أقل من ألاَّ يستحق بسببها العذاب، والكافر

---

(١) انظر: بحر العلوم (٢/ ٦٣٤)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٨٨-٢٨٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٧٤١).

يستحق بسبب العبادة العذاب»[١].

٧- قال تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

ضرب الله تعالى في هذه الآية للصوت الرفيع مثلاً، وهو: صوت الحمير، لشدة أصواتها، وقد ضرب الله تعالى به المثل؛ لأن صوت الحمار كان هو المعروف عند العرب وغيرهم بالقبح[٢].

والحمار يضرب به المثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهيقه، وفي هذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس، وقد كانت العرب تفخر بجهارة الصوت، فعندهم من كان أشدَّ صوتًا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل، فنهى الله سبحانه عن خلق الجاهلية هذا، فلو كان شيء يهاب لصوته، لكان الحمار فجعلهم في المثل سواء[٣].

«فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار الذي قد علمت خسته وبلادته»[٤].

فعلى المسلم أن ينقص من صوته ويخفضه، ولا يتكلف رفعه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي السامع[٥].

٨- قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [القمر: ٦-٧].

أمر الله تبارك وتعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يعرض عن هؤلاء المشركين من قومه الذين إن يرو آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر، فإنهم حين يدعو داعي الله تعالى إلى موقف القيامة، ذلك الشيء النكر، فإنهم يخرجون من قبورهم ذليلة أبصارهم خاضعة، وأضاف الخشوع إلى

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٢٥/ ٦٠).
(٢) انظر: بحر العلوم (٣/ ٢٤-٢٥).
(٣) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ٢٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٧٣).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧٦٢).
(٥) انظر: فتح القدير (٢٣٩).

الأبصار؛ لأن العز والذل يتبين فيها، وهذا كله حين يرون العذاب[١].

ثم شبه سبحانه خروجهم من القبور وسيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي بالجراد المنتشر المنبث في الآفاق؛ فكأنهم من كثرتهم وروجان بعضهم ببعض كالجراد المبثوث في الأرض المتكاثر جدًّا[٢].

٩- قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

هذا مثل ضربه الله تعالى لليهود، والنصارى الذين آتاهم الله التوراة وكلفوا بأن يعملوا بما فيها، ثم لم يعملوا بما أمروا فيها من الأمر والنهي والإيمان بمحمد ﷺ واتِّبَاعه والتصديق به، فمثلهم كمثل الحمار الذي يحمل على ظهره كتبًا ولا يدري ما فيها[٣].

فهؤلاء اليهود والنصارى الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها «مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارًا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟.

فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجلِّه وأعظمه الأمر باتباع محمد ﷺ، والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران، وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم»[٤].

وفي هذا تنبيه من الله تعالى لكل من حمل الكتاب أن يتعلم ما فيه ويفهم معانيه، ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق بهؤلاء[٥].

يقول ابن القيم رحمه الله: «فقاس من حمَّله سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به، ويدعو إليه، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقرأه بغير تدبر ولا تفهم ولا

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٢/ ٥٧٣)، ومعالم التنـــزيل (٧/ ٤٢٧)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢١٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٥١)، وتيسير الكريم الرحمن (٩٧٢).

(٣) انظر: جامع البيان (٢٣/ ٣٧٧)، وبحر العلوم (٣/ ٤٢٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥/ ٤٣٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (١٠١٧).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٩١).

اتباع له، ولا تحكيم له، وعمل بموجبه، كحمار على ظهر زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حمله على ظهره ليس إلا؛ فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حَمَل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته»(١).

١٠- قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

يشبه الله تعالى حال كفار قريش حين ينفرون من القرآن والتذكير بمواعظه بحمير الوحش إذ نفرت وهربت من القسورة، والقسورة قيل: الأسد، وقيل: الرماة، وقيل: حبال الصيادين(٢).

«وهذا من بديع التمثيل، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله كالحُمُر، فهي لا تعقل شيئًا، فإذا سمعت صوت الأسد والرامي نفرت منه أشد النفور، وهذا غاية الذم لهؤلاء، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحُمُر عمَّا يهلكها ويعقرها، وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة؛ فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضًا وحضه على النفور، فإن في الاستفعال من الطلب قدرًا زائدًا على الفعل المجرد فكأنها تواصت بالنفور، وتواطأت عليه»(٣).

١١- قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٣].

وصف الله تعالى النار بأنها عظيمة، وأنها ترمي بشرر كبير، كل شرارة منها كالقصر في عظمها، والقصر قيل: هو البناء العالي(٤)، وقيل: الجبل، وقيل: أصول الشجر والنخل العظام،

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٢٤/ ٣٩-٤٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٩٩)، ومعالم التنزيل (٨/ ٢٧٤)، وزاد المسير (٨/ ٤١٢-٤١٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٦-٨٧).

(٣) أعلام الموقعين (١/ ١٦٤).

(٤) ورجحه الطبري. انظر: جامع البيان (٢٤/ ١٣٨).

وقيل: أعناق الإبل[(١)].

ثم شبه ﷻ هذا الشرر باعتبار لونه بالجمالة الصفر، وهي الإبل السود؛ لأن العرب تسمي السود من الإبل صفرًا، أو سميت سودًا؛ لأنه يشوب سوادها شيء من الصفرة.

وقيل الجمالات الصفر هي: حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال[(٢)].

واختار ابن جرير الطبري رحمه الله القول بأنها الإبل السود، والله أعلم[(٣)].

فهذا فيه بيان لعظم هذه النار؛ حيث بين الله تبارك وتعالى عظم شررها، ففي الأول ذكر تشبيه النار بالقصر في العظم، وفي الثاني تشبيه بالإبل السود، وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة[(٤)].

١٢- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

شبه الله تعالى حال الناس يوم القيامة بالفراش المبثوث، وهو: المتفرق، فهم كالفراش المبثوث في كثرتهم وانتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، وحيرتهم مما هم فيه، والضعف والذلة والاضطراب الذي هم عليه[(٥)].

فهذا حال الناس يوم القيامة لما فيه من الأهوال العظيمة، وهم أهل العقول في الدنيا[(٦)].

«قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم كالفراش المبثوث، لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام، ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر، فيكونون حينئذ كالجراد

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٤/ ١٣٧-١٣٨)، ومعالم التنزيل (٨/ ٣٠٦-٣٠٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٥٧-١٥٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٢٤/ ١٣٩-١٤١)، ومعالم التنزيل (٨/ ٣٠٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٥٨-١٥٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٢٤/ ١٤١).

(٤) إرشاد العقل السليم (٩/ ٨١).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٤٨٩)، وإرشاد العقل السليم (٩/ ١٩٣).

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن (١١٠١).

المنتشر يقصد إلى جهة واحدة»[١].

«لا أحد يعلم ما تكون عليه أحوال الناس في ذلك اليوم العظيم، لأنها فوق تصوراتهم، إنما يقف علمهم عند حدود الوصف الذي يأتيهم به البيان القرآني من حيث إنهم يكونون كالفراش الذي ينتشر، لكثرته بكثافة في أرجاء واسعة فيغطيها، والتشبيه للناس بالفراش للتدليل على ما يكونون عليه يومئذ من الضعف والوهن، ومن الحساسية والرهافة بحيث لا يقدرون على شيء، وهم يساقون إلى مصائرهم، كالفراش تمامًا في ضعفه وقلة حيلته، وهو يتداعى على النار، ويتهافت على الضوء فيحترق، دون أن يكون له القدرة على الإفلات بعد الوقوع في النار، التي يشده إليها انبعاث ضوئها»[٢].

وقد تبن للباحث أنَّ المسائل المتعلقة بالحيوان فيها مسائل كثيرة متعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام، منها ما جعله الله تعالى آية لبعض أنبيائه، ومنها ما ظهرت فيه بعض دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها أمثلة مضروبة في القرآن الكريم الذي هو أعظم آيات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٤/ ٢١٥).

(٢) معجم الأمثال في القرآن الكريم (٢٥٨).

الفصل الرابع

المسائل المتعلقة باليوم الآخر

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: أشراط الساعة المتعلقة بالحيوان.

المبحث الثاني: التناسخ بين الإنسان والحيوان عند من يقول به.

المبحث الثالث: سماع الحيوان لعذاب القبر.

المبحث الرابع: بعث الحيوان وحشره يوم القيامة.

المبحث الخامس: القصاص بين الحيوانات يوم القيامة.

المبحث السادس: حيوانات الجنة.

المبحث السابع: حيوانات النار.

تمهيد: المراد باليوم الآخر:

اليوم الآخر هو يوم القيامة وسمي بذلك؛ لأنه آخر يوم لا يوم بعده، ويطلق على اليوم بهذا الاسم إذا كان لا ليل بعده؛ لأن كل يوم يأتي بعده ليل سوى اليوم الآخر فلا ليل بعده[١].

والمراد بالإيمان به التصديق بكل ما أخبر الله عز وجل، وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم مما يقع بعد الموت من نعيم القبر وعذابه، والبعث والحشر، والحساب والميزان، والصراط والجنة والنار، وغير ذلك مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[٢].

ومن علامة اليوم الآخر أشراط الساعة التي دل عليها القرآن والسنة الصحيحة، فيجب الإيمان بها.

وفي مسائل اليوم الآخر وأشراط الساعة مسائل لها علاقة بالحيوان يأتي ذكرها في هذا الفصل بتوفيق الله تعالى.

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٧١/١)، والمحرر الوجيز (٧٩/١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٥/٣-١٤٧) وشرح الأربعين النووية (٥٩-٦٠).

المبحث الأول

أشراط الساعة المتعلقة بالحيوان

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تكلم السباع.

المطلب الثاني: الجساسة.

المطلب الثالث: قتل عيسى عليه السلام للخنـــزير.

المطلب الرابع: الدابّة وعلاقتها بالحيوان.

المطلب الخامس: ترك القلاص، وعدم السعي إليها.

المطلب السادس: وقوع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم.

المطلب السابع: النَّغف الذي يرسله الله تعالى في رقاب يأجوج ومأجوج، والطير التي يرسلها الله عز وجل لتحملهم بعد نتنهم استجابة لدعاء عيسى عليه السلام وأصحابه، فتطرحهم حيث شاء الله.

تمهيد: تعريف أشراط الساعة:

الشرط لغة: الشَّرَط - بالتحريك - هو: العلامة، وجمعه: أشراط، يقال: أشرط طائفة من إبله وغنمه، أي: عزلها وأعلم أنها للبيع، وأشرط فلان نفسه لكذا وكذا: أعلمها له وأعدها، ومنه سمي الشُّرط؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها[(١)].

فأشراط الشيء في اللغة هي علاماته المتقدمة عليه والدالة عليه.

والساعة لغة: جزء من أجزاء الوقت من الليل والنهار، يجمع على ساعات وساع[(٢)].

والساعة في الاصطلاح الشرعي هي: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت بذلك لقلة الوقت الذي تقوم فيه، فهي ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم[(٣)].

معنى أشراط الساعة اصطلاحًا:

هي علامات يوم القيامة التي تسبق هذا اليوم وتكون دليلاً على قربه، قال ابن حجر رحمه الله: «والمراد بالأشراط العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[(٤)].

وهذه الأشراط جاء ذكرها في القرآن الكريم، فقال ﷻ: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ** ﴾ [محمد: ١٨]، أي: هل ينتظر الكفار والمنافقون إلا أن تأتيهم الساعة فجأة، فقد جاءهم علاماتها، والتي منها بعثة النبي ﷺ[(٥)].

وهذه العلامات قسمها كثير من العلماء إلى قسمين: الأول: أشراط الساعة الصغرى، وهي التي تتقدم الساعة بأزمان طويلة، وقد يظهر بعضها مصاحبًا لأشراط الساعة الكبرى.

الثاني أشراط الساعة الكبرى، وهي الأمور العظام، التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون

---

(١) انظر: لسان العرب (٧/ ٣٢٩)، مادة (شرط)، والنهاية في غريب الحديث (٤٧٣)، مادة (شرط).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٦٣).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤٥٤)، مادة (سوع).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٦/ ٥٥٤).

(٥) انظر: معالم التنـــزيل (٧/ ٢٨٤)، والمحرر الوجيز (٥/ ١١٦)، ومفاتيح الغيب (٢٨/ ٥٢).

غير معتادة الوقوع كظهور الدجال، وخروج الشمس من مغربها، وغيرها[١].

ولعل الأقرب – والله أعلم – أنَّ الكبرى هي التي جاءت في حديث حذيفة بن أسيد[٢] رضي الله عنه، وفيه: ((...إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات...))[٣].

ومن أشراط الساعة ما له علاقة بالحيوان، وهو الذي أُفرِد له هذا المبحث وبالله التوفيق.

(١) انظر: التذكرة (٥٢٢)، وأشراط الساعة، يوسف الوابل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٨، ١٤١٨هـ، (٧٧).

(٢) هو: حذيفة بن أسيد بن خالد الغفاري، أبو سريحة، شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة، نزل الكوفة، روى عنه الشعبي، والطفيل وغيرهما، توفي سنة ٤٢هـ. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٦٦٧-١٦٦٨)، والإصابة (٢/ ٤٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: الآيات التي تكون قبل الساعة (١١٨٠) رقم (٢٩٠١).

المطلب الأول: تكليم السباع:

من أشراط الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ كلام السباع للإنس، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: ((عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله؛ تنـــزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ؟ فقال: يا عجبي ذئب مقعٍ على ذنبه يكلمني كلام الإنس!، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ، فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: (أخبرهم) فأخبرهم.

فقال رسول الله ﷺ: صدق والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده))(١).

وعن أبي هريرةﷺ قال: ((جاء ذئب إلى راعي الغنم فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فصعد الذئب على تلٍّ فأقعى واستذفر، فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله ﷻ انتزعته مني، فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئبًا يتكلم، قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديًّا، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فأسلم وخبَّره، فصدقه النبي ﷺ، ثم قال النبي ﷺ: إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده))(٢).

فقد دلت النصوص السابقة على أنَّ من أشراط الساعة أن تكلم السباع الإنس، وهذا الكلام كلام حقيقي يجب الإيمان به وإن كان من الأمور الخارقة للعادة، لثبوت ذلك عن

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٨٢].

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٠٨].

النبي ﷺ، خلافًا لمن تأوله بأمور أخرى[١]، فإذا كان الذئب قد تكلم في عهد النبي ﷺ، وكذلك البقرة[٢]، والصحابة ﷺ قد سمعوا تسبيح الطعام والحصى بين يدي النبي ﷺ[٣]، فما المانع أن تتكلم السباع في آخر الزمان؟ والله ﷻ لا يعجزه شيء، فهو ﷻ الذي خلقها وهو القادر على إنطاقها بمشيئته وقدرته، فالخلق والإيجاد أعظم من الكلام، والفيصل في ذلك كله ما أخبر الله تعالى به أو أخبر به نبيه ﷺ فوجب الإيمان والتسليم بذلك.

(١) ممن تأول ذلك أحمد بن الصديق الغماري؛ حيث جعل ذلك إشارة إلى السيرك الذي تستخدم فيه الأسود والنمور وغيرها من السباع في الألعاب العجيبة والحركات الغريبة، وأنها تخاطب فتفهم، وتؤمر وتنهى فتأتمر وتنتهي حسب إرادة اللاعب بها. انظر: مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية، أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط٦، ١٣٩١هـ، (٢٢).

وقد رد عليه الشيخ حمود التويجري رحمه الله بأن ظاهر الأحاديث يدل على أن السباع تكلم الإنسان في آخر الزمان كلامًا حقيقيًّا، كما وقع ذلك في زمن النبي ﷺ، وهذا هو الذي فيه خرق للعادة مما جعل الصحابة يستغربون ذلك، وأما استخدام السباع في الألعاب العجيبة والحركات الغريبة فليس بمستغرب منها كما يستغرب من تكليمها للإنس بالكلام الحقيقي، وقد وجد نطق الجمادات في زمان النبي ﷺ، فدلَّ ذلك على أنَّه غير مستبعد أن يكون ذلك في آخر الزمان أيضًا. انظر: إيضاح الحجة على صاحب طنجة، حمود عبد الله التويجري، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ط١، (٢٤-٢٧).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٨٢].

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [١٧١].

المطلب الثاني: الجسَّاسة:

من أشراط الساعة الكبرى التي أخبر عنها النبي ﷺ: المسيح الدَّجال، وقد جاء ذكره في أحاديث كثيرة، منها: حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها(١)، الطويل، في قصة تميمٍ الداري رضي الله عنه(٢) حين ركب البحر هو ومن معه، وفيه ذكر الجسَّاسة(٣)، ففي هذا الحديث: ((...فدخلوا الجزيرة، فلقيهم دابّة أهْلَبُ كثيرة الشعر(٤)، لا يدرون ما قُبُله من دُبُره، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ قالت أنا الجسَّاسة...الحديث))(٥).

وفي رواية: ((فإذا أنا بإنسان لا يدرون أذكر هو أم أنثى من كثرة الشعر))(٦).

وفي رواية: ((فإذا أنا بامرأة تجر شعرها))(٧).

وفي رواية: ((فلقيتنا جارية تجر شعرها لا ندري مقبلة هي أم مدبرة))(٨).

وقد جمع بعض العلماء بين هذه الروايات باحتمالات ثلاثة(١):

---

(١) هي: فاطمة بنت قيس بن خالد، القرشية، الفهرية، أخت الضحاك بن قيس، كانت من المهاجرات الأول، وكانت ذات جمال وعقل، تزوجها أبو بكر بن حفص، ثم طلقها، فتزوجت أسامة بن زيد بإشارة من النبي ﷺ، اجتمع أهل الشورى في بيتها لما قتل عمر رضي الله عنه. انظر: أسد الغابة (٥/ ٢٤٨-٢٤٩)، والإصابة (٨/ ٦٩).

(٢) هو: أبو رقية تميم بن أوس بن حارثة الداري، كان نصرانيًّا، وقدم المدينة فأسلم، من مناقبه: أنّ النبي ﷺ حدّث عنه حديث الجسَّاسة هذا، كان إسلامه سنة تسع للهجرة، هو وأخوه أبو نعيم، كان كثير التهجد بالليل، روى عن: شرحبيل وعطاء بن يزيد وغيرهم، وتوفي بالشام. انظر: الاستيعاب (١/ ١٩٣-١٩٤)، والإصابة (١/ ٣٦٨).

(٣) سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدَّجَّال. انظر: معالم السنن (٤/ ٣٤٨).

(٤) أهْلَبُ الشعرِ: أي غليظ الشعر. انظر: إكمال المعلم (٨/ ٥٠٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن، باب قصة الجسَّاسة (١١٨٨) برقم (٢٩٤٢).

(٦) أخرجها الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٣٩٢) برقم (٩٦٠).

(٧) أخرجها أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب: في خبر الجساسة (١٥٣٨) برقم (٤٣٢٨).

(٨) أخرجها ابن حبان في صحيحه (١٥/ ١٩٣) رقم (٦٧٨٧).

١- يمكن أن يكون للدَّجَّال جسَّستان: دابّة وامرأة.

٢- أنها امرأة وسميت بالدابّة لجواز إطلاق الدابّة على المرأة لغة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦].

٣- أنَّ الجساسة شيطان، يتمثل بأي صورة شاء، فتارة بصورة امرأة، وتارة أخرى بصورة دابّة.

فالذي دلت عليه السنة، ويجب الإيمان به: وجود الجسَّاسة التي تجس الأخبار للدَّجال، وقد تكون من الحيوان، أو من البشر، أو مخلوق آخر غيرهما - الله أعلم به - فلا أحد يستطيع الجزم بشيء من ذلك.

ولَّما كانت الدابّة يحتمل كونها من الحيوان أو غيره جاء ذكرها في هذا البحث والله أعلم.

(١) انظر: عون المعبود (١١/ ٣١٥)، وبذل المجهود في حل سنن أبي داود، خليل أحمد السهار نفوري، اعتنى به وعلق عليه: تقي الدين الندوي، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، (١٢/ ٣٧٧)، وفتح الودود في شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، تحقيق: محمد زكي الخولي، مكتبة لينة، مصر، ومكتبة أضواء المنار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢١هـ، (٤/ ٢٥٣).

المطلب الثالث: قتل عيسى عليه السلام للخنزير:

من أشراط الساعة الكبرى: نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان إمامًا عادلاً، وحكمًا مقسطًا، وقد تواترت الأخبار بذلك(١)، ومن الأعمال التي يقوم بها عيسى عليه الصلاة والسلام بعد نزوله ولها علاقة بالحيوان: ما أخبر عنه النبي ﷺ من أنه يقتل الخنــزير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينــزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنــزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها)، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]))(٢).

فعيسى عليه السلام حين ينــزل آخر الزمان، ينــزل حاكمًا بهذه الشريعة، لا ينــزل نبيًّا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم عادل مقسط من حكَّام هذه الأمة(٣)، وبعد نزوله عليه الصلاة والسلام يقتل الخنــزير الذي تعظّمه النصارى، ليبطل زعمهم ذلك، وليبين حرمة الخنــزير في شريعة عيسى عليه السلام، كما هو محرم في شريعة محمد ﷺ(٤).

ففي الحديث إبطال لشريعة النصارى في استباحة لحوم الخنازير، وأنها لا تقتنى للأكل(٥).

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٥٨)، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٣)، وعون المعبود (١١/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (٢٨١) برقم (٣٤٤٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حكمًا بشريعة نبينا...(٧٠٣) برقم (١٥٥).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٠).

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٣٤٤)، والمفهم (١/ ٣٧٠)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٨٩).

(٥) انظر: أعلام الحديث (٢/ ١٠٩٨).

المطلب الرابع: الدابّة وعلاقتها بالحيوان:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعيين الدابّة والمراد بها:

الدابّة لغة:

دبَّ يدبُّ دبًّا، أي: مشى يمشي مشيًا رويدًا، والدابّة: كل ما يدب على الأرض للمذكر والمؤنث، جمعه دواب، وتصغيره: دويبة(١).

فالدابّة اسم لما دبَّ من الحيوان، مميزة وغير مميزة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥](٢)، وكل ما مشى على الأرض فهو دابّة(٣).

وقد غلب اسم الدابّة على ما يُركب من الحيوان(٤)، ويدخل في مسمى الدابّة الطير، خلافًا لمن أخرج الطير من الدواب، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]، فإنَّ الطير يدب على رجليه في بعض الحالات(٥)، بل يدخل في إطلاق الدابّة على الصحيح حيوان البحر أيضًا(٦).

الدابّة شرعًا:

هي تلك الدابّة العظيمة التي تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى، وتبديلهم الدين الحق، فتكلم الناس، تكليمًا خارقًا للعوائد المألوفة(٧).

والدابّة من أشراط الساعة الكبرى جاءت أدلة كثيرة على ذلك منها:

---

(١) انظر: لسان العرب (١/ ٣٦٩) مادة (دبب)، والمعجم الوسيط (٢٦٨).

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ٣٦٩) مادة (دبب).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٢٦٣)، مادة (دب).

(٤) انظر: لسان العرب (١/ ٣٧٠) مادة (دبب).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٠١)، وحياة الحيوان (٢/ ٢٩٢).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ١٧٥)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٣٩).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٢٠)، وتيسير الكريم الرحمن (٧١٤).

١- قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]، ومعنى الآية: «إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابّة من الأرض، وخروج الدابّة من أشراط الساعة»[١].

٢- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ أول الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابّة على الناس ضحًى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا))[٢].

٣- عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: ((اطلع النبي ﷺ علينا، ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر: الدخان والدجال والدابّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم))[٣].

وقد اختلف العلماء كثيرًا في تعيين هذه الدابّة، وبيان المراد بها[٤]، وأشهر هذه الأقوال ما يلي:

١- أنَّ الدابّة هي: الجسَّاسة، التي سبق الحديث عنها، ولا دليل لهذا القول إلاّ ما جاء في حديث تميم الدّاري من وصف الجسَّاسة بأنها: ((دابّة أهلب، كثير الشعر، لا يدرون ما قُبُلها من دُبُرها))[٥]، وبما يروى عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، من

---

(١) التسهيل لعلوم التنـــزيل (٣/ ١٠٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب: في خروج الدجال (١١٨٨) رقم (٢٩٤١)

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٥٧].

(٤) انظر هذه الأقوال في: الدابة، دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، د. محمد العلي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ (٣٣-٦٤)، وأشراط الساعة للوابل (٤٠٧-٤١٣).

(٥) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٦٠].

أنَّ الدابّة هي: الجسَّاسة[١].

ووصف الجسَّاسة بأنها دابّة لا يدل على أنها الدابّة التي جاءت بها الأدلة، والتي هي من أشراط الساعة الكبرى، وكذلك ما روي عن ابن عمرو بن العاص لو ثبت فلا يدل على ذلك، بل هو: مجرد اجتهاد منه يحتاج إلى نص من الوحي[٢].

٢- الدابّة هي فصيل ناقة صالح، ورجح هذا القول القرطبي رحمه الله، واستدل له بما جاء عن النبي ﷺ حين ذكر الدابّة، فقال: ((لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج في أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني: مكة، ثم تكمن زمانًا طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية، يعني: مكة، قال رسول الله ﷺ: ثم بينما الناس في أعظم المساجد على حرمة، وخيرها وأكرمها المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغو[٣] بين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب...الحديث))[٤].

واستدل القرطبي من قوله في الحديث: (وهي ترغو)، والرغاء إنما هو للإبل، وأن الفصيل لما قتلت الناقة قيل: إنه هرب بنفسه فانفتح له حجر فدخل فيه ثم انطبق عليه، فهو فيه إلى وقت خروجه حتى يخرج بإذن الله تعالى[٥].

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٣٨٨)، وأنوار التنـــزيل (٢/ ١٨٣)، والتذكرة (٥٧٨)، وشرح صحيح مسلم (١٨/ ٢٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٥).

(٢) انظر: الدابة (٣٥).

(٣) الرغاء هو: صوت ذوات الخف، والرغاء صوت الإبل، وقد قيل ذلك للضباع والنعام. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٢٩) مادة (رغا).

(٤) مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر الطبعة، (١/ ١٤٤) رقم (١٠٦٩)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٣٠) رقم (٨٤٩٠)من حديث حذيفة بن أسيد، وصحح إسناده، وقال عنه الذهبي: طلحة بن عمرو الحضرمي ضعفوه وتركه أحمد، وفي: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر البوصيري (٨/ ١٠٧) رقم (٧٥٩٩)، قال: في إسناديهما طلحة بن عمرو الحضرمي وهو ضعيف، وانظر: الدابة (٧٣).

(٥) انظر: التذكرة (٥٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٥).

والاستدلال بهذا الحديث لا يستقيم لأمور:

أولاً: أنَّ هذا الحديث ضعيف.

ثانيًا: لو صح هذا الحديث فلا دلالة فيه، وقوله: (ترغو) لا يكفي دليلاً على إثبات أن الدابّة هي هذا الفصيل، وهذا أمرٌ غيبـــي يحتاج إلى نص صحيح صريح يدل عليه.

ثالثًا: جاء في بعض الروايات لفظة (تربو) بدل (ترغو).

٣- أنَّ الدابّة هي الثعبان المشرف على جدار الكعبة، والتي اقتلعها الطائر حين أرادت قريش بناء الكعبة ثم انطلق بها ورماها[١].

وهذا القول لا دليل عليه من الكتاب والسنة، ولم يثبت عن ابن عباس رضي الله عنه الذي نسب إليه هذا القول ولا غيره من الصحابة.

٤- أنَّ الدابّة اسم جنس لكل ما يدب على الأرض، وليست دابّة واحدة، بل هي مبثوث نوعها في الأرض، فهي تخرج في كل بلد وكل قوم[٢].

الرد على هذا القول[٣]:

أولاً: أنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية قد دلاَّ على أن الدابّة واحدة وليست اسم جنس لكل ما يدب على الأرض.

ثانيًا: أنَّ دابّة الأرض من خوارق العادات، غير المألوفة للناس، وما كان كذلك فهو مما يعجز عنه الخيال، ومما لم يسبق له الخروج بين الناس.

ثالثًا: الأدلة قد دلت على أن خروج الدابّة من أشراط الساعة الكبرى، وأنها إذا خرجت لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، فلو كانت الدابّة اسم

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٧١)، والتذكرة (٥٧٨)، وروح المعاني (٢٠/ ٢٢)، وحياة الحيوان (٢/ ٣١٣)، والمفهم (٧/ ٢٤٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٧١)، والبحر المحيط (٧/ ٩١)، وحياة الحيوان (٢/ ٣١٢)، وروح المعاني (٢٠/ ٢٢).

(٣) انظر: إتحاف الجماعة (٣/ ١٨٦-١٨٧)، والدّابة (٥٥-٥٦).

جنس تخرج على كل قوم لما كان الإيمان نافعًا لمن آمن بعد خروجها، ويلزم من ذلك نفي الإيمان عن كل المؤمنين الذين آمنوا بعد الخروج، المتعدد من الأزمان المتفاوتة، وهو معلوم البطلان بالضرورة.

رابعًا: في هذا القول تحكيمٌ للعقول في الأمور الغيبية، مما يؤدي إلى تأويل النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث على خلاف مرادها الصحيح.

٥- أنّ الدابّة إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم ليقتطعوا فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة[١]، واستدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾، والكلام لا يصدر إلا من إنسان[٢].

واستدلوا أيضًا بما يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل عن الساعة، فقال: ((أما والله ما لها من ذنب وإنَّ لها للحية))[٣].

فقالوا: في ذلك إشارة إلى أنَّ الدابّة رجل وليست من الدواب[٤].

الرد على هذا القول:

أولاً: هذا القول لا دليل عليه من كتاب أو سنة، ولو كان المراد بها إنسانًا يناظر أهل البدع لم يكن هذا فيه آية خاصة خارقة للعادة، فإن وجود المناظر لأهل البدع كثير في تاريخ الإسلام[٥].

ثانيًا: في تسمية العلماء الذين يناظرون أهل البدع بالدابّة عدول عن تسميتهم باسم

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٥)، والتذكرة (٥٧٧)، والمفهم (٧/ ٢٤٠).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٥)، والمفهم (٧/ ٢٤٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٣)، والنكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (٤/ ٢٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٥).

(٤) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٣).

(٥) انظر: التذكرة (٥٧٨)، والمفهم (٧/ ٢٤٠).

الإنسان والعالم أو الإمام، وهذا خروج عن عادة الفصحاء وعن تعظيم العلماء[١].

ثالثًا: هي وإن كانت دابّة فالله ﷻ قادرٌ على جعلها تنطق كما نطق غيرها.

٦- أنَّ الدابّة المراد بها الجراثيم الخطيرة التي تفتك بالإنسان وجسمه وصحته، وبأمواله زروعًا وثمارًا ومواشي، جزاءً له على بعض ما تجني يداه من إثم ونكر، وقصاصًا على بعض تعديه لحدود الله تعالى وشرعه، فهي تجرح وتقتل، ومن تجريحها وأذاها كلمات واعظة للناس لو كانت لهم قلوب ترجع بهم إلى دين ربهم، وتلزمهم الحجة التي ضلوا عنها، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال؛ فإنَّ من معاني التكليم التجريح[٢].

الرد على هذا القول[٣]:

أولاً: هذا التأويل لا دليل عليه من كتاب وسنة، وهو مخالف لما دلَّت عليه النصوص، ويلزم من هذا التأويل الباطل تكذيب ما أخبر به رسول الله ﷺ.

ثانيًا: الجراثيم التي تفتك بالإنسان وصحته موجودة من أول الدنيا، ومنتشرة في جميع أرجاء الأرض، وأمَّا دابّة الأرض فإنها تخرج في آخر الزمان، فتأويل الدابّة بالجراثيم تأويل باطل.

ثالثًا: الجراثيم أنواع لا تحصى، وأما دابّة الأرض فقد دلت النصوص على أنها دابّة واحدة، فتأويلها بالجراثيم مخالف للكتاب والسنة.

رابعًا: الدابّة التي دلت عليها النصوص ليست من الدوابّ المعروفة للناس، ولا من الجراثيم، بل هي خلق عظيم هائل، من خوارق العادات، فهذا مفارق للحشرات والجراثيم التي يعرفها الناس والتي لا تكلمهم، بل هي منها ما لا

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٦)، والمفهم (٧/ ٢٤٠).

(٢) هذا القول لأبي عبية في تعليقه على النهاية لابن كثير، انظر: نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم، إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد فهيم أبو عبية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط١، ١٩٦٨م (١٩٩).

(٣) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن وأشراط الساعة (٣/ ١٨٣-١٨٥).

يرى بالعين المجردة.

وقد جاء في وصف الدابّة أقوال كثيرة للمفسرين، وفي بعضها آثار عن الصحابة في ثبوتها نظر، ولو ثبتت فإنه لا يعتقد لعدم مجيئه في مصدري التلقي(١).

يقول الرازي رحمه الله بعد ذكره لجملة مما نقل في أوصافها وأخبارها: «واعلم أنَّه لا دلالة في الكتاب والسنة على شيء من هذه الأمور؛ فإن صحّ الخبر فيه عن الرسول ﷺ قُبل، وإلا لم يلتفت إليه»(٢).

والذي يجب الإيمان به أنَّ من أشراط الساعة الكبرى دابّة يخرجها الله تعالى في آخر الزمان تكلم الناس، ويكون هذا التكليم آية لهم، تدلهم على أنهم مستحقون للوعيد بتكذيبهم آيات الله، وعند خروجها لا ينفع أحدًا إيمانه إذا لم يكن مؤمنًا قبل ذلك.

قال الشوكاني رحمه الله: «وفي صفتها ومكان خروجها، وما تصنعه ومتى تخرج أحاديث كثيرة بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف، وأما كونها تخرج وكونها من علامات الساعة فالأحاديث الواردة في ذلك صحيحة»(٣).

وقال السعدي رحمه الله: «لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابّة، وإنما ذكر أثرها، والمقصود منها، وأنها من آيات الله، تكلم الناس كلامًا خارقًا للعادة، حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله، فتكون حجة وبرهانًا للمؤمنين، وحجة على المعاندين»(٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وحسبنا أن نؤمن بما قال به النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الدابّة فقط، وأما الصفات الواردة فيها وليست بصحيحة ثابتة عن النبي ﷺ، فإنه لا يلزمنا اعتقادها؛ لأنّ الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها»(٥).

---

(١) انظر: الدّابّة (٦٣).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٤/ ١٨٧).

(٣) فتح القدير (٤/ ١٥٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧١٤-٧١٥).

(٥) شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن، الرياض، إشراف: مؤسسة الشيخ محمد صالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٢٦هـ، (٤٦٥).

فنؤمن بخروج هذه الدابّة في آخر الزمان، ونؤمن بما أخبر الله تعالى به من تكليمها للناس، ونكل كيفيتها إلى الله تعالى، فهي دابّة فيها من الآيات ما ليس في غيرها من الدواب، وحسبنا الوقوف على ما ذكره الله في كتابه وما صح من سنة رسوله ﷺ.

المسألة الثانية: مكان ووقت خروجها:

اختلف العلماء في مكان خروج الدابّة على أقوال كثيرة[(١)]:

القول الأول: أنها تخرج من مكة المكرمة، دون تحديد لمكانها[(٢)].

القول الثاني: أنها تخرج من جبل الصفا[(٣)].

القول الثالث: أنَّ لها ثلاث خرجات[(٤)]، بدليل حديث حذيفة السابق[(٥)].

القول الرابع: أنَّها تخرج من شعب أجياد[(٦)][(٧)].

القول الخامس: أنها تخرج من بعض أودية تهامة[(٨)][(٩)].

القول السادس: أنها تخرج من سدوم[(١٠)][(١)].

---

(١) انظر: الدابة (٦٧-٨١)، فقد جمع المؤلف حفظه الله الأقوال في مكان خروجها وأدلتها وتكلم عليها.

(٢) انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٩٧)، وتفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، (٣/ ٨٥).

(٣) انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٩٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٤).

(٤) انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٩٧)، المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠).

(٥) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٦٥].

(٦) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا. انظر: معجم البلدان (١/ ١٠٥).

(٧) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٤)، وزاد المسير (٦/ ١٩١).

(٨) تِهامة: منطقة تساير البحر، منها مكة، يحجز الحجاز بينها وبين نجد، وقيل في حدها: تهامة إلى عِرق اليمن، إلى أسياف البحر، إلى الجحفة وذات عرق، سميت بذلك لشدة حرّها وركود ريحها من التهم، وهو: شدة الحر وركود الريح. انظر: معجم البلدان (٢/ ٦٣-٦٤).

(٩) انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٩٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠)، وزاد المسير (٦/ ١٩١).

(١٠) سدوم هو: البحر الميت، يقع بين فلسطين والأردن. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٠٠).

القول السابع: أنها تخرج من جبل أبي قبيس[(٢)][(٣)].

القول الثامن: أنها تخرج من مسجد الكوفة[(٤)].

القول التاسع: أنها تخرج من موضع في البادية، قريب من مكة[(٥)].

القول العاشر: أنها تخرج من أرض الطائف[(٦)].

وهذه أشهر الأقوال التي ذكرت في مكان خروج الدابّة - حسب ما وقفت عليه - وكل هذه الأقوال ليس عليها دليل من كتاب الله تعالى، ولا حديث صحيح عن النبي ﷺ[(٧)]، وأكثر ما جاء فيها آثار عن بعض الصحابة والتابعين، وهي لو صحت لا تكفي لأن تكون حجة في هذا الخلاف، وليست ملزمة باعتقاد شيءٍ من ذلك، فالمسلم يجب عليه الإيمان بما دلت عليه الأدلة الصحيحة الدالة على خروج الدابّة في آخر الزمان؛ وأنها من أشراط الساعة الكبرى، وأمَّا مكان خروجها وصفاتها فليس لمعرفة ذلك كبير فائدة، والله أعلم.

يقول أبو حيان رحمه الله: «واختلفوا في ماهيتها، وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به، اختلافًا مضطربًا، معارضًا بعضه بعضًا، ويكذب بعضه بعضًا، فاطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله»[(٨)].

يقول المراغي: «وما جاء في وصف الدابّة والمبالغة في طولها وعرضها، وزمان خروجها ومكانه مما لا يُركن إليه؛ فإن أمور الغيب لا يجب التصديق بها إلا إذا ثبتت بالدليل القاطع

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/ ٢٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٦)، وزاد المسير (٦/ ١٩١).

(٢) هو: جبل مشرف على مكة من جهة الشرق. انظر: معجم البلدان (١/ ٨٠).

(٣) انظر: فتح القدير (٤/ ١٥١).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٦)، وفتح القدير (٤/ ١٥١).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٢٣).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٦)، وفتح القدير (٤/ ١٥١).

(٧) انظر: الكلام على ما جاء في ذلك من الأحاديث والآثار في الدّابّة (٦٨-٨١).

(٨) البحر المحيط (٧/ ٩١).

من أقوال الرسول المعصوم»(١).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وما ورد من صفاتها وأنها تخرج من أجياد أو من الصفا أو من غيرها أحاديث ضعيفة، وليست بالأحاديث التي تبنى عليها العقيدة»(٢).

وقال أيضًا: «وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابّة وصفتها، وإنما وردت أحاديث في صحتها نظر، وظاهر القرآن أنها دابّة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك والله أعلم»(٣).

وأمَّا وقت خروج الدابّة؛ فقد ثبت خروجها ضحًى، وأما الزمان فإن تحديد ذلك لا يعلمه إلا الله ﷻ، فالدابّة وغيرها من أشراط الساعة لا يستطيع أحد أن يحدد الوقت الذي تقع فيه هذه الآيات.

وقد تحدث العلماء عن وقت خروج الدابّة بالنسبة لأشراط الساعة الكبرى، وترتيبها بين هذه الآيات، والأدلة لم تدل صراحة على ترتيب هذه الآيات، فليس في القرآن الكريم ولا في صحيح السنة ما يدل صراحة على ترتيب هذه الآيات، ولكن العلماء اجتهدوا في ترتيب بعض هذه الآيات.

وسبب هذا الاختلاف في ترتيب هذه الآيات وجود نصوص صرحت بأولية بعض هذه الآيات ونصوص أخرى صرحت بأولية آيات أخرى، فمن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابّة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا))(٤).

---

(١) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، (٢٠/ ٢٢).

(٢) شرح العقيدة السفارينية (٤٦٥).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥/ ٥٦).

(٤) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٦٤].

وقال ﷺ: ((أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب))[(١)]، مع أنه ورد في حديث آخر أن النبي ﷺ ذكر عشر علامات قال: ((وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تحشر الناس إلى المحشر))[(٢)].

وهناك نصوص أخرى ذكرت الآيات العشر مجتمعة، ولكن ترتيبها في هذه النصوص لا يدل على ترتيبها في الوقوع، لأن العطف جاء بالواو، وذلك لا يلزم منه الترتيب.

فقد روى حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: ((اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدّجال، والدابّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))[(٣)].

وجاء في رواية أخرى: ((إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدّجال، ودابّة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحِّلُ الناس))[(٤)].

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل جاء فيه ترتيب بعض الآيات، وأنَّ أول ذلك خروج الدَّجَّال على الناس، ثم نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدّجال، ثم خروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عليه السلام[(٥)].

وقد جمع الحافظ ابن حجر بين أوليّة الدَّجال وأولية طلوع الشمس من مغربها، وبين وقت خروج الدابّة، فقال: «الذي يترجح عندي من مجموع الأخبار أن خروج الدَّجال أول

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته (٢٦٨) برقم (٣٣٢٩).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٥٧].

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٥٧].

(٤) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٥٧].

(٥) سبق تخريجه في الصفحة رقم [١٥٧].

الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابّة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب»(١).

وأما الحافظ ابن كثير فإنه يرى: أن خروج الدابّة هو أول الآيات الأرضية، التي ليست مألوفة؛ فإن الدابّة التي تكلم الناس وتعيِّن المؤمن من الكافر أمر مخالف للعادة المستقرة.

وأمَّا طلوع الشمس من مغربها فهو أول الآيات السماوية، وهو من الأمور الباهرة جدًّا.

أما ظهور الدَّجال، ونزول عيسى ، وخروج يأجوج ومأجوج؛ فإنهم وإن كان ظهورهم قبل خروج الشمس من مغربها، وقبل الدابّة؛ إلا أنهم بشر، وظهورهم آيات مألوفة، مقابل خروج الشمس من مغربها، وخروج الدابّة، فهما ليستا من الأمور المألوفة(٢).

وكذلك القرطبي رحمه الله ذكر أن طلوع الشمس من مغربها هو أول تغير للعالم العلوي، الذي لم يشاهد فيه تغيير منذ خلقه الله، وأمَّا الآيات الأخرى فقد شوهد ما يقرب منها، فيكون خروج الشمس من مغربها في هذه الآيات، ثم يخرج الله بعدها الدابّة بعد أن يطبع على كل قلب بما فيه من كفر وإيمان، معرِّفة لما في بواطن الناس من إيمان أو كفر، فتكلمهم بذلك(٣).

وأمَّا الطيبي(٤) فقد قسم الآيات الكبرى إلى قسمين: أمارات دالة على قرب قيام الساعة مثل: الدخان، والدَّجال، وأمارات دالة على وجود قيام الساعة وحصولها، مثل:

---

(١) فتح الباري (١٤/ ٦٩١).

(٢) انظر: النهاية في الفتن والملاحم، إسماعيل بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، (١/ ١٠٩-١١١).

(٣) انظر: المفهم (٧/ ٢٤٣).

(٤) هو: الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، كان كريمًا متواضعًا، حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، حريصًا على العلم، يعين طلاب العلم، ويعير الكتب النفيسة كثير البذل والإنفاق، آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، شرَحَ مشكاة المصابيح، توفي سنة ٧٤٣هـ. انظر: الدرر الكامنة (٢/ ١٨٦)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٦/ ١٣٧-١٣٨).

طلوع الشمس من مغربها، وخروج النار[(١)].

ولعلَّ الأقرب - والعلم عند الله تعالى - أنَّ خروج الدَّجال هو أول هذه الآيات، ثم نزول عيسى عليه السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم الدخان، ثم طلوع الشمس من مغربها، ثم خروج الدابّة، ثم النار التي تحشر الناس[(٢)].

فيكون ترتيب الدابّة بين هذه الآيات العشر هو: التاسع، وذلك بعد خروج الشمس من مغربها، وقبل النار التي تحشر الناس.

«والحكمة في ذلك: أنه عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابّة؛ تميز المؤمن من الكافر؛ تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة التي تحشر الناس»[(٣)].

وقد ورد ما يدل على تتابع ظهور الأشراط الكبرى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام[(٤)]))[(٥)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((الآيات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك؛ يتبع بعضها بعضًا))[(٦)].

---

(١) انظر: الكاشف عن حقائق السنن (١١/ ٣٤٤٩).

(٢) انظر: أشراط الساعة (٢٤٤-٢٤٥)، والدّابّة (٨٧).

(٣) فتح الباري (١٤/ ٦٩٢).

(٤) النظام: هو العقد من الجوهر والخرز. انظر: النهاية في غريب الحديث (٩٢٦) مادة (نظم).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٤٨) برقم (٦٨٣٣)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٣٠٤)، برقم (٤٢٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٢٢) رقم (١٢٤٣٠): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل، وداود الزهراني، وكلاهما ثقة»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٦٣٧) برقم (٣٢١٠).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢١٩)، وقال في مجمع الزوائد (٧/ ٦٢٢) رقم (١٢٤٢٩): «رواه أحمد وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٦١) برقم (١٧٦٢).

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك، إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة»[١].

المسألة الثالثة: عمل الدابّة:

أخبر الله تعالى عن الدابّة، وعن عملها في كتابه، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

فهذه الدابّة التي سبق الحديث عنها، بيَّن الله تعالى العمل الذي تعمله إذا خرجت آخر الزمان، وأنها تكلم الناس، وقد اختلف العلماء في المراد من قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾، على قولين:

القول الأول: أنَّ الدابّة تكلّم الناس بكلام حقيقي، فتخاطبهم مخاطبة، بكلام خارق للعادة[٢].

واستدل أصحاب هذا القول بقراءة: الجمهور، وقراءة عامة قراء الأمصار: (تُكَلِّمهم) بفتح الكاف وتشديد اللام[٣].

قال الطبري رحمه الله: «والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه قُرَّاء الأمصار»[٤].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تحدِّثهم[٥].

ويؤيد ذلك قراءة أُبي بن كعب رضي الله عنه: (تنبئهم)[٦].

---

(١) فتح الباري (١٦/ ٥٥١).

(٢) انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٩٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٧١)، وتيسير الكريم الرحمن (٤/ ٧١٤-٧١٥).

(٣) انظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان (٢/ ١٧٥)، وجامع البيان (١٩/ ٤٩٩)، والنكت والعيون (٤/ ٢٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٧).

(٤) جامع البيان (١٩/ ٤٩٩).

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٥)، والبحر المحيط (٧/ ٩١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٧).

وقيل: إنها تكلمهم بالعربية(١)، بلسان ذلق(٢)(٣).

ثم اختلف أصحاب هذا القول في كلام الدابّة، وماذا تقول لهم؟ فقيل: تقول لهم: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

يعني إن الناس لا يوقنون بخروجي؛ لأن خروجها من الآيات(٤).

وقيل: إنها تقول: ألا لعنة الله على الظالمين(٥).

وقيل: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام(٦).

وقيل: تحدث الناس بما يسوءُهم(٧).

وقيل: تكلمهم بأنهم كانوا لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة، ومباديها، أو بجميع آياته، التي من جملتها الآيات(٨).

وقيل: تكلمهم بما فيه حجة وبرهان للمؤمنين، وحجة على المعاندين، كما أن في خروجها علامة على قرب القيامة(٩).

وقيل: تقول: هذا مؤمن وهذا كافر(١٠).

وقراءة عامة قراء الحجاز والبصرة والشام قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾[النمل:٨٢] بكسر همزة (إنَّ)، فيكون معنى (تكلمهم)، أي: تقول لهم: إنَّ الناس كانوا

---

(١) انظر: معالم التنــزيل (٦/ ١٧٧)، والكشاف (٣/ ٣٨٩).

(٢) الذليق هو: الفصيح اللسان. انظر: لسان العرب (١٠/ ١١٠) مادة (ذلق).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٧)، والكشاف (٣/ ٣٨٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٥).

(٥) انظر: الكشاف (٣/ ٣٨٩)، والتسهيل لعلوم التنــزيل (٣/ ١٠٠).

(٦) انظر: معالم التنــزيل (٦/ ١٧٧)، والكشاف (٣/ ٣٨٩)، والبحر المحيط (٧/ ٩١).

(٧) انظر: بحر العلوم (٢/ ٥٩٢).

(٨) انظر: روح المعاني (٢٠/ ٢٤).

(٩) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٧١٥).

(١٠) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٥)، ومعالم التنــزيل (٦/ ١٧٧)، والبحر المحيط (٧/ ٩١).

بآياتنا لا يوقنون، فيكون الكلام كلُّه من كلام الدابّة.

وقيل: تكون الجملة مستأنفة، ولا تكون من كلام الدابّة، فيكون المعنى: تكلمهم بما يسوءُهم، وتنتهي الجملة، ثم تبدأ جملة: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

وقراءة عامة قُرَّاء الكوفة، وبعض قُرَّاء البصرة: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾، بفتح همزة أنَّ، ويكون المعنى على قراءة الفتح: تكلمهم بأنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وهذا موافق لقراءة ابن مسعودﷺ: ﴿تُكَلِّمُهُمْ بِأَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ بزيادة (باء) مع فتح همزة أنَّ[(١)].

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، مستفيضتان في قراءة الأمصار، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب»[(٢)].

القول الثاني: أنَّ الدابّة لا تكلِّم الناس بكلام منطوق، بل تجرحهم والكلْم هو الجراحة، واستدل أصحاب هذا القول بقراءة: ﴿تَكْلِمُهُمْ﴾، بفتح التاء، وسكون الكاف، وكسر اللام[(٣)].

فقيل: إنها تسمهم في وجوههم بالبياض على وجه المؤمن، وبالسواد في وجه الكافر، حتى يتنادى الناس في أسواقهم: يا مؤمن، يا كافر.

وقيل: إنها تجرحهم، وهذا مختص بالكافر والمنافق[(٤)].

وقال أصحاب هذا القول: إنَّ قراءة الجمهور: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ مأخوذة من الكَلْم، وهو

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع، (٢٧٥)، وحجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ. (٥٣٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٥-١١٦)، وبحر العلوم (٢/ ٥٩٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٧١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٢) جامع البيان (١٩/ ٥٠٠).

(٣) انظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات (٢/ ١٧٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٧)، وحَكَم الماوردي على هذه القراءة بالشذوذ، انظر: النكت والعيون (٤/ ٢٢٧).

(٤) انظر: النكت والعيون (٤/ ٢٤٤).

الجرح، والتشديد للتكثير(١).

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن ذلك، هل هو كلام باللسان، أو من الكلْم وهو الجرح، فقال: كل ذلك تفعل: تُكَلِّم المؤمن، وتَكْلِم الكافر، أي: تجرحه(٢).

ووصف ابن كثير رحمه الله هذا القول بأنه قول حسن جامع لهما، وهو ينتظم المذهبين، وأنَّه لا منافاة بين القولين(٣).

ولعل هذا القول هو القول الراجح، فتكون الدابّة تكلم الناس، وتحدثهم بلفظ منطوق، كما هو ظاهر الآية، وهي - أيضًا - تكْلِمُهم، أي: تجرحهم، ويدل على جرحها لهم حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((تخرج الدابّة فتسم الناس على خراطيمهم(٤)، ثم يعمرون فيكم، حتى يشتري الرجل البعير، فتقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين))(٥).

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٣٩٠)، والبحر المحيط (٧/ ٩١).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٩٠)، ومعالم التنـــزيل (٦/ ١٧٧).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٢٠)، والنهاية (١/ ١٠٦).

(٤) الخرطوم هو: الأنف، وقيل مقدم الأنف. انظر: لسان العرب (١٢/ ١٧٣) مادة (خرطم).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤) رقم (١٢٥٧٣): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية، وهو ثقة»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٣٩) رقم (٣٢٢).

المطلب الخامس: ترك القلاص، وعدم السعي عليها:

من أشراط الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ: ترك القلاص[١]، وعدم السعي عليها، فعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((والله لينـــزلنَّ ابن مريم حكمًا عادلاً، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلنَّ الخنـــزير، وليضعنَّ الجزيَّة، وليتْرُكنَّ القلاص فلا يُسعى عليها، ولتذهبنَّ الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد))[٢].

واختلف العلماء في المراد بقوله ﷺ: ولتتركنَّ القلاص فلا يسعى عليها على أقوال:

القول الأول: أنَّ الناس يزهدون فيها، ولا يرغبون في اقتنائها، ويتساهل أهلها فيها، ولا يعتنون بها، لكثرة الأموال، وقلَّة الآمال، وعدم الحاجة، والعلم بقرب قيام الساعة[٣].

القول الثاني: أنَّ القلاص لا تطلب زكاتها، ولا يخرج ساع إلى زكاة، لقلة حاجة الناس إلى المال واستغنائهم عنه، ويدل لهذا القول قوله ﷺ: ((فيكون عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في أمتي حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا؛ يدق الصليب، ويذبح الخنـــزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة؛ فلا يسعى على شاة ولا بعير)) ...الحديث[٤][٥].

القول الثالث: أن القلاص يترك السعي عليها، وهو ركوبها في الأسفار والحمل عليها، للاستغناء عن ركوبها بالمراكب الحديثة، التي لم تكن معلومة من قبل من المراكب الجوية والأرضية والبحرية، ويدل لهذا القول أنه خص القلاص، فلو كان المراد الزهد بها وعدم

---

(١) القلاص، جمع قلوص، وهي: الشابة الفتية من الإبل، بمنـــزلة الجارية الفتاة من النساء، وقيل: هي الثنية. انظر: لسان العرب (٧/ ٨١) مادة (قلص)، والنهاية في غريب الحديث (٧٦٨) مادة (قلص).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٦٢].

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٢)، والكاشف عن حقائق السنن (١١/ ٣٤٨٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الفتن، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج (٢٧٢٣) برقم (٤٠٧٧)، وضعفه الألباني في ظلال الجنة (١/ ١٨٢) رقم (٣٩١).

(٥) انظر: المفهم (١/ ٣٧٠)، والنهاية في غريب الحديث (٧٦٨) مادة (قلص).

الرغبة في اقتنائها أو عدم جلب زكاتها لما خصها دون غيرها من بهيمة الأنعام[١].

والذي يظهر - والله أعلم - أن المراد بترك السعي على القلاص في آخر الزمان هو ما جاء في القول الأول والقول الثاني، وأن المراد بذلك الزهد فيها، وعدم الحرص على اقتنائها، وكذلك عدم خروج السعاة لجباية الزكاة منها، لعدم وجود من يقبل الصدقة في ذلك الوقت، لكثرة الأموال، ولا منافاة بين هذين القولين - والعلم عند الله تعالى - وإن كان النووي رحمه الله قد رجّح القول الأول، وقال عن القول الثاني: إنه باطل من وجوه[٢]، فالذي يظهر أنَّ علَّة ترك القلاص والسعي عليها: كثرة الأموال، وعدم الحاجة إليها في آخر الزمان، وهذا ما أخبرت به النصوص وما يكون في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه السلام، وكثرة الخيرات والبركات.

أمَّا القول الثالث: فالذي يظهر عدم دخوله في الحديث، وذلك لأمور:

الأول: أن النبي ﷺ أقسم أن القلاص سوف تترك، فهي وإن ترك الركوب عليها في هذه الأزمان المتأخرة، لم تترك، ولم يزهد فيها أصحابها؛ بل هي من أنفس الأموال، ولا يزال الناس يتباهون بها، ويتكاثرون فيها كما هو مشاهد.

ثانيًا: أنّ ترك ركوبها قد يكون مؤقتًا، فقد تتغير الأحوال، ويرجع الناس إليها، كما هو الشأن في الخيل التي قال عنها رسول الله ﷺ: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة))[٣].

ثالثًا: إخبار النبي ﷺ عن ترك القلاص ورد في هذا الحديث مع أمور أخرى تحدث من: قتل الخنـــزير، ووضع الجزية، وذهاب الشحناء، والتباغض، وكل هذه الأمور تحدث بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، مما يقوي القول بأن ترك القلاص لم يحصل بعد، وأن حصوله يكون بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، مما يبين ضعف القول بأن تركها هو بسبب المراكب الحديثة كما في القول الثالث.

---

(١) انظر: أضواء البيان (٣/ ٢١٩)، وإتحاف الجماعة (٢/ ١٩٨).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١١٢).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [١٥٢].

وأمَّا استدلال أصحاب القول الثالث بأنّه لو كان المراد الزهد بها، وترك طلب زكاتها لما خصت القلاص دون غيرها من بهيمة الأنعام، فقد أجاب النووي رحمه الله عن هذا الإشكال بقوله: «وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الأموال، التي هي أنفس الأموال عند العرب»[1].

(١) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٢).

المطلب السادس: وقوع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم:

من أشراط الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ ولها علاقة بالحيوان، ما يحدث بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من الأمنة في الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان مع الحيات فلا تضرهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: ((الأنبياء إخوة لعلات[1]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنّه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنّه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران[2]، كأنَّ رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنـــزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون))[3].

---

(١) العلات هي: الضرائر، والمراد بهم الأولاد الذين اختلفت أمهاتهم وأبوهم واحد، ومعنى الحديث: أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع أو اختلفت أزمنتهم. انظر: النهاية في غريب الحديث (٦٣٨) مادة (علل)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٨٤).

(٢) الممصر من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة. انظر: النهاية في غريب الحديث (٨٧٢) مادة (مصر).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٠٦)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٣٣) برقم (٦٨٢١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٤٠١) برقم (٢٠٨٤٥)، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٩١)، وقال ابن كثير في النهاية (١/ ٩٦): إسناده جيد قوي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٢١٤) برقم (٢١٨٢).

المطلب السابع: النَّغف الذي يرسله الله ﷻ على يأجوج ومأجوج في رقابهم، والطير التي يرسلها الله ﷻ لتحملهم بعد نتنهم، فتطرحهم حيث شاء الله استجابة لدعاء عيسى عليه السلام وأصحابه:

من أشراط الساعة الكبرى التي جاءت في الكتاب والسنة، خروج يأجوج ومأجوج[1]، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧].

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، قال: ((اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدّجال، والدابّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))[2].

ومن الأمور المتعلقة بالحيوان والتي تحدث بعد خروج يأجوج ومأجوج النَّغف الذي يرسله الله تعالى في رقاب يأجوج ومأجوج، والطير العظيمة، التي يرسلها الله ﷻ لتحملهم بعد إهلاك الله تعالى لهم، استجابة لدعاء عيسى عليه السلام وأصحابه، وبعد أن يملأ زهمهم ونتنهم الأرض، فقد جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل: ((إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام أني قد أخرجت عبادًا لي، لا يدان لأحد بقتالهم[3]، فحرز[4] عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصرُ نبي الله عيسى وأصحابه، حتى

---

(١) انظر: أشراط الساعة (٣٦٥-٣٧٩).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٥٧].

(٣) أي: لا قدرة لأحد على قتالهم، يقال: لا يد لفلان بهذا الأمر، أي: لا قوة. انظر: المفهم (٧/ ٢٨٥).

(٤) حرزهم إلى الطور: أي ضمهم واجعله لهم حرزًا. انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٨).

يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف[١] في رقابهم، فيصبحون فرسى[٢] كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٣] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت[٤]، فتحملهم حيث شاء الله...)) الحديث[٥].

فهذان نوعان من الحيوان أخبر عنهما النبي صلى الله عليه وسلم بأن لهما علاقة بشرط من أشراط الساعة الكبرى، وهو: خروج يأجوج ومأجوج وهما: النَّغف الذي يرسله الله تعالى في رقاب يأجوج ومأجوج فتقتلهم استجابة لدعاء عيسى عليه السلام وقومه، والطير التي كأعناق البخت التي يرسلها الله تعالى – أيضًا– استجابة لدعاء عيسى عليه السلام وقومه، فتنقل يأجوج ومأجوج بعد أن تأذى الناس من نتنهم فتطرحهم حيث شاء الله.

فهذه جملة من الحيوان بعضها دلت النصوص على كونه شرطًا من أشراط الساعة، وبعضها متعلق ببعض أشراطها.

---

(١) النَّغَف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، وهي على حقارتها، فإتلافها شديد. انظر: المفهم (٧/ ٢٨٥).

(٢) فرسى: أي هلكى، قتلى، من فرس الذئب الشاة، إذ قتلها. انظر: المرجع السابق.

(٣) الزهم، هو: الدسم والرائحة الكريهة. انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٩).

(٤) البخت، هي: جمال طوال الأعناق، عظام الأسنام، والمراد أنَّ هذه الطير أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت. انظر: النهاية في غريب الحديث (٦٤) مادة (بخت)، والمفهم (٧/ ٢٨٦)، وتحفة الأحوذي (٦/ ٤١٩).

(٥) سبق تخريجه في الصفحة رقم [١٥٧].

المبحث الثاني: التناسخ بين الإنسان والحيوان عند من يقول به:

تعريف التناسخ:

النسخ لغة: التتابع والتداول، فالأشياء تناسخ، أي: تَداوَل، فيكون بعضها مكان بعض، كالدول والمُلْك، وكذلك تناسُخ الأزمنة والقرن بعد القرن(١).

والنسخ إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، تقول العرب: نَسَخَت الشمسُ الظل، والمعنى: أذهبت الظل وحلت محله(٢).

مفهوم تناسخ الأرواح في الاصطلاح:

يطلق تناسخ الأرواح ويُراد به خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر غيره، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، فالثواب والعقاب في هذه الدار لا غيرها، فالراحة والسرور التي يجدهما الإنسان -على حد زعم القائلين بالتناسخ- مرتبة على أعمال البر التي سلفت، وكذلك الغم والحزن هي: مرتبة على أعمال الفجور السابقة، فالأبدان هي الجنات وهي النار، فالأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أبدان أخرى، فهذا معادها عندهم، لا قيامة ولا بعث ولا جنة ولا نار غير هذا(٣).

ويُرجع بعض من كتب عن تناسخ الأرواح، وتعليل القول به عند أصحابه إلى أسباب أبرزها(٤):

١- أنّ الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد.

---

(١) انظر: العين (٤/ ٢٠١)، تهذيب اللغة (٧/ ٨٤)، ولسان العرب (٣/ ٦١)، وتاج العروس (٧/ ٣٥٥-٣٥٦)، والمصباح المنير (٢/ ٦٠٢)، كلها في مادة (نسخ).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٨٤)، ولسان العرب (٣/ ٦١) كلها في مادة (نسخ).

(٣) انظر: الملل والنحل (٢/ ٥٤-٥٥)، وفرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء بيروت، ١٤٠٤هـ، (٣٦)، والروح، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ، (١١٤)، والموسوعة الميسرة (٢/ ١٠٣٢).

(٤) انظر: أديان الهند الكبرى (٦١).

٢- أنّ الروح خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين، لا بد من أدائها، فلا مناص إذن من أن تستوفي شهواتها في حياة أخرى، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة.

ومن أهم الدعائم التي قامت عليها عقيدة تناسخ الأرواح: اعتقاد خلود الأرواح(١).

وتكون دورة الروح الجديدة متقمصة جسدًا جديدًا، وتكون هذه الدورة نتيجة للدورة الماضية، فتوجد الروح في إنسان أو حيوان أو ثعبان، ويسعد أو يشقى نتيجة لما قدم من عمل في حياته السابقة(٢).

فيكون الثواب والعقاب في هذه الحياة حيث يقع الجزاء والعقاب على الروح، وذلك بانتقالها إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئًا جوزي بأن تنقل روحه إلى أجساد يلحق الروح فيها الضرر والألم، وليس شيء غير ذلك، والدنيا لا تزال أبدًا هكذا، فليس هناك قيامة، ولا آخرة، وإنما هي أرواح تتناسخ بالصور(٣).

والقائلون بالتناسخ افترقوا فرقتين: فرقة قالت: إن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخر، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت، فجائز عندهم أن تنتقل الأرواح التي كانت في أجساد بني آدم إلى طبقة أعلى، وهي طبقة الملائكة، أو إلى أجساد طبقة دونهم من الحيوانات أو النباتات أو الجمادات.

وفرقة ثانية منعت انتقال الأرواح إلى أجساد غير أنواع أجسادها التي فارقت(٤).

وبعضهم قسم التحولات إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: النسخ وهو: انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد آدمي آخر.

القسم الثاني: المسخُ وهو: انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد حيوان.

---

(١) انظر: مقارنات الأديان لأبي زهرة (٣٩).

(٢) انظر: ثقافة الهند وحياتها الروحية والأخلاقية الاجتماعية، للبروفيسور أثريا (٤٠)، نقلاً عن: مقارن الأديان لطارق خليل (٢٣٢).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، (١/ ٥٤).

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٠٩-١١٠).

القسم الثالث: الفسخ وهو: انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسم نباتي.

القسم الرابع: الرسخ وهو: انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسم جماد[١].

وغالبية الطوائف والفرق التي قالت بتناسخ الأرواح ذهبت إلى القول بانتقال الأرواح من بني آدم إلى أجساد الحيوانات، والطوائف التي اعتقدت بعقيدة تناسخ الأرواح، منها طوائف قبل الإسلام، وطوائف أخرى تنتسب إلى الإسلام.

فمن قال بذلك قبل الإسلام معظمُ ديانات الهند، يقول البيروني[٢]: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات[٣] علامة اليهودية، كذلك التناسخ عَلَم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها، و لم يعدَّ من جملتها»[٤].

ومن أشهر الديانات الهندية التي قالت بتناسخ الأراوح:

١- الهندوسية[٥].

٢- البوذية[٦][٧].

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٧٢)، والكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، (٣٠٥)، والنصيرية، سهير محمد علي الفيل، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، (٧٥-٧٦).

(٢) هو: أبو الريحان، محمد بن أحمد البيروني، الخوارزمي، فيلسوف، رياضي، مؤرخ، أقام في الهند بضع سنين، اطلع على فلسفة اليونان والهنود، وارتفعت منـــزلته عند ملوك عصره، كان مكبًّا على تحصيل العلوم. توفي سنة ٤٤٠هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (١/ ٥٠-٥١)، والأعلام (٥/ ٣١٤).

(٣) أي تعظيم يوم السبت.

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان، محمد بن أحمد البيروني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٧٧هـ، (٣٨).

(٥) انظر: الملل والنحل (١/ ١٧٢)، و(٢/ ٢٤٩)، ومقارنات الأديان لأبي زهرة (٣٨-٤٠)، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٦٢٢).

(٦) تنسب البوذية لرجل أصله من الهندوس وهو: بوذا المولود قبل المسيح عليه السلام بحوالي ٥٦٠ سنة، وأفكارها لا تكاد تخرج عن أفكار الهندوسية، وقد جاءت تخفيفًا لما جاء في البرهمية من تعاليم وإزالة لما أحدثته الهندوسية من تفريق بين الناس، فهي فلسفة وضعية انتحلت الصفة الدينية، فهي في الأصل كانت دعوة إلى التصوف والخشونة، ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح، وبعد مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني، ومن عقائدهم أن بوذا هو ابن الله، والقول بتناسخ الأرواح، وحلول الله في بوذا، وأنّ بوذا هبط إلى العالم لينقذه مما فيه من شرور. انظر: مقارنات الأديان لأبي زهرة (٤٦-٦٥)، والأديان والفرق لعبد القادر شيبة الحمد (٦٣-٦٨)، وأديان الهند الكبرى (١٥٦، ١٦٢، ١٦٣)، والموسوعة الميسرة (٢/ ٧٦٨-٧٧٣).

(٧) انظر: أديان الهند الكبرى (١٥١، ١٥٦)، ومقارنة الأديان للخطيب (٤٣٨)، ومقارنات الأديان، لأبي زهرة (٥٩).

٣- السيخ(١)(٢).
٤- الجينية(٣)(٤).
٤- السُّمَنِيَّة(٥)(٦).

---

(١) السيخية: جماعة دينية ظهرت في نهاية القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر الميلادي، تزعم أنها جاءت بدين جديد خليط بين الديانتين الإسلامية والهندوسية، فأخذوا من الهندوسية القول بوحدة الأديان والحلول والاتحاد، وبعض أساطيرهم، ومن عقائدهم: يدعون إلى الاعتقاد بخالق واحد، ويقولون بتحريم عبادة الأصنام، وينادون بالمساواة بين الناس، لكن عقيدتهم تقوم على إجلال وتقديس إله غير مشخص، هو في الأصل خالق العالم، فعندهم اعتقاد المسلمين بوحدانية الله لا يختلف عن اعتقاد الهندوس بـــ(فشنو) إله الخير، ومن أبرز شعائرهم: ترك الشعر، ولبس سوار حديد للرجال، ووضع مشط صغير في الرأس، وخنجر صغير يتمنطق به السيخي، وسروال صغير لا يتجاوز الركبة رمزًا للعفة. انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٦٧٧-٧٠٢)، ومقارنة الأديان للخطيب (٤٩٣-٥١٣)، والموسوعة الميسرة (٢/ ٧٧٤-٧٨٠).

(٢) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٦٩١)، ومقارنة الأديان للخطيب (٥٠٦).

(٣) الجينية: ديانة هندية يزعم أتباعها على قلة تعدادهم أنها قديمة، وأنها كانت نوعًا من المقاومة للهندوسية وثورة على سلطان البراهمة، تنسب لشخص يدعى (مهاوير) كان معاصرًا لبوذا، لم يعترف بالآلهة، وقرر أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون، ولهذا سمي هذا الدين دين إلحاد، والأرواح خالدة يجري عليها التناسخ، ويقولون بالطبقية، حيث قسموا رجالهم إلى خمس طبقات، وقد أثَّرت الجينية على الهندوسية بأمور أبرزها: عبادة الأصنام، وبناء المعابد، وتحريم ذبح الحيوان، والتناسخ والرهبانية، والعري. انظر: أديان الهند الكبرى (١٠٧-١١٢)، ودراسات في الديانة اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٦٦٣-٦٧٣).

(٤) انظر: أديان الهند الكبرى (١١١)، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٦٧٢).

(٥) من فلاسفة الهند، نسبة إلى بلدة سومنات بالهند، يقولون بقدم العالم، وينكرون النظر والاستدلال، وقالوا بتناسخ الأرواح وأجازوا انتقال روح الإنسان إلى بدن كلب وغيره. انظر: الفرق بين الفرق (٢٥٣، ٣٤٦)، والتبصير في الدين (١٤٩)، المواقف، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م (١/ ١٣٠).

(٦) انظر: الفرق بين الفرق (٢٥٣)، والمواقف (١/ ١٣٠).

وممن قال بتناسخ الأرواح – أيضًا – قبل الإسلام ممن تأثر بالديانات الهندية:

١- فلاسفة اليونان[١]، ومنهم سقراط[٢][٣].

٢- المانوية[٤][٥].

٣- بعض قوم من اليهود[٦].

٤- بعض العرب[٧].

---

(١) انظر: تناسخ الأرواح أصوله وآثاره وحكم الإسلام فيه، محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، الأردن، ط١، ١٤١١هـ، (٢٣-٢٨).

(٢) سقراط: فيلسوف يوناني عاش في الفترة (٤٦٩-٣٩٩ ق. م) في أثينا، معلمه هو: فيثاغورس، عرف عنه البساطة والتواضع، كان يعلم الناس في الشوارع والأسواق والملاعب، من أبرز تلاميذه: أفلاطون، أعدم بشرب السم لإساءته إلى الأديان، ومن فلسفته أنه جعل محور فلسفته الإنسان.

(٣) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (٤٣)، والفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، (٢٥٣)، والتبصير في الدين، (١٣٦).

(٤) المانوية: هم أتباع ماني بن فاتك المجوسي، ادعى النبوة، وقال: إنَّ للعالم أصلين هما: النور والظلمة، وكلاهما قديمان، فزعموا أنَّ هناك إلهين وخالقين، الله خالق الخير والنور والضياء، وخالق للشر والظلمة، قتله الملك بهرام بن هرمز سنة ٢٧٩م، وبدأ دعوته في الهند، فقيل: إنه أخذ عقيدة التناسخ من البوذية. انظر: الفصل (١/ ٥١)، والملل والنحل (١/ ٢٤٣)، والتنبيه والرد (٩٢)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ، (٨٨).

(٥) انظر: التبصير في الدين (١٣٦)، والفرق بين الفرق (٢٥٤).

(٦) انظر: الفرق بين الفرق (٢٥٤)، والتبصير في الدين (١٣٦)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط٥، ١٤٢٧هـ، (١٤٧-١٤٨).

(٧) انظر: الملل والنحل (٢/ ٢٣٦)، حيث ذكر أنَّ من العرب من قال بذلك، وزعموا أنَّ الإنسان إذا مات أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته، فانتصب طيرًا هامة، فيرجع إلى رأس القبر كل مائة سنة، وقيل : إنهم كانوا يزعمون أنَّ عظام الميت تصير هامة فتطير ، ويسمون ذلك الطائر : الصدي ، فهذا شبيه باعتقاد أهل التناسخ أن روح الموتى تنتقل إل أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور . انظر : يسير العزيز الحميد (٤٣٢).

وقد انتقلت عقيدة تناسخ الأرواح إلى بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، ومن أشهر الفرق التي قالت بتناسخ الأرواح(١):

١- غالية الشيعة(٢)، يقول: الإمام أبو الحسن الأشعري(٣) رحمه الله عن أهل الغلو من الرافضة: «ينكرون يوم القيامة والآخرة، ويقولون ليس قيامة، ولا آخرة، وإنما هي أرواح تتناسخ في الصور: فمن كان محسنًا جوزي بأن ينقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر، ولا ألم، ومن كان مسيئًا جوزي بأن ينقل روحه إلى أجساد يلحق الروح فيه كونه فيها الضرر والألم، وليس شيء غير ذلك، وأن الدنيا لا تزال أبدًا هكذا»(٤).

---

(١) الكلام هنا عن تناسخ أرواح الخلق إلى أبدان غيرهم من إنسان أو حيوان؛ إذ هناك نوع آخر ذهب إليه غلاة الروافض، وهو القول بانتقال روح الإله إلى أبدان الأئمة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

(٢) الشيعة: هم الذين يفضلون عليًّا ﷺ على جميع الصحابة، ويزعمون مشايعتهم له، وأنّ عليًّا وولده أحق بالإمامة من غيرهم، وأنَّ الإمامة لا تخرج عنه وعن ولده، فإن خرجت فبظلم من غيرهم، أو بتَقيَّة منهم، ومن عقائدهم: تكفير معظم الصحابة، وعصمة الأئمة، والقول بتحريف القرآن، والقول بالتقيَّة وغيرها، وقد افترقوا على فرق كثيرة، أصولها ثلاث هي: الغالية، والرافضة، والزيدية. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٥)، والفصل (١/ ٣٧٠)، والملل والنحل (١/ ١٤٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١/ ٥٢).

(٣) هو: أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، اليماني، يرجع نسبه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد سنة ٢٦٠هـ، أخذ عن الجبائي وسهل بن نوح وغيرهم، كان معتزليًّا ثم تاب من مذهبهم، ورد عليهم، ولكنه بعد رجوعه عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كلاب ومال إلى أهل السنة والحديث وانتسب إلى الإمام أحمد، وكان مختلطًا بأهل السنة والحديث كاختلاط المتكلم بهم، له مؤلفات كثيرة، منها: الإبانة، ومقالات الإسلاميين، وتتلمذ عليه: أبو الحسن الباهلي، وأبو الحسن الكرماني وغيرهم، توفي سنة ٣٣٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥-٩٠)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤١).

(٤) مقالات الإسلاميين (٥٤).

فمن هؤلاء: النصيرية(١)، فقد قالوا بتناسخ الأرواح(٢)، ولانتقال الروح عند النصيرية أربعة أشكال هي التي سبق الحديث عنها، وهي: النسخ، والمسخ، والفسخ، والرسخ(٣).

ويزعم النصيرية أنَّ أرواح مخالفيهم يجري عليها أشكال التناسخ الثلاثة، وهي: المسخ والفسخ والرسخ، أمَّا النسخ الذي هو انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد آدمي آخر، فهو خاص بأبناء طائفتهم فقط(٤).

وقالت فرقة الدروز(٥) - أيضًا - بتناسخ الأرواح، ولكنهم خالفوا النصيرية، حيث

---

(١) فرقة باطنية تنسب إلى محمد بن نصير النمري (ت ٢٧٠هـ)، قالت بنبوته، وألوهية علي رضي الله عنه، وقالوا بإباحة المحارم، كان مؤسسها محمد بن نصير على معتقد الإمامية ثم فارقهم وادعى النبوة وغلا في علي رضي الله عنه، وزعم أنه هو الباب للمهدي المنتظر، من عقائدهم القول بتناسخ الأرواح، من أعيادهم: أعياد المجوس والنصارى، وقد سماهم الفرنسيون بـــ(العلويين)، أكثرهم يعيش جنوب وشمال سوريا وجنوب تركيا، وأطراف لبنان الشمالي، وفارس وتركستان وكردستان، وهم كفار باتفاق المسلمين، كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: فرق الشيعة (٩٣-٩٥)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ١٦١)، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدهم وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٢٨هـ، (٣٢١-٤٢٩)، وفرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط٤، ١٤٢٤هـ، (٥٣٣-٥٨٧)، والنصيرية لسهير الفيل.

(٢) انظر: فرق الشيعة (٩٣)، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٣٢١)، والهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق، رواية المفضل الجعفي، تحقيق: مصطفى غلاب، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، (٦٦، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٩-١٦٠)، ومجلة الدراسات العقدية، موقف فرق الباطنية من اليوم الآخر، د. عبد القادر عطا صوفي، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عدد٣، محرم، ١٤٣١هـ، (٢٩٠-٢٩٧).

(٣) انظر: النصيرية لسهير الفيل (٧٥-٧٦).

(٤) انظر: الهفت الشريف (١٢٢-١٢٣).

(٥) الدروز هي: فرقة باطنية، مؤسسها الفعلي: حمزة الزوزني (ت ٤٣٠)، ومحمد بن إسماعيل الدرزي (ت ٤١١هـ)، وإليه تنسب، قالت بألوهية الحاكم بأمر الله (ت ٤١١هـ)، ولما مات قالوا بغيبته وأنه سيرجع، ينكرون الأنبياء والرسل، حمزة هو المسيح عندهم، يعتقدون أن ديانتهم نسخت جميع =

قصروا التناسخ على الأجسام البشرية فقط، فلا يرون انتقال الروح من بدن الآدمي إلى غيره من الحيوان أو النبات أو الجماد(١).

وكذلك الإسماعيلية(٢) القديمة والمعاصرة قالت - أيضًا - بتناسخ الأرواح(٣)، وهناك فِرق كثيرة من غلاة الشيعة، ذهبت إلى القول بتناسخ الأرواح ذكرها من تكلم على الملل والنحل اكتفيت بأشهرها.

الأديان، قالوا بتناسخ الأرواح، وأنكروا الجنة والنار، والقيامة هي رجوع الحاكم، لا يقبلون دخول أحد في دينهم ولا أحد يخرج منه، التكتم والتستر من أصول عقائدهم، من أشهر رجالهم المعاصرين: كمال جنبلاط، ووليد جنبلاط، تواجدهم في لبنان وسوريا وفلسطين، وبعض دول المهجر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٧٣-١٨٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ١١-١٢)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٥٥-١٦٢)، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي (١٩٩-٣١٨)، والموسوعة الميسرة (١/ ٤٠٠-٤٠٥)، وعقيدة الدروز عرض ونقد، محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمان ط١، ١٤٠٠هـ.

(١) انظر: التقمص، أمين طليع، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، (١٣، ١٥، ١٧)، عقيدة الدروز (١٤٢-١٤٣)، ومجلة الدراسات العقدية عدد٣، (٣٠٠-٣٠١).

(٢) فرقة باطنية تزعم أن الإمامة صارت بعد جعفر بن محمد إلى ابنه إسماعيل، وهم من الإمامية، ثم خالفوهم في ذلك فهم رافضة باطنية، فعندهم أنَّ لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنـــزيل تأويلاً، وأنَّ الإمام بعد إسماعيل ابنه محمد، ومن أصولهم دعوى ألوهية الأئمة وعلمهم للغيب وعصمتهم، وأن محمد بن إسماعيل رسول وصاحب شريعة جديدة، وأنه ناسخ لشريعة الناطق قبله وهو محمد ﷺ، وأنه من النطقاء السبعة: وهم آدم وأولو العزم من الرسل والسابع محمد بن إسماعيل، ولهم تأويل لأركان الإسلام يتناسب مع أهدافهم وغاياتهم. انظر: فرق الشيعة (٦٧-٦٩)، وأصول الإسماعيلية، دراسة تحليل نقد، سليمان عبد الله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ، والإسماعيلية المعاصرة الأصول، المعتقدات، المظاهر الدينية والاجتماعية، محمد بن أحمد الجوير، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤٢٧هـ.

(٣) انظر: فضائح الباطنية، أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة الرسالة، دار الكتب الثقافية، الكويت، بدون طبعة وتاريخ، (١/ ٤٤)، الإسماعيلية المعاصرة (١٠٣-١٠٤)، ومجلة الدراسات العقدية، عدد٣، (٢٨٢-٢٨٦).

وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله قصة عن بعض هؤلاء الغلاة أن رجلاً دخل عليه ووجد بين يديه سنورًا أسودَ، وهو يمسحها ويحك بين عينيها، وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك، وهو يبكي بكاءً شديدًا، فقال له: لم تبكي؟ فقال: ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها، هذه أمي، لا شك، وإنما تبكي من رؤيتها إليَّ، قال: وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه، وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً، فقال له: فهي تفهم عنك ما تخاطبها به؟ فقال: نعم، فقال له: أتفهم أنت صياحها، قال: لا، قال: فأنت المنسوخ وهي الإنسان(١).

٢- أحمد بن حابط(٢) ومن تبعه وله في ذلك قول عجيب، فقد زعم أنّ الله تعالى خلق خلقه سالمين في غير هذه الدار، وأكمل عقولهم، وخلق فيهم معرفته والعلم به، وأنعم عليهم، وزعم أن الإنسان المأمور والمنهي هو هذه الروح، وأن الأجسام قوالب للأرواح فقط، وأنَّ الروح هي الحي القادر العالم، وأنَّ الحيوان كله جنس واحد، وجميعها محتمل للتكليف، وقد توجه الأمر والنهي عليهم على اختلاف صورهم ولغاتهم، وأنّ الله تعالى لما كلّفهم في غير هذه الدار أطاعه بعضهم في كل ما أمرهم به، وعصاه فريق آخر في جميع ما أمر به، وفريق ثالث أطاعه في بعض وعصاه في بعض، فمن أطاعه في كل ما أمر به أقره في دار النعيم، ومن عصاه في كل ما أمره به أخرجه إلى دار العذاب وهي النار، ومن جمع بين الطاعة والمعصية أخرجه إلى الدنيا، وألبسه بعض هذه الأجسام التي هي القوالب الكثيفة وابتلاه بالبأساء والضراء واللذات والآلام في صور مختلفة من صور الناس والبهائم والسباع والحشرات وغيرها على مقادير ذنوبهم ومعاصيهم في الدار

(١) تلبيس إبليس (٧٣-٧٤).

(٢) هو: أحمد بن حابط، من أصحاب النظّام، زاد على النظام فقال بتناسخ الأرواح، وأن هناك خالقين، شبه عيسى عليه السلام بربه، فزعم أنه إله وأنه هو الذي يحاسب الخلق يوم القيامة، وكان يقول: إن قدرة الله تنقطع حتى لا يقدر على أن يزيد نعيم أهل الجنة ولا عذاب أهل النار، وزعم أن في كل نوع من أنواع الحيوان رسولاً. انظر: الفصل (١/ ٩٦)، والملل والنحل (١٠/ ٥٩-٦١)، والتبصير في الدين (١٣٦-١٣٧).

الأولى، فمن كانت معاصيه أكثر كان في الدنيا أقبح، وزعم أن الحيوان الذي من الروح لا يزال في هذه الدنيا يتكرر في قوالب وصور مختلفة ما دامت طاعته مشوبة بذنوبه، وعلى قدر طاعته وذنوبه تكون منازل قوالبه في الإنسانية والبهيمية، ثم لا يزال من الله تعالى رسول إلى كل نوع من الحيوان، وتكليف للحيوان أبدًا إلى أن يتمحض عمل الحيوان طاعات فيرد إلى دار النعيم وهي الدار التي خلق فيها، أو يمحض عمله معاصي فينقل إلى النار الدائم عذابها.

وقال: إن كل نوع من أنواع الحيوانات أمة لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

وفي كل أمة رسول من نوعه لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤][(١)].

يقول القاضي عياض رحمه الله في تكفير من زعم النبوة في الحيوان: «وكذلك نكفر كل من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان نذيرًا أو نبيًّا من القردة والخنازير والدوابّ والدود، ويحتج بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة، وفيه من الازدراء على هذا المنصب المنيف ما فيه، مع إجماع المسلمين على خلافه، وتكذيب قائله»[(٢)].

علاقة تناسخ الأرواح بالحيوان:

المتأمل في الديانات والفرق التي قالت بتناسخ الأرواح: يجد أن معظمها ذهبت إلى القول بانتقال الروح من الإنسان إلى الحيوان، وبعضها قال بتناسخ الأرواح مطلقًا، دون تفصيل.

ويستثنى من هذه الفرق فرقة الدروز، فهم - كما سبق - قصروا تناسخ الأرواح الذي

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٢٥٧-٢٥٨)، والفصل في الملل والنحل (١/ ٩٦-٩٧)، والملل والنحل (١/ ٦٠-٦١).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ، (٢/ ٤٧٧)، وانظر: الرد عليه مفصلاً في الفصل في الملل والنحل (٩٦-٩٨).

يسمونه بالتقمص[١] على انتقال الروح من جسد بشري إلى جسد بشري آخر، فالنفوس عندهم لا تفارق الأجسام لحظة واحدة، بل تنتقل بسرعة من جسد بشري إلى جسد بشري جديد[٢].

فالديانات الهندية تتفق على القول بتناسخ الأرواح، وليس التناسخ عندهم وقفًا على الجسد الإنساني، بل يجوز أن تحل الروح في كلب أو شجرة أو غير ذلك[٣].

فمصير الروح يحددها سلوكه، فالذين يتمتعون بسلوك جيد، سيدخلون رحمًا جديدًا، لكن من يتمتعون بسلوك شائن سيدخلون رحمًا منحطًّا، إما رحم كلب، أو رحم خنـــزير، أو رحم أحد المنبوذين[٤].

وفلاسفة اليونان – أيضًا – قالوا بانتقال الروح من الإنسان إلى الحيوان، فقد روي عن أحدهم[٥]: أنه رأى إنسانًا يضرب كلبًا فمنعه من ضربه، معللاً ذلك بأنه تبين له في عوائه صوت أحد أصدقائه، وزعم أنَّ روحه هو كانت في هر، ثم انتقلت منه إلى غيره.

والنفس في الأفلاطونية الجديدة في حال انحطاطها تمر في ثلاث مراتب متتابعة: نباتية وحيوانية، وإنسانية، وكلما كانت مرتبتها متدنية كانت حالها أشد سوءًا[٦].

والمانوية عندهم أن الأرواح التي لا تفارق الأجسام نوعان: أرواح الصديقين وهي: التي إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور، فتبقى في ذلك العالم على السرور الدائم، وأرواح أهل الضلال فإنها إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردت

---

(١) يطلق الدروز على التناسخ التقمص، أي لبس القميص، وفي مفهوم هذه العقيدة أن الروح جوهر خالد، وهي أزلية باقية، أمَّا الجسد فهو قميصها الذي يبلى ويخرق، فتستبدله عندئذٍ بقميص آخر تنتقل إليه. انظر: التقمص (١١).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٣-١٥، ١٧).

(٣) انظر: تناسخ الأرواح (١٧).

(٤) انظر: الفكر الفلسفي الهندي، سرفيا لي رادا كرشنا (١١٤)، نقلاً عن تناسخ الأرواح (١٩).

(٥) هو فيثاغورس. انظر: الديانات والعقائد، أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨١م، (١/ ٣٨٤).

(٦) تاريخ الفلسفة الإسلامية، ماجد فخري، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٩م، (٤٩).

منكسة إلى السفل فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفوَ من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور الأعلى(١).

والنصيرية - كما سبق - فرقوا بين أرواحهم وأرواح مخالفيهم، فانتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد آدمي خاص بأبناء طائفتهم، وأمَّا مخالفوهم فتنتقل أرواحهم إلى جسد حيوان أو نبات أو جماد(٢).

فمعظم الديانات والفرق التي ذهبت إلى القول بتناسخ الأرواح تذهب إلى القول بانتقال الروح من الآدمي إلى الحيوان والعكس، والله أعلم.

أدلة أصحاب التناسخ:

استدل أصحاب التناسخ المنتسبون إلى الإسلام بأدلة من كتاب الله تعالى، وبأحاديث من سنة رسول الله ﷺ(٣)، ولأصحاب التناسخ المنتسبين إلى الإسلام وغيرهم أدلة عقلية، فمن الأدلة الشرعية التي استدلوا بها:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٦-٨].

فزعموا أنَّ هذه الآيات تدل على مذهبهم، وأنّ القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر، وأنَّ الخلق منعمون في هذه الأبواب، أو معذبون فيها على قدر أعمالهم وذنوبهم، وأن الله تعالى يُذَكِّرُ الإنسان بقدرته على إبداع روح الإنسان في أي صورة من مخلوقاته السفلى والعليا(٤).

وهذه الآية لا تدل على ما ذهبوا إليه من قريب ولا من بعيد، فالمراد بهذه الآية: الصورة التي رُكِّبَ عليها الإنسان من طول أو قصر، أو حسن أو قبح، أو بياض أو سواد، وما أشبه

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٢٥٤).

(٢) انظر: الهفت الشريف (١٢٢-١٢٣).

(٣) انظر: عقيدة الحلول والتناسخ عرضًا ونقدًا، د. محمد العلي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، (٣١٧-٣٩٥)، فقد ذكر أدلة كثيرة استدلوا بها وناقشهم فيها.

(٤) انظر: فرق الشيعة (٣٧)، والفصل (١/ ١١٠-١١١).

ذلك[١]، وقد جاء بعد هذه الآية ما يثبت البعث والجزاء، فقال سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩]، أي مع هذا الوعظ والتذكير لا تزالون مستمرين على التكذيب بالبعث والجزاء[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

فقالوا: إن جميع هذه الدوابّ والحيوانات والسباع كانوا أممًا سابقة قد خلت النذر فيها من الله تعالى، فمن كان صالحًا جعلت روحه بعد انتقاله في بدن صالح، فأكرم ونعم، ومن كان كافرًا عاصيًا نقلت روحه إلى بدن خبيث يعذب فيه في الدنيا، وأنَّ صريح هذه الآية يدل على أنَّه لا دابّة ولا طائر إلا وهي أمثالنا، ولفظ المماثلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية، أما الصفات العرضية المفارقة، فالمساواة فيها غير معتبرة في حصول المماثلة.

فإذا ثبت أنّ هذه الدوابّ والطير أمم، وقد قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، فهذا تصريح بأن لكل طائفة من الحيوانات رسولاً أرسله الله إليها.

فالحيوانات كلها - على زعمهم - جنس واحد، وهي محل التكليف، وإنما أُلبِسَتْ هذه القوالب المختلفة على حسب أعمالها، فأصبح بعضها في صورة الناس، وقوم في صورة الطيور، وقوم في صورة الدواب، وقوم في صورة الحشرات، فدرجاتهم على قدر معاصيهم[٣].

واستدلالُ أصحاب التناسخ بهاتين الآيتين استدلالٌ باطل، وتحريف للمعنى المراد من هذه الآيات، فكيف يزعمون أن المراد بالآية: أن الطيور والدوابّ وسائر الحيوانات كانوا أناسًا

(١) انظر: الفصل (١/ ١١٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (١٠٧٨).

(٣) انظر: فرق الشيعة (٣٧)، ومفاتيح الغيب (١٢/ ١٧٥-١٧٦)، وعقيدة الحلول والتناسخ (٣٣٠-٣٣١).

قبلنا ثم نسخوا، والآية لم تدل على شيء من ذلك.

وقد بين أهل التّفسير المعنى الصحيح لهذه الآية وأن المراد بقوله: (أمم أمثالكم) أي: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها كما يعرف بنو آدم بأسمائهم، وقيل: أمم أمثالكم في الخلق والموت والبعث، وقيل: أمم أمثالكم في الغذاء وطلب الرزق وغير ذلك[١].

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، فإنّ المراد به: وما من أمة من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم العلل؛ ليؤمنوا به وحده، ويتبعوا رسوله ﷺ[٢].

٣- استدلوا بقوله ﷺ عن الشهداء: ((أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل))[٣].

وقوله ﷺ: ((إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجع إلى جسده يوم القيامة))[٤].

فزعم أصحاب التناسخ أنَّ هذين الحديثين دليل على القول بالتناسخ، فالحديث الأول دلَّ على أنَّ أرواح الشهداء في جوف طير خضر، ودلَّ الحديث الثاني على أنَّ روح المؤمن طائر في شجر الجنة، فزعموا أنَّ هذا هو الثواب والعقاب[٥].

ويرد عليهم بأنَّ ما دلتهم عليه هذه النصوص الصحيحة يجب اعتقاده والإيمان به، وإن سماه أصحاب التناسخ تناسخًا، فإن هذا في البرزخ وليس في الدنيا، وهذا من تمام إكرام الله

---

(١) انظر: معالم التنــزيل (٣/ ١٤٢)، وفتح القدير (٢/ ١١٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٢٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (١٠١٦) برقم (١٨٨٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٥٥)، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى (٢٧٣٦) برقم (٤٢٧١) من حديث كعب بن مالك، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٩٤) برقم (٩٩٥).

(٥) انظر: الروح (١١٤)، والكاشف عن حقائق السنن (٨/ ٢٦٣٤)، وتحفة الأحوذي (٥/ ٢٢٢).

تعالى للشهداء؛ حيث أعاضهم من أبدانهم التي مزقوها لله أبدانًا خيرًا منها تكون مركبًا لأرواحهم، ليحصل بها كمال تنعيمهم، فإذا كان يوم القيامة رد أرواحهم إلى تلك الأبدان التي كانت فيها في الدنيا، والأرواح في البرزخ متفاوتة، فمنها أرواح في أعلى عليين، في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في جوف طير خضر تسرح في الجنة، حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا جميعهم؛ إذ منهم من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، أو غلَّة غلها، أو غير ذلك(١).

وأمَّا الحديث الآخر، وهو: ((إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجع إلى جسده يوم يبعث))(٢)، فقد أجاب ابن حزم رحمه الله عن استدلال أصحاب التناسخ به بقوله: «ولا حجة لهم في هذا الخبر؛ لأن معنى قوله ﷺ: (طائر يعلق) هو على ظاهره، لا على ظن أهل الجهل، وإنما أخبر عليه السلام أن نسمة المؤمن طائر بمعنى أنها تطير في الجنة فقط، لا أنها تنسخ في صور الطير»(٣).

حكم القول بتناسخ الأرواح:

القول بتناسخ الأرواح إنكار لعقيدة الإيمان باليوم الآخر، والبعث والحشر والحساب، التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليها المسلمون قديمًا وحديثًا، فإنكار ذلك إنكار لأحد أركان الإيمان الستة، وهو كفر بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٧-٩].

وأجاب النبي ﷺ جبريل حين سأله عن الإيمان بقوله: ((أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه

(١) انظر: الروح (١١٤-١١٥)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٦٠٥-٦١٦).
(٢) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٩٩].
(٣) الفصل (٣/ ٢٥٧-٢٥٨).

ورسله، واليوم الآخر وتؤمن، بالقدر خيره وشره))[١].

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما يفي ويكفي، مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت، فلا وجه للإنكار في ذلك»[٢].

وقد أجمع العلماء على تكفير من قال بتناسخ الأرواح، وممن نقل الإجماع:

١- ابن حزم رحمه الله، حيث قال: «أمَّا الفرقة المرتسمة باسم الإسلام فيكفي من الرد عليهم إجماع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أنَّ من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام، وأن النبي ﷺ أتى بغير هذا، وبما المسلمون مجمعون عليه من أنَّ الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح، بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة، ثم بالجنة أو بالنار في موقف الحشر فقط، إذا جمعت أجسادها مع أرواحها التي كانت فيها»[٣].

وقال أيضًا: «وأما من زعم أن الأرواح تنقل إلى أجساد أخر فهو قول أصحاب التناسخ، وهو كفر عند جميع أهل الإسلام»[٤].

٢- وقال القاضي عياض رحمه الله: «وكذلك نقطع على كفر...أو قال بتناسخ الأرواح، وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص، وتعذيبها أو تنعيمها فيها بحسب زكائها وخبثها»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان...(٦٨١) برقم (٨) من حديث ابن عمر.

(٢) التمهيد (٩/ ١١٦).

(٣) الفصل (١/ ١١٠).

(٤) المحلى، علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون طبعة وتاريخ، (١/ ٢٦).

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٤٧٦).

المبحث الثالث: سماع الحيوان لعذاب القبر:

من مسائل اليوم الآخر والتي لها علاقة بالحيوان: سماع الحيوان لعذاب القبر، فقد دلَّت السنة النبوية أنّ جميع المخلوقات غير الجن والإنس تسمع عذاب القبر، ونصت أدلة أخرى على سماع البهائم لعذاب القبر، فمن هذه الأدلة:

١- عن أنس بن مالكﷺ عن النبي ﷺ قال: ((العبد إذا وضع في قبره وتوُلِّي، وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، قال النبي ﷺ: فيراهما جميعًا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين))[1].

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخلت عليَّ عجوزان من عُجز يهود المدينة، فقالتا لي: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليّ النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله إنّ عجوزين، وذكرت له، فقال: (صدقتا، إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها)، فما رأيته بعد في صلاته إلا يتعوذ من عذاب القبر))[2].

٣- عن زيد بن ثابت[3]ﷺ قال: ((بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار، على بغلة له، ونحن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب: الميت يسمع خفق النعال (١٠٤) برقم (١٣٣٨) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه (١١٧٥) برقم (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الدعوات، باب: التعوذ من عذاب القبر (٥٣٥) برقم (٦٣٦٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب المساجد، باب: استحباب التعوذ من عذاب القبر (٧٦٨) برقم (٥٨٦).

(٣) هو: زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري، الخزرجي، استصغر يوم بدر فلم يشهدها، ثم شهد أحدًا وما بعدها، أحد الذين جمعوا القرآن، وأمره أبو بكر بجمع القرآن في خلافته، وكان من كتاب الوحي، وإمامًا في الفرائض، روى عنه بعض الصحابة وسعيد بن المسيب والقاسم بن محمد

=

معه، إذ حادت[١] به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منه وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدّجال))[٢].

فدلت هذه النصوص على سماع الحيوان بما فيها البهائم عذاب القبر، فهذه البغلة التي كان النبي ﷺ راكبًا عليها حادت به أي: مالت عن الطريق وعدلت حين سمعت صوت المعذبين[٣].

وقد أجمل النبي ﷺ الحكمة التي من أجلها أخفى الله تعالى عنّا سماع عذاب القبر، وهي: لئلا يترك الناس التدافن، وقد ذكر بعض العلماء تفصيل الحكمة في ذلك بأمور منها[٤]:

١- أنهم لو سمعوا ذلك لتركوا التدافن خوفًا على الميت، وبعدًا عن الفضيحة في القرائب لئلا يطلعوا على أحوالهم، فيكون في ذلك تخجيلاً لأهله؛ لأن الناس يقولون: هذا ولدكم وما أشبه ذلك.

٢- أنّ ذلك قد يؤدي إلى اختلاط عقول العقلاء منهم؛ لأنها صيحة عظيمة، قد يموت الإنسان أو يغشى عليه بسبب سماعها.

وغيرهم، توفي سنة ٤٥هـ، وقيل غيرها. انظر: الاستيعاب (٢/ ٥٣٧-٥٤٠)، والإصابة (٢/ ٥٩٢-٥٩٤).

(١) حادت به: أي مالت عن الطريق ونفرت. انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه (١١٧٥) برقم (٢٨٦٧).

(٣) انظر: التذكرة (١٢٢).

(٤) انظر: التذكرة (١٢٢)، والمفهم (٧/ ١٤٦)، ومرقاة المفاتيح (١/ ٣١٨-٣١٩)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/ ١١٨-١١٩).

٣- وإخفاء صوت عذاب القبر حتى يكون ذلك من باب الإيمان بالغيب لا من باب الإيمان بالشهادة، فإذا كان غائبًا عن الناس كان في ذلك امتحانًا لهم، فمن آمن به: آمن بالغيب، ولو كان مسموعًا لآمن به الناس و لم يدخل في الغيب.

المبحث الرابع: بعث الحيوان وحشره يوم القيامة:

دلّت نصوص الكتاب والسنة على أنَّ الحيواناتِ تبعث وتحشر يوم القيامة كما يبعث ويحشر الجن والإنس، فمن هذه الأدلة:

١- قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٢- قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

٣- قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء[1] من الشاة القرناء))[2].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت، إذا هو لم يعط فيها حقها، تطؤه بأخفافها، وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت، إذا لم يعط فيها تطؤه بأظلافها، وتنطحه بقرونها، قال: ومن حقها أن تحلب على الماء، قال: ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار[3]، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد بلغت، ولا يأتي ببعير يحمله على رقبته له رغاء[4] فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا، قد بلغت))[5].

٦- ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والدوابّ

(١) الجلحاء: هي التي لا قرن لها. انظر: النهاية في غريب الحديث (١٥٩) مادة (جلح).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب البر، باب: تحريم الظلم، (١١٢٩) برقم (٢٥٨٢).

(٣) اليعر: هو الصياح وأكثر ما يقال لصوت المعز. انظر: النهاية في غريب الحديث (١٠٢٥) مادة (يعر).

(٤) الرغاء: هو صوت الإبل، انظر: المرجع السابق (٣٦٦) مادة (رغا).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة (١١٠) برقم (١٤٠٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة (٨٣٣) برقم (٩٨٧).

والطير، وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذٍ أن الله يأخذ للجمَّاء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابًا، قال: فلذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا))[١].

وحشر الحيوانات يوم القيامة هو قول جمهور العلماء[٢]، فقد ذهب إليه من الصحابة أبو هريرة، وأبو ذر، وابن عباس في رواية عنه[٣]، وغيرهم من العلماء[٤].

قال السمعاني رحمه الله: «ولا شك في حشر البهائم والحيوان يوم القيامة»[٥].

وقال النووي رحمه الله في شرحه لحديث أبي هريرة السابق: «هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة، وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه الدعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة»[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأمَّا البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه، كما دلَّ عليه الكتاب والسنة»[٧].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الحشر بالموت[٨]، فجعل المراد بحشر هذه

---

(١) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٣/ ٣٤٤)، والطبري في جامع البيان (٢٤/ ١٨٠)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٤٥) برقم (٣٢٣١)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٦٠٦) برقم (١٩٦٦).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/ ١٢٦).

(٣) انظر: التذكرة (٢٣٦).

(٤) منهم: السمعاني في تفسير القرآن (٢/ ١٠٢)، والزمخشري في الكشاف (٢/ ٢١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٢٩٠)، والقرطبي في التذكرة (٢٣٧-٢٣٨)، والنووي في شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٣٦)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٨)، وابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ١١٣٢)، والدميري في حياة الحيوان (١/ ٥٢٠)، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ١١٤)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٦١٣).

(٥) تفسير القرآن (٢/ ١٠٢).

(٦) شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٣٦).

(٧) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٨).

(٨) انظر: جامع البيان (١١/ ٣٤٦).

البهائم وغيرها من الحيوانات هو موتها.

وقال طائفة من العلماء: إنّ الحشر الوارد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، راجع إلى الكفار، وما تخلله من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] كلام معترض وإقامة حجج.

وأمَّا الحديث فالمقصود منه التمثيل، لا الحقيقة، على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص فيه، حتى يفهم منه أنه لا بدَّ لكل أحد منه، وأنه لا محيص لمخلوق عنه.

وعلل هؤلاء قولهم بأنَّ هذه الحيوانات لا يجري عليها القلم، فلا يجوز أن يؤاخذوا به(١).

يقول الآلوسي رحمه الله: «ومال حجة الإسلام الغزالي(٢) وجماعة إلى أنه لا يحشر غير الثقلين؛ لعدم كونه مكلفًا، ولا أهلاً لكرامة بوجه، وليس في هذا الباب نص من كتاب وسنة معول عليها يدل على حشر غيرهما من الوحوش، وخبر مسلم والترمذي(٣) وإن كان صحيحًا، لكنه لم يخرج مخرج التفسير للآية، ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام، وإلى هذا أميل، ولا أجزم بخطأ القائلين بالأول؛ لأنَّ لهم ما يصلح مستندًا في الجملة، والله أعلم»(٤).

وهذا القول معارض للنصوص الثابتة من الكتاب والسنة التي سبق ذكرها في أول هذا

---

(١) انظر: بحر العلوم (١/ ٤٦٧)، والتذكرة (٢٣٧-٢٣٨)، وزاد المسير (٣/ ٣٦)، والبحر المحيط (٤/ ١٢٦)، وفتح القدير (٤/ ١١٤).

(٢) هو: أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الطوسي، الشافعي، الغزالي، ولد بطوس، سنة ٤٥٠هـ، ورحل إلى نيسابور وأخذ عن أبي المعالي الجويني، وأصبح أشهر تلاميذه، وأكثرهم نبوغًا، ذاع واشتهر صيته، مهر في الكلام والجدل، صنف في الفقه وأصوله، وعلم الكلام، قرأ الفلسفة فلم يستطع الخروج منها، له زلات صوفية فلسفية، قيل: إنه رجع في آخر حياته، والله أعلم بحاله، توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ١٩١-٢٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢-٣٤٦).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٤٠٥].

(٤) روح المعاني (٣٠/ ٥٢).

المبحث، والتي دلت على حشر جميع المخلوقات من الثقلين والحيوانات، ورد ذلك من أجل حجج عقلية قول باطل، وتقديم للعقل على نصوص الكتاب والسنة الظاهرة الجلية، فأمَّا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه من تفسيره لحشر الحيوانات بأنه: موتها، فإنه رضي الله عنه جاء عنه في رواية أخرى يوافق غيره من الصحابة الذين ذهبوا إلى القول بحشرها حشرًا حقيقيًّا، وهي أصح من رواية تفسير الحشر بالموت[١].

وأمَّا استدلالهم على ذلك بأنَّ هذه الحيوانات لا يجري عليها التكليف فكيف تحشر وتحاسب؟ يجاب عنه بأنها وإن كانت غير مكلفة فإنه يجري عليها القلم في الأحكام، ولكن فيما بينها فيؤخذ للمظلوم حقه من الظالم[٢].

يقول النووي رحمه الله: «وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره، قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأمَّا القصاص من القرْناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة»[٣].

فالحيوانات محشورة يوم القيامة كما يحشر غيرها من المخلوقات، هذا ما دلت عليه الأدلة الصحيحة والله أعلم[٤].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢١٩)، التذكرة (٢٣٦)، والحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: د. محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، ١٤١٩هـ، (٢/ ٣٣٥).

(٢) انظر: بحر العلوم (١/ ٤٦٧).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٣٦).

(٤) ويأتي – إن شاء الله – في المبحث التالي الكلام على القصاص للحيوانات يوم القيامة.

المبحث الخامس: القصاص بين الحيوانات:

من كمال عدل الله تعالى وحكمته: أنه يحشر يوم القيامة جميع مخلوقاته، ثم يقتص للمظلوم من ظالمه، حتى الحيوانات، فإنها تحشر - كما سبق - يوم القيامة، وقد نصت الأدلة على حشرها ثم القصاص بينها يوم القيامة، ومن ذلك:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء))(١).

٢- عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان جالسًا وشاتان تقترنان، فنطحت إحداهما الأخرى، فأجهضتها، قال: فضحك رسول الله ﷺ، فقيل له: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ((عجبت لها، والذي نفسي بيده ليقادن لها يوم القيامة))(٢).

وفي رواية: ((فقال: يا أبا ذر، هل تدري فيم تنتطحان؟ قال: لا، قال: لكن الله يدري، وسيقضي بينهما))(٣).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((يقتصُّ الخلق بعضهم من بعض، حتى الجمَّاء من القرناء، وحتى الذَّرَّةُ من الذَّرَّةِ))(٤).

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والدوابّ والطير، وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجمَّاء من القرناء، ثم يقول كوني ترابًا، قال: فلذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا))(٥).

٥- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: ((إذا كان يوم القيامة مد الأديم، وحشر

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٤٠٥].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٧٣)، والطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ١٧٢) برقم (٦١١٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٦١٠).

(٣) مسند أحمد (٥/ ١٦٢).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٦٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٣٩) برقم (١٨٤٠٦): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٦٠٨) رقم (١٩٦٧).

(٥) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٤٠٦].

الدوابّ والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدواب، يقتص للشاة الجمَّاء من الشاة القرناء، التي نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدوابّ قال لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا))[(١)].

فقد دلت هذه النصوص على أنّ الله تعالى يحشر الحيوانات كما يحشر غيرها من المخلوقات، وأن الله تعالى سوف يقتص من بعضها لبعض، وليس شرط هذا الحشر أن يحصل لها الثواب والعقاب، وهذا القصاص هو من باب المقابلة - كما في المبحث السابق - وليس من باب التكليف[(٢)].

ولم يأتِ في الأدلة أنّ هذه الحيوانات تبقى بعد حشرها والقصاص من بعضها البعض، والأظهر - والله أعلم - ما دلت عليه بعض الآثار السابقة أنها تكون بعد ذلك ترابًا.

فهذه الحيوانات وإن كانت غير داخلة في التكليف، فهي محشورة يوم القيامة، وسوف يقتص الله ﷻ من بعضها لبعض، والله تعالى حكم عدل أراد أن يري عباده كمال عدله، حتى في البهائم العجم، فكيف ببني آدم[(٣)].

«وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف، فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف، والقوي والضعيف»[(٤)].

ويقول الدَّميري رحمه الله: «فإذا قيل: القصاص انتقام، والبهائم ليست بمكلفة، فالجواب: أنها غير مكلفة، إلا أنَّ الله يفعل في ملكه ما أراد، كما سلط عليها في الدنيا التسخير لبني آدم، والذبح لما يؤكل منها، فلا اعتراض عليه ﷻ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٢٤/ ١٠٨)، والحاكم في المستدرك (١٤/ ٦١٩) برقم (٨٧١٦)، وقال: «رواته عن آخرهم ثقات، غير أن أبا المغيرة مجهول»، وقد وثق ابن حبان أبا المغيرة هذا في الثقات (٥/ ٥٦٥)، ووثقه يحي بن معين كما في الجرح والتعديل (٩/ ٩٣٩)، وقوى إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٦٠٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٣٦)، وفيض القدير (٥/ ٣٣٢)، ومرقاة المفاتيح (٩/ ٣١٦).

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٨٨).

(٤) مرقاة المفاتيح (٩/ ٣١٦).

وأيضًا فإن البهائم إنما يقتص منها لبعضها من بعض، لأنها لا تطالب بارتكاب نهي، ولا بمخالفة أمر؛ لأن هذا مما خص الله به العقلاء»[١].

(١) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٥٢٠).

المبحث السادس: حيوانات الجنَّة:

ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم، وكذلك نبيه ﷺ في سنته ألوانًا كثيرة من النعيم الذي أكرم الله تعالى به أهل الجنة، ومن هذا النعيم ما سخّر الله تعالى لهم في الجنة من الحيوانات، ففي الجنة من الطيور والدوابّ ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن الحيوانات التي جاء ذكرها في الجنة:

١- الإبل:

فعن أبي مسعود الأنصاري[١] رضي الله عنه، قال: ((جاء رجل بناقة مخطومة[٢]، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة، كلها مخطومة))[٣].

وفي رواية أخرى للحديث: ((لك بها سبعمائة ناقة مخطومة في الجنة))[٤].

والأولى حمل الحديث على ظاهره، وأن له في الجنّة سبعمائة ناقة حقيقية بدليل قوله ﷺ: (مخطومة)، ولو كان المراد بذلك مضاعفة الأجر، كما ذكر هذا الاحتمال بعض شُرَّاح الحديث[٥] لما وصفها بأنها مخطومة.

وقد ذكر النووي رحمه الله أن الأظهر له في الجنة سبعمائة ناقة كل واحدة مخطومة

---

(١) هو: أبو مسعود رضي الله عنه، عقبة بن عمرو بن ثعلبة، البدري الأنصاري، سمي البدري؛ لأنه كان يسكن بدرًا، واختلف في مشاركته في بدر، وهو أحدث من شهد العقبة سنًّا، استخلفه علي رضي الله عنه على الكوفة حين خرج إلى صفّين، مات بعد سنة أربعين من الهجرة. انظر: الاستيعاب (٣/ ١٠٧٤-١٠٧٥)، والإصابة (٤/ ٥٢٤).

(٢) مخطومة: أي، فيه خطام، وهو قريب من الزمام، والخطام حبل من ليف أو شعر أو كتان يجعل في أحد طرفيه حلقة، ثم يشد به الطرف الآخر ثم يقلد به البعير على مخطمه وهو الأنف. انظر: شرح صحيح مسلم (١٣/ ٣٨)، والنهاية في غريب الحديث (٢٧٢) مادة (خطم).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب: فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها (١٠١٧) برقم (١٨٩٢).

(٤) أخرجها أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١١٦)، وصححها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٢٥) برقم (٦٣٤).

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم (١٣/ ٣٨)، ومرقاة المفاتيح (٧/ ٣٣٣).

يركبهن حيث شاء للتنـــزه(١).

٢- الخيل:

عن بريدة(٢) رضي الله عنه: ((أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله هل في الجنة خيل؟ قال: إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تُحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا فعلت، قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقُل مثل ما قال لصاحبه، فقال: إن يدخلك الله الجنة، يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك))(٣).

٣- ثور الجنة وحوتها:

أجاب النبي ﷺ اليهودي الذي سأله عن تحفة أهل الجنة حين يدخلونها: فقال ﷺ: ((زيادة كبد النون(٤)، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها))(٥).

وفي حديث آخر سئل عن أول طعام يأكله أهل الجنة، فأجاب رسول الله ﷺ: ((أول

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٣/ ٣٨).

(٢) هو: أبو عبد الله بريدة بن الحصيب بن عبد الله الحارثي، الأسلمي، أسلم حين مر به النبي ﷺ مهاجرًا بالغميم، وأقام في موضعه حتى مضت بدرٌ وأحد، ثم قدم بعد ذلك، وكان ممن بايع تحت الشجرة، سكن البصرة لما فتحت، وغزا مع النبي ﷺ ست عشرة غزوة، توفي سنة ٦٣هـ. انظر: الاستيعاب (١/ ١٨٥)، والإصابة (١/ ٢٨٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٢)، والترمذي في سننه في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة خيل الجنة (١٩٠٧) رقم (٢٥٤٣)، والطيالسي في مسنده (١٠٨) رقم (٨٠٦)، وللحديث شاهد عن أبي أيوب أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة خيل الجنة (١٩٠٧) رقم (٢٥٤٤)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٥) رقم (٣٠٠١).

(٤) النون: هو الحوت، وزيادة كبده هي: القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في غاية اللذة والطعم. انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٣٦)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٣٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الطهارة، باب: بيان صفة مني الرجل والمرأة، وأن الولد مخلوق من مائهما (٧٣٠) رقم (٣١٥) من حديث ثوبان.

طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت))[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة[٢]، يتكفؤها[٣] الجبار بيده، كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنـــزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام[٤] ونون، قال: ما هذا؟ قال: ثور ونونٌ يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفًا))[٥].

٤- الغنم:

وردت في السنة النبوية أحاديث تدل على أن الغنم من دواب الجنة، فمن ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته (٢٦٨) رقم (٣٣٢٩) من حديث أنس.

(٢) الخُبْزة هي: الطُلمة وهو من عجين يوضع في الحفرة بعد إيقاد النار فيها تسمى المَلَّة. انظر: فتح الباري لابن حجر (١٥/ ١٤).

(٣) يتكفؤها أي: يميلها من كفأت الإناء إذا قلبته، والمعنى: يميلها من يد إلى يد أخرى حتى تجتمع وتستوي، لأنها ليست منبسطة. انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٣٥)، وفتح الباري لابن حجر (١٥/ ١٤).

(٤) بلام: لفظة عبرانية معناها: ثور. انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٣٦)، ويرى الخطابي رحمه الله أن اليهودي أراد أن يعمي الاسم فقطع الهجاء وقدم أحد الحرفين، فقال: يالام، وإنما هو في حق الترتيب: لام ياء هجاء أي: لأى على وزن: لها، أي: ثور يقال للثور الوحشي: اللأى، فصحف الرواة فقالوا: بلام، وإنما هو يالام. انظر: أعلام الحديث (٤/ ٢٢٦٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة (٥٤٧) رقم (٦٥٢٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب نزل أهل الجنة (١١٦٤) رقم (٢٧٩٢).

١- عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((الشاة من دواب الجنة))[١].

٢- عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الغنم من دواب الجنة، فامسحوا رغامها[٢]، وصلوا في مرابضها))[٣].

٣- عن أبي سعيد الخدريرضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أحسنوا إلى المعزى، وأميطوا عنها الأذى، فإنها من دواب الجنة))[٤].

٤- عن أبي هريرةرضي الله عنه أنه قال: ((أحسن إلى غنمك، وامسح الرعام[٥] عنها، وأطب مُراحها، وصلِّ في ناحيتها، فإنها من دواب الجنة))[٦].

وفي معنى قوله عن الغنم: أنها من دواب الجنة احتمالات منها[٧]:

الأول: أنها خلقت في الجنة ونزلت منها.

الثاني: أنها تدخل الجنة بعد الحشر.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في أبواب التجارات، باب اتخاذ الماشية (٢٦١٤) برقم (٢٣٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٥/ ٣٠٦) رقم (٢٣٠٦).

(٢) الرَغَام: هو التراب. وقيل: هو رمل مختلط بتراب أو دقاق التراب. انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٤٧) مادة (رغم).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٥٠) رقم (٤١٥٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٢٩١) رقم (٥٣٤٦)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ١٢٠) رقم (١١٢٨).

(٤) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٣٠٤) رقم (٩٨٧)، وله شاهد عند أبي هريرة أخرجه البزار في مسنده (١٤/ ٢٥١)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١١٣) رقم (٦٢٥٣)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥/ ٨٨) رقم (٢٠٧٠).

(٥) الرُّعام: هو ما يسيل من أنوفها. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٦٤) مادة (رعم).

(٦) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٣٣) رقم (١٦٦٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (١/ ٤٠٨) رقم (١٦٠٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٤٩) رقم (٤١٥٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١١٣) رقم (٦٢٥٠): «رجال أحمد رجال الصحيح»، وحسن إسناده ابن عبد البر في الاستذكار (٨/ ٥٠٤).

(٧) انظر: فيض القدير (٢/ ١١٦)، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، (٤/ ٣٩٩).

الثالث: أنها من نوع ما في الجنة بمعنى أنّ في الجنة أشباهها.

والصواب أنَّ الغنم وغيرها من الدوابّ التي في الدنيا لا توجد بعينها في الجنّة؛ لأنها بعد القصاص تكون ترابًا كما سبق في مبحث القصاص للحيوان يوم القيامة، وهي أيضًا ليست مخلوقة في الجنة ونازلة منها؛ لعدم وجود ما يدل على ذلك، فيتعين القول بأنها من نوع ما في الجنة، بمعنى أنَّ في الجنّة أشباهها، والله أعلم.

٥- الطير:

جاء في نصوص الكتاب والسنة ما يدل على وجود الطير في الجنة، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١]، وقد جاء في تفسير ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه أن الرجل في الجنة يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلاً بين يديه على ما اشتهى[(١)].

فدل ذلك على وجود الطير في الجنة، وأنَّ أهلها يتنعمون بأكل لحمها.

ومن السنة ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ فقال: ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجُزُر[(٢)]، فقال عمر: إن هذه لَنَاعِمَة، فقال رسول الله ﷺ: أكلتها أنعم منها))[(٣)].

وما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه قال عن الشهداء: ((أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل))[(٤)].

---

(١) انظر: معالم التنـزيل (٨/ ١٠)، وزاد المسير (٨/ ١٣٧).

(٢) الجُزُر: جمع جَزُور، وهو البعير ذكرًا كان أو أنثى. انظر: النهاية في غريب الحديث (١٥١) مادة (جزر).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٣٦)، والترمذي في سننه في كتاب صفة الجنّة، باب صفة طير الجنة (١٩٠٧) رقم (٢٥٤٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٤٩) رقم (٢٥١٤).

(٤) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٣٩٩].

فهذه طائفة من الحيوانات التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة، ولا يمنع أن يوجد في الجنّة - أيضًا - أنواع أخرى كثيرة، مما يتنعم به أهل الجنة من مأكول أو مركوب، أو متخذٍ للجمال والزينة وغير ذلك، ولهذا جاء في آية أخرى إطلاق اللحم في الجنة، وعدم تقييده بالطير، فقال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢].

فقد يكون هذا اللحم شاملاً لأنواع كثيرة من حيوانات الجنة، والنبي ﷺ قد ذكر أنواعًا من حيوانات الجنة بما يعرفه الناس عند نزول القرآن ويكثر استفادهم منه، ولا يمنع ذلك من وجود أنواع أخرى لم تكن معروفة عندهم كحيوانات البر والبحر.

يقول ابن قتيبة رحمه الله: «الضأن والإبل والخيل ليس منها شيء إلا ولها في الجنة مثال، وإنما تخلو الجنة من الخبائث كالقرود والخنازير والعقارب والحيات، وإذا جاز أن يكون في الجنة لحم جاز أن يكون فيها معزى وضأن، وإذا جاز أن يكون فيها طير يؤكل جاز أن يكون فيها نعم يؤكل»(١).

وهذه الدوابّ التي ورد ذكرها في الجنّة لا تشترك مع دواب الدنيا إلا في الأسماء فقط، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: ((ليس في الدنيا مما في الجنَّة إلا الأسماء فقط))(٢).

فحقائق هذه الدوابّ في الجنة لا يعلمها إلاّ الله ﷻ، فهم في الغاية من الجمال وحسن الطعام؛ لأنها من النعيم الذي يكرم الله تعالى به أهل الجنة والذي أخبر الله تعالى عنه بقوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧](٣).

وقد ذكر بعض المفسرين حيوانات أخرى تكون في الجنَّة بأعيانها، وهي: كلب

---

(١) تأويل مختلف الحديث (٢٤٤).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٦) رقم (٢٦٠)، وابن حزم في الفصل (١/ ٣٦٥)، وقال عنه: هذا إسناد في غاية الصحة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب: صفة الجنّة وأنها مخلوقة (٢٦٣) رقم (٣٢٤٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب صفة الجنّة (١١٦٩) رقم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة.

أصحاب الكهف، وحمار الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وناقة صالح، وكبش إسماعيل والبراق، وعجل إبراهيم، وهدهد سليمان ونملته، وحوت يونس، وبقرة بني إسرائيل[١].

وهذه الحيوانات المذكورة لم يرد ما يثبت دخولها الجنّة، فالقول بأنها في الجنَّة قول لا دليل عليه، فالصحيح أنَّ هذه الحيوانات كغيرها من الحيوانات لا يبقى منها شيء بعد الحشر والقصاص، بل تكون ترابًا، وما في الجنّة من الحيوان، فهي حيوانات أخرى خلقها الله تبارك وتعالى في الجنَّة لا تشترك مع هذه الحيوانات إلاّ في الأسماء فقط، والله أعلم.

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٤٤٦)، وإرشاد العقل السليم (٥/ ٢١٢)، وروح المعاني (١٥/ ٢٢٦).

المبحث السابع: حيوانات النار:

النار التي خلقها الله ﷻ مصيرًا وعذابًا لمن عصاه، فيها ألوان كثيرة من العذاب، ومن ذلك ما دلت عليه النصوص من وجود طائفة من الحيوان في النار، يُعذب بها أهل النار، فمن ذلك:

١- ما رواه عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي[١]، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ في النار حيات كأمثال أعناق البخت[٢] تلسع إحداهنَّ اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفًا، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة[٣] تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة))[٤].

٢- عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الذباب كله في النار إلا النحل))[٥].

---

(١) هو: عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معديكرب، الزبيدي، روى عن النبي ﷺ، وسكن مصر، وروى عنه المصريون، ومن آخرهم: يزيد بن أبي حبيب، آخر من مات من الصحابة بمصر، كانت وفاته سنة ٨٦هـ، وقيل: ٨٥هـ. انظر: الاستيعاب (٣/ ٨٨٣)، والإصابة (٤/ ٤٦).

(٢) البخت: هي الأنثى من الجمال، وهي جمال طِوال الأعناق. انظر: النهاية في غريب الحديث (٦٤) مادة (بخت).

(٣) الموكفة: من أكفت الحمار وآكفته، أي: شددت عليه الأكاف، والمعنى: محمول عليها. انظر: مرقاة المفاتيح (١٠/ ٣٥٥).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٩١)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٥١٢) رقم (٧٤٧١)، وحسن إسناده محققه شعيب الأرناؤوط، والحاكم في مستدركه (٤/ ٦٣٥) رقم (٨٧٥٤)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١٢٧٠) رقم (٣٤٢٩).

(٥) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٨٩) رقم (١٣٤٣٦)، وفي الأوسط (٢/ ١٦٠) رقم (١٥٧٥)، وقال ابن حجر: «إسناده لا بأس به». انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٤٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧١٤) رقم (١٨٥٩٦): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير بأسانيد رجال بعضها ثقات كلهم»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٤٧) رقم (٣٤٤٢)، وللحديث شواهد، منها عن ابن عباس عند الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٦٥) رقم (٨٠/ ١١٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٦٠) رقم (٦٠٩٠): «رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن

=

وكون الذباب في النار ليس تعذيبًا له، ولكن ليُعذب به أهل النار[١].

٣- ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]، قال: ((زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال))[٢].

فدلت هذه النصوص على وجود حيوانات في النار، يعذب الله تعالى بها أهل النار، وقد يوجد أنواع أخرى من الحيوان غير ما ذكر، والله أعلم.

والقول في حيوانات النار كالقول في حيوانات الجنة، بأنها ليست حيوانات الدنيا بعينها؛ لأنَّ حيوانات الدنيا - كما سبق - تنتهي ويقال: لها كوني ترابًا، بعد ما تحشر، ثم يقتص لبعضها من بعض، فهذه الحيوانات التي تكون في النار هي حيوانات خلقها الله تعالى ليعذب بها أهل النار، والله أعلم.

حازم وهو ثقة»، وعن أنس عند أبي يعلى في مسنده (٧/ ٢٣٠) رقم (٤٢٣١)، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧١٤): «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات».

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٤٥)، وعمدة القاري (٢١/ ٢٩٣)، وفيض القدير (٣/ ٦٧١).

(٢) أخرجه الصنعاني في تفسير القرآن (٢/ ٣٦٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٥٨) رقم (٣٥٢٧٥)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٦٥) رقم (٢٦٥٩)، وصحح إسناده محققه: حسين سليم أسد، والطبري في جامع البيان (١٧/ ٢٧٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٢٦) رقم (٩١٢٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٧) رقم (٣٣٥٧)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧١٥) رقم (١٨٦٠٠): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٤٩) رقم (٣٦٧٨).

الفصل الخامس

المسائل المتعلقة بالقدر

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: أفعال الحيوان.

المبحث الثاني: هداية الحيوان.

المبحث الثالث: مسألة إيلام الحيوان وبيان حكمة الله ﷻ فيها.

المبحث الأول: أفعال الحيوان:

الحيوان كغيره من المخلوقات، كلٌّ أفعاله بتقدير الله تعالى؛ إذ هو سبحانه وتعالى قدر كل المخلوقات، فقد أخبر سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

قال ابن كثير: «يَستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علم الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها»[١].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله عليه وسلم: ((كل شيء بقدر حتى العجز والكيس[٢]، أو الكيس والعجز))[٣].

فأفعال الحيوان تجري عليها مراتب القدر الأربعة وهي[٤]:

المرتبة الأولى: علم الله عز وجل للأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: أنَّ كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله تعالى.

المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى للأعمال وتكوينه وإيجاده لها.

فدخلت أفعال الحيوان في تقدير الله تعالى، فلا يحدث شيءٌ منها إلاَّ والله عز وجل علمه، ثم كتبه في اللوح المحفوظ، ثم شاء حدوثه، ثم خلقه وأوجده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ما يقوله أهل السنة: «الذي يقولونه: إن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وإنه لا يخرج عن ملكه وقدرته شيء، وقد دخل في ذلك جميع أفعال الحيوان»[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/٤٥٧).

(٢) الكيس ضد العجز وهو: النشاط والحذق بالأمور، ومعناه أن العاجز قد قدِّر عجزه والكيِّس قد قدِّر كيسه. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢٠٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر (١١٤٠) رقم (٢٦٥٥).

(٤) انظر: شفاء العليل: (١/٣٢٥).

(٥) منهاج السنة (١/٣٣٤).

وأفعال الحيوان على نوعين:

النوع الأول: اضطرارية لا قدرة للحيوان عليها، فالله عز وجل قدرها، ولا قدرة للحيوان عليها ولا اختيار، ومن أمثلة ذلك:

١- قال تعالى عن البقرة التي أمر موسى قومه بذبحها: قال تعالى:﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة: ٧١]، فوقع الفعل على هذه البقرة بغير قدرة منها ولا اختيار.

٢- حين سأل إبراهيم الله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى أمره بقوله:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فهذا الطير وقع عليه هذا الفعل من الأخذ والتقطيع والتوزيع على الجبال بغير قدرة منه ولا اختيار.

٣- قال تعالى عن ناقة صالح عليه السلام وصنع قومه بها: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الشعراء: ١٥٧].

فوقع الفعل عليها، حيث عقرها القوم من غير قدرة منها ولا اختيار.

النوع الثاني: أفعال اختيارية، وهي التي يكون للحيوان فيها قدرة واختيار، ولا تعارض في إضافة هذه الأفعال إلى الله تعالى وإلى الحيوان، فهي تضاف إلى الله تعالى؛ إذ هو الذي قدرها، فنسبتها إليه إيجادًا وخلقًا؛ لأنَّ الله هو الخالق لجميع الأسباب، وهي تنسب إلى الحيوان؛ لأنه هو الفاعل لها، ومن أمثلة ذلك:

١- أخبر الله تعالى عن ناقة صالح عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾[الشعراء: ١٥٥].

فأضاف الشرب إلى الناقة؛ لأنها الفاعل له، والشرب بتقدير الله.

٢- قال الله تعالى عن الطير التي أمر سبحانه إبراهيم عليه السلام بتقطيعها: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فأضاف السعي إليها؛ لأن الفعل صدر منها، والله تعالى هو الذي قدره.

٣- قال تعالى في قصة يونس عليه السلام: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾[الصافات: ١٤٢].

فأضاف الالتقام إلى الحوت لأنه الفاعل، والله تعالى هو الذي قدر هذا الفعل.

٤- قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾[النمل: ١٨].

فأمرت النملة قومها بالدخول، فأضيف الأمر والدخول إلى المساكن؛ لأن الفعل صدر منهم، والله تعالى هو المقدر لذلك كلِّه.

فهذه الأفعال الاختيارية لم يكن الحيوان مجبورًا عليها، بل جعل الله تعالى له قدرة واختيارًا بها يفعل الفعل، والله عز وجل خالقة وخالق للأسباب التي بها يفعل.

بل هذا الحيوان يؤمن بأن الإنسان غير مجبور على أفعاله الاختيارية، فقد سبق في قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام أنَّ الهدهد استنكر على ملكة سبأ وقومها سجودهم للشمس من دون الله تعالى، فهو يعلم أنَّ لهم قدرة واختيار بها يسجدون لله تعالى ويتركون السجود للشمس، وأنهم ليسوا مجبورين على السجود للشمس من دون الله تعالى.

والذئب حين أمر الرجل بتقوى الله عز وجل، لعلمه أنه غير مجبور على المعصية، بل جعل الله تعالى له قدرة واختيارًا على فعل الطاعة وترك المعصية(١).

وهذه النملة حين قالت لقومها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ [النمل: ١٨]، أضافت الفعل إليهم؛ لأنهم الفاعلون له، والله تعالى هو الذي قدر فعلهم فنسبت الفعل إليهم؛ لأنهم غير مجبورين على أفعالهم الاختيارية.

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٨٢].

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد، فهم يعتقدون أنَّ الله تعالى خالق أفعال العباد، والعباد فاعلون حقيقة لها، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر الفاجر، والمصلي والقائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، الله خالقهم، وخالق قدرتهم وإرادتهم(١).

فهم وسط بين الفرق التي ضلت في القدر، يبين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: «وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله؛ الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقة لكل شيء؛ وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل. فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قال الله عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨﴾[الأنعام: ١٤٨].

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير. فيقدر أن يهدي العباد ويُقَلِّب قلوبهم، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يعجز عن إنفاذ مراده، وأنَّه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات. ويؤمنون أنَّ العبد له قدرة ومشيئة وعمل، وأنَّه مختار ولا يسمونه مجبورًا؛ إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله، فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير. فإنَّ الله ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله»(٢).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٥٠)، وشفاء العليل (٢/٤٦٢-٤٦٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٧٤).

المبحث الثاني: هداية الحيوان:

من مراتب الهداية: الهدي العام، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها، وما يقيمها، وهذا النوع أعم مراتبه(١).

يقول الله عز وجل: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ١-٣].

فجعل الله عز وجل التسوية من تمام الخلق، والهداية من تمام التقدير(٢).

فالله تبارك وتعالى هو الذي هدى الحيوان لما فيه صلاح معاشه، وهذه الهداية الكونية(٣).

فإنَّ الله عز وجل قدَّر لكل حيوان ما يصلحه، فهداه إليه، وعرفه وجوه الانتفاع به، فترى الولد بمجرد خروجه من بطن أمه يلتمس غذاءه، وكذا سائر الحيوانات(٤).

ولهذا جعل موسى عليه السلام من دلائل ربوبية ربه عز وجل حين سأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾ [طه: ٤٩]، هدايته لخلقه الهداية العامة، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠].

فأعطى كلَّ مخلوق نظير خلقة في الصورة والهيئة، وخلق لكل شيء زوجة، ثم هداه لمنكحه، ومطعمه ومشربه، ومسكنه ومولوده.

وقيل: هداهم إلى الألفة والاجتماع والمناكحة.

وقيل: هداه لما يصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش(٥).

---

(١) انظر: شفاء العليل (٢/٥١٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢/٥١٧).

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم - جزء عم لابن عثيمين (١٦٥).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٢٠/٢٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (١١/٢١٦)، والبحر المديد (٨/٤٣٨).

(٥) انظر: جامع البيان (٨/٣١٦- ٣١٧).

والآية تتناول بعمومها جميع الأقوال، فهي أعم مما ذكر[١]: «فإن الآية شاملة لهداية الحيوان كلَّه ناطقه وبهيمه، وطيره ودوابه، فصيحه وأعجمه، وكذلك قول من قال: إنه هداية الذكر لإتيان الأنثى تمثيل أيضًا، وهو فرد من أفراد الهداية التي لا يحصيها إلا الله. وكذلك قول من قال: هداه للمرعى، فإن ذلك من الهداية، فأين الهداية إلى التقام الثدي عند خروجه من بطن أمه، والهداية إلى معرفته أمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت، والهداية إلى قصد ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه، وهداية الطير والوحش والدواب إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان، كهداية النحل إلى سلوك السبل التي فيها مراعيها على تباينها، ثم عوده إلى بيوتها وما يعرش بنو آدم»[٢].

وقد أطال الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر أمثلة كثيرة تبين هداية الله تعالى لأنواع من الحيوان، كهداية النحل في انتظامها وسيرها مع أميرها، وبناء بيوتها بهندسة عجيبة، وهداية النمل وعجائب من صنعها في طلب القوت والجد والاجتهاد، وهداية الحمام ومشاكلته للناس في أكثر طباعه، وكذلك هداية الدجاج والحمار، والفأر والثعلب وغيرها[٣].

وقد سبق الحديث عن ذلك في الفصل الأول عند الحديث عن دلالة خلق الحيوان وعجائبه على توحيد الله سبحانه في ربوبيته.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١٦/١١)، وشفاء العليل (٥٢١/٢).
(٢) شفاء العليل (٥٢١/٢-٥٢٢).
(٣) المرجع السابق (٥٢٢/٢-٥٦٨).

المبحث الثالث: مسألة إيلام الحيوان وبيان حكمة الله ﷻ فيها:

لقد خاض الناس في الآلام التي تنال غير المكلفين، بما فيهم الحيوان، من ذبح أو مرض أو غير ذلك، فاختلفوا في بيان الحكمة في ذلك إلى أقوال أشهرها ما يأتي:

القول الأول: المعتزلة، جعلوا كون ذلك عدلاً وقوعه بسبب جرم سابق أو عوض لاحق، وأنَّ إيلام الحيوان لنفع الآدمي به غير قبيح، أمَّا إيلامها لغير ذلك فلا بدّ من مصلحة ترجع إليها، وهي ما يحصل لها من العوض في الآخرة[(١)]، فيجب إعادتها لاستيفاء ذلك الحق الذي لها، وهو العوض عن الآلام التي حصلت لها.

فهم أثبتوا حكمة وتعليلاً يعودان إلى المخلوق لا إلى الخالق، وشبهوا الخالق ﷻ بخلقه، حيث جعلوا ما يحسن من عباده يحسن منه، وما يقبح منهم يقبح منه[(٢)].

---

(١) نقل الأشعري اختلاف المعتزلة في عوض البهائم إلى خمسة أقوال:

١- قال بعضهم: يعوضها الله في المعاد، وإنها تُنعَّم في الجنة، وتصور في أحسن الصور ونعيمها لا ينقطع.

٢- قال آخرون: يجوز أن يكون التعويض في الدنيا، ويجوز أن يكون في الموقف، ويجوز أن يكون في الجنة.

٣- وقيل: يجوز أن تكون الحيات والعقارب وما أشبهها من الهوام والسباع تعوض في الدنيا أو في الموقف، ثم تدخل جهنم فتكون عذابًا على الكافرين، ولا ينالها من ألم جهنم شيء كالخزنة.

٤- وقال آخرون: نعلم أن لها عوضًا، ولا ندري كيف هو.

٥- وقيل: إنها تحشر وتبطل. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠١-٢٠٢).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ، (٤٨٣)، ونهاية الأقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفردجيوم، بدون ذكر الطباعة ولا تاريخها (٤١٠-٤١١)، وأبكار الأفكار في أصول الدين، علي بن محمد الآمدي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، (١/ ٥٩٦-٥٩٨)، وطريق الهجرتين (٣٠٤-٣١٥).

القول الثاني: ذهبت الأشاعرة[١] إلى أنَّ الآلام مقدورة لله تعالى، وإذا فعلها فهي حسنة، وسواء أكانت مبتدأ بها، أم بطريق المجازاة، وسواء أتعقبها عوض أم لا، وأن العوض عليها غير واجب، فما وقع منه ﷻ فهو حسن، لا يُعترض عليه في حكمه، فعندهم أن مرد ذلك إلى محض المشيئة وصرف الإرادة[٢].

القول الثالث: ذهب أهل السنة والجماعة إلى أنَّ ما يصيب الحيوان من الآلام لم يقع إلا لحكم عظيمة؛ لأنه ﷻ لا يفعل إلاّ لحكمة وإن جهل الناس شيئًا من هذه الحكم.

فما من حيوان إلاّ ويحصل له من اللذة والخير والنعيم ما هو أعظم مما يحصل له من الألم، فإنه يلتذ بالأكل والشرب والنوم والجماع وغير ذلك، فنعيمه ولذته أضعاف أضعاف ألمه[٣].

يقول ابن القيم رحمه الله بعد ذكره خلاف الطائفتين في مسألة إيلام البهائم: «وقام حزب الله، وحزب رسول الله ﷺ وأنصار الحق بـــ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، حق القيام، ورعوا هذه الكلمة حق رعايتها

---

(١) الأشاعرة: فرقة تنسب إلى أبي الحسن الأشعري، الذي كان على مذهب المعتزلة، ثم تركهم، وقد تطور هذا المذهب بعده، فعامتهم يثبتون سبع صفات فقط، وينفون عن الله علو الذات، ويقولون: إن الإيمان هو التصديق، وهم جبرية في باب القدر، فقد قالوا بالكسب، ونفوا الحكمة والتعليل عن أفعال الله تعالى. انظر: الملل والنحل (١/ ٩٣-٩٩)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٨)، (٧/ ٦٣٧)، (١٧/ ٣٦١)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ، (٣/ ٩٢٩-١٣٨٣).

(٢) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ، (٢٧٣-٢٨٦)، ونهاية الأقدام في علم الكلام (٤١٠)، وأبكار الأفكار (١/ ٥٩٦)، وشفاء العليل (٣/ ١٢٣٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٥، ٢٠٨)، (١٤/ ٢٦٨)، وشفاء العليل (٣/ ١٢٣١-١٢٣٨)، وطريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عايد العقيلي وعبد الله القحطاني وخالد العايد، دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ١٤٣٢هـ. (٣٠٥-٣١٢)، ومختصر الصواعق (٢/ ٥٩٤-٦٠٠).

علمًا ومعرفة وبصيرة، ولم يلقوا الحرب بين حمده وملكه، بل أثبتوا له الملك التام الذي لا يخرج عنه شيء من الموجودات، أعيانها وأفعالها، والحمد التام الذي وسع كل معلوم، وشمل كل مقدور.

وقالوا: إنَّ له تعالى في كل ما خلقه وشرعه حكمةً بالغة، ونعمة سابقة، لأجلها خلق وأمر، ويستحق أن يثنى عليه، ويحمد لأجلها كما يثنى عليه، ويحمد لأسمائه الحسنى، ولصفاته العلى، فهو المحمود على ذلك كله أتم حمد وأكمله؛ لما اشتملت عليه صفاته من الكمال وأسماؤه من الحسن، وأفعاله من الحكم والغايات المقتضية لحمده، المطابقة لحكمته، الموافقة لمحابه، فإنه سبحانه كامل الذات، كامل الأسماء والصفات، لا يصدر عنه إلا كل فعل كريم، مطابق للحكمة، موجب للحمد، يترتب عليه من محابه ما فعل لأجله»[١].

هذه أشهر الأقوال في هذه المسألة[٢]، ومنشأ الخلاف فيها اختلافهم في مسألتين كبيرتين

---

(١) طريق الهجرتين (٣١٢-٣١٣).

(٢) من الأقوال في هذه المسألة — أيضًا —:

١- طائفة من التناسخية زعموا أن سبب هذه الآلام التي تصيب الحيوان أن أرواحها كانت أولاً في أبدان أشرف من البهائم، ثم بعد أن اقترفت الجرائم نقلت إلى أبدان البهائم؛ لتعذب على جرائمها. انظر: نهاية الأقدام (٤١٠)، وأبكار الأفكار (١/ ٥٩٨-٥٩٩)، وطريق الهجرتين (٣٢٠).

٢- ذهبت طائفة إلى أن كل نوع من أنواع الحيوان فيه أنبياء ورسلٌ، وأنها مستحقة للثواب والعقاب، وأنَّ ما ينـــزل بها من الآلام عقوبات على معاصيها ومخالفتها. انظر: طريق الهجرتين (٣٢٠)، والإرشاد (٢٧٥).

٣- ذهبت الثنوية المجوس القائلون بخالقين، خالق للنور وخالق للظلمة: أنَّ هذه الآلام والشرور من إله الظلمة دون إله النور. انظر: نهاية الأقدام (٤١٠)، وأبكار الأفكار (١/ ٥٩٨)، وطريق الهجرتين (٣٢١)، والإرشاد (٢٧٤).

٤- ذهبت البكرية إلى أنَّ البهائم لا تتألم، وذلك لما اعتقدوه من قبح الإيلام ولم يرتضوا مذاهب الفرق السابقة، وقد كابروا الحس وجحدوا الضرورة. انظر: أبكار الأفكار (١/ ٥٩٩) وطريق الهجرتين (٣١٧-٣١٩).

٥- قالت: الزنادقة والدهرية: كل ذلك من تصرف الطبيعة وفعلها، من غير فاعل مختار مدبر =

من مسائل القدر هما:

١- الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى(١).

٢- التحسين والتقبيح(٢).

بمشيئة وقدرة. انظر: طريق الهجرتين (٣٢١-٣٢٢).

(١) اختلفت هذه الطوائف في تعليل أفعال الله تعالى على ثلاثة أقوال:

١- قول الأشاعرة بأنه لا يجوز تعليل أفعال الله تعالى بشيء من الأغراض والعلل الغائية، فهو ﷻ لا يفعل لغاية ولا لحكمة أصلاً. انظر: نهاية الإقدام (٣٩٧)، وما بعدها، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، محمد عمر الرازي، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، (٢٠٥).

٢- قول المعتزلة: أن الله فعل المفعولات وخلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة مخلوقة منفصلة عنه، وأنَّ التعليل فيها واجب، فهم يثبتون الحكمة ولكن لا يعود إليه ﷻ منها شيء، فيزعمون أن الحكمة في ذلك إحسانه إلى الخلق، والحكمة في الأمر تعريض المكلفين للثواب. انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: أحمد الأهواني، وتوفيق الطويل، وسعيد زايد، طبعة القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٨٢هـ، (٦/ ٤٨)، (١١/ ٩١-٩٣)، نهاية الإقدام (٣٩٧).

٣- قول أهل السنة والجماعة: أنه ﷻ حكيم لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة، هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله كلها صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، فكل أفعاله لحكمة يعلمها هو، وقد يُعلم العباد بعض حكمه. انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧-٣٩، ٨١-٩٧، ٣٧٧)، وشفاء العليل (٣/ ١٠٢٥-١٣١٣)، وطريق الهجرتين (٢٤١-٢٤٢)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٣١٢).

(٢) اختلفت هذه الطوائف في مسألة التحسين والتقبيح على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول الأشاعرة، أنه لا يجب على الله شيء من قبل العقل، ولا يجب على العباد شيء قبل مجيء السمع، فالتحسين والتقبيح يتلقيان من الشرع، والعقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه، فلو عكس الشرع فحسن ما قبحه، وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعًا. انظر: الإرشاد (٢٥٨)، والمواقف (٣/ ٢٦١-٢٦٣)، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن

=

فالأشاعرة أصابوا في إثبات عموم المشيئة والقدرة، وأنه لا يقع في الكون شيء إلا بمشيئته، وأخطؤوا حين أبطلوا الأسباب والحِكم والتعليل ومراعاة مصالح الخلق.

والمعتزلة أصابوا في إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى، ولكنهم أخطؤوا في تعطيلهم عود الحكمة والغاية المطلوبة إلى الفاعل، فأثبتوا نوع حكمة تعود إلى المفعول لا إلى الفاعل، وكذلك تشبيههم الله بخلقه فيما يحسن منهم وما يقبح، فقاسوه في أفعاله على خلقه، واعتبروا حكمته بالحكمة التي لعباده[1].

وأصاب أهل السنة الذين جمعوا بين إثبات القدرة والمشيئة العامة، والحكمة الشاملة، التي هي غاية الفعل، وربطوا ذلك بالأسماء والصفات، فتصادق عندهم السمع والعقل والشرع والفطرة، وعلموا أن هذا هو مقتضى الحكمة، وأنه من لوازمها[2]، ثم جعلوا تلك الآلام التي تصيب الحيوانات لم تقع إلاّ لحكمة عظيمة أرادها الله تعالى، فلم تقع عبثًا، ولم

صالح المحمود، دار الوطن، ١٤١٨هـ، (٢٥٠).

القول الثاني: قول المعتزلة أن العقل هو الحاكم بالحسن والقبح، الفعل حسن أو قبيح في نفسه، إمَّا لذاته أو لصفة من صفاته لازمة له وإما لوجوه واعتبارات أخرى، فالعقل يعلم العلم الكامل بحسن الفعل وقبحه، ثم يحكم عليه، وأمَّا الشرع فهو كاشف ومبين لتلك الصفات فقط. انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد (٦/ ٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٤)، وشرح الأصول الخمسة (٤٨٤)، والمواقف (٣/ ٢٦١-٢٦٣)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة (١٦٣-١٦٧)، والقضاء والقدر (٢٥٢-٢٥٤).

القول الثالث: قول أهل السنة والجماعة: أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة، والعقل قد يدرك حسن الفعل وقبحه، قبل ورود الشرع، لكن لا يترتب على حسن الفعل ثواب أو عقاب إلاّ بالشرع، والشارع إذا أمر بشيء صار حسنًا، وإذا نهى عن شيء صار قبيحًا، فيكتسب صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع. انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٣٤-٤٣٦)، (٨/ ٦٧٧-٦٨٦)، (١١/ ٦٧٦-٦٧٧)، ومدارج السالكين، (٣/ ٤٨٨-٤٩٠)، ومفتاح دار السعادة (٢/ ٢٩٨-٥٠٩)، والقضاء والقدر (٢٥٥-٢٥٧).

(١) انظر: مختصر الصواعق (٤/ ٥٩٤-٥٩٥).

(٢) انظر: شفاء العليل (٣/ ١٢٣١).

تكن خارج قدرته وإرادته، ويتبين رجحان قولهم من خلال الأمور الآتية:

١- الأدلة الكثيرة التي دلت على إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره، والغايات المطلوبة له بذلك، والعواقب الحميدة التي يفعل لأجلها، ويأمر لأجلها، فقد دلت العقول الصحيحة والفطر السليمة على ما دلَّ عليه القرآن والسنة من أن الله جلّ وعلا لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا لغير حكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل[(١)].

وقد أطال الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر هذه الأدلة من الكتاب والسنة، فذكر اثنين وعشرين نوعًا من هذه الأدلة[(٢)].

وما يصيب الحيوان من الآلام هو من جملة أفعال الله تعالى التي لا تقع إلاّ معللة، والحكمة التي أرادها تبارك وتعالى.

٢- أن الحكمة من أفعال الله تعالى لا يشترط أن يطلع عليها العباد، فقد يُطلعهم الله ﷻ على شيء من حِكم أفعاله، وقد يخفي عنهم بعضها، وعلى المؤمن أن يؤمن بذلك كله عَلِم الحكمة أو جهلها، فيؤمن بأن الله سبحانه لا يفعل إلاّ لحكمة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وعلى هذا فكل ما فعله علمنا أنَّ له فيه حكمة، وهذا يكفينا من حيث الجملة، وإن لم نعرف التفصيل، وعدم علمنا بتفصيل حكمته بمنـزلة عدم علمنا بكيفية ذاته؛ وكما أن ثبوت صفات الكمال له معلوم لنا، وأمَّا كُنْه ذاته فغير معلومة لنا فلا نكذِّب بما علمناه ما لم نعلمه، وكذلك نحن نعلم أنَّه حكيم فيما يفعله ويأمر به، وعدم علمنا بالحكمة في بعض الجزئيات لا يقدح فيما علمناه من أصل حكمته، فلا نكذِّب بما علمناه من حكمته ما لم نعلمه من تفصيلها»[(٣)].

٣- قياس أفعال الله تعالى على أفعال البشر من أفسد القياس، وأشنعه، فلا يمكن للإنسان أن يحيط علمًا بحكمة الله تعالى في خلقه وأمره، وقضائه وقدره مهما أوتي من الفطنة

(١) انظر: المرجع السابق (٣/ ١٠٢٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (٣/ ١٠٢٦-١٠٨٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٢٧-١٢٨).

والذكاء والعلم والفهم، فمن المحال معرفة أسرار أفعال الله تعالى؛ لأنه ﷻ لا يُمثَّل بالخلق لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، بل له المثل الأعلى، فما ثبت لغيره من الكمال فهو أحق به، وما تنــزه عنه من النقص فهو أحق بتنــزيهه عنه سبحانه، وهذا هو الذي ضلت فيه المعتزلة؛ حيث شبهوا في الأفعال، فقاسوا أفعال الله على أفعال خلقه، وهو أفسد القياس(١)، لأنَّ أفعال الله تعالى لا تقاس بأفعال عباده، ولا تدخل تحت شرائع عقولهم القاصرة، بل أفعاله لا تشبه أفعال خلقه، ولا صفاته صفاهم، ولا ذاته ذواهم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٤- أنَّ هذه الآلام والمشاقّ التي تصيب الحيوان وغيره، إمَّا إحسان ورحمة، وإما عدل وحكمة، وإما صلاح وهيئة لخير يحصل بعدها، وإمَّا لدفع ألم هو أصعب منها، وإما أن تكون من لوازم الفضل والإحسان، فتكون من لوازم الخير، التي إن عطلت عطلت ملزوماها، وفات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام.

وهذه الآلام والأمراض والمشاق التي تصيب الحيوان غير المكلفة منها، مغمور جدًّا فيما يصل إليها من مصالح ومنافع، فلذاها أضعاف أضعاف آلامها، وما ينالها من المنافع والخيرات أضعاف ما ينالها من الشرور والآلام.

فأين آلام الحيوان من لذته؟ وأين سقمه من صحته؟ وأين جوعه وعطشه من شبعه وريه؟ وأين تعبه من راحته؟ فالآلام التي تصيب الحيوان لم يعدم هذا الألم عافية أشد من ذلك الألم، أو هيئة لقوة وصحة وكمال، أو عوضًا لا نسبة لذلك الألم إليه بوجه ما(٢).

فمن حكم بعض ما يصيب الحيوان من آلام النفعُ الذي يعود على من هو أفضل منه، إذ لو لم يحصل هذا الألم لفات ذلك، يوضح ابن الجوزي ذلك بقوله: «العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه البعض، فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض، وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق ﷻ وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة

---

(١) انظر: رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: أسعد محمد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ، (٥٨).

(٢) انظر: شفاء العليل (٣/ ١٢٣٤-١٢٣٧).

التسليم لما خفي عنه، ومتى اشتبه علينا أمر في فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان، ثم قد ظهرت حكمة ذلك، فإنا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتي من الفهم والفطنة، والقوى النظرية والعملية، وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه ولا يقوم في إبقاء القوى مقام اللحم شيء، ولا يستطرف تناول القوي الضعيف، وما فيه فائدة عظيمة لما قلَّت فائدته، وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم، فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات، فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته، فلم يكن لإيجاده فائدة»[1].

---

(١) تلبيس إبليس (٦٢).

الفصل السادس

مسائل الأسماء والأحكام المتعلقة بالحيوان

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: لعن الحيوان.

المبحث الثاني: الفاسق من الحيوان.

المبحث الثالث: تفضيل الأنعام على المشرك.

المبحث الرابع: تشبيه الكافر ببعض الحيوان.

تمهيد: المراد بالأسماء والأحكام:

يقصد بالأسماء والأحكام إطلاق أسماء الدين على من يستحقها مثل: الإيمان والإسلام، والإيمان والكفر، والنفاق والفسق، وتسمية العبد بالمؤمن والمسلم والكافر والمنافق والفاسق، وبيان أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة[١].

والخلاف في هذه المسألة هو أول خلاف حدث في مسائل أصول الدين.

وأهل السنة والجماعة في باب الأسماء والأحكام وسط بين المرجئة والوعيدية[٢].

ولما كانت بعض مسائل الحيوان لها علاقة بشيء من الأسماء مثل: إطلاق الفاسق على بعض الحيوان، وما يتعلق بلعن الحيوان ذكرتها في هذا الفصل، وأضفت إليها ما يتعلق بتفضيل الحيوان على الكافر، وتشبيهه به أحيانًا.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (٣/٣٧٤).

المبحث الأول: لعن الحيوان:

اللعن في اللغة: الطرد والإبعاد[١]، فهو إبعاد في المعنى والمكانة والمكان[٢]، يقال: لعنه، أي: طرده وأبعده، فهو لعِين وملعون[٣]. والتلاعن هو: التشائم والتَّماجُن[٤]، يقال: لعنته، أي: سببته[٥]، والَّلعنة - أيضًا - هي: الدعاء عليه، وفي القرآن هي: العذاب[٦].

واللعن في الشرع: الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى[٧]، فهو من الله تعالى: الطرد والإبعاد من رحمته، ومن المخلوقات طلب طرد الملعون، وإبعاده من رحمة الله تعالى[٨].

وقد جاءت السنة النبوية بالتحذير من الَّلعن، وأنَّ الَّلعن خلق ذميم يجرم صاحبه، فلا يكون من الشفعاء والشهداء يوم القيامة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة))[٩].

فهم لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار، ولا يكونون شهداء - أيضًا - فلا يشهدون يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات، وقيل: لا تقبل شهاداتهم في الدنيا لفسقهم، وقيل: لا يرزقون الشهادة، وهي القتل في سبيل الله[١٠].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: ((إن العبد إذا لعن شيئًا، صعدت اللعنة إلى

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٠٣)، مادة (لعن).

(٢) انظر: التعاريف (٦٢١)، باب اللام فصل العين.

(٣) انظر: القاموس المحيط (١٥٨٨)، باب النون فصل اللام.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: العين (٢/ ١٤١) باب العين واللام والنون معهما مادة (لعن).

(٦) انظر: المرجع السابق (٢/ ١٤٢).

(٧) انظر: شرح مشكل الآثار (٩/ ١٦٨)، وعمدة القاري (١/ ٢٠٣).

(٨) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٥٦).

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها (١١٣١) رقم (٢٥٩٨).

(١٠) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٤٩).

السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، فتهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينًا وشمالاً، فإذا لم تجد مساغا[(١)] رجعت إلى الذي لُعِن، فإذا كان أهلاً لذلك نزلت عليه، وإلا رجعت إلى قائلها))[(٢)].

وأوصى النبي ﷺ جابر بن سليم[(٣)]، فقال له: ((لا تسبنَّ أحدًا، قال: فما سببت بعده حرًّا ولا عبدًا، ولا بعيرًا ولا شاة))[(٤)].

فدلت هذه النصوص على النهي عن لعن من لا يستحق اللعن، من إنسان أو حيوان أو غير ذلك، بل جاءت أدلة صريحة في النهي عن لعن الدواب، فمن ذلك:

١- عن عمران بن الحصين[(٥)] رضي الله عنه قال: ((بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة لها، فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة، قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس، ما يعرض لها أحد))[(٦)].

---

(١) مساغًا: أي، مسلكًا وسبيلاً تنتهي إليه. انظر: فيض القدير (٢/ ٤٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب: في اللعن (١٥٨٣) رقم (٤٩٠٥)، وجود إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٦٠١)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٧) رقم (٤٩٠٥).

(٣) هو: أبو جري، جابر بن سليم، التميمي، الهجيمي، روى عنه جماعة منهم ابن سيرين، وأبو تميمة الهجمي، سكن البصرة. انظر: الاستيعاب (١/ ٢٢٥-٢٢٦)، وأسد الغابة (١/ ٣٧٣).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار (١٥٢١) رقم (٤٠٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٦) رقم (٢٠٨٨٢)، وحسنه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٢٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٦٩) رقم (٤٠٨٤).

(٥) هو: عمران بن حصين بن عبيد بن خلق، الخزاعي، الكعبي، أسلم عام خيبر، كان من فقهاء الصحابة، وفضلائهم، غزا مع النبي ﷺ عدة غزوات، روى عنه: ابنه نجيد وأبو الأسود الدؤلي وغيرهم. انظر: الاستيعاب (٣/ ١٢٠٨)، والإصابة (٤/ ٧٠٥).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والأدب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها (١١٣١) رقم (٢٥٩٥).

وإخبار النبي ﷺ عن هذه الناقة بأنها ملعونة؛ لأنه ﷺ قد عَلِم أنَّه استجيب لهذه المرأة الدعاء باللعن، فمتى عُلم استجابة الدعاء من لاعن، أمرنا بإرسال دابته، ولا سبيل إلى علم ذلك لانقطاع الوحي(١).

وذهب بعض الشُّراح إلى أنَّ هذه النّاقة لّما كانت غير مكلّفة صار لعنها أي: خروجها من ملك صاحبتها وبعدها عنها وتركها لها، معاقبة لصاحبتها التي لعنتها مع نهيه ﷺ عن اللعن قبل ذلك(٢)، والأولى حمل اللعن على معناه الشرعي، وأنَّ النبي ﷺ أخبر بأنها ملعونة وإن كانت غير مكلفة عقوبة لمن لعنها.

يقول الإمام النووي مبينًا حكم هذه الناقة والانتفاع بها بعد لعنها: «إنما قال هذا زاجرًا لها ولغيرها، والمراد النهي عن مصاحبته لتلك الناقة في الطريق، وأما بيعها وذبحها وركوبها في غير مصاحبته فهي باقية على الجواز؛ لأنَّ الشرع إنما ورد بالنهي عن المصاحبة، فبقي الباقي كما كان»(٣).

٢- عن أبي هريرةﷺ قال: ((كان رسول الله ﷺ في سفر يسير، فلعن رجل ناقة، فقال: أين صاحب الناقة، فقال الرجل: أنا، فقال: أخرجها فقد أجيب فيها))(٤).

وهذا الحديث يؤيد ما سبق أنَّ النبي ﷺ قد أطلعه الله تعالى على استجابته دعاء صاحب الناقة على ناقته، ولعنه إياها؛ فلذلك أمر بتركها.

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((سار رجل مع النبي ﷺ، فلعن بعيره، فقال

---

(١) انظر: صحيح ابن حبان (١٣/ ٥٣).

(٢) انظر: إكمال المعلم (٨/ ٦٧-٦٨)، والمفهم (٦/ ٥٨٠-٥٨١).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٤٧-١٤٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٢٨)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٤) رقم (٤٢٢٣)، «رواه أحمد بإسناد جيد»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤٧) رقم (١٣٠٣٧): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠) رقم (٢٧٩٦): «حسن صحيح».

النبي ﷺ: يا عبد الله، لا تسر معنا على بعير ملعون))[١].

٤- وعن جابر رضي الله عنه، أنَّ رجلاً من الأنصار على ناضح له، فأناخه فركبه، ثم بعثه، فلدَّن[٢] عليه بعض التلدُّن، فقال له: شأ[٣] لعنك الله، فقال رسول الله ﷺ: ((من هذا اللاعن بعيره؟ فقال له: أنا يا رسول الله، قال: انزل عنه، فلا يصحبنا ملعون، لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم))[٤].

٥- عن زيد بن خالد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لا تسبوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة))[٥].

٦- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((أنّ الديك صرخ عند النبي ﷺ، فقال رجل: اللهم العنه، فقال النبي ﷺ: لا تلعنه ولا تسبه؛ فإنه يدعو إلى الصلاة))[٦].

ففي هذه النصوص دلالة على تحريم لعن الدوابّ والبهائم، وغيرها من الأموال والأولاد، وكذلك الحيوان لا يلعن إلاّ ما كان مستحقًّا لذلك كالمؤذي منها، ويدل لذلك

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٣٠٥) رقم (٣٦٢٢)، وقال محققه: حسن سليم أسد: إسناده جيد، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وأدب اللسان، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار الكتب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، (٢٠٨) رقم (٣٨٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٤) رقم (٤٢٢٢): «رواه أبو يعلى وابن أبي الدنيا، بإسناد جيد»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤٧) رقم (١٣٠٣٨): «رجال أبي يعلى رجال الصحيح»، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩) رقم (٢٧٩٥): «حسن لغيره».

(٢) تلدَّن، أي: تلكأ وتمكَّث، ولم ينبعث. انظر: النهاية في غريب الحديث (٨٣٣) مادة (لدن).

(٣) شأ: هي كلمة زجر للبعير. انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ١٣٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر (١١٩٨) رقم (٣٠٠٩).

(٥) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٢٤].

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٦) رقم (٩٧٩٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٩٨) رقم (٥١٧٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠) رقم (٢٧٩٨): صحيح لغيره.

لعنه ﷺ العقرب، فعن علي بن أبي طالبﷺ قال: ((لدغت النبي ﷺ عقرب، وهو يصلي فلما فرغ قال: لعن الله العقرب، لا تدع مصليًا ولا غيره، ثم دعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ: قل يا أيها الكافرون، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس))[(١)].

فالحيوان لا يجوز لعنه ولا سبه إلاَّ إذا كان مستحقًّا لذلك، وهو المؤذي منها، أمَّا غير المؤذي فينهى عن لعنه لعموم الأدلة الدّالة على النهي عن اللعن، والدعاء على الدوابّ والأولاد والأموال، فلا تلعن الحيوانات ولا يحكم عليها باللعن إلاّ ما كان مستحقًّا منها لذلك.

والحيوان كما أنه لا يجوز لعن إلا من استحقَّ اللعن منه، فهو كذلك يلعن من يستحق اللعن من بني آدم. فهو من اللاعنين الذين أخبر الله تعالى أنهم يلعنون طوائف من أهل المعاصي كما سبق ذكر ذلك في مطلب الولاء والبراء عند الحيوان في الفصل الأول.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٩٠) رقم (٥٨٨٩)، والصغير (٢/ ٨٧) رقم (٨٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥١٨) رقم (٢٥٧٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٩٨) رقم (٢٤٠١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٩١) رقم (٨٤٤٥): رواه الطبراني في الصغير وإسناده حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٨٩) رقم (٥٤٨)، وله شاهد عن عائشة رضي الله عنها عند ابن ماجة في سننه في كتاب الصلاة: باب ما جاء في قتل الحية والعقرب في الصلاة (٢٥٥٠) رقم (١٢٤٦)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٨٨) رقم (٥٤٧).

المبحث الثاني: الفاسق من الحيوان:

الفسق لغة هو: الخروج، يقال: فسقت الرُّطبة من قشرها إذ خرجت[١].

والفسق في الشرع: الخروج من الطاعة إلى المعصية[٢].

وقد جاء في الحديث إطلاق الفسق على بعض الحيوان، فمن ذلك:

أولاً: عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: ((خمسٌ من الدوابّ كلهنُّ فاسق، يقتلن في الحرم: الغراب، والحِدأُ، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور))[٣].

وفي رواية لمسلم: ((خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية، والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحُديَّا))[٤].

فهذه خمس دواب أخبر النبي ﷺ عن فسقها، وإذا أضيفت الحية إليها صارت ستًّا، وقد جاءت رواية للحديث بقوله: (ست)[٥]، ورجح الحافظ ابن حجر أنه ﷺ نبه بإحداهما على الأخرى عند الاقتصار وبين حكمهما معًا حيث جمع[٦].

وسميت هذه الدوابّ فواسق لخروجها عن حكم غيرها بالإيذاء والإفساد، وعدم الانتفاع، وقيل: سميت بذلك لخروجها عن حكم غيرها من الحيوان في تحريم قتله، فيلحق بها كل ما جاز قتله للحلال في الحرم والحل، وقيل: سميت بذلك لخروجها عن حكم غيرها من الحيوان في حل أكله، لقوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فيلحق بها ما لا يؤكل إلا ما نهي عن قتله.

والأرجح هو القول الأول، فسبب تسميتها بالفواسق: خروجها عن حكم غيرها من الحيوان بالإيذاء والإفساد، وعدم الانتفاع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وسمَّاهنّ

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٢)، ولسان العرب (١٠/ ٣٠٨) مادة (فسق).

(٢) انظر: جامع البيان (١٣/ ١٩٩)، وشرح صحيح مسلم، (٨/ ١١٤)، والمفهم (٣/ ٢٨٤).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٤٩].

(٤) التخريج السابق.

(٥) مسند أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، دار المعرفة، بيروت (٢/ ٤١١) رقم (٣٦٣٥).

(٦) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٥/ ١٠٥).

فواسق؛ لأهنّ يفسقن، أي: يخرجن على الناس ويعتدين عليهم، فلا يمكن الاحتراز منهنَّ كما لا يحترز من السباع العادية، فيكون عدوان هذا أعظم من عدوان كل من السباع وهنَّ أخبث وأحرم»[١].

فدلَّ الحديث على إطلاق الفسق على ستٍّ من الدوابّ هي:

١- الغراب:

قيل سُمِّي بذلك لسواده[٢]، ومن فسق الغراب وخروجه عن حد الاستقامة، وأذاه: أنّه ينقر ظهر البعير، وينـــزع عينه، ويقع على داء البعير الدبر فينقره حتى يقتله، ولذلك تسميه العرب ابن داية، وينـــزع عن الخير، ويختلس أطعمة الناس[٣]، والمراد بالغراب الذي أطلق عليه الفسق وأمر بقتله هنا هو: الغراب الأبقع، أي: الأسود الذي في ظهره أو بطنه بياض، ويلتحق به ما شاركه في الإيذاء، وقد اتفق العلماء على إخراج الغراب الصغير الذي يأكل الحب ويعرف بغراب الزرع[٤].

٢- الحِدَأُ:

وهو جمع حِدَأة، وهي: أخسُّ الطير، وتأكل الجرذان، من ألوانها: السُّود والرُّمْدُ، وهي لا تصيد وإنما تخطف، ومن فسقها أنها تؤذي الناس بخطف طعامهم، وتحريم أكلها[٥].

٣- العقرب:

يطلق على الذكر والأنثى، فهي مع صغرها تقتل الفيل والبعير بلسعها، ومنها

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٠٩-٦١٠).

(٢) انظر: حياة الحيوان (٣/ ٢٥٨).

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث (١٤١)، وكشف اللثام (٤/ ٢٠٧).

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٥/ ١٠٤).

(٥) انظر: التمهيد (١٥/ ١٦٠)، وكشف اللثام (٥/ ٢٠٩)، والعين (٣/ ٢٧٨)، وحياة الحيوان (٢/ ٢٠).

عقارب قاتلة، ربما تناثر اللحم من لسعتها[١]، وسبق لعن النبي ﷺ لها؛ لأنها لا تدع مصليًا ولا غيره.

٤- الفأرة:

ليس في الحيوان أفسد منها؛ لأنها لا تبقي على خطير ولا جليل إلاّ أهلكته، وأتلفته[٢]، وقد حذّر منها النبي ﷺ، وسماها الفويسقة، فعن جابر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت))[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ((جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها، فألقتها بين يدي رسول الله ﷺ على الخُمْرَة[٤] التي كان قاعدًا عليها، فأحرقت منها مثل موضع درهم، فقال: إذا نمتم فأطفئوا سرجكم فإن الشيطان يدلُّ مثل هذه على هذا فتحرقكم))[٥].

---

(١) انظر: حياة الحيوان (٣/ ١٥٠، ١٥٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣/ ٣٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داءً وفي الآخر شفاءً، وخمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (٢٦٧) رقم (٣٣١٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الأشربة، باب: استحباب تخمير الإناء وهو تغطيته وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر الله...(١٠٣٨) رقم (٢٠١٢).

(٤) الخُمْرَة: هي مقدار ما يضع عليه المصلي وجهه في السجود من حصير أو نسيجة، والحديث يدل على أنها أكبر من ذلك، سميت خمرة لأنها تخمر وجه المصلي عن الأرض. انظر: شرح السنة (٢/ ١٣٣)، والنهاية في غريب الحديث (٢٨٥) مادة (خمر).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب: إطفاء النار بالليل (١٦٠٦) رقم (٥٢٤٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٤١٩) رقم (١٢٢٢)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٣١٧) رقم (٧٧٦٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٤١٣) رقم (١٤٢٦).

وقيل: سميت فويسقة لخروجها من جحرها على الناس، واغتيالها إياهم في أموالهم بالفساد(١).

٥- الكلب العقور:

للعلماء فيه قولان:

الأول: أن المراد به الكلب المعروف خاصة دون غيره من السباع(٢).

الثاني: أن المراد به كل سبع يعقر، أي يجرح ويقتل، ويفترس كالأسد والنمر والذئب(٣)، واستدل له بقوله ﷺ: ((اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك فقتله الأسد))(٤)، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]، فاشتقها من اسم الكلب، ونسبه ابن حجر للجمهور(٥).

٦- الحية:

والحية سبق الكلام عليها وأنَّها تُقْتَل في الحل والحرم، ويستثنى من ذلك: حيات البيوت، إلاّ الأبتر وذا الطفيتين؛ لأنها من الفواسق، واختلف العلماء هل يقاس على هذه الفواسق غيرها، فيكون له حكم القتل في الحل والحرم؟ على قولين:

القول الأول: الحنفية اقتصروا على الست المذكورة في الحديث والذئب؛ لمشاركته في الكلبة، وألحقوا بذلك من ابتدأ بالعدوان والأذى من غيره(٦).

---

(١) انظر: معالم السنن (٢/ ١٨٥).

(٢) انظر: الحجة على أهل المدينة، محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، (٢/ ٢٤٣)، وفتح الباري لابن حجر (٥/ ١٠٧).

(٣) انظر: التمهيد (١٥/ ١٥٧)، والنهاية في غريب الحديث (٦٣) مادة (عقر).

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٣٨-٣٣٩)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٨٨) رقم (٣٩٨٤)، وصححه ووافقه الذهبي، من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه في دعاء النبي ﷺ على عتبة أبي لهب، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (٥/ ١٠٧).

(٥) انظر: فتح الباري (٥/ ١٠٧).

(٦) انظر: المبسوط، محمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، (١٢/ ١٩٨)، والتمهيد (١٥/ ١٦٥).

القول الثاني: ذهب الجمهور إلى قياس غير هذه الست المذكورة في الحديث عليها[(١)]، وهو على قسمين:

الأول: مذهب الشافعي: أنه يقاس على المذكورات كل سبع ضار أو عاد يعدو على الناس، وكل حيوان يؤكل لحمه؛ لأن الحديث يشتمل على أعيان بعضها سباع ضارية، وبعضها هوام قاتلة، وبعضها طير لا تدخل في معنى السباع، ولا هي من جملة الهوام، وإنما هو حيوان مستخبث اللحم، وتحريم الأكل يجمع الكل، فاعتبره ورتب الحكم عليه، ويستثنى ما تولد من مأكول غيره[(٢)].

الثاني: مذهب مالك: أنه يقاس على المذكورات في الحديث كل ما عقر الناس وعدا عليهم، مثل: الأسد والفهد والنمر والذئب، فهو الكلب العقور، فأما ما كان من السباع لا يعدو مثل: الضبع والثعلب فلا يقتلهن المحرم، ولا يقتل ما ضر من الطير إلاّ الغراب والحدأة[(٣)].

والراجح: قتل هذه الأشياء المذكورة وما كان مثلها في الفسق أو أشد منها، يقول ابن قدامة رحمه الله: «الخبر نص من كل جنس على صورة من أدناه تنبيهًا على ما هو أعلى منها، ودلالة ما كان في معناها، فنصه على الحِدَأة والغراب تنبيهٌ على البازي ونحوه، وعلى الفأرة تنبيه على الحشرات، وعلى العقرب تنبيه على الحية، وعلى الكلب العقور تنبيه على السباع التي هي أعلى منه»[(٤)].

ثانيًا: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: ((قال للوزغ: فويسق، ولم أسمعه

---

(١) شرح صحيح مسلم (٨/ ١١٣)، وفتح الباري، لابن حجر (٥/ ١٠٧).

(٢) شرح السنة (٧/ ٢٦٨)، وشرح صحيح مسلم (٨/ ١١٤)، وفتح الباري، لابن حجر (٥/ ١٠٧).

(٣) انظر: الاستذكار (٤/ ١٥١)، والمفهم (٣/ ٢٨٥)، وشرح السنة (٧/ ٢٦٨)، وفتح الباري، لابن حجر (٥/ ١٠٧).

(٤) المغني (٥/ ١٧٧).

أمر بقلته))[١].

وعن سعد بن أبي وقاص[٢] رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ: ((أمر بقتل الوزع، وسماه فويسقًا))[٣].

هذا هو السابع من الدوابّ الذي جاء إطلاق الفسق عليه، وهو الوزغ، والوزغ: دويبة معروفة، وهي سامُّ أبرص، وهو من الحشرات المؤذية[٤]، ويسمى: البرصي[٥].

وسبب تسميته بالفويسق؛ لأنه كالفواسق السابقة؛ حيث خرجت عن خُلُقِ معظم الحشرات ونحوها، بزيادة الضرر والأذى[٦].

وهو مجمع على تحريم أكله[٧].

وقد ذكر النبي ﷺ من فسق الوزغ أنَّه كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام حين أُلقي فيها؛ ولهذا أمر النبي ﷺ بقتله، وحث على ذلك، وقال: ((كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام))[٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب (١٤٣) رقم (١٨٣١)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، باب استحباب قتل الأوزاغ (١٠٧٦) رقم (٢٢٣٩).

(٢) سعد بن أبي وقاص هو: أبو إسحاق، سعد بن مالك بن أهيب، القرشي، الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم موتًا، روى عنه من الصحابة: عائشة وابن عباس، ومن كبار التابعين: سعيد بن المسيب وغيرهم، كان أحد الفرسان، وهو أول من رمى سهمًا في سبيل الله، كان رأسًا في فتح العراق، وكان مجاب الدعوة، وكان الرسول ﷺ يقول عنه: هذا خالي، مات سنة ٥١هـ، وقيل: ٥٤هـ. انظر: الاستيعاب (٢/ ٦٠٦-٦١٠)، والإصابة (٣/ ٧٣-٧٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في السلام، باب: استحباب قتل الأوزاغ (١٠٧٦) رقم (٢٢٣٨).

(٤) انظر: حياة الحيوان (٤/ ٢٠٦).

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٩٦).

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم (١٤/ ٢٣٧).

(٧) انظر: التمهيد (١٥/ ١٨٦).

(٨) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٢٢٦].

وكذا حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة، لدون الأولى، وإن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة، لدون الثانية))(١).

وفي رواية: ((من قتل وزغًا في أول ضربة كتب له مائة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك))(٢)، وفي رواية: ((في أول ضربة سبعين حسنة))(٣).

فهذا حث منه ﷺ على قتل الوزغ الفاسق، حيث رتب على قتله هذا العدد من الحسنات، وذلك للحض على المبادرة بقتله، والجدِّ في ذلك، وترك التواني، فجعل قتله في أول ضربة أعظم من الثانية، ثم الثانية أعظم من الثالثة، ولأن في التأخير زيادة عذاب نهى عنها الشرع الذي أمر بإحسان القِتْلة، ولأنه ربما انفلت، وفات قتله؛ وفيه مبادرة إلى الخيرات(٤).

واختلف عدد الحسنات في أول ضربة، فمرة ورد مائة حسنة، ومرة سبعين حسنة، فقيل: هذا مفهوم للعدد ولا يعمل به فذكر سبعين لا يمنع المائة، وقيل: لعله أخبر بسبعين أولاً، ثم تصدق الله تعالى بالزيادة، فأعلم بها النبي ﷺ بعد ذلك، وقيل: هذا يختلف باختلاف قاتلي الوزغ، بحسب نياتهم، وإخلاصهم، وكمال أحوالهم، والله أعلم(٥).

فالوزغ يقتل لما فيه من الأذى والخبث، ولعداوته لإبراهيم عليه السلام؛ حيث كان ينفخ النار عليه.

ولقد ضل الجاحظ، حيث وصف من يقتل الوزغ بأنه من الجهَّال، معللاً ذلك بأن هذه الوزغة التي تقتل هل هي نفسها التي كانت تنفخ النار على إبراهيم عليه السلام؟ أم هي من أولادها، فمأخوذة هي بذنب غيرها؟ أم أنّ هذه الوزغة لا تلد ولا تُفرخ إلا من يدين بدينها

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، باب استحباب قتل الأوزاغ (١٠٧٦) رقم (٢٢٤٠).

(٢) انظر: التخريج السابق.

(٣) انظر: التخريج السابق.

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (١٤/ ٢٣٦-٢٣٧)، والمفهم (٥/ ٥٤١).

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم (١٤/ ٢٣٧-٢٣٨).

ويذهب مذهبها؟[١].

وهذا الذي ذكره الجاحظ واستنكره هو من تقديمه العقل على النقل، ومن تحكيم عقله في كلام النبي ﷺ، فالوزغ مأمور بقتله لخبثه وما فيه من الأذى، والنبي ﷺ ذكر شاهدًا على فسق الوزغ بأنه كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام، فالوزغ الذي كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام هو واحد من جنس هذه الأوزاغ الفاسقة، والمؤمن يؤمن بذلك، ويعتقد صدق ما أخبر به النبي ﷺ، ويمتثل أمره؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، بل ما أمر به وأخبر عنه هو وحي يوحى، فالله تبارك وتعالى الذي خلق هذا الوزغ هو الذي أمر بقتلها، وحكم بفسقها على لسان نبيه ﷺ، والاعتراض على ذلك أو السخرية به هو اعتراض على شرعه وسخرية به نسأل الله السلامة من ذلك.

فهذه سبع دواب جاءت النصوص بإطلاق الفسق عليها، فهي فواسق، وإن كانت غير مكلفة بأحكام الشريعة، فكما يوجد في البشر الصالح والفاسق، كذلك هذه الدوابّ يوجد فيها الفاسق والمسالم، وهذه السبع المذكورة هي من الفواسق التي أخبر عنها النبي ﷺ وأمر بقتلها، وكل ما كان مثلها أو أشد فله حكمها والله أعلم.

---

(١) انظر: كتاب الحيوان (١/ ٣٠٤-٣٠٦)، و(٤/ ٢٨٩).

المبحث الثالث: تفضيل الأنعام على المشرك:

ذم الله تبارك وتعالى المشركين الذين جعل الله مصيرهم إلى النار بأنهم أضل من الأنعام، وأن الأنعام أفضل منهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

فشبههم الله تعالى أولاً بالأنعام؛ لأن همتهم الأكل والتمتع بالشهوات، وهم كالأنعام؛ إذ هي تسمع ولا تعقل، وكذلك الكافر هو غافل عن الأمر والنهي والوعد والوعيد، فهم كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس إلا في الذي يقيتها من ظاهر الحياة الدنيا(١).

بل هؤلاء الذين جعل الله مصيرهم إلى النار أضل من الأنعام، وذلك من وجوه(٢):

أولاً: الأنعام إذا تبين لها أنها تركت الطريق رجعت إليه، أما الكفار فإنهم يضلون عن الطريق فلا يرجعون إليه.

ثانيًا: الأنعام تعرف ربها وخالقها، أمَّا هؤلاء الكفار فإنهم لا يعرفون ربهم المعرفة الحقيقية، فالأنعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع.

ثالثًا: الأنعام مستعملة فيما خلقت له، ولها أذهان تدرك بها مضرتها من منفعتها بخلاف هؤلاء الذين غفلوا عن أنفع الأشياء؛ حيث خلقوا للعبادة فكفروا.

رابعًا: الأنعام تستجيب لراعيها إذا صوت بها وإن لم تفقه كلامه، فإذا زجرت انزجرت، وإذا رشدت إلى الطريق اهتدت، بخلاف هؤلاء الذين لا يهتدون إلى شيء.

---

(١) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٢٣٥)، وبحر العلوم (١/ ٥٨١)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٥١٥).

(٢) انظر: جامع البيان (١٣/ ٢٨١)، وبحر العلوم (١/ ٥٨١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٢٣٥)، ومعالم التنــزيل (٦/ ٨٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٠)، ومفاتيح الغيب (١٥/ ٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٤١)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٢٢)، وإرشاد العقل السليم (٣/ ٢٩٦)، (٦/ ٢٢١)، وتيسير الكريم الرحمن (٦٨٣).

خامسًا: الأنعام تميز الضار والنافع فلا تقدم على الضار، بخلاف هؤلاء الذين يُقدِمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك.

سادسًا: الأنعام تلك هي بنيتها وخلقتها، فهي لا تقصر في شيء، ولا سبيل لها إلى غير ذلك، وهؤلاء معدون للفهم وقد خلقت لهم قوى يصرفونها، وأعطوا طرقًا في النظر، فهم بغفلتهم وإعراضهم يلحقون أنفسهم بالأنعام، فهم بذلك صاروا أضل منها.

سابعًا: الأنعام تضل إذا لم يكن معها مرشد، فأما إذا كان معها مرشد فقلما تضل، وهؤلاء الكفار قد جاءهم الأنبياء، وأُنزلت عليهم الكتب، وهم يزدادون في الضلال.

ثامنًا: الأنعام تعرف صاحبها وتذكره فتطيعه، وتميز بين من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرف إحسانه من إساءة الشيطان، فلا يذكرون ربهم ولا يعرفون ولا يطيعونه.

وفي آية أخرى أخبر سبحانه بأن طائفة من الكفار شرُّ الدواب، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥].

فحكم سبحانه بأن شر ما يدب على وجه الأرض عنده سبحانه هم الذين كفروا، أي المصرون على الكفر المتمادون في الضلال، الذين جمعوا مع الكفر به وعدم الإيمان، الخيانة بحيث لا يثبتون على عهدٍ عاهدوه، فهم بذلك شر من الكلاب والحمير والخنازير وغيرها من الدوابِّ الذميمة وغير الذميمة[(١)].

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١٥/ ١٤٥-١٤٦)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٢)، وتيسير الكريم الرحمن (٣٦٨).

المبحث الرابع: تشبيه الكافر ببعض الحيوان:

في المبحث السابق تبين من خلال الأدلة تفضيل الأنعام - بل وغيرها من الدوابّ - على المشرك بالله ﷻ من وجوه كثيرة، ومع ذلك فإن الله ﷻ يشبِّه الكافر - أحيانًا - ببعض الحيوان، وهذا التشبيه ليس تشبيهًا مطلقًا، فهو تشبيه من بعض الوجوه، إذ - كما تقرر — أنه أفضل منه على الإطلاق.

ومن النصوص التي جاء فيها تشبيه الكافر ببعض الحيوان في بعض أحواله ما يأتي[(١)]:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، فشبه الله تعالى الكافر بالأنعام، فالأنعام لا هم لها إلا في الاعتلاف دون غيره، كذلك هؤلاء الكفار لا همّ لهم إلاّ بطوهم وفروجهم، غير مفكرين في المعاد، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدية إلى توحيده ومعرفة صدق رسله[(٢)].

فجاء تشبيه الكافر بالأنعام في هذه الآية من وجوه[(٣)]:

الأول: الأنعام يهمها الأكل لا غير، كذلك الكافر، أمَّا المؤمن فإنه يأكل ليعمل صالحًا ويقوى عليه.

ثانيًا: الأنعام لا تستدل بالمأكولات على خالقها، والكافر كذلك.

ثالثًا: الأنعام تعلف لتسمن وهي غافلة عن الأمر، لا تعلم أنها كلما كانت أسمن كانت أقرب إلى الذبح، وكذلك الكافر، ويناسب ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾.

٢- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) سبق الكلام على هذه الآيات في مبحث: (ضرب الأمثال من الحيوان في القرآن الكريم) في الفصل الثالث، وسوف يكون الكلام على الآيات هنا مختصرًا.

(٢) انظر: جامع البيان (٢٢/ ١٦٤)، ومعالم التنـزيل (٧/ ٢٨١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٢٨/ ٤٥).

ﵟٱلۡغَٰفِلُونَﵞ [الأعراف: ١٧٩].

فشبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هؤلاء الكفار الذين لهم قلوب لا ينتفعون بها، ولا يعقلون ثوابًا، ولا يخافون عقابًا بمنـــزلة من لا يفقه، ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى، ولهم آذان لا يسمعون بها المواعظ مع وجود الإدراكات في حواسهم بالأنعام التي لا تفقه الأشياء ولا تعقل المقاييس، وكذلك ما تبصره لا يتحصل لها كما يجب، مما يصلح وما لا يصلح، ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر، فتميز بينهما(١).

فالله عَزَّوَجَلَّ جعل الإنسان وسائر الحيوان متشاركة في منافع الحواس، ثم ميز الإنسان عنها بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحق، والعمل به، فلمَّا أعرض الكافر عن إعمال عقله وفكره في ذلك كان كالأنعام(٢).

٣- قال تعالى: ﵟوَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَﵞ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

فشبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الكافر الذي انسلخ من آيات الله بالكلب، فهو في ضلاله واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدمه كالكلب في لهثه في حالتيه، إن حملت عليه وإن تركته أي زجرته أو لم تزجره، فهو يلهث في كلتا الحالين، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه(٣).

٤- قال تعالى: ﵟمَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَﵞ [العنكبوت: ٤١].

---

(١) انظر: جامع البيان (١٣/ ٢٨٠-٢٨١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٠٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٥/ ٥٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥١٢).

فشبّه الله ﷻ الكفار في عبادتهم الأصنام من دون الله تعالى بالعنكبوت التي تبني وتجتهد، فإن بناءها ضعيف حتى لو مسته أدنى هابة أذهبته، فكذلك هؤلاء الكفار أمرهم وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد؛ لأن هذه الأصنام لا تملك لعابدها نفعًا ولا ضرًا(١).

٥- قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

فشبّه الله ﷻ الذين حُمِّلوا التوراة وهم اليهود والنصارى - وهم داخلون في الكفار - حين حُمِّلوا القيام بالتوراة والعمل بما جاء فيها، ثم ضيعوها ولم يعملوا بما فيها بالحُمُر التي تحمل الكتب ولا تدري ما فيها، فهي تحملها على ظهورها ولا تعقل ما فيها، ولا تنتفع بها، وكذلك هؤلاء الذين أوتوا التوراة فيها بيان أمر محمد ﷺ، والإيمان به، واتباعه وتصديقه، فحملوا هذا ولم يعملوا به، ولم ينتفعوا بما فيها(٢).

٦- قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

شبه الله تبارك وتعالى كفار قريش في جهلهم ونفورهم عن الإسلام بالحُمُر النافرة من الأسد الذي يطاردها أو من جماعة الرماة الأقوياء، فهذه الحُمُر إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه، وأعرضوا عمَّا جاء به(٣).

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٦/ ٢٤٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣١٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٢٣/ ٣٧٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥/ ٤٣٢).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٨/ ٢٧٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ١٦٣).

الفصل السابع

مسائل متفرقة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التشبه بالحيوان وبيان حكمه.

المبحث الثاني: المسخ، وفيه تمهيد، وثلاثة مطالب:

المبحث الثالث: الآثار الإيمانية للمسائل العقدية المتعلقة بالحيوان.

المبحث الأول: التشبه بالحيوان وبيان حكمه:

عُرِّف التشبه بأنَّه: «عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبَّه به، وعلى هيئته، وحِليته، ونَعته، وصفته، أو هو عبارة عن تكلُّف ذلك، وتقصُّدِه، وتعمُّله»(١).

وعرفه المناوي: تشبه الرجل بالقوم إذا: «تزيا في ظاهره بزيهم، وفي تعرفه بفعلهم، وفي تخلقه بخلقهم، وسار بسيرتهم، وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم، أي وكان التشبه بحق قد طابق الظاهر الباطن»(٢).

فمن قصد مشابهة غيره فيما هو من خصائصه بصفة من صفاته أو أحواله أو غير ذلك فقد تشبَّه به سواءٌ أكان ذلك المتشبَّه به إنسانًا أم حيوانًا أم غير ذلك، ولا يلزم في التشبُّه أن يكون من جميع الوجوه.

ومما يُنهى عنه المسلم من التشبه، التشبه بالحيوان، فهو تشبُّه مذموم لوجوه:

الأول: أنَّ الله ﷻ أخبر في كتابه أنّه كرَّم بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، فقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

فقد كرّم الله بني آدم وشرّفه بالعقل والتمييز، وخلقه على أحسن الهيئات وأكملها، كما في قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، فجعله سبحانه يمشي قائمًا منتصبًا على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، وحمله في البر على الدواب، وفي البحر على السفن، وفضله على سائر الحيوانات، وسلطه على غيره من الخلق، وسخرها له(٣).

فمن تشبَّه بشيء من الحيوان حط بنفسه عمَّا كرّمه الله تعالى به، ونزل عن الرتبة التي

---

(١) حسن التنبه لما ورد في التشبه، محمد بن محمد بن الغَزِّي، تحقيق ودراسة لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، مؤسسة دار النوادر، سورية، ط١، ١٤٣٢هـ. (١/ ١٥).

(٢) فيض القدير (٦/ ١٣٥).

(٣) انظر: جامع البيان (١٧/ ٥٠١)، ومعالم التنـزيل (٥/ ١٠٨)، وتفسير القرآن العظيم (٥/ ٩٤-٩٥)، وتيسير الكريم الرحمن (٥٣٨-٥٣٩).

رفعه الله تعالى إليها وكرّمه بها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالله قد جعل الإنسان مخالفًا بالحقيقة للحيوان، وجعل كماله وصلاحه في الأمور التي تناسبه، وهي جميعها لا يماثل فيها الحيوان، فإذا تعمد مماثلة الحيوان، وتغيير خلق الله، فقد دخل في فساد الفطرة والشرعة وذلك محرّم»(١).

الثاني: أن تشبيه الإنسان في القرآن بالأنعام وغيرها من الحيوان جاء على سبيل الذم، فلم يمدح الإنسان على مشابهته للحيوان، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، وشبّه الله ﷻ بعض الكفّار بالكلب ذامًّا لهم، فقال سبحانه: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وجاء في السنة تشبيه العائد في هبته بالكلب يرجع في قيئه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: ((العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه))(٢).

يقول الحافظ ابن حجر: «أي لا ينبغي لنا معشر المؤمنين أن نتصف بصفة ذميمة يشابهنا فيها أخس الحيوانات في أخس أحوالها»(٣).

وشبَّه النبي ﷺ الذي يتشدق بلسانه ويتنطع في كلامه بالبقرة في أكلها، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله يبغض البليغ من الرجال، الذي

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الهبة، باب: هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها (٢٠٤) رقم (٢٥٨٩)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الهبات، باب: تحريم الرجوع في الصدقة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل (٩٦٠) رقم (١٦٢٢).

(٣) فتح الباري (٦/ ٤٧٤-٤٧٥).

يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة))[(١)].

فشبه من يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه بالبقرة التي تلف الكلأ بلسانها لفًا[(٢)].

وهذا فيمن تقعر بالكلام، وتشدّق حين يتكلم الإنسان بملء شدقيه، وحين يتكلم عند العامة في غرائب اللغة العربية ليقول الناس: ما أعلمه باللغة العربية[(٣)]، وأما مَن بلاغتُه خلْقية فغير مبغوض[(٤)].

وجاء التشبه هنا بالبقرة دون غيرها من الدواب؛ لأن سائر الدوابّ تأخذ من نبات الأرض بأسنانها، أما البقرة فإنها تحش النباتات بلسانها[(٥)].

فمن قصد التشبه بالحيوان في عين ما ذمه الشارع: صار مذمومًا من وجهين، وإن كان فيما لم يذمه بعينه صار مذمومًا من وجه التشبه المستلزم للوقوع في المذموم بعينه[(٦)].

فمن تأمل نصوص الكتاب والسنة وجد ما فيه من تشبيه للإنسان بالحيوان إنما هو على سبيل الذم، قال ابن عثيمين رحمه الله: «ولم يرد فيما أعلم في النصوص تشبه الإنسان بالحيوان إلا على سبيل الذم»[(٧)].

ثالثًا: جاء النهي عن التشبه بطائفة من الحيوان في الصلاة، مما يدل على أنَّ اتصاف الإنسان بصفات الحيوان ومشابهته له محل ذم، فمن ذلك:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، عن النبي ﷺ: ((ونهاني عن نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٦٥)، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب التشدق في الكلام (١٥٨٩)، والترمذي في سننه، في كتاب الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان (١٩٣٧) رقم (٢٨٥٣)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٥٤٠) رقم (٨٨٠).

(٢) انظر: الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣١٠٧).

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين (٦/ ٤٨٣).

(٤) انظر: عون المعبود (١٣/ ٢٣٧).

(٥) انظر: المرجع السابق، وفيض القدير (٢/ ٣٥٩).

(٦) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٢٥٨).

(٧) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٣/ ١٢٦).

الكلب، والتفات كالتفات الثعلب))[١].

ففي الحديث النهي عن:

أ- نقرة كنقرة الديك، والنقرة: هي الإسراع في الصلاة والتخفيف من السجود[٢].

ب- إقعاء كإقعاء الكلب، وهو: أن يضع إليته على الأرض وينصب ركبتيه نصبًا، ويضع يديه على الأرض كما يصنع الكلب[٣].

ج- التفات كالتفات الثعلب، وذلك كمن يلتفت في صلاته كما يصنع الثعلب حين يتيقن أنه مطرود مطلوب[٤].

٢- وعن عبد الرحمن بن شبل[٥]، قال: ((نهى رسول الله ﷺ عن نقرة الغراب، وافتراش السبع، وأن يوطِّن الرجل بالمكان في المسجد كما يوطِّن البعير))[٦].

ففي هذا الحديث النهي عن:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣١١)، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٢) رقم (٢٤٢٥)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٨) رقم (٧٨٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣٤) رقم (٥٥٥): حسن لغيره.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٩٣٦) مادة (نقر).

(٣) انظر: الاستذكار (١/ ٤٨١).

(٤) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ، (١/ ٣٥٤).

(٥) هو: عبد الرحمن بن شبل بن عمرو بن زيد، الأنصاري، الأوسي، أحد نقباء الأنصار، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه: تميم بن محمود، وأبو سلام الأسود، وغيرهم، انظر: الاستيعاب (٢/ ٨٣٦)، والإصابة (٤/ ٣١٥).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٤٤)، وأبو داود في سننه، في كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود (١٢٨٧) رقم (٨٦٢)، والنسائي في السنن الصغرى في كتاب التطبيق، باب: النهي عن نقرة الغراب (٢١٥٨) رقم (١١١٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٥٢) رقم (٨٣٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ١٥٦) رقم (١١٦٨).

أ- نقرة الغراب، ونقرة الغراب هي: أن لا يتمكن من السجود، ولا يطمئن فيه، بل يمس بأنفه وجبهته الأرض، ثم يرفعه كنقرة الطائر(١).

ب- افتراش السبع: وهو أن يبسط ذراعيه في السجود، ولا يرفعهما عن الأرض كما يبسط الكلب والذئب ذراعيه(٢).

ج- أن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير، ومعناه: أن يألف الرجل مكانًا معلومًا من المسجد، مخصوصًا به، لا يصلي إلاّ فيه كالبعير لا يأوي من عطن إلا إلى مبرك دَمِث قد أوطنه واتخذه مُناخًا(٣).

٣- عن جابر بن سمرة(٤) رضي الله عنه قال: ((كنا إذا صلينا مع رسول الله ﷺ قلنا: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، وأشار بيده إلى الجانبين، فقال رسول الله ﷺ: علام تومئون بأيديكم كأنها أذناب خيل شُمْس؟ إنما يكفي أحدكم أن يضع يده على فخذه، ثم يسلم على أخيه من على يمينه وشماله))(٥).

ففي هذا الحديث النهي عن رفع الأيدي عند السلام في الصلاة، كما تضع الخيل الشُمْس، وهي التي لا تستقر، بل تضطرب، وتتحرّك بأذنابها وأرجلها(٦).

فقد دلت هذه النصوص على نهي المصلي عن الأفعال التي يكون فيها مشابهًا للحيوان، وذمه بذلك.

رابعًا: ما قرره شيخ الإسلام من نهي الشارع عن التشبه بالآدميين الذين جنسهم ناقص كالتشبه بالأعراب، وبالأعاجم، وبأهل الكتاب، ونحو ذلك، في أمور من خصائصهم، وأن

---

(١) انظر: شرح السنة (٣/ ١٦٢).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٦٩٩) مادة (فرش).

(٣) انظر: المرجع السابق (٩٨٠) مادة (وطن).

(٤) هو: جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب السوائي، روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، نزل الكوفة، وتوفي سنة ٧٤هـ. انظر: الاستيعاب (٢/ ٢٢٤)، والإصابة (١/ ٤٣١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام (٧٤٧) رقم (٤٣١).

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم (٤/ ١٥٢-١٥٣).

المشابهة تورث مشابهة الأخلاق، وأنَّ من أكثر عشرة بعض الدوابّ اكتسب من أخلاقها، فإذا وقع النهي عن التشبه ببعض الآدميين في خصائصهم، لكون ذلك تشبهًا فيما يستلزم النقص، ويدعو إليه، فالتشبه بالبهائم فيما هو من خصائصها أولى أن يكون مذمومًا ومنهيًّا عنه(١).

خامسًا: أن النبي ﷺ لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال))(٢).

وذلك لأن الله ﷻ خلق كل نوع من الحيوان، وجعل صلاحه وكماله في أمر مشترك بينه وبين غيره، وبين أمر مختص به، وقد وقع النهي عن التشبه في الصنف الآخر في الأمور المختصة به، فإذا كانت الأمور التي هي من خصائص النساء ليس للرجال التشبه بهنَّ فيها، والأمور التي هي من خصائص الرجال ليس للنساء التشبه بهم فيها، فالأمور التي هي من خصائص البهائم لا يجوز للآدمي التشبه بها بطريق الأولى والأحرى(٣).

فبهذه الأوجه يتبين للمسلم ذم التشبه بالحيوانات، وأنه من الأفعال المذمومة، ويدخل في ذلك محاكاة الحيوان في أصواتها، أو ما يفعله بعض الناس من لبس دمى على أشكال الحيوانات، أو قص الشعر قصة تشبه بعض الحيوانات، أو لبس عدسات العين التي تشابه به عيون القطط، أو غيرها من الحيوانات؛ لأن في ذلك إهانةً للنفس التي كرمها الله تعالى بالعقل، ونزولاً عن الرتبة التي رفع الله تعالى إليها الإنسان عن رتبة الحيوان، والله أعلم.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٢٥٦-٢٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال (٥٠١) رقم (٥٨٨٥).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٢٥٩-٢٦٠).

المبحث الثاني

المسخ

وفيه تمهيد، وثلاثة مطالب:

التمهيد: تعريف المسخ.

المطلب الأول: المسخ في الأمم السابقة.

المطلب الثاني: المسخ في هذه الأمة.

المطلب الثالث: تناسل الممسوخ.

التمهيد: تعريف المسخ:

المسخ لغة: تحويل خلق عن صورته إلى صورة أخرى(١)، هي أقبح منها(٢)، والمسخ من الناس الذي لا ملاحَة له، ومن الطعام الذي لا ملح فيه، ومن الفواكه الذي لا طعم فيه(٣).

والمسخ هو: المُشوَّه الخَلْق، يقال: مسخه الله: شوَّه خلْقه من صورة حسنة إلى صورة قبيحة(٤).

فالممسوخ هو: ما كان على صورة، ثم غير إلى صورة أخرى أقبح منها.

(١) انظر: العين (٤/ ٢٠٦)، مادة (مسخ) وتهذيب اللغة (٧/ ٩١)، مادة (مسخ).

(٢) انظر: لسان العرب (٣/ ٥٥) مادة (مسخ).

(٣) انظر: العين (٤/ ٢٠٦) مادة (مسخ)، وتهذيب اللغة (٧/ ٩١) مادة (مسخ).

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣٢٣) مادة (مسخ)، وتهذيب اللغة (٧/ ٩١) مادة (مسخ).

المطلب الأول: المسخ في الأمم السابقة:

أخبر الله تبارك وتعالى عن الأمم السابقة وما حلّ بهم من العقوبات حين خالفوا أمره وعصوا رسوله، ومن ذلك: ما عاقب الله تعالى به طائفة من اليهود الذين احتالوا على شرع الله ﷻ في النهي عن الصيد يوم السبت، فكانوا يضعون شباكهم يوم الجمعة، ثم يأخذونها يوم الأحد، فكانت عقوبة الله تعالى لهم: بأن مسخهم قردة خاسئين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦].

فأمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يسأل اليهود عن القرية التي كانت على ساحل البحر، الذين خالفوا أمر الله ﷻ، حين نهاهم عن الصيد يوم السبت، وقد ابتلاهم الله تعالى؛ حيث جعل السمك يوم السبت الذي نهوا عن الصيد فيه تأتيهم شرعًا، أي: ظاهرة على الماء من كل طريق وناحية، كشوارع الطرق، فإذا ذهب يوم السبت لا تأتيهم، بل تذهب في البحر، فلا يرون منها شيئًا، فكان هذا ابتلاءً من الله لهم بسبب فسقهم، فاحتال القوم بحيلة الاصطياد، فكانوا يضعون الحبال يوم الجمعة حتى تقع فيها الحيتان يوم السبت، ثم يأخذونها يوم الأحد.

فصار أهل القرية إلى ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم، وفرقة سكتت فلم تفعل و لم تنته، ولكنها قالت للمنكرين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فأنجى الله الطائفة التي كانت تنهى عن السوء، وأخذ الذين ظلموا بعذاب شديد بسبب

فسقهم، وأمَّا الفرقة التي سكتت فاختلف أهل التفسير في نجاتهم، فقيل: إنهم من الناجين؛ لأنّ الله تعالى لم يذكر العذاب إلاّ للظالمين، وقيل: بل هم مع الهالكين والله أعلم[١].

وقد بين الله تبارك وتعالى هذا العقاب الذي أخذ به الظالمين الذين احتالوا على شرعه؛ حيث مسخهم قردة ذليلين حقيرين، فأبعدهم سبحانه من رحمته[٢].

فهذا نوع من الحيوانات التي مسخت أمة من اليهود إليها، ولم يكن المسخ مقتصرًا إلى القردة، بل جاءت أدلة أخرى تبين حدوث المسخ من الإنسان إلى غير القردة كالخنازير، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

فهذه عقوبة حلت بأمة من الأمم السابقة جعلهم الله تعالى من شر الطوائف، ولعنهم، وغضب عليهم، ومسخهم قردة وخنازير، فقيل: مُسخ اليهود قردة، ومُسخ النصارى أصحاب مائدة عيسى عليه السلام خنازير، وقيل: المسخ كله كان لليهود، فمسخ شبابهم قردة ومسخ شيوخهم خنازير، فيكون المسخ حصل لليهود أصحاب السبت دون غيرهم، والله أعلم[٣].

فدلت هذه الآيات على حصول المسخ في الأمم السابقة، حيث مسخ الله تعالى طائفة من بني إسرائيل قردة وخنازير، وذهب معظم أهل التفسير إلى أنَّ هذا المسخ مسخٌ حقيقيٌّ، حيث تحولت صورهم من صور الآدميين إلى صورة القردة والخنازير[٤].

وذهب الإمام مجاهد إلى أنَّ الصور لم تمسخ ولكن قلوبهم هي التي مسخت فمثلوا

---

(١) انظر: جامع البيان (١٣/ ١٧٩-٢٠٣)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٧-٤٧٠)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٩١-٤٩٦)، وتيسير الكريم الرحمن (٣٤٧-٣٤٨).

(٢) انظر: المراجع السابقة.

(٣) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٤٩)، ومعالم التنزيل (٣/ ٢٩٢-٢٩٤)، وزاد المسير (٢/ ٣٨٧).

(٤) انظر: جامع البيان (٢/ ١٧٣)، والمحرر الوجيز (١/ ١٦١)، وزاد المسير (١/ ٩٥)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ١٥١-١٥٣).

بالقردة، كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥][(١)].

وهذا القول الذي ذهب إليه الإمام مجاهد مخالف لظاهر ما دلَّ عليه القرآن، وهو مخالف لإجماع أهل التفسير، كما ذكر ذلك الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله[(٢)].

فالقول الراجح هو القول بحصول المسخ الحقيقي من صورة آدمي إلى صورة قردة وخنازير، مع حصول المسخ المعنوي الذي دلّ عليه قوله تعالى: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، وذلك لعدم وجود دليل وبرهان يؤيد ما ذهب إليه الإمام مجاهد من صرف ظاهر الآيات إلى ما ذكره، والله أعلم.

فإذا ثبت حصول المسخ من الآدمي إلى القردة والخنازير، فقد دلت السنة - أيضًا - على حصول المسخ من الآدمي إلى الدوابّ دون التصريح بأنواعها، فمن ذلك قوله ﷺ عن الضب: ((إن أمة من بني إسرائيل مُسخت دوابَّ في الأرض، وإني لا أدري أي الدوابّ هي؟ قال: فلم يأكل منه))[(٣)]، وقال -أيضًا- عنه: ((لا أدري لعله من القرون التي مسخت))[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((فقدت أمة من بني إسرائيل لا يُدرى ما فعلت، وإني

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٣٣) رقم (٦٧٢)، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ١٥١): «هذا سند جيد عن مجاهد».

(٢) انظر: جامع البيان (٢/ ١٧٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٢٠)، وأبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب: في أكل الضب (١٥٠٣) رقم (٣٧٩٥)، والنسائي في السنن الصغرى، في كتاب الصيد والذبائح، باب الضب (٢٣٧٠) رقم (٤٣٢٧)، من حديث ثابت بن وديعة، وقال عنه ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٥٢٣): سنده صحيح، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ١١٤٩) رقم (٢٩٧٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة الضب (١٠٢٦) رقم (١٩٤٩)، من حديث جابر رضي الله عنهما.

لا أراها إلا الفأر إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت))[١].

فجعل النبي ﷺ امتناع الفأرة عن شرب ألبان الإبل علامة على أنها مسخ بني إسرائيل؛ لأنهم حرمت عليهم لحوم الإبل وألبانها دون لحوم الغنم وألبانها[٢].

فدلت هذه الأحاديث على مسخ بني إسرائيل إلى أنواع من الدواب، وهل الضب والفأرة منها أو لا؟ الله أعلم بذلك[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((الحيات مسخ الجن، كما مسخت القردة والخنازير من بني إسرائيل))[٤].

وهذا يدل على أنَّ الجن حصل لبعضهم المسخ، فوقع المسخ إلى الحيات، كما وقع في بني إسرائيل مسخهم إلى قردة، ولا يعني هذا أن الحيات الموجودة الآن هي من الجن الممسوخ[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (٢٦٧) رقم (٣٣٠٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزهد، باب: في الفأر وأنه مسخ (١١٩٦) رقم (٢٩٩٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ١٢٤).

(٣) يأتي في المطلب الرابع من هذا المبحث الكلام على هذه الأحاديث وأن النبي ﷺ قال بالمسخ إلى الفأرة والضب قبل أن يوحى إليه بأن الممسوخ لا يتناسل.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٤٨)، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٤٥٧) رقم (٥٦٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٤١) رقم (١١٩٤٦)، والمعجم الأوسط (٤/ ٣٠٤) رقم (٤٢٦٩)، والعظمة، أبو الشيخ، عبد الله بن محمد الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، (٥/ ١٦٤٢) رقم (١٠٨٥٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧٠) رقم (٦١٢٤): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار بالاختصار، ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٤٣٩) رقم (١٨٢٤).

(٥) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٤٤٠).

المطلب الثاني: المسخ في هذه الأمة:

المسخ كما حلّ بطوائف من بني إسرائيل عقوبة لهم على مخالفة أمر الله تعالى، فإنّ في هذه الأمم طوائف أخبر النبي ﷺ بوقوع المسخ لهم، وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على وقوع المسخ في هذه الأمة، وهو من علامات الساعة، كما صرحت بعض الأدلة في ذلك، فمن أدلة وقوع المسخ في هذه الأمة ما يأتي:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، قالت: قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا ظهر الخبث))[١].

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف[٢]))[٣].

٣- عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهرت القيان[٤] والمعازف، وشربت الخمور))[٥].

٤- قال ﷺ: ((ليكوننَّ من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير، والخمر والمعازف، ولينـــزلنَّ أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غدًا،

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الفتن، باب ما جاء في الخسف (١٨٧١) رقم (٢١٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي الترمذي (٢/ ٢٣٧) رقم (٢٢٩٤).

(٢) أي رمي بالحجارة من جهة السماء. انظر: فيض القدير (٣/ ٢٧٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في أبواب الفتن، باب الخسوف (٢٧٢١) رقم (٤٠٥٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٩٢) رقم (١٧٨٧).

(٤) القيان: جمع قيْنَة، وهي الأمة وكثيرًا ما تطلق على المغنيات من الإماء، والمراد بها هنا هي الإماء المغنيات. انظر: النهاية في غريب الحديث (٧٨٣) مادة (قين)، وتحفة الأحوذي (٦/ ٣٧٧).

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف (١٨٧٤) رقم (٢٢١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٤٢) رقم (٢٣٢٣).

فيبيِّتهم الله، ويضَعُ العلم، ويمسخُ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة))[١].

٥- وقال ﷺ: ((ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يُعزف على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير))[٢].

فدلت هذه الأحاديث على وقوع المسخ في هذه الأمة، وأنه علامة من علامات الساعة، وأنَّ المسخ في هذه الأمة يقع عقوبة على ارتكاب بعض المحرمات، ومنها:

١- ظهور الخبث وانتشاره، وهو الفسق والفجور ومنه الزنى، والفساد بشتى أنواعه وصوره، حين ينتشر ويعم البلاد.

٢- ظهور المعازف، وهي آلات الغناء والموسيقى بشتى أنواعها، واستحلالها.

٣- اتخاذ القينات، وهنَّ المغنيات والمطربات.

٤- شرب الخمور واستحلالها، وتسميتها بغير اسمها.

٥- لبس الحرير للرجال واستحلاله.

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة، وهو مقيد في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء وشاربي الخمر، وفي بعضها مطلق»[٣].

تفسير المسخ الذي يقع في هذه الأمة:

اختلف العلماء في معنى المسخ الذي دلت عليه الأحاديث وأنه سوف يقع في هذه الأمة على قولين:

القول الأول: أنّ هذا المسخ هو مسخ حقيقي، كما وقع للأمم السابقة، فسوف يوجد في هذه الأمة من يمسخه الله تعالى فيحول صورته من صورة آدمي إلى صورة قردة وخنازير

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأشربة، باب: فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه (٤٨٠) رقم (٥٥٩٠)، من حديث أبي مالك الأشعري.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، في أبواب الفتن، باب العقوبات (٢٧١٩) رقم (٤٠٢٠)، وصحح إسناده ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٢٦١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٧١) رقم (٤٠٢٠).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٢٦٦).

أو غيرها من الحيوانات، فيكون هذا المسخ على ظاهره لعموم الأدلة(١).

القول الثاني: أن المراد بالمسخ هنا مسخ قلوبهم، وتبدل أخلاقهم فتكون أخلاقهم وعقولهم كالقردة والخنازير، فهو مسخ معنوي وليس حسيًّا، فيكون المراد بالمسخ هنا: تسويد قلوبهم، وإذهاب معرفتهم، وإدخال القساوة والجهل والتكبر فيها(٢).

والصواب أن المسخ الذي أخبر النبي ﷺ بوقوعه هو مسخ حقيقي لعموم الأدلة، ولا دليل على صرفه عن ظاهره، والقول بأنه مسخ معنوي قول لا دليل عليه، وصرف لظاهر الأدلة من غير حجة ولا بينة، والله أعلم.

وقد جاء الوعيد بالمسخ عقوبة لمن يسبق إمامه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((أما يخشى أحدكم، أو لا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار؟ أو يجعل صورته صورة حمار؟))(٣).

وقد دلّ الحديث على تحويل رأس من يسابق الإمام أو صورته من صورة آدمي إلى صورة حيوان، وهذا التحويل قد اختلف العلماء في المراد به على قولين:

القول الأول: أن التحويل في هذا الحديث يرجع إلى أمر معنوي مجازي، فإن الحمار موصوف بالبلادة، وهذا المعنى يستعار للجاهل بما يجب عليه من فروض الصلاة ومتابعة الإمام، فيكون المراد معنى الحمار من قلة البصيرة وكثرة العناد في الانقياد(٤).

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- أن المسخ مأمون في هذه الأمة فلا يقع(٥).

---

(١) انظر: أعلام الحديث (٤/ ٢٠٩٨)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٥٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٦٣٠).

(٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٦٣٠)، ومرقاة المفاتيح (١/ ٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام (٥٥) رقم (٦٩١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود أو نحوهما (٧٤٦) رقم (٤٢٧).

(٤) انظر: عارضة الأحوذي (٣/ ٦٤)، وإحكام الأحكام (٢٢٤).

(٥) انظر: عارضة الأحوذي (٣/ ٦٤).

٢- أن التحويل في الصورة الظاهرة لم يقع مع كثرة رفع المأمومين قبل الإمام(١).

القول الثاني: أن المراد بالتحويل في هذا الحديث التحويل الحقيقي، فيحمل الحديث على ظاهره، إذ لا مانع من جواز وقوع ذلك(٢)، وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- أن الأحاديث قد صحت بوقوع المسخ في هذه الأمة(٣).

٢- أن الحديث جاء في بعض رواياته: ((أن يحول الله رأسه رأس كلب))(٤)، فذكر الكلب يبعد المجاز؛ لانتفاء المناسبة التي ذكروها من بلادة الحمار(٥).

٣- أنّ الوعيد جاء بالأمر المستقبل، باللفظ الدال على تغيير الهيئة الحاصلة، ولو أريد تشبيهه بالحمار لأجل البلادة لقال مثلاً: فرأسه رأس حمار، لأن الصفة المذكورة وهي البلادة حاصلة في فاعل ذلك عند فعله المذكور، فلا يحسن أن يقال له: يُخشى إذا فعلت ذلك أن تصير بليدًا، على أنَّ فعله المذكور إنما نشأ عن البلادة(٦).

٤- تخصيص الرأس يأبى حمله على المجاز(٧).

والراجح هو: القول الثاني؛ إذ لا يمنع وقوع ما أخبر به النبي ﷺ من تحويل صورة من يرفع رأسه قبل إمامه إلى صورة حمار، ويجاب عن أدلة أصحاب القول الأول بما يأتي:

١- أنَّ الممتنع هو حصول المسخ العام لهذه الأمة(٨)، أما حصول المسخ لأفراد من هذه الأمة، فقد دلت عليه الأدلة كما سبق ذكرها في أول هذا المطلب.

---

(١) انظر: إحكام الأحكام (٢٢٤).
(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٥٦٨)، وكشف اللثام (٢/ ٢٦٩).
(٣) انظر: المراجع السابقة.
(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦/ ٦٠) رقم (٢٢٨٣)، وصحح محققه شعيب الأرناؤوط إسناده، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٢٩٣) رقم (٤٢٣٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٧): «رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد».
(٥) انظر: كشف اللثام (٢/ ٢٦٩).
(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٥٦٨).
(٧) انظر: مرقاة المفاتيح (٣/ ١٩٩).
(٨) انظر: المرجع السابق.

٢- كون هذا التحويل لم يقع مع كثرة الفاعلين لا يدل على عدم وقوعه، فإن الحديث فيه الوعيد على فعل ذلك، وكون فعله ممكنًا لأن يقع عنه ذلك الوعيد، ولا يلزم من التعرض للشيء وقوع ذلك الشيء[١].

٣- ثم ما الذي يدرينا أنه لم يقع ذلك لمصل قط؟ هل استقرينا حال المسلمين من المشرق إلى المغرب في كل زمان؟ ثم إن كون الشيء لم يقع في الماضي لا يلزم منه استحالة وقوعه في المستقبل.

فالمسخ واقع في هذه الأمة كما أخبر بذلك النبي ﷺ، فقد يمسخ بعض هذه الأمة إلى قردة وإلى خنازير، أو إلى حمار أو كلب، كما دلت على ذلك النصوص السابقة.

وقد يقع المسخ إلى غير ما ذكر من الحيوانات لمطلق النصوص الدالة على المسخ دون تقييد بنوع معين، والله أعلم.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٥٦٨).

المطلب الثالث: تناسل الممسوخ:

تقرر في المطالب السابقة وقوع المسخ الحقيقي للإنسان، حيث وقع المسخ في الأمم السابقة، وسوف يحدث في هذه الأمة - أيضًا - من صورة آدمي إلى صورة حيوان من قردة وخنازير وغيرها، ثم اختلف العلماء في حال هذا الممسوخ بعد مسخه، هل يبقى ويتناسل؟ أم يموت بعد مسخه ولا يقع منه التناسل؟ على قولين:

القول الأول: أن الممسوخ يتناسل ويبقى بعد مسخه، فيجوز أن تكون هذه القردة الموجودة اليوم منهم، واختار هذا القول ابن قتيبة(١)، وابن العربي المالكي(٢).

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- عن أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ قال: ((فُقِدت أمة من بني إسرائيل لا يُدرى ما فعلت وإني لا أراها إلا الفأر، إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت))(٣)، وسبب ذلك أن لحوم الإبل وألبانها حرمت على بني إسرائيل دون لحوم الغنم وألبانها، فدلَّ امتناع الفأرة من لبن الإبل دون الغنم على أنها مسخ من بني إسرائيل(٤).

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ((أُتي النبي ﷺ بضب، فأبى أن يأكل منه، وقال: لا أدري لعله من القرون التي مسخت))(٥).

٣- عن عمرو بن ميمون(٦) قال: ((رأيت في الجاهلية قِرْدةً اجتمع عليها قِرَدة قد زنت

---

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث (٢٥٦-٢٥٧).

(٢) انظر: أحكام القرآن (٢/ ٣٣٢).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٤٦٨].

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ١٢٤).

(٥) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٤٦٧].

(٦) هو: أبو عبد الله، عمرو بن ميمون الأودي، معدود من كبار التابعين، مخضرم، فقد أدرك النبي ﷺ، وكان مسلمًا في حياته، حدث عن ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي وأهل الكوفة، توفي سنة ٧٤هـ، أو ٧٥هـ. انظر: الثقات (٥/ ١٦٧)، والاستيعاب (٣/ ١٢٠٥).

فرجموها، فرجمتها معهم))[١].

فكأن البهائم قد بقيت فيهم معارف الشرائع حتى ورثوها خلفًا عن سلف إلى زمان عمرو[٢].

فجعلوا قيام القردة برجم هذه القردة التي زنت دليلاً على أنَّ هذه القرود هي من نسل القرود التي كانت من الأمم الممسوخة، وأنَّ هذا الرجم قد ورثوه عن أسلافهم الذين كان أصلهم من بني آدم وفيهم هذه الشرائع.

٤- أنّ الله تعالى قال: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]، فدخول الألف واللام في القردة والخنازير يدل على المعرفة، وعلى أنها هي القردة التي نعاين، ولو كان يريد شيئًا انقرض ومضى لقال: وجعل منهم قردة وخنازير[٣].

٥- إجماع الناس على تحريم القرود بغير كتاب ولا أثر يدل على أنها هي الممسوخ بعينها[٤].

القول الثاني: أن الممسوخ لا ينسل ولا يبقى بعد مسخه، وأنَّ الذين مسخهم الله تعالى قد هلكوا، ولم يبق لهم نسل، وهذا هو قول جمهور العلماء[٥].

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن القردة والخنازير، هي مما مسخ؟ فقال: ((إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك))، وفي رواية: ((إن الله عز وجل لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية (٣١٢) رقم (٣٨٤٩).

(٢) انظر: أحكام القرآن (٢/ ٣٣٢).

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث (٢٥٧).

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٤٤)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٦١).

والخنازير كانوا قبل ذلك))[١].

والقول الثاني هو الراجح، لصراحة أدلته، حيث أخبر النبي ﷺ بأنَّ الممسوخ لم يجعل الله له نسلاً، وقد أجيب عن أدلة أصحاب القول الأول بأجوبة:

١- حديث أبي هريرة في الفأرة، وحديث جابر في الضب، أجيب عنهما بأن النبي ﷺ قال ذلك قبل أن يوحى إليه بحقيقة الأمر فيهما، ولذلك لم يأت بالجزم عنه شيء من ذلك، فكان ذلك منه ﷺ على سبيل الظن، فلمَّا أوحي إليه بأن الممسوخ لا ينسل زال عنه ذلك التخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ[٢].

٢- قصة عمرو بن ميمون أجيب عنها بأمور:

أ- بعض العلماء رد هذه القصة لوجودها في بعض نسخ البخاري لا كلها، فلعلها من المقحمات في صحيح البخاري[٣].

ب- لا يلزم أن تكون القردة المذكورة من النسل، فيحتمل أن يكون الذين مسخوا لما صاروا على هيئة القردة مع بقاء أفهامهم، عاشرتهم القردة الأصلية للمشابهة في الشكل، فتلقوا عنهم بعض ما شاهدوه من أفعالهم، فحفظوها وصارت فيهم، لما في القرود من الفطنة الزائدة على غيرها من الحيوان وقابلية التعلم[٤].

ج- إضافة الزنى إلى القردة منكر، لأنها غير مكلفة، وكذا إقامة الحد عليها، فإن ثبت ذلك فلعل هؤلاء من الجن، لأنهم من جملة المكلفين[٥]، والأولى أن يقال: إنَّ عمرو ابن ميمون رأى هذه القِرَدَةَ تَرْجِمُ قِرْدةً فظن أنها ترجمها لأنها زنت، لأن

---

(١) أخرج الروايتين مسلم في صحيحه في كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر (١١٤٢) رقم (٢٦٦٣).

(٢) انظر: شرح مشكل الآثار (٨/ ٣٢٧، ٣٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٤٦)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٦١).

(٣) وقد رد الحافظ ابن حجر على من تكلم على سند هذه القصة، وبين رحمه الله أنها ثابتة وأطال في ذلك. انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٦٢).

(٤) انظر: انظر: المرجع السابق (٨/ ٥٦١).

(٥) انظر: الاستيعاب (٣/ ١٢٠٥-١٢٠٦).

ذلك لا يمكن لبشر أن يعلمه، والقردة لا تنبئ عن نفسها، والذي يراها تتسافد لا يعلم أزنت أم لم تزن[١].

٣- ما استدل به ابن قتيبة رحمه الله من مجيء لفظة القردة والخنازير معرفة، وأنه لو كان على قردة وخنازير سوى القردة والخنازير الموجودة المعقولة لقال: وجعل منهم قردة وخنازير على النكرة.

قد أجاب عنه الإمام الطحاوي رحمه الله، فإنه أخرج من حديث ابن مسعود السابق من طريقه، قال: ((سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: إن الله ﷻ لم يلعن قومًا قط فمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلْق كان، فلمَّا غضب الله تعالى على اليهود مسخهم فجعلهم مثله))[٢].

ثم قال الطحاوي رحمه الله في جواب ذلك: «إنه قد يجوز أن تكون القردة والخنازير قد كانت قبل ذلك مخلوقة على ما هي عليه كسائر الأشياء المخلوقة على ما هي عليه، لا ممسوخة من خلْق كانت عليه إلى قردة وخنازير، وكانت مما تناسل ومما يعقب كسائر المخلوقين سواها، ثم كان من الله تعالى جعلُه القردة والخنازير ممن سخط عليه من عباده الذين خرجوا عن أمره واعتدوا عن عبادتهم التي تعبدهم بها إلى ما سواها، فمسخهم قردة وخنازير لا تناسل لها ولا أعقاب لها، فكانت في الدنيا ما شاء الله ﷻ كونها فيها، ثم أفناها بلا أعقاب خَلَفَتْها، وبقيت القردة والخنازير التي كانت قبل ذلك ولم يلحقها مسخ حوَّلها عمَّا كانت عليه إلى ما هي عليه، فكان منها التناسل في حياتها والإعقاب بعد موتها»[٣].

٤- ما استدل به ابن قتيبة رحمه الله: من أنَّ إجماع الناس على تحريم القرود مع عدم وجود دليل يحرمها من كتاب ولا سنة، دليل على أن سبب التحريم كونها الممسوخات بعينها، فيجاب عنه:

أ- لا يستقيم تعليل تحريم القردة لأنها من نسل الممسوخ، إذ هو قول لا دليل عليه.

---

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث (٢٥٦).

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٣٢٣).

(٣) المرجع السابق (٨/ ٣٢٣-٣٢٤).

ب- أنَّ من العلماء من ذكر علة تحريم لحم القرد؛ لأنه سبع فيدخل في عموم حديث: ((نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع))[١]، وهو أيضًا محرم لأنه من الخبائث بدليل مسخ الآدمي إليه[٢].

فهذا لون من ألوان العقوبات التي عوقب بها طوائف من الأمم السابقة، وسوف يعاقب بها -أيضًا- طوائف من هذه الأمة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وهي مسخهم إلى صور بعض الحيوان.

فإن الله تعالى أكرم الإنسان ورفع رتبته على الحيوان، وحين يخالف أمره يعاقب بأنواع من العقوبات، منها المسخ إلى أخس الحيوان.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح، باب أكل كل ذي ناب من السباع (٤٧٦) رقم (٥٥٣٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيد، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير (١٠٢٣) رقم (١٩٣٢)، من حديث أبي ثعلبة.

(٢) انظر: المغني (١٣/ ٣٢٠).

المبحث الثالث: الآثار الإيمانية للمسائل العقدية المتعلقة بالحيوان:

عند البحث أو القراءة في المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان يجد الباحث أو القارئ آثارًا إيمانية جليَّة، تبين أهمية الوقوف عند هذه المسائل والتأمل فيها ودراستها دراسة تعود على صاحبها بهذه الآثار التي تزيد في إيمانه بربوبية الخالق ﷻ وألوهيته، ومن أبرز هذه الآثار ما يأتي:

١- الإيمان بربوبية الله تعالى، ومشاهدة عظمته وقدرته ﷻ في خلقه لهذا الحيوان من ماء وإبداعه فيه، حيث أوجدها تعالى على أنواع مختلفة وألوان متباينة، وخص كل نوع منها بخصائص تختلف عن غيره فخالف سبحانه بينها في الأنواع والاستعدادات ووجوه الاختلافات الأخرى، فمنها نوع يزحف على بطنه، ومنها نوع آخر يمشي على رجلين أو أربع، ومنها أنواع تطير في الهواء وأخرى تعيش في المياه والبحار، وفاوت سبحانه بينها في أجسامها، فمنها الكبير والصغير، وأنواع لا ترى بالعين المجردة، فخلق ﷻ منها أنواعًا كثيرة تحير العلماء في تصنيفها قديمًا وحديثًا، وفي كل يوم يظهر منها شيء لم يكن معروفًا من قبل.

٢- زيادة الإيمان من خلال التفكر في خلق الله لهذه الحيوانات وإحكامها وإتقانها، وما أودع الله فيها سبحانه من عجائب تدل على ربوبيته ﷻ، فلم يكن هذا الإتقان والإحكام ليوجد من غير خالق أبدعه وأتقنه، وجعله تحت قهره وتدبيره، فعند تأمل ما في هذا الحيوان من عجائب في عمومها وما في بعضها من عجائب ميزها الله بها عن غيرها مظهر عظيم من مظاهر ربوبية الله تعالى تزيد في إيمان المتأمل والمتفكر فيها.

٣- عند دراسة الحيوان والبحث في أحواله والتأمل في رزقه الذي تكفل الله تعالى له به، يجد القوي منها والضعيف رزقه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وإخبار النبي ﷺ عن ذلك بقوله: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا

وتروح بطانًا))[(١)].

وتسخير بعض هذه الدوابّ لبعض يجد الباحث والقارئ فيه شواهد من شواهد ربوبية الله تعالى، فهو سبحانه المتفرد بالرِّزْق كما أنه المتفرد بالخلق، فيدفع ذلك المؤمن إلى التوكل عليه سبحانه دون سواه، وطلب الرزق منه سبحانه، إذ هو الذي يعطي ويمنع، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فالذي يتكفل برزق الحيوان هو الذي يرزق البشر، فيعظم توكل المؤمن على ربه ﷻ.

٤- في تسخير الحيوان للإنسان دلالة من دلائل ربوبية الله ﷻ، تتجلى للباحث من خلال التأمل في تصرف الإنسان في هذه الحيوانات بأشكالها وأصنافها، فهي مسخرة ذليلة له بتسخير الله تعالى؛ إذ لولا هذا التسخير لما استطاع الإنسان أن يتحكم في هذا الحيوان كما يريد، فيسخرها الله سبحانه وتعالى له ليأكل ويشرب من بعضها، ويركب أو يحمل على أنواع أخرى منها، ويتخذ منها الجمال والزينة والبيوت في السفر والحضر، واللباس والدفء والأثاث، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

كل ذلك يدفع المؤمن إلى تعظيم الله تعالى والقيام بشكره على هذا التسخير والقيام له بالعبودية التي من أجلها سخر الله تعالى للإنسان هذه المخلوقاتِ وشرَّفه وفضَّله عليها.

٥- عند دراسة مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان يقف الدارس على صور تبين جهل طوائف من البشر وتعديَهم على حق الله تعالى، من خلال تعاملهم مع بعض الحيوانات، فطوائف ضلت بعبادتها للحيوان، وطوائف ضلت باتخاذها شرائع باطلة متعلقة بالحيوان، من تحريم ما أحل الله منها، أو تحليل ما حرّم، كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، التي كان أهل الجاهلية يشرعونها لأنفسهم، وطوائف أخرى ضلت حين جعلت من الحيوان الذي خلقه الله تبارك وتعالى وسخره لهم وجعل سبحانه التعظيم بذبحها خاصًّا به سبحانه، فعظمت به غيره، وأشركت حين ذبحت لغيره سبحانه، ومن البشر من ضلّ ووقع في الشرك حين

(١) سبق تخريجه في الصفحة رقم [٦٣].

تطير بالحيوان أو علق عليها التمائم، أو اتخذ منها تمائم لتحميه من دون الله تعالى.

يقف المؤمن عند هذه الصور وقفة اعتبار واتعاظ، كيف استطاع الشيطان أن يغوي بني آدم عن طريق هذه التصرفات الخاطئة تجاه هذا الحيوان؟

إن المؤمن الكامل هو الذي يتخذ من ذلك دروسًا جليلة تسير به إلى الطريق المستقيم الذي سار عليه أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، فالشرع ما شرعه ربه تبارك وتعالى، فيحذر من الوقوع في حبائل الشيطان كما وقعت هذه الأمم التي سلكت طرقًا منحرفة متعلقة بهذا الحيوان.

٦- الحيوان الذي فطره الله تعالى على التوحيد، فعرف أن له ربًّا خلقه ورزقه، فأصبح يخاف منه، ويسبحه ويدعوه، ويسجد له من أعظم الآثار الإيمانية التي يكسبها المتأمل في مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان، فإذا كان هذا الحيوان فطر على توحيد خالقه، فأقر لربه تبارك وتعالى بالربوبية، وصرف له العبادة من سجود وتسبيح ودعاء وخوف، مع ما جعل بينه وبين البشر من فوارق عظيمة حيث كرم الله تعالى البشر على هذه الحيوانات وسخرها له، مما يدفع المؤمن الصادق إلى أن يتعرف على خالقه تبارك وتعالى حق المعرفة، ويجتهد في التذلل والخضوع لربه تبارك وتعالى، فهو أحق وأولى من الحيوان بذلك، فله التكريم، وعليك التكليف، وفي المعاد جنة ونار.

٧- من آثار دراسة مسائل العقيدة والبحث فيها ما يجده الباحث من المسائل الكثيرة التي جاءت بها النصوص من علاقة الملائكة أو الجن بالحيوان ومن ذلك:

أ - دواب الملائكة والجن.

ب - رؤية الحيوان للملائكة والشيطان.

ج - تشكل الجن على صورة الحيوان.

وفي هذه المسائل يجب على المؤمن التسليم للنصوص، وتصديق كل ما جاء عن الله ورسوله، ومثل ذلك كل ما جاءت به النصوص من الأمور التي تظهر على خلاف العادة، كتكليم السباع والجساسة والدابّة، وهذا مما يثمر قوة الإيمان.

٨- الآيات العظيمة التي أيد الله تعالى بها رسله عليهم الصلاة والسلام، ومنها آيات متعلقة بالحيوان وهي: ناقة صالح عليه السلام، والطير التي أحياها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام، والآيات التي أيد الله بها موسى عليه السلام، والحوت الذي ابتلع يونس عليه السلام، وتسبيح الطير مع

سليمان عليه السلام، وتعليمه منطق الطير، والطير التي يخلقها عيسى عليه السلام من الطين، ثم ينفخ فيها بإذن الله فتكون طيرًا، ودلائل نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الحيوان، من أعظم الوسائل التي يزيد بها الإيمان؛ حيث تجعله يتفكر في عظمة الخالق تبارك وتعالى وكمال قدرته، التي ظهرت في هذه الحيوانات على غير العادة، وتأمله في رحمة الله تعالى للبشر حين أيد رسله بهذه الآيات التي تدلُّ الناس على صدق رسالتهم، لتكون الحجة واضحة أمامهم، والبينة جلية لهم.

٩- تتجلى رحمة الله تعالى لبني آدم والجن حين غيب عنهم ما يحصل في القبر من عذاب دون غيرهم من المخلوقات، فجعل سبحانه هذه الحيوانات وغيرها تسمع عذاب القبر وأخفاه عن الثقلين إبقاءً عليهم ورحمة بهم وسترًا عليهم.

١٠- الإيمان بالبعث والنشور ركن من أركان الإيمان وفي البحث في النصوص التي دلت على بعث الحيوان وحشره يوم القيامة دلائل عظيمة تزيد المؤمن بذلك كله تصديقًا وثباتًا بأن الله تعالى يحشر جميع الخلائق بما فيها الحيوان، فالكل مجموع في هذا اليوم العظيم.

١١- القصاص بين الحيوانات من أعظم الصور التي يقف عليها الباحث والمتأمل في مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان، والتي يظهر فيها كمال عدل الخالق تبارك وتعالى، وأنه سبحانه لا يظلم صغيرة ولا كبيرة، بل فعله كله عدل كما أنّ أمره وحكمه عدل، فتبارك الله رب العالمين.

١٢- أن الله تبارك وتعالى يرغب المؤمن في جنته، وذلك حين يذكر ما فيها من النعيم العظيم، ومن صوره ما في الجنة من حيوانات سخرها الله عز وجل له، وهو أيضًا يرهبه من النار حين يذكر له صنوفًا من العذاب فيها والتي منها طائفة من الحيوان أعدّها الله تعالى ليعذب بها أهل النار، فيعيش المؤمن بين الخوف والرجاء، يرجو رحمة الله تعالى وجنته، ويخاف من عذابه والنار.

١٣- في النهي عن لعن الحيوان ثمرة عظيمة من ثمرات الإيمان، تكسب المرء تمسكًا وثباتًا بهذا الدين العظيم، الذي جاء بالرحمة لجميع المخلوقات بما فيها الحيوان، فلا يلعن إلا من يستحق اللعن من حيوان أو غيره.

١٤- الإيمان الكامل بأن الله تعالى حكيم متصف بالحكمة في خلقه وشرعه، فمن حكمته

سبحانه أن فاوت بين المخلوقات، فكما جعل في البشر صالحًا وفاسقًا، جعل في هذه الحيوانات الصالحَ والفاسق - أيضًا - وكل ذلك لحكمة أرادها سبحانه، ليتحقق الابتلاء في هذه الدار، كما أن من حكمته سبحانه كل ما يحدث في خلقه، فلم يخلق جلَّ وعلا خلقًا عبثًا، أو لغير حكمة، وهذا ظاهر جليٌّ في تلك الآلام التي تصيب الحيوانات التي رفع عنها التكليف، إذ هو لحكمة يريدها سبحانه، قد يظهر للبشر شيئًا منها، وقد تغيب عنهم أشياء كثيرة، وفي كل ذلك يكون المؤمن على يقين أنه لا يحصل في خلقه إلاّ ما قدَّره ﷻ لحكمة عظيمة.

١٥- أن الله تبارك وتعالى كرّم الإنسان وشرّفه وفضّله على الحيوان، بما كرّمه من العقل والتكليف، فإذا أدّى شكر هذا التكريم وقام بما أوجب الله عليه من طاعته حصل له هذا الشرف والتكريم في الدنيا والآخرة، وحين يخالف أوامر الله تعالى فهو كالأنعام أو أضل سبيلا، فيكون ذلك باعثًا للمؤمن أن يحافظ على هذا التكريم الذي كرّمه الله تعالى به.

١٦- في التشبه بالحيوان انحطاط عن الرتبة التي شرّف الله تعالى بها الإنسان عن الحيوان، ونزول بالنفس الإنسانية عن تلك الرتبة التي اختارها الله تعالى لصفوة خلقه وكرّمهم بها، فلم يُجعل الإنسان في رتبة الحيوان إلاّ حين ينحرف عن المنهج السوي بالكفر أو الابتعاد عن سنة نبيه ﷺ؛ ولهذا جعل المسخ إلى الحيوان نوعًا من أنواع العقاب الذي يعاقب الله تعالى به طوائف من الأمم قديمًا وحديثًا.

الخاتمة

وفي ختام هذه الرسالة أحمد الله تعالى على الإعانة وأسأله التوفيق والسداد، وأذكر أهم ماجاء في هذه الرسالة من مسائل وهي:

- الحيوان هو: الجسم النامي المتحرك بالإرادة، وهو تعريف يدخل فيه الإنسان والحيوان، وقد اصطلح على إطلاق الحيوان على الحي الذي لا يعقل.
- قسم العلماء قديمًا الحيوان إلى أقسام كثيرة منهم من جعل الإنسان قسمًا من أقسامه ومنهم من قسم الحيوان المعروف دون إدخال الإنسان في هذا القسم، وذلك لاعتبارات مختلفة، وأما علماء الأحياء في العصر الحديث فإنهم قسموا الحيوان إلى قسمين رئيسين: حيوانات فقارية، وحيوانات لا فقارية.
- اهتم العلماء في التصنيف في موضوع الحيوان قديمًا وحديثًا، فمن هذه المصنفات المخطوط والمطبوع، ومن أوسع هذه المصنفات: كتاب الحيوان للجاحظ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري.
- في خَلْق الحيوان وعجائبه دلائل ظاهرة وبراهين جلية على ربوبية الله ﷻ، وتتجلى هذه الدلائل في:

١- الخلق والاختراع.

٢- الإتقان والإحكام.

٣- التسخير والتدبير.

٤- كثرة أنواعها وأشكالها واختلاف ألوانها.

٥- ما أودعها الله تعالى من عجائب.

٦- رَزْق الحيوان وحياته المَعَشيَّة.

٧- تسخير الحيوان للإنسان.

٨- إنطاق الحيوانات وتخاطبها فيما بينها.

٩- وحي الله تعالى لبعض الحيوانات.

- فطر الله تعالى الحيوان على توحيده ﷻ، فهو يعرفه، وسجد له وسبحه، ويدعو خالقه، ويخافه.
- الله تبارك وتعالى خلق الحيوان وسخره للإنسان ليأكل منه، ويلبس ويركب، ويتخذ منه زينة وجمالاً، كل ذلك وفق ما أمره به ربه وشرعه له، فلا يحل منه إلا ما أحله له، ولا

يحرم منه إلا ما حرمه سبحانه، وقد سلك طوائف من البشر شرعًا غير شرع الله تعالى فحرموا منه ما لم يحرمه، وأحلوا منه ما لم يحله في القديم والحديث في صور كثيرة جاء الإسلام ببيانها والتحذير منها.

- يدخل في التصوير المحرم تصوير الحيوان سواء أكان مجسمًا أم غير مجسم؛ لما فيه من مضاهاة الله تعالى في خلقه، ولأنه وسيلة من وسائل الشرك، ولما فيه من مشابهة من كانوا يصنعون الصور والتماثيل لتعبدَ من دون الله تعالى.
- من الطرق التي سلكها الشيطان لغواية بني آدم التصرف في الحيوان على غير هدي الله تعالى، وتغير خلق الله ﷻ في الحيوان وغيره، وفي ذلك تعدٍّ على ربوبية الله سبحانه الذي خلق المخلوقات من إنس وحيوان وغيرها، وصورها على صورة اختارها، فلا خلق أتقن من خلقه، ولا تصوير أكمل من تصويره.
- من النظريات الباطلة التي لها علاقة بالحيوان: نظرية النشوء والارتقاء، لأنها قامت على الزعم بأن الحياة نشأت على الأرض صدفة دون خالق، بل الطبيعة هي التي خلقتها، ولأن كل ما استند إليه أصحاب هذه النظرية لا يثبته الواقع، ولا العلم الصحيح.
- تجلت ربوبية الله تعالى في جعل البركة في بعض مخلوقاته فمن ذلك: البركة في الخيل، والغنم، واللبن، وبركة بهيمة الأنعام بعد نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.
- وقعت طوائف من البشر قديمًا وحديثًا في عبادة الحيوان لأسباب مختلفة، وهذا الشرك لم يطرأ على البشرية إلا بعد أن عاشت قرونًا على التوحيد، فعُبِدت أنواعٌ كثيرة من الحيوانات في مصر والهند وغيرها، من البقر والقطط والثعابين وغيرها.
- شرع الله ﷻ التقرب إليه بذبح بعض الحيوانات في الأضحية والعقيقة والهدي، وحرم ذبح شيء من الحيوانات لغيره، ونهى عن أكل ما ذبح منه و لم يذكر على اسمه سبحانه وتعالى.
- الحيوان من مخلوقات الله تعالى لا يملك لنفسه نفعا، ولا يستطيع أن يدفع عنها ضرًّا إلا بإذن الله تعالى، ومع ذلك استطاع الشيطان أن يوقع طوائف من البشر في التشاؤم بأنواع منها، فقد نال الحيوان النصيب الأكبر عند كثير من الناس قديمًا وحديثًا، وما يصدره الحيوان من أصوات، وما تكون عليه من هيئات وأشكال، كل ذلك بتدبير من اللطيف الخبير، فلم تكن تصنع ذلك لتدل على غائب أو مجهول.
- تعليق التمائم من الأمور التي تنافي التوحيد أو كماله، ومنها ما يكون مصنوعًا من الحيوان

كبعض أعضاء الذئب أو غيره، ومنها ما يعلق على بعض الحيوان.

- في الحيوان طائفة تحب الطاعة وأهلها وتبغض المعصية وأهلها، وأخرى تعادي أهل الصلاح والإيمان.
- الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا تصحب رفقه فيها كلب وهو عام في جميع الملائكة، ويستثني من ذلك الكلب الذي أذن الشرع باقتنائه؛ لأن صاحبه فعل أمرًا أذن الشرع له بفعله.
- الملائكة لهم دوابُّ الله أعلم بكيفيتها؛ حيث جاء ما يدل على ركوبهم الفرس، وجبريل عليه السلام ركب البراق.
- الحيوان منحه الله تعالى قدرة تختلف عن قدرة البشر، فهو يرى ما لا يراه البشر فمن ذلك رؤية الديك للملائكة، والحمار والكلب للشيطان.
- الجن تتشكل بأشكال كثيرة منها ما يكون على صورة حيوان من حيات وكلاب.
- الكلب الأسود شيطان كلاب لا شيطان جن؛ لأنه أخبث الكلاب وأضرها وأعقرها.
- الإبل خلقت من الشياطين، لما في طبعها من النفور والشرود، فهي خلقت على صفة تشبه الجن من النفور والإيذاء.
- الجن لهم دواب كما للإنس دواب الله أعلم بكيفيتها.
- أيد الله سبحانه وتعالى بعض أنبيائه بآيات من جنس الحيوان، فمن ذلك: ناقة صالح عليه السلام، والطير الذي أحياه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام، وآيات موسى عليه السلام وهي العصا التي تنقلب حية، والجراد والقمَّل والضفادع، والميت الذي أحياه الله تعالى بعد أن ضرب ببعض البقرة، وحوت موسى عليه السلام الذي أحياه الله تعالى بعد أن كان ميتًا ثم مسك الله عز وجل عن جريه في البحر، والحوت الذي التقم يونس عليه السلام، وتسبيح الطير مع داود عليه السلام، وتعليم سليمان عليه السلام منطق الطير، وخلق عيسي عليه السلام من الطين كهيئة الطير فيكون طيرًا بإذن الله تعالى.
- من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما له علاقة بالحيوان ومنها: شكوى الجمل والحمرة إليه، وإخبار الذئب عن دعوته، والشاة المسمومة عن نفسها، وجمل جابر رضي الله عنه الذي أعيا والبراق، وما جاء في حديث: (ناولني الذراع)، وفرس سراقة بن مالك في الهجرة، وبركة عناق جابر في الخندق، وظهور حليب الغنم في غير وقته، وفرس أبي طلحة الذي وجده بحرا، وناقته التي أخبر عنها بأنها: مأمورة، وتسابق البدن إليه في حجة الوداع، وآداب الوحش عند

قدومه وانصرافه، وحادثة الفيل.

- في القرآن الكريم أمثلة كثيرة مضروبة من الحيوان.
- دلت الأدلة على وجود أشراط للساعة لها علاقة بالحيوان منها تكليم السباع، والجساسة، والخنزير الذي يقتله عيسى عليه السلام، والدابة، والقلاص التي يترك الناس السعي عليها، ووقوع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم، والنغف الذي يرسله الله تعالى في رقاب يأجوج ومأجوج، والطير التي يرسلها الله تعالى لتحملهم بعد نتنهم فتطرحهم حيث شاء الله استجابة لدعاء عيسي عليه السلام وأصحابه.
- ذهبت طوائف ممن قالت بعقيدة تناسخ الأرواح إلى أن الأرواح تنتقل من الإنسان إلى الحيوان، والعكس وهم معظم القائلين بهذه العقيدة.
- الحيوان من المخلوقات التي مكنها الله تعالى من سماع عذاب القبر، حيث حجبه الله تعالى عن الإنسان والجان.
- الحيوان يبعث ثم يحشر يوم القيامة كما يبعث الإنس والجن، ثم يقتص الله تعالى من بعضها لبعض.
- الجنة فيها من الحيوان: الإبل، والخيل، وثور الجنة، وحوتها، والغنم والطير.
- النار فيها: حيات وعقارب وذباب.
- نهي الإسلام عن لعن من لا يستحق اللعن حتى من الحيوان.
- جاء وصف بعض الحيوان بالفسق فمن ذلك: الحية، والعقرب، والغراب الأبقع، والفأرة، والحديَّا، والكلب العقور، والوزغ.
- الأنعام فضلها الله تعالى على المشرك به، وشبه سبحانه الكافر ببعض الحيوان من بعض الجوانب.
- من تشبه بشيء من الحيوان فقد حط بنفسه عما كرمه الله تعالى به، ونزل عن الرتبة التي رفعه الله تعالى إليها وكرمه بها.
- وقع المسخ من الإنسان إلى الحيوان في الأمم السابقة، فوجد من مسخه الله تعالى إلى قردة وخنازير وغيرها، وفي هذا الأمة مسخ أيضًا كما وقع للأمم السابقة.
- من مسخ من إنسان على حيوان فإنه لا يتناسل بل ينتهي بذلك.

• ما يصيب الحيوان من الآلام لم يقع إلا لحكم عظيمة؛ لأنه سبحانه لا يفعل إلا لحكمة وإن جهل الناس شيئًا من هذه الحكم، فما من حيوان إلا ويحصل له من اللذة والخير والنعم ما هو أعظم مما يحصل له من الألم، فإنه يلتذ بالأكل والشراب والنوم والجماع وغير ذلك، فنعيمه ولذته أضعاف أضعاف ألمه.

الفهارس

وتشتمل على الفهارس الآتية:

١- فهرس الآيات الكريمة.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس الفرق والأديان.

٥- فهرس المصادر والمراجع.

٦- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات الكريمة

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾	٢٥٩	٤٦
البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ...﴾	٢٦٠	٤٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٤٢٣، ٤٢٤
آل عمران	﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾	١١	٣٣٩
آل عمران	﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾	٢٨	٢٢٣
آل عمران	﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾	٤٩	٢٩٩
آل عمران	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ...﴾	٥٩	١٣٩

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ...﴾	١٢٣ـــ١٢٥	٢٣٦
آل عمران	﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	١٩١	٦٠
النساء	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ...﴾	١	١٤١، ٢٩٩
النساء	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ...﴾	١١٦ـــ١١٩	١٢٠، ١٢٢، ١٢٣
النساء	﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾	١٣٦	٤٠٠
النساء	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾	١٤٤	٢٢٣
النساء	﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾	١٥٩	٣٦٢
المائدة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ...﴾	١	٧٢، ١٩٦
المائدة	﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ﴾	٢	٧٤
المائدة	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ...﴾	٣	١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢
المائدة	﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ...﴾	٤	٧٤، ٤٤٦

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأنعام	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾	١١٢	٢٤٩، ٢٥٨
الأنعام	﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ . . .﴾	١١٨ـــ١١٩	١٩٩، ١٩٩
الأنعام	﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ . . .﴾	١٢١	٢٠٠
الأنعام	﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا . . .﴾	١٣٦	١٠١
الأنعام	﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ . . .﴾	١٣٨	١٠٢، ١٠٣
الأنعام	﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا . . .﴾	١٣٩	١٠٣
الأنعام	﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ . . .﴾	١٤٠	١٠٤
الأنعام	﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ . . .﴾	١٤٢ـــ١٤٤	٧٣، ٧٧، ١٠٤، ١٩٦، ١٠٥
الأنعام	﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ﴾	١٤٥	٤٤٣
الأنعام	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . . .﴾	١٦١ـــ١٦٣	١٩٣، ١٩٦، ١٩٩
الأنعام	﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ . . .﴾	١٦٤	٣٩
الأعراف	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾	١١	٢٩٩

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأعراف	﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	١٦	١٨٤
الأعراف	﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾	٢٧	٢٤٧
الأعراف	﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ...﴾	٣٢	٩٩
الأعراف	﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ...﴾	٣٤	٢٨٠
الأعراف	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ...﴾	٥٤	٩٧
الأعراف	﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ...﴾	٧٣	٢٦٨
الأعراف	﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ...﴾	٧٧	٢٦٩
الأعراف	﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾	٧٨	٢٧٠
الأعراف	﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ...﴾	١٠٦—١٠٧	٢٧٧
الأعراف	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾	١٣٠	٢٧٨
الأعراف	﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ...﴾	١٣١	٢٠٩
الأعراف	﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ...﴾	١٣٣	٢٧٨

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأعراف	﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾	١٣٥	٢٨٠
الأعراف	﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾	١٣٦	٢٨٠
الأعراف	﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ... ﴾	١٤٨	١١٤، ١٩١
الأعراف	﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	١٤٩	١١٤
الأعراف	﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ... ﴾	١٦٣ــ١٦٦	٤٦٥
الأعراف	﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	١٦٤	٤٦٥
الأعراف	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ... ﴾	١٧٢ــ١٧٣	٩١
الأعراف	﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ... ﴾	١٧٥ــ١٧٧	٣٤٣، ٤٥٤، ٤٥٨
الأعراف	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ... ﴾	١٧٩	٣٤٤، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٨
الأعراف	﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ... ﴾	١٨٥	٤١

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأنفال	﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾	٥٥	٤٥٢
الأنفال	﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ...﴾	٦٠	١٥٠، ١٥٢
التوبة	﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾	٥٦	٢٩٨
التوبة	﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾	٧١	٢٢٣
يونس	﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾	١٨	٢١٠
يونس	﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا ...﴾	٥٩ـــ٦٠	٩٨
يونس	﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ ...﴾	٩٨	٢٨٦
هود	﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا ...﴾	٦	٦٠، ٣٦١، ٣٦٣، ٤٧٩
هود	﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	٥٦	٤٢

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
هود	﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٍ﴾	٦٥	٢٧٠
هود	﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾	٦٧	٢٧٠
يوسف	﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾	٧	٢٦٦
يوسف	﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾	١٧	٣٥
يوسف	﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ...﴾	٣٩ـ٤٠	٩٧
الرعد	﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩﴾	١٥	١٧٢
إبراهيم	﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٢٥	٣٣٨
الحجر	﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾	٢٧	٢٤٣
الحجر	﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨﴾	٢٨	١٤٠
النحل	﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾	٤	٢٩٩
النحل	﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥﴾	٥	٧٢، ٧٨، ٨٠

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الإسراء	﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ...﴾	١	٣١٣
الإسراء	﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾	١١	٢٥٥
الإسراء	﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ...﴾	٤٤	٤، ٩٢، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥
الإسراء	﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ...﴾	٥٩	٢٦٩، ٢٧١
الإسراء	﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾	٦٥	٢٧٤
الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ...﴾	٧٠	٤٥٧
الإسراء	﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٢	٢١٩
الإسراء	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾	٨٩	٣٣٨
الإسراء	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ...﴾	١٠١	٢٧٦
الكهف	﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ...﴾	١٨	٤٧
الكهف	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ...﴾	٦٠ـ٦٤	٢٨٤

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الحج	﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ...﴾	٣٦	٧٢، ٢٠٣
الحج	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾	٥٢	٢٦٥
الحج	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ...﴾	٦٥	٧٠
الحج	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ...﴾	٧٣	٥٢، ٣٤٥، ٣٤٥
المؤمنون	﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾	١٢	٢٩٩
المؤمنون	﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا...﴾	٢١	٧٢، ٧٧
المؤمنون	﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾	٢٩	٧٦
النور	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ...﴾	٤١	٩٢، ١٦٤
النور	﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ...﴾	٤٥	٣٨، ٤٤، ٣٦٣
الفرقان	﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ...﴾	٣	١٩١

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الفرقان	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ...﴾	٤٤	٣٤٤، ٤٥١
الفرقان	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ...﴾	٥٨	٢٠٨
الشعراء	﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ...﴾	١٥٣ـــ١٥٤	٢٦٨
الشعراء	﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾	١٥٥	٢٦٩، ٢٧١، ٤٢٣
الشعراء	﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	١٥٦	٢٦٩
الشعراء	﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ...﴾	١٥٧ـــ١٥٨	٢٦٩، ٢٧٠، ٤٢٣
النمل	﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ...﴾	١٢	٢٧٦
النمل	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ...﴾	١٥ـــ١٨	٨٤، ٢٩٦، ٤٢٤
النمل	﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ...﴾	١٦	٢٩٠، ٢٩٠
النمل	﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ ...﴾	١٨-١٩	٥٧، ٨٣، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٢، ٢٩٠
النمل	﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ...﴾	٢٠ـــ٢٨	٨٣، ٩٤، ٢٢٥، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
النمل	﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ٣٥﴾	٣٥	٢٦٥
النمل	﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾	٤٧	٢٠٨
النمل	﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ...﴾	٨٢	٨١، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٧٧
القصص	﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ...﴾	٣١	٢٧٦
العنكبوت	﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٦٠﴾	٦	٦١، ٦٢
العنكبوت	﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ ...﴾	٤١	٥٣، ٣٤٦، ٤٥٤
العنكبوت	﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾	٤٣	٣٣٨، ٣٣٩
العنكبوت	﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾	٦٤	١٧
الروم	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ...﴾	٣	٩١، ١٢١، ١٨٤
لقمان	﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾	١٩	٣٤٨

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
يس	﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾	٣٨	١٧٦
يس	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ . . .﴾	٧١ــ٧٣	٧١، ٧٢، ٧٧
الصافات	﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾	١١	١٤٠
الصافات	﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ . . .فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾	١٣٩ــ١٤٨	٢٨٦، ٤٢٤
الصافات	﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾	١٥٨	٢٤٢
ص	﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ . . .﴾	١٨ــ١٩	١٦٦، ١٦٩، ٢٨٩
ص	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ . . .﴾	٧١ــ٧٢	١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤١
غافر	﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ﴾	٦	٧٣
غافر	﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ ﴾	٦٠	٩٨
غافر	﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾	٦٢	٣٩
الزمر	﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾	٦٢	٢٩٧

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الشورى	﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ...﴾	١٠	٩٧
الشورى	﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ...﴾	١١	٦٤
الشورى	﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖ ...﴾	٢٩	٤٠٥
الشورى	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾	٥٢	٢٩٨
الزخرف	﴿ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ...﴾	١٢ـ١٤	٧١، ٧٦
الزخرف	﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ...﴾	٤٧ـ٤٨	٢٨٠
الجاثية	﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾	٤	٣٩
الجاثية	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ...﴾	١٣	٧٠
محمد	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ...﴾	١٢	٤٥٣، ٤٥٨
محمد	﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾	١٨	٣٥٦

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأحقاف	﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾	٢٥	٢٩٧
الفتح	﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ...﴾	٢٩	٣٥، ٣٣٨
الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	٧٠
الطور	﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾	٢٢	٤١٧
الطور	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَٰلِقُونَ﴾	٣٥	١٣٤
القمر	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ...﴾	٦ــ٧	٣٤٨
القمر	﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾	٢٨	٢٦٩
القمر	﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾	٢٩	٢٧٠
القمر	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾	٤٩	٤٢٢
الرحمن	﴿خَلَقَ الْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾	٤	١٤٠
الرحمن	﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾	١٥	٢٩٩
الواقعة	﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾	٢١	٤١٦
الحديد	﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	١	١٦١
الحشر	﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	١	١٦١
الحشر	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَٰلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ...﴾	٢٤	١١٠

فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٠	أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش...	٣٩٩، ٤١٦
٢١	اطلع النبي ﷺ علينا، ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ ...	٣٦٤، ٣٧٣، ٣٨٤
٢٢	أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا...	٣٢٣
٢٣	أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر، حتى إذا دفعنا إلى حائط...	٣٠٥
٢٤	أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق...	٣٧٣
٢٥	أما والله ما لها من ذنب وإنَّ لها للحية...	٣٦٧
٢٦	أما يخشى أحدكم، أو لا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار؟ ...	٤٧١
٢٧	أمر بقتل الوزغ، وسماه فويسقًا...	٤٤٨
٢٨	أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فنقتله...	٢٤٨
٢٩	إن إبراهيم لما ألقي في النار جعلت الدوابّ كلها تطفئ عنه إلا الوزغ...	٢٢٤
٣٠	إنّ أشدّ الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصوِّرون...	١١٥
٣١	إنّ أعظم الأيام عند الله يوم النحر...	٣٣١
٣٢	أنّ الديك صرخ عند النبي ﷺ، فقال رجل: اللهم العنه...	٤٤١
٣٣	إنَّ الرقى والتمائم والتِّولة شرك...	٢١٦
٣٤	إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات، خسف بالمشرق...	٣٧٣
٣٥	إن العبد إذا لعن شيئًا، صعدت اللعنة إلى السماء...	٤٣٨
٣٦	إن الغنم من دواب الجنة...	٤١٥
٣٧	إن الله عز وجل حييٌّ ستير، يحب الحياء والستر...	٣٤١
٣٨	إن الله عز وجل لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلاً...	٤٧٥
٣٩	إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقبًا...	٤٧٥

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الفرق والأديان

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر والمراجع:

١- **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**: صديق حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

٢- **أبكار الأفكار في أصول الدين**: علي بن محمد الآمدي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**: أحمد بن أبي بكر البوصيري.

٤- **الإتقان**: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ.

٥- **أجزاء الحيوان**: أرسطو طاليس، ترجمة: يوحنا بن البطريق، حققه وشرحه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٨م.

٦- **الإجماع**: محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٧- **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**: ابن دقيق العيد، تحقيق: أحمد شاكر، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ.

٨- **أحكام الأضحية والذكاة**: محمد بن عثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٤هـ.

٩- **أحكام القرآن**: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، بدون ذكر تاريخ الطباعة ورقمها.

١٠- **أحكام القرآن**: لأحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٤٠٥هـ.

١١- **آداب الزفاف في السنة المطهرة**: محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤٠٤هـ.

١٢- **الأدب المفرد:** محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.

١٣- **أديان العالم:** حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.

١٤- **أديان الهند الكبرى:** د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١١، ٢٠٠٠م.

١٥- **الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها:** د. إبراهيم محمد إبراهيم، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٦- **الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة:** عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٧- **أربع كلمات مفيدة في الأحكام والعقيدة:** صالح البليهي، مطابع السلمان، ١٤٠٩هـ.

١٨- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:** أبو السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

١٩- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد:** لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ.

٢٠- **أسباب النـــزول:** علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، مكتبة المجتمع، الخبر، ١٤٢٠هـ.

٢١- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** يوسف بن عبد البر، تحقيق: علي البيجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٢- **أسد الغابة في معرفة الصحابة:** علي بن محمد بن الأثير، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٣- **الأسماء والصفات:** أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط١.

٢٤- **الإسماعيلية المعاصرة الأصول:** المعتقدات، المظاهر الدينية والاجتماعية، محمد بن أحمد الجوير، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢٥- **أسنى المطالب في شرح روض الطالب**: زكريا الأنصاري، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٦- **إسهام علماء العرب والمسلمين في علم الحيوان**: علي عبد الله الدفاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٧- **أشراط الساعة**: يوسف الوابل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٨، ١٤١٨هـ.

٢٨- **الإصابة في تمييز الصحابة**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البيجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٩- **أصول الإسماعيلية**: دراسة-تحليل-نقد، سليمان عبد الله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٣٠- **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**: إعداد نخبة من العلماء بإشراف وزير الشوؤن الإسلامية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.

٣١- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

٣٢- **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**: د. صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ.

٣٣- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**: محمد بن عمر الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٣٤- **الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان وتفنيد نظرية داروين**: محمد نبيل النشواتي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٥- **إعجاز القرآن في الكون والإنسان بين ثوابت العلم ومتغيراته**: يوسف الملاَّ، دار السلام، مصر، ط١، ١٤٣١هـ.

٣٦- **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**: حمد بن محمد الخطابي، تحقيق ودراسة: د. محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٧- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٣٨- **أعلام النبوة**: علي بن محمد الماوردي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣٩- **الإعلام بفوائد عمدة الأحكام**: عمر بن علي الأنصاري المعروف بابن الملقن، تحقيق: عبد العزيز المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٤٠- **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام**: وإظهار محاسن الإسلام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٤١- **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.

٤٢- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ.

٤٣- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**: أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤١٧هـ.

٤٤- **الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل**: موسى الحجاوي، تحقيق: عبد اللطيف السبكي، دار المعرفة، بيروت.

٤٥- **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان**: محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٦- **إكمال المعلم بفوائد مسلم**: عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٧- **ألوان من حياة الحيوان**: د. سعد الدين مكاوي، منشأة المعارف، الإسكندرية.

٤٨- **إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات**: عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان.

٤٩- **الإنسان والداروينية**: محمد صالح كريم خان، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٦م.

٥٠- **الإنسان ونظرية داروين**: محمد أحمد باشميل، مطبعة شركة الطبع اللبنانية، بيروت، ط١، ١٣٨٤هـ.

٥١- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٢- **آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها:** ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.

٥٣- **آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات:** ماهر الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.

٥٤- **إيضاح الحجة على صاحب طنجة:** حمود عبد الله التويجري، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ط١.

٥٥- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق:** ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت.

٥٦- **بحر العلوم:** نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

٥٧- **البحر المحيط:** أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد عوض، زكريا النوفي، أحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٨- **البحر المديد:** لأحمد بن محمد الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٥٩- **البداية والنهاية:** إسماعيل بن كثير، تحقيق: علي شيري دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٦٠- **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير:** عمر بن علي المعروف بابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٦١- **بذل المجهود في حل سنن أبي داود:** خليل أحمد السهار نفوري، اعتنى به وعلق عليه: تقي الدين الندوي، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.

٦٢- **البرهان في علوم القرآن:** بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ.

٦٣- **البزار في البحر الزخار:** أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٦٤- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا.

٦٥- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ.

٦٦- **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٦٧- **بلوغ المرام**: لأحمد بن علي بن حجر، تحقيق: محمد حامد الفقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ.

٦٨- **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٦٩- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٧٠- **تاريخ الأمم والملوك**: محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٧١- **تاريخ الفلسفة الإسلامية**: ماجد فخري، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٩م.

٧٢- **تاريخ مدينة دمشق**: وذكر فضائلها وتسمية من حلها من الأماثل، علي بن الحسن بن هبة المعروف بابن عساكر، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٧٣- **تأويل مختلف الحديث**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٧٤- **التبرك المشروع والتبرك الممنوع**: د. علي نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٧٥- **التبرك أنواعه وأحكامه**: د. ناصر الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤٢١هـ.

٧٦- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين:** طاهر بن محمد الأسفراييني، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٧٧- **التبيان لما يحل ويحرم من الحيوان:** لشهاب الدين أحمد بن يوسف الأفقهسي الشافعي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٧٨- **التحرير والتنوير:** محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.

٧٩- **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي:** محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٠- **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين:** محمد علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨١- **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة:** أبو الريحان، محمد بن أحمد البيروني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٧٧هـ.

٨٢- **تحقيق مشكاة المصابيح:** محمد بن عبد الله التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

٨٣- **تذكرة الحفاظ:** محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٨٤- **الترغيب والترهيب:** عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٨٥- **التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه:** د. محمد إسحاق كندو، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٨٦- **التسهيل لعلوم التنـــزيل:** محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ.

٨٧- **التعريفات:** علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.

٨٨- **تفسير ابن أبي حاتم:** عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

٨٩- **تفسير القرآن العظيم (سورة الكهف)**: محمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٣٣هـ.

٩٠- **تفسير القرآن العظيم**: إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنَّا، دار الشعب، القاهرة، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٩١- **تفسير القرآن الكريم – سورة البقرة**: لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٣١هـ.

٩٢- **تفسير القرآن الكريم –جزء عم**: لمحمد صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، بإشراف مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٩٣- **تفسير القرآن**: عبد الرزاق الصنعاني، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٩٤- **تفسير القرآن**: منصور السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم ابن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٩٥- **تفسير المراغي**: أحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٩٦- **تقريب التهذيب**: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، ١٤٠٦هـ.

٩٧- **التقمص**: أمين طليع، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٩٨- **تلبيس إبليس**: أبو الفرج ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٩٩- **التمائم في ميزان العقيدة**: د. علي بن نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض.

١٠٠- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**: صالح عبد العزيز آل الشيخ، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٢، ١٤٣٣هـ.

١٠١- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**: ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، مؤسسة قرطبة.

١٠٢- **تناسخ الأرواح أصوله وآثاره وحكم الإسلام فيه**: محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، الأردن، ط١، ١٤١١هـ.

١٠٣- **تهافت نظرية داروين في التطور أمام العلم الحديث**: أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٠٤- **تهذيب الكمال**: أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٠٥- **تهذيب اللغة**: محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٠٦- **توحيد الخالق والإعجاز العلمي في القرآن الكريم**: عبد المجيد الزنداني، دار السلام، القاهرة، ط٥، ١٤٢٧هـ.

١٠٧- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦، ١٤٠٥هـ.

١٠٨- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ.

١٠٩- **التيسير في القراءات السبع**: عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: أوتوتريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١١٠- **الثقات**: محمد ابن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ.

١١١- **ثقافة الهند وحياتها الروحية والأخلاقية الاجتماعية**: للبروفيسور أثريا.

١١٢- **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١١٣- **جامع الرسائل**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

١١٤- **الجامع لأحكام القرآن**: محمد بن أحمد القرطبي، راجعه وضبطه وعلق عليه الدكتور: محمد الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.

١١٥- **جريدة الشرق الأوسط**: عدد (١١١٢٨)، يوم الأحد ٢٢/ ٥/ ١٤٣٠هـ.

١١٦- **جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف**: د. عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١١٧- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: أحمد بن تيمية، تحقيق: د. علي الألمعي، ود. عبد العزيز العسكر، ود. حمدان الحمدان، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

١١٨- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**: محمد بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٩- **حاشية السندي على النسائي**: نور الدين السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٢٠- **حجة القراءات**: عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١٢١- **الحجة على أهل المدينة**: محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٢٢- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**: إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: د. محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٢٣- **الحديث الشريف**: الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ.

١٢٤- **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي**: عقائدهم وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٢٨هـ.

١٢٥- **حسن التنبه لما ورد في التشبه**: محمد بن محمد بن الغَزِّي، تحقيق ودراسة لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، مؤسسة دار النوادر، سورية، ط١، ١٤٣٢هـ.

١٢٦- **الحشرات في القرآن الكريم والسنة المطهرة**: د. رمضان مصري هلال، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤٢١هـ.

١٢٧- **حياة الحيوان الكبرى**: محمد بن موسى الدَّميري، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٢٨- **الحيوان**: أحمد بن محمد بن أبي الأشعث، تحقيق: عبد الرزاق أحمد الحربي، ديوان الوقف السني، العراق، ١٤٢٩هـ.

١٢٩- **الحيوان**: الحسين بن عبد الله بن سيناء، تحقيق ومراجعة: إبراهيم مذكور وعبد الحليم منتصر وسعيد زايد وعبد الله إسماعيل، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٣٠- **الخصائص الكبرى**: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٣١- **خلاصة سير سيد البشر**: عبد الله بن حمد الطبري، تحقيق: طلال الرفاعي، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ.

١٣٢- **دائرة المعارف**: البستاني، دار المعرفة، بيروت.

١٣٣- **الدابة**: دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، د. محمد العلي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٣٤- **داروين ونظرية التطور**: شمس الدين آق بلوت، ترجمة أورخان محمد علي، دار الصحوة، القاهرة.

١٣٥- **درء تعارض العقل والنقل**: أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ.

١٣٦- **دراسات في الأديان الوثنية القديمة**: د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٣٧- **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**: د. سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط٥، ١٤٢٧هـ.

١٣٨- **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**: د. محمد محمد الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤، ١٤٢٩هـ.

١٣٩- **دراسات في علوم القرآن الكريم**: د. فهد الرومي، دار المتعلم، الزلفي ومكتبة التوبة، الرياض، ط٨، ١٤٢٠هـ.

١٤٠- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، ١٣٩٢هـ.

١٤١- **دعوة الرسل إلى الله تعالى**: محمد أحمد العدوي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٤٢- **دلائل التوحيد انطلاقًا من القرآن والكون**: عبد الله عبد القادر التليدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٤٣- دلائل النبوة للبيهقي.

١٤٤- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤٥- **دلائل النبوة**: أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: مساعد الراشد الحميد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

١٤٦- **دلائل النبوة**: أبو بكر الفريابي، تحقيق: عامر حسين صبري، دار حراء، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ.

١٤٧- **دلائل النبوة**: أبو نعيم الأصبهاني، اعتنى به نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

١٤٨- **دلائل النبوة**: سعيد عبد القادر باشنفر، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ. وقد اشتمل على أكثر من ألف وأربعمائة دلالة بتقديم الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله.

١٤٩- **دلائل نبوته ﷺ في ضوء السنة**: د. أحمد محمود شيمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٥٠- **دليل الطالب للدروس العلمية في مبادئ علم الحيوان**: فيصل أبو طربوش، ومحمد صلاح الدين السعيد، جامعة الملك سعود، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٥١- **الديانات والعقائد**: أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨١م.

١٥٢- **الرحلات الهندية (الشمال الشرقي في الهند)**: محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٥٣- **الرحلات الهندية (في أقصى شرق الهند)**: محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.

١٥٤- **الرحلات الهندية (في وسط الهند)**: محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

١٥٥- **الرحلات الهندية (نظرات في شمال الهند)**: محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٥٦- **رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر**: مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: أسعد محمد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.

١٥٧- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: أبو الفضل محمد الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥٨- **الروح**: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

١٥٩- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**: يحيى بن شرف النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٦٠- **رياض الصالحين**: يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق، دار المأمون للتراث، ودار الفجر الإسلامي، دمشق، ط٢٠، ١٤٢٢هـ.

١٦١- **زاد المسير**: عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٦٢- **زاد المعاد في هدي خير العباد**: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٥، ١٤٠٧هـ.

١٦٣- **سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**: محمد بن يوسف الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٦٤- **سر صناعة الإعراب**: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

١٦٥- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**: محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.

١٦٦- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة**: محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

١٦٧- **سلوك الحيوان**: جون بول سكوت، ترجمة: عبد الحميد خليل وعبد الحافظ حلمي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٦٨- **السنة**: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١٦٩- **سنن ابن ماجه**: محمد بن ماجه القزويني، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٧٠- **سنن أبي داود**: سليمان بن الأشعث السجستاني، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٧١- **سنن البيهقي الكبرى**: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

١٧٢- **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى الترمذي، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٧٣- **سنن الدارمي**: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز زمرلي، وخالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٧٤- **سنن النسائي الصغرى**: أحمد بن شعيب النسائي، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٧٥- **سنن سعيد بن منصور**: سعيد بن منصور الخرساني، حققه وعلق عليه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٦- **سير أعلام النبلاء**: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤١٢هـ.

١٧٧- **السيرة النبوية الصحيحة**: د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

١٧٨- **السيرة النبوية**: عبد الملك بن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ، (٣/ ١٥-١٦)، والبداية والنهاية.

١٧٩- **شأن الدعاء**: حمد محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ١٩٨٤م.

١٨٠- **الشبكة العنكبوتية – منتديات النباتيين – مذهب النباتيين**: عبد الله النديم.

١٨١- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: عبد الحي ابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٨٢- **شرح الأصول الخمسة**: عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٨٣- **شرح الأصول الخمسة**: للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، مكتبة وهبة، ط١، ١٣٨٤هـ.

١٨٤- **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**: محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

١٨٥- **شرح الزركشي على مختصر الخرقي**: محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ.

١٨٦- **شرح السنة**: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١٨٧- **شرح العقيدة السفارينية**: محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن، الرياض، إشراف: مؤسسة الشيخ محمد صالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٨٨- **شرح العمدة**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: خالد بن علي المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

١٨٩- **شرح العمدة**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: سعود العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

١٩٠- **الشرح الممتع على زاد المستقنع**: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٩١- **شرح رياض الصالحين**: لابن عثيمين، مدار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ.

١٩٢- **شرح صحيح البخاري**: أبو الحسن ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٩٣- **شرح مشكل الآثار**: أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٩٤- **شرح معاني الآثار**: أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

١٩٥- **الشرك في القديم والحديث**: أبو بكر زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٩٦- **الشريعة**: محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٩٧- **شعب الإيمان**: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

١٩٨- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**: القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

١٩٩- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: د. أحمد الصمعاني، ود. علي العجلان، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢٠٠- **الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية**: الترمذي، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٠١- **صبح الأعشى في كتابة الإنشاء**: أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م.

٢٠٢- **الصحاح**: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٢٠٣- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**: محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٢٠٤- **صحيح ابن خزيمة**: محمد إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.

٢٠٥- **صحيح الأدب المفرد**: دار الصديق، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٠٦- **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل البخاري، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٢٠٧- **صحيح الترغيب والترهيب**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.

٢٠٨- **صحيح الجامع وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٢٠٩- **صحيح السيرة النبوية**: المكتبة الإسلامية، عمّان، ط١، ١٤٢١هـ.

٢١٠- **صحيح سنن ابن ماجه**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢١١- **صحيح سنن أبي داود**: محمد بن ناصر الدين الألباني، اختصر أسانيده، وعلق عليه زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢١٢- **صحيح سنن الترمذي**: محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢١٣- **صحيح سنن النسائي**: باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢١٤- **صحيح مسلم بشرح النووي**: يحيى بن شرف النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢١٥- **صحيح مسلم**: مسلم بن الحجاج النيسابوري، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٢١٦- **صفحات من حياة علامة القصيم**: الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، د. عبد الله بن محمد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٣هـ.

٢١٧- **الصمت وأدب اللسان**: لابن أبي الدنيا، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار الكتب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢١٨- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢١٩- **طبقات الشافعية الكبرى**: تاج الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

٢٢٠- **طبقات الشافعية**: أبو بكر ابن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٢١- **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الوطن، الرياض، بدون ذكر الطبعة وتاريخها.

٢٢٢- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**: ابن قيم الجوزية، تحقيق: عايد العقيلي وعبد الله القحطاني وخالد العايد، دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ١٤٣٢هـ.

٢٢٣- **ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم**: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ.

٢٢٤- **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**: أبو بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٥- **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة**: عبد الكريم نوفان عبيدان، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ.

٢٢٦- **عالم الحيوان بين العلم والقرآن**: د. محمد محمود عبد الله، دار الرشيد، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٢٧- **عالم الملائكة الأبرار**: د. عمر الأشقر، دار النفائس، عمان، الأردن، ط٧، ١٤١٥هـ.

٢٢٨- **العبر في خبر من غبر**: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٩- **عبودية الكائنات لرب العالمين**: فريد التوني، مكتبة الضياء، جدة، ط١.

٢٣٠- **عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات**: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٣١- **عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات**: وعجائب النباتات والفواكه والحيوانات من خلال مخطوط فريدة العجائب وفريدة الغرائب، سراج الدين ابن الوردي، تحقيق: أنور محمود زناتي، جامعة عين شمس.

٢٣٢- **العجاب في بيان الأسباب**: أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٣٣- **العظمة**: أبو الشيخ، عبد الله بن محمد الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٣٤- **العقد الفريد**: أحمد بن محمد بن عبد ربه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٣٥- **العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**: محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: طلعت فؤاد، دار الفاروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٢٣٦- **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم**: محمد أحمد ملكاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥ ١٤٢٥هـ.

٢٣٧- **عقيدة الحلول والتناسخ عرضًا ونقدًا**: د. محمد العلي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

٢٣٨- **عقيدة الدروز عرض ونقد**: محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمان ط١، ١٤٠٠هـ.

٢٣٩- **العقيدة في الله**: عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، بيروت، ودار النفائس، الكويت، ط٧، ١٤١١هـ.

٢٤٠- **علم الحيوان**: محمود البنهاوي، وأميل شنوده، وعبد العظيم شلبي ومحمد فتحي سعود، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

٢٤١- **العلمانية**: سفر الحوالي، دار الهجرة.

٢٤٢- **علوم القرآن**: لنور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط،١، ١٤١٤هـ.

٢٤٣- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة ورقمها.

٢٤٤- **عون المعبود شرح سنن أبي داود:** محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٥٩م.

٢٤٥- **العين:** الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي مخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٤٦- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء:** أحمد بن القاسم السعدي، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٤٧- **غريب الحديث:** أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩٦هـ.

٢٤٨- **غريب الحديث:** حمد الخطابي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.

٢٤٩- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:** جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش.

٢٥٠- **فتاوى نور على الدرب:** عبد العزيز بن باز، ترتيب وإشراف: د. محمد سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.

٢٥١- **فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم:** مطبعة الحكومة، بمكة المكرمة، جمع وترتيب: محمد ابن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٣٩٩هـ.

٢٥٢- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري:** أحمد بن حجر العسقلاني، اعتنى به: أبو قتيبة نظر الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٩هـ.

٢٥٣- **فتح الباري في شرح صحيح البخاري:** عبد الرحمن بن رجب الدمشقي، تحقيق: طارق عوض الله محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٢هـ.

٢٥٤- **الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد ابن حنبل الشيباني:** لأحمد البنَّا، دار الشهاب، القاهرة.

٢٥٥- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي الشوكاني، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ.

٢٥٦- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**: عبد الرحمن بن حسن، مع حواشي: محمد حامد الفقي: مراجعة وتصحيح ابن باز، دار الخير، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٥٧- **فتح الودود في شرح سنن أبي داود**: أبو الحسن السندي، تحقيق: محمد زكي الخولي، مكتبة لينة، مصر، ومكتبة أضواء المنار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٥٨- **فرق الشيعة**: الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٥٩- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**: عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

٢٦٠- **فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**: د. غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط٤، ١٤٢٤هـ.

٢٦١- **فضائح الباطنية**: أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة الرسالة، دار الكتب الثقافية، الكويت، بدون طبعة وتاريخ.

٢٦٢- **فقه السنة**: سيد سابق، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٦٣- **الفهرست**: **محمد بن إسحاق ابن النديم**: دار المعرفة، بيروت.

٢٦٤- **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**: محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٦٥- **القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٦٦- **القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة**: عبد الرحمن صالح المحمود، دار الوطن، ١٤١٨هـ.

٢٦٧- **القول المفيد على كتاب التوحيد**: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٢٦٨- **الكاشف عن حقائق السنن:** عبد الله بن محمد الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٦٩- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة:** للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٧٠- **كتاب الحيوان:** عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧١- **كشاف القناع عن متن الإقناع:** منصور البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، ومصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٢٧٢- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٧٣- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٢٧٤- **الكلم الطيب:** لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٧٧م.

٢٧٥- **الكليات:** معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٧٦- **كواشف زيوف:** عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ.

٢٧٧- **لباب التأويل في معاني التأويل:** علاء الدين الخازن، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٧٨- **اللباب في شرح الكتاب:** عمر بن علي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٧٩- **لسان العرب:** محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١.

٢٨٠- **لغة الحيوان:** ميلنت أ. سلسام، ترجمة: كامل منصور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

٢٨١- الله: عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، ط٨، ٢٠١٢م.
٢٨٢- **مباحث في علوم القرآن**: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٦، ١٩٨٥م.
٢٨٣- **مباحث في علوم القرآن**: د. مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ.
٢٨٤- **مبادئ علم الحيوان العام**: أحمد الشاذلي وفاروق محمد حلمي وإبراهيم علي جعبوب وإبراهيم عبده رواسن، دار المطبوعات الجديدة، مصر.
٢٨٥- **المبسوط**: محمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
٢٨٦- **متن القصيدة النونية**: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ.
٢٨٧- **مجلة الأزهر**: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ذو القعدة، ١٣٩٦هـ.
٢٨٨- **مجلة الإعجاز العلمي**: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عدد (١١) شوال ١٤٢٢، مقال بعنوان (حقيقة نظرية داروين)، د. حامد إسحاق خوجه.
٢٨٩- **مجلة الجامعة الإسلامية**: عدد (١٥)، مقال: السنن الكونية، د. محمد تقي الدين الهلالي.
٢٩٠- **مجلة الدراسات العقدية**: موقف فرق الباطنية من اليوم الآخر، د. عبد القادر عطا صوفي، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عدد٣، محرم، ١٤٣١هـ.
٢٩١- **مجلة المورد**: وزارة الثقافة والإعلام، العراق، السنة ١٣٩١هـ، المجلد الأول، عدد ١، ٢، مقال: كتب الحيوان عند العرب، محمد باقر علوان.
٢٩٢- **مجلة الوعي الإسلامي**: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، عدد (٤٥٦)، السنة (٤)، شعبان، ١٤٢٤هـ.
٢٩٣- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٩٤- **مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز**: عبد الله الطيار، دار الوطن، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٩٥- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مطابع الرياض، ط١، ١٣٨١هـ.

٢٩٦- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٩٧- **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين**: محمد عمر الرازي، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.

٢٩٨- **المحلى**: علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون طبعة.

٢٩٩- **مختصر الشمال المحمدية**: لمحمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية، عمان.

٣٠٠- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**: ابن قيم الجوزية، اختصار: محمد الموصلي، تحقيق: د. حسن العلوي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٠١- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.

٣٠٢- **المدخل لدراسة القرآن الكريم**: محمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٣٠٣- **المدهش**: أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٣٠٤- **مذاهب فكرية معاصرة**: محمد قطب، دار الشروق، ط٦، ١٤١٢هـ.

٣٠٥- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: علي بن سلطان بن محمد القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٠٦- **المستدرك على الصحيحين**: محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٠٧- **مسند أبي داود الطيالسي**: سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر الطبعة.

٣٠٨- **مسند أبي عوانة:** يعقوب بن إسحاق الأسفراييني، دار المعرفة، بيروت.

٣٠٩- **مسند إسحاق بن راهويه:** إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ.

٣١٠- **المسند:** أحمد بن حنبل، عناية: د. بدر الدين جنتن، دار سحنون، تونس، ط٢، ١٤١٣هـ.

٣١١- **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني:** د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، دار الفيصل للثقافة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣١٢- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه:** أحمد بن أبي بكر الكناني، تحقيق: محمد الكشناوي، دار العربية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣١٣- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:** للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٣١٤- **مصرع الداروينية:** محمد علي يوسف، تقديم: د. محمد علي البار، دار الشروق، جدة، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣١٥- **مصنف ابن أبي شيبة:** أبو بكر محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣١٦- **مصنف عبد الرزاق:** عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٣١٧- **مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية:** أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط٦، ١٣٩١هـ.

٣١٨- **معارج القبول (٢/ ٥١٢):** وأحكام الرقى والتمائم، د. فهد ابن ضويان السحيمي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٣١٩- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول:** حافظ حكمي، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٣هـ.

٣٢٠- **معالم التنـــزيل:** الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ.

٣٢١- **معالم السنن**: حمد محمد الخطابي، صححه: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ.

٣٢٢- **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها**: عواد عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ.

٣٢٣- **معتقدات آسيوية**: د. كامل سعفان، دار الندى، مدينة نصر، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٢٤- **معجم الأدباء**: ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٢٥- **معجم الأمثال في القرآن الكريم**: سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ.

٣٢٦- **المعجم الأوسط**: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسين، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٣٢٧- **معجم الحيوان**: أمين المعلوف، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٣٢هـ.

٣٢٨- **المعجم الصغير**: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، عمَّان، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٢٩- **المعجم الكبير**: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٣٣٠- **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٣١- **معرفة الثقات**: أحمد بن عبد الله العجلي، تحقيق: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٣٢- **المغني في أبواب العدل والتوحيد**: عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: أحمد الأهواني، وتوفيق الطويل، وسعيد زايد، طبعة القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٨٢هـ.

٣٣٣- **المغني**: عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٣٤- **مفاتيح الغيب**: محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٣٥- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**: محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن الحلبي، دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٣٣٦- **المفردات في غريب القرآن**: الراغب الأصبهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٣٣٧- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**: أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٣٨- **المفيد في مهمات التوحيد**: د. عبد القادر عطا صوفي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.

٣٣٩- **مقارنات الأديان**: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م.

٣٤٠- **مقارنة الأديان**: د. محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط٢، ٢٠٠٩م.

٣٤١- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: أبي الحسن الأشعري، قدم له وكتب حواشيه: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ.

٣٤٢- **مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣٤٣- **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: إبراهيم بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ.

٣٤٤- **الملل والنحل**: محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ.

٣٤٥- **من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم**: الدكتور: زغلول راغب النجار، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٣٤٦- **من عجائب المخلوقات بين منهج القرآن والعلم الحديث**: د. عبد الرحمن عميرة، دار الحرم للتراث.

٣٤٧- **من مشاهير علمائنا**: د. محمد بن سعد الشويعر، نادي الطائف الأدبي، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٤٨- **المنتخب من مسند عبد بن حميد**: عبد بن حميد، تحقيق: صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٤٩- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: أبو الفرج ابن الجوزي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ.

٣٥٠- **المنتقى شرح موطأ مالك**: سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٥١- **المنجد في اللغة**: علي بن حسن الهنائي، دار الشروق، بيروت، ط٢٠.

٣٥٢- **منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل**: محمد عليش، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٣٥٣- **المواقف**: عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٥٤- **موسوعة إكسفورد العربية**: ترجمة وتعديل مجلس من الأكاديميين وأساتذة الجامعات العرب والبريطانيين، إشراف: حسن مرضي حسن، دار الفكر، لبنان، ط، ١٩٩٩م.

٣٥٥- **موسوعة الأديان السماوية والوضعية**: حسن نعمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٥٦- **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**: د. محمد السقاعيد، دار اليقين، مصر، ط٢، ١٤٣٠هـ.

٣٥٧- **موسوعة الإعجاز العملي في القرآن الكريم**: والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة دار ابن حجر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٣٥٨- **موسوعة الحديث الشريف**: الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٣٥٩- **موسوعة الحيوان الشاملة**: أعد النص العربي: د. ألبير مطلق، مكتبة لبنان ناشرون، بالتعاون مع شركة دور لينع كِندَرسلي، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٦٠- **موسوعة الحيوان:** هيشر إينجل فارنهام، وأكيلا فوتغرافيس وهوكسلي، وآخرون، دار قتيبة، دمشق.

٣٦١- **موسوعة الطبيعة الميسرة:** وضع النص العربي وأشرف على تحريرها: أحمد شفيق الخطيب، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

٣٦٢- **الموسوعة العربية العالمية:** مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢.

٣٦٣- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة:** الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٨هـ.

٣٦٤- **موسوعة عالم الحيوان:** إلفانا مصطفى حمود، دار الفكر اللبناني، ط٢، ١٩٩٥م.

٣٦٥- **الموطأ:** مالك بن أنس، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

٣٦٦- **موقف ابن تيمية من الأشاعرة:** عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ.

٣٦٧- **ميزان الاعتدال:** محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٣٦٨- **النبوات:** أحمد بن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

٣٦٩- **النصيرية:** سهير محمد علي الفيل، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٧٠- **نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها:** قيس القرطاس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ.

٣٧١- **النكت والعيون:** علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧٢- **نهاية الإقدام في علم الكلام:** عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفردجيوم، بدون ذكر الطباعة ولا تاريخها.

٣٧٣- **نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم:** إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد فهيم أبو عبية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط١، ١٩٦٨م.

٣٧٤- **النهاية في الفتن والملاحم**: إسماعيل بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٧٥- **النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير الجزري، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٧٦- **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**: محمد بن علي الشوكاني، دار النوادر، الكويت، ١٤٣١هـ.

٣٧٧- **هداية العارفين في أسماء المؤلفين**: إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٣٧٨- **الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق**: رواية المفضل الجعفي، تحقيق: مصطفى غلاب، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

٣٧٩- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

٣٨٠- **الولاء والبراء في الإسلام**: د. صالح الفوزان، دار الوطن، الرياض، ١٤١١هـ.

٣٨١- **الولاء والبراء في الإسلام**: محمد سعيد القحطاني، دار طيبة، الرياض، ط٣، ١٤٠٩هـ.

فهرس الموضوعات